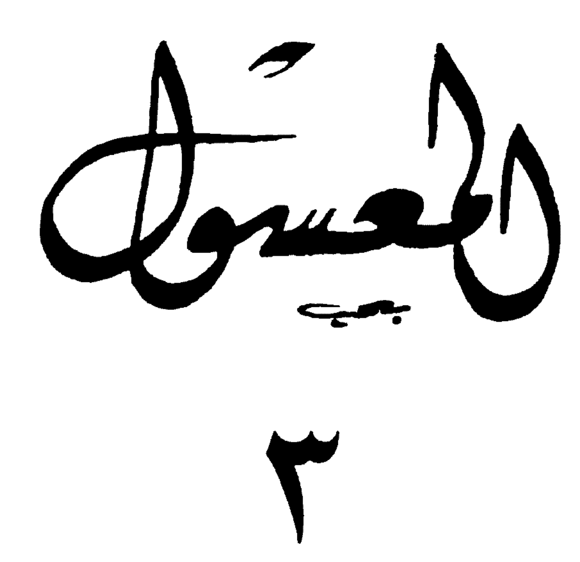
محمد المختار السوسي



المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله وصحبه

القسم الثانى

من

المعسول

ويشتمل على الالغيين الذين ليسوا من المرابطين السعيديين
وفيه خمسة فصول :

الفصل الاول فى الاغوديديين والتيفشيتيين

الفصل الثانى في القاطنين ولو موقتا فى قرية (دوكادير) من الغرباء

الفصل الثالث فى الوفقاويين

الفصل الرابع فى الايغشانيين

الفصل الخامس فى الامانوزيين

الفصل الاول

في الاغوديديين والتيغشيتيين

والذين يذكرون فيه :

الشيخ محمد بن احمد الحرسيلى جد الاغوديديين

الفقيه سيدى الحسين بن أبى بكر الاغوديدى

الفقيه سيدى البشير أخوه

الفقيه سيدى علي التيغشيتى



الشيخ الصالح

سيدى محمد بن احمد الحربيلى

قبل ٩٦٠ هـ = ٤-١٠٢٠ هـ

شيخ كبير القدر ، له شهرة في عصره ، وقد أعقب اسرة مباركة ظهرت اخيرا بالعلوم والادب ٠

(قال فيه الحضيكى)

«محمد بن أحمد الحربيلى ، ثم التاهالى دفين ايسى ، كان رضى الله عنه رجلا صالحا خيرا دينا ، ذا عزم وحزم ، وتشمير فى الدين ، محبا للمساكين والفقراء ، ومكرما لهم ، مربيا مرشدا ، ناصحا للاسلام ، صحب الاكابر من الاولياء ، وخدمهم بنصح ونية صادقة ، وهو المشار اليه فى ترجمة ابن داود التارسواطى»

وقال فيه الرسموكى

«شيخ الطوائف ومربيهم ، سيدى محمد بن احمد النازل بتاهالا ، المدفون بايسى ، عند سيدى بلقاسم الفيلالى ، توفى رحمه الله ربيع الثانى عام: عشرين والف»

هذا ما ذكره عنه هذان المؤرخان ، ومحل سكنى المترجم فى قرية (أكرض أوسول) من (تاجكالت) وقد كانت القرية قديما تعد من تاهالا ، ثم تحسب اليوم من ايغشان ، ولاتزال داره التى كان يقطنها تقام فيها اليوم حفلة سنوية: (المعروف)

وابن داود الذى ذكره الحضيكى ، هو الشيخ سيدى محمد بن داود العم الاعلى للحضيكى توفى بعد ٩٩٠هـ وقد ترجمه فى الطبقات ، وذكر ان الشيخ سيدى داود الدادسى رمى صاحب الترجمة بدعوة ، فعارضها دونه ، فسقطت

بموضع يسمى (ايودرى) فيبس طويلا ، وذلك بعد ان بدا انكار من صاحب الترجمة على الشيخ سيدى احمد بن محمد السكرادى المشهور ، وهو من اصحاب الدادسى ، ففار عليه ، وقد بسط الحضيكى ذلك واختصرته •

وأما سيدى بلقاسم الفيلالى ، فانه بلقاسم بن سعيد ، اخذ - فيما شاع عند الناس - عن الشيخ سيدى خالد الكرسيفى الشهير المتوفى ءاخر القرن التاسع ، وتوفى سيدى بلقاسم فى العشرة الاولى من القرن العاشرة ، واما سيدى أحمد بن محمد السكرادى ، فسيذكر مع احفاده الذين بعضهم على شرطنا ان شاء الله ، (فى القسم الرابع) •

(كنت فتشت عن مشجر المترجم عند أولاده ، وأوصيت بعض الناس ان ياتينى بمن له معرفة بانساب اولاد الشيخ ، ولكن تراخى من اوصيته ، ولم يصلنى ذلك الموصى عليه حتى فارقت الغ) •



سيدي

الحسين بن ابي بكر الاغوديدى

قبل ١٢٨٥ هـ = ١-١٣٣٦هـ

نسبـــه

الحسين بن ابى بكر ، ويتصل نسبه بمحمد بن احمد المتقدم قبله ·

كان الرجل الصالح سيدى الحاج عبلا ، تزوج بامرأة اغوديدية ، وهم أخوال أولاده العلماء ، فكان ذلك مما حفز تلك الاسرة ان تراح رائحة العلم ، فكان صاحب الترجمة ، وأخوه الفقيه سيدى البشير الاتى بعده ، هما الاولان ثـــم الاخيران من علماء الاغوديديين ·

اتصل سيدى الحسين هذا بالاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى فأخذ عنه أخذا وسطا ، وحصل عنه بعض تحصيل ، وكان فى عواشر ياخذ عـــن سيدى سعيد بن الطيب الاكمارى ، فى مدرسة (تاكاترت) ، ويحكى لى أنه ضعيف فى العربية ، وان ميزته بفقهيات وما اليها ، ولذلك ماكاد أخوه البشير النجيب يظهر حتى برز فى الميدان ، وغبر فى وجهه ، فكان ذلك أحد الاسباب لشنآن قام بينهما ، قرب موت سيدى الحسين ، حدثت انهما تنازعا فيما بينهما عـلى شىء فتراضيا شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ففصل بينهما ·

كان سيدى الحسين ربما جال فى النوازل جولة المتوسط الذى لايسف ولايحلق ، وهو على كل حال ، ادنى من أخيه الصغير فى معلوماته ، هذا مـــا أعرفه عنه الآن ·

ثم وقعت له على رسالة ، لعلها الى بعض الادباء الالغيين ، نصها

«أيد الله الفقيه النزيه ، سيد أقرانه عن جدارة بلا تمويه ، أديب الادبـاء ، وفقيه الفقهاء ، وكريم الكرماء ، ونبيه النبهاء ، سيدى البشير ، سلاما اعطر من الروض المبلول ، ومن وصل حبيب فاجا من غير وعد ولا رسول ·

أما بعد فلا زائد عما تعهده من الشوق اليك ، وحلول القلب لديك ، فقـد اتصلت بكلامك العذب ، فطاب به القلب ، والغرض ساقضيه لك ان شاء الله خير قضاء ، حتى ترضى عنى أى رضا ، فاعذر أخاك فى هـذه المالكة (١) التى تكلفها ، فانها ليست بشىء ، لولا ان اسمك شرفها ، فلست من أرباب فـــن الادب ، ولا ممن به ترقى وتهذب ، فادع لاخيك بكل خير والسلام»

---

١) المالكة بضم اللام الرسالة

سيــــــــدي

البشير بن ابى بكر الاغوديدى

نحو ١٣٠١ هـ = ضحى ١٤-١١-١٣٣٧ هـ

نسبـــه

البشير بن بوبكر

أخذ القرءان في مسجد قريته وفي مدرسة (ايرازان) ببعقيلة عـنـد الاستاذ : المحفوظ الرسموكى ، وقد أتقن حرف المكى ، ثم اتصل بالمدرسة الالغية فى نحو ١٣٢٠هـ فأكب واجتهد ، وتدرج على العادة ، وهـو مثافـن للاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، حتى استتم الادوار التى يترقى فيها الالغيون وكان يفرغ جهوده فى المشاركة التامة ، ولكن تبريزه انما هو فـى العلوم الفقهية النحوية واللغوية والفرضية ، ولم تظهر له فى الادب مكانـة تتلقى بالقبول ، مع حرصه الشديد على ان يكون فيه أيضا دائما من الرعيـل الاول ، فكان فى كل مناسبة يقول مع أقرانه مقطعات ، ولكنه يكبو غالبا دون مداهم،وقد كان للاساتذة الالغيين دائماأغضاءماعمن لايزالون يؤاخذونهم به تنشيطا لهم الى الامام ، ولذلك كانوا يقابلونه بذلك ، غير ان أقرانه فضحوه مرة من أجل قطعة سنذكرها ، فأثاروا حوله ضجة عنيفة ، حتى سرى ذلك الى خدور الغوانى ، فتحدثن به فى منتديات النساء ، وقد حدثت ان سيدة من مرابطينا عايرت امرأة اغوديدية من احدى زوجات آل صالح ، فما ملكت هذه المرابطية ان قالت لصاحبتها فيما قالت هل فيكن قط اينها الاغوديديات الا النقص الشائن دائما ؟ فهذا ابنكن البشير بن أبى بكر ، جاء بشعر افتضح به بيـن العلماء ، وصار به ضحكة بين الاقران ، ولكن هذه فى الحقيقة انما هى كبوة، والجواد قد يكبو ، ولعله بعد ذلك تقدم فى هذا الفن ايضا ، لاننى رايت لـه مايصلح بين أقرانه ، بل لا أخالهم يفوقونه فى بعض مارايته له

فى سنة : ١٣٢٩هـ انتقل من (الالغية) الى (البومروانية) عند الاستاذ سيدى الطاهر فلازمه نحو سنة وبعض اخرى

هذه هى المدارس التى اعلم أنه أخذ منها ، ثم شارط فى المدرسة (الامسرائية) فربض فيها على التدريس ، فظهرت هناك مقدرته ، فانتفع به أناس فى مقدمتهم ابن أخته سيدى الحسين بن ابراهيم الالغى المتقدم الذكر ، وقد كان يدربه من المدرسة (الالغية) فـ (البومروانية) ومنهم أيضا فقيه أمسرا اليوم سيدى

على بن سعيد ، وغيرهما ، وكان أيضا يجول في النوازل ، ويفتي ، فبرقت منه بارقة ، أظهرته للناس في سماء ذوى العلوم الراسخة ، فجمع هناك مالا كان لبدره كالهالة ، فصارت الالسنة تتحدث به ، وصار أشياخه يهتبلون به ويكاتبونه ، ثم بعد أربع سنوات ـ على ما أظن ـ فارق تلك المدرسة الى مسجد تاجارمونت ، حيث أمضى سنة

أذكر أنني وقريني سيدى محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم الايغشاني ـ الاتي ذكره ـ جئنا يوما من المدرسة (التانكرية) الى الغ ، ونحن مترادفان على بغلة ، وكان الجو يسيل قرا ، واليوم يوم دجن (١) فمررنا في وسط النهار بأصحاب لاسرتنا بأيت موسى لعلنا نستريح عندهم ، فلم نلقهم ، فذهبنا قدما، ثم لحقنا صاحب الترجمة قرب قريته ، فاقترح علينا أن نمر به ، فذهبنا ونحن في ذلك من الراغبين ، فدخلنا عنده بعد العصر ، فجلسنا في بيت داخلي، فكان رجل ايغشاني في رفقتنا يدخل ويخرج ويقول : هاهو ذا المطر سينهمر، وأنا وصاحبي نتكمش ، ونتمنى ان لو اقترح علينا رب المثوى البيات ، فصار يقول للرجل كلما قال لنا ذلك ، لاتخوف التلميذين ، ولاتزعج الصبيين ، فانهما لمشتاقان الى أمهاتهما ، كما أن أمهاتهما الان في انتظار أن يروحا عليهن يقول ذلك ونحن نأكل خبزا وسمنا لذيذين ، وهو يقيم لنا الاتاى بعجلة ، لان الوقت وقت الاصيل ، فملت بعيني ، فرأيت كتابا ففتحته ، فاذا به جزء مطبوع من الاغاني ، فاستعرته منه ، وكان ذلك أول ما رايته ، ثم خرجنا من عنده والمطر كافواه القرب حتى لانستطيع ان نترادف على البغلة ، فصرنا نختبط في المياه وفي الظلمة وقد التحقنا بالدياجير بعد المغرب ، وما أدراك ما دياجير فصل الشتاء ، والليل ممطر ، والشقة بعيدة ، ثم لم نصل الى دارنا بالغ ، الا بعد أن مرت العشاء ، ونام بعض الناس ، وقد كنا اذذاك ونحن صبية ربما نحمل ذلك الذى عاملنا به الاستاذ على محمل غير محمود ، ولكنني الآن ـ وقد القت على الكهولة دروسها ـ أقدر أن أحمل ذلك كله على ظاهره، وأن لااتهم الاستاذ رحمه الله ببخل في ذلك •

هذه هي المرة التي رأيت فيها الاستاذ ، ثم لم انشب ان التحقت بأحواز الحمراء فما وراءها ، فتوفي الاستاذ ، ولم أره بعد رحمه الله •

كان رجل جد في تعليمه ، ورجل المعاملات في دنياه ، ولو طال به العمر لكان ياقوتة السادة الاغوديديين الافاضل ، ولكن شعوب لم تبق منه من كاد يجول في ميادين قد يعجز عنها كثير من اترابه •

---

١) الدجن بفتح فسكون الغيم المظلم المطبق ويطلق أيضا على المطر الكثير

آثار ادبية منه وحواليه

من قريضه رحمه الله ما ارسل به في ربيع الثاني سنة ١٣٣٥هـ الى تلميذه سيدى الحسين بن ابراهيم المتقدم

نفحت نفحة فهزت فؤادى ... بنسيم حكى شمولا بصدرى
تركته يرنو بعين لركب ... صوب جمل صبا بجدة أمرى
دعوة فاستطار قلبى اليكم ... طالما رمته فيعكس دهرى
حبذا سادتى ودوحة افنا ... نى وتعليق فرض عينى ونذرى
ثم لازال صيت عليا علاكم ... مقبلا مدبرا مقيما بشكرى

وقد كتب على اخر البيت الثاني ركب فلان جدة الامر بضم الجيم وشدة الدال : اذا رأى فيه رأيا • ثم اجابه تلميذه :

حبذا أرج الاحبة ينفى ... من همومي ويختفى بسرارى(١)
جاء يحدو له الهوى بالتهاني ... واعترتنى كاس الصفا والمزار
ريح صوب اللوى الست تهبيـ ... ـن بريا شقائق الازهار ؟
اطلبى لى متى مررت بسلمى ... منة لى منها بشم العرار
انشقى ردنها وسومى رضاها ... عن شج مسه الجوى بضرار
بل انيلى منى السلام لشيخ ... قدوة القوم ذى ندى مدرار
قرة العين نور قلبى الذى قد ... كان منه زند المعارف وارى
سيدى من به استنارت مرايا ... نا فكانت كالبدر فى الابدار
ادن واسمح بدعوة الفضل واليه ... ن لذا الصب ذى الهيام الشعار(٢)

وقال يخاطب بعضهم في رسالة ــ ولعلهما له ــ

لوجاز ان أرسل من كبدى ... بفلذة فى وسط المالكة
رأيت فى وسطها فلذة ... لكننى منعت من ذالكه

وقال أيضا يخاطب من اسمه عبد الرحمن

سلام على حبى وخدنى ابى زيد ... ومن كان لى كالقلب والعين والايدى
سلام له عطر ذكى كأنما ... يمسس نسيم الوهن من زهر الورد
سلام اخ قد كان يعهد منكم التـ ... ـودد من بدء التحايا وبالرد
فمالى اراك اليوم اعرضت عن اخ ... يكاد يطير باشتياق ومن ود
فان كنت ذا ذنب فانى تائب ... او ان كنت ذا سهو فسامح ابازيد
اجبنى بشعر منك اشتاق أن أرى ... له لسنا كالريق فى الثغر اوشهد

---

١) من ساره سرارا من السرور
٢) اى الجنة

وكتب الى بعضهم يستدعيه فى المدرسة

ان الطـجـين مدرك النضج فـلـتـعـجـلـن الى لاترج
والماء يغلـى وسط مقراجـه مثل الملبين ذوى العـــج

وهذه نماذج مما يقول ، وهى كما ترى لاتنقص عما يقول اقرانه ، ولكنه على كل حال مقل جدا .

وأما القطعة التي يتندر بها ، وقامت حوله بسببها تلك الزوبعة الهائلة ، فهي هذه ، وقد قالها في يوم قدم فيه أقرانه مقطعاتهم للترحيب بالـوفـد الافراني :

أنخ ياحبيبى مركبى لزيارة الـــ ـــأجلة اعـــلام اطباء أمجاد
مزيحين اعلام الضلال عن الـورى مروين صديان الفؤاد بارشاد
ومبدين صعب مشكلات الفوائـد وهادين اقواما لخير معاد
فما شئت من فهم لديهم وحكمة وانشاء شعر للمسائل ايراد
وما قد تشا من علم فقه ومنطق عروض كلام والفروع من اوراد
لقد حصرت نفسى لعد مناقب لهم كنجوم لا تـعـد بأعداد
فمن رام حصر القول فى مدح سادتى فقدرام جعل الحق مثل أبى جاد (١)
بطرفك اشخص للنجوم الطوالع بـ (بردة) والبدر المنير بامـداد
اتعجب ممن هام وجدا وصبوة بدعوة ذا البدر المنير وانداد
فهذا عبيد مستغيث بجمعكـم فلا تسلموه حلف بعد وابعاد
لقد رام الحاقا بظعن سوابق ذوى عمل من غير زاد واسآد(٢)
على المصطفى المختار ازكى تحيـــة تضوع وتزرى بالنسيم وبالجادى(٣)
وعترته أهل الهداية والعـلا ومن بعدهم من أهل رشد وارشاد

ثم أجابه الاستاذ شيخنا الافرانى وقد لوح الى ما فى القصيدة :

أيا نزهة الحادى ويازينـــة النادى ويا طرفة يرتادها الرائح الغادى
ويا ابن أبى بكر بشير جلوت مـن بنات الحجا بكرا سنا حسنهابادى
فلازم وسدد سهم عزمك وارم، لا تكن وانيا فالعلم افضل مرتاد
هو العروةالوثقى هوالمرشدالهادى هو السبب الاقوى هو الرى للصادى
عليك سلام ما صبا عاشق وما تغنت على الاغصان قمرية الوادى

وكتب شيخنا الافرانى الى صاحب الترجمة هذه الرسالة الصغيرة فـــى قضية :

---

١) ابو جاد الباطل
٢) اسآد أسآدا سار ليلته كلها
٣) الجادى الزعفران

«أدام الله سعادة الاخ الابر ، الفقيه المدرس ، سيدى البشير بن أبـى بكر، وسلام عليه وعلى من به واليه ، هذا وموجبه اعلامكم بأن حامله ولد خالـنـا سيدى سعيد بن عبد الله ، حكم عليه سيدى محمد بن عبد الله السوقى حكما مخالفا للحق كل المخالفة ، فرفع الى لافتى عليه ، ولم يتيسر لى نقضه ، فأحببت آن تعلمنى هل تستطيع أن تنقضه صدعا بالحق ، وتأخذ أجرتك ، فان تكفلت بذلك ، رفعنا النازلة اليك ان شاء الله ، والجواب ياتى ، والسلام اخوكم الضعيف الطاهر بن محمد أمنه الله وتولاه •»

وكتب اليه أيضا فى قضية أخرى :

«وفق الله لمرضاته ، وعامل بألطاف سعاداته ، مقام الاخ الفـقـيه الابر النفاعة ، سيدى البشير بن أبى بكر ، وسلام عليه ورحمة الله وبركاته •
هذا وحامله الفقيه سيدى ابراهيم العينى كانت له دعوى على بعض أهـل ذلك البلد ، فنحب اذا دعاه اليك ان تشد عضده ، وتعينه فى نيل حقـه ان شاء الله ، ولاتنسنا من صالح الدعاء والسلام ، أخوكم الضعيف الطاهر بن محمد آمنه الله ، مسلما على سائر الاخوان ، اصلح الله الجميع»

والفقيه سيدى ابراهيم العينى هذا ، علمت ان هناك من عين الطلبة بتازروارت ابراهيم بن على أخا للفقيه سيدى محمد بن على الساكن بالبيضاء اليوم ، قيل لى : ان اخاه ابراهيم الم بالعلم ، فالغالب انه المقصود ، وتوفى فى آسفى بعد : ١٣٤٠هـ وسياتى ذكر اسرته فى ترجمة اخيه الفقيه محمد بن على فى (القسم الخامس) ان شاء الله •

وكتب اليه أيضا جوابا عما تراه أمامك •

«سيدنا الذى أصبح فكره محكا لابحاث الافهام ، يروج الخالص وينفـى زائف الاوهام ، هذا وقد لاحت بنتك تتبختر اتضاحا ، وتـلـوح فى سواد النقس صباحا ، فزادك الله حرصا ، واحضر لكل حجة لك نصا ، غير ان الظاهر ان ذلك النصب ، لايتأتى فى كل مثال ، بل الحق ان الجزم واجـب ان قصد الجزاء ، بان لم يكن عيبا من وصف ، أو حال ، اواستئناف وان امكن وقصد، فالرفع ، واما النصب فلم نره فى (الصبان) ولا ظهر وجهه وان قال به شارح الاجرومية المذكور ، والحاصل ان الحكم على الجزم بالجواز على الخيار ، لا يظهر من (الصبان) بعد ما طالعت ، لعدم تأتى قصد غير الجزم ، فـى مثـل قول عمر للنبى صلى الله عليه وسلم : دعنى اضرب عنقه فكيف يقصد مالم‌يمكن
وأما النقل عن الرهونى فى (العمليات) فقد اتيت به على وجهه ، أبقاك الله لامثالها ، وأزال بك عن المسائل نقاب اشكالها ، ولاعدم العلم انظارك السديدة، وابحاثك المفيدة ، فلله درك من فارس مجال ، ورامى نضال ، والسـلام»
اخوكم الطاهر •

وكتب اليه أيضا قرينه شيخنا سيدى محمد بن الطاهر

«عليك سلام الله يا ابن أبى بكر — سلاما ذكيا طيبا عطر النشر
سلام اشتياق من محب توقدت — به لاعجات للتشوق والذكر
سلام امرىء ما حال عما عهدته — وقد يعترى ود امرىء غير الدهر
يسائل عن أخباركم نسمة الصبا — اذا ما سرت وهنا على روضة الزهر
ويستلمح البرق اليمانى عله — بحمل تحايا من نواحيكم يسرى
رعى الله عهدا قد مضى ما نسيته — على انه ينسى عهود الهوى غيرى

حرس الله مجادة الاخ الصالح ، الذى عبير صيته فى وجنات الطروس الطيب الفائح ، البحر الذى ينتاب بابه كل غاد للمكارم ورائح ، والملجأ الذى يامن اللائذ به من الطوائح ، العلامة الذى لايزال فى بحار المعارف سابح ، والمنفق بضاعة عمره الغالية فى شراء العلم الذى متجره رابح ، فبشرت بـه أسواق العلوم بعد الكساد بنفاقها ، ونال منه بجده غاية ماطمحت عين احد قط الى لحاقها ، الفقيه المتفنن العلامة ، الذى لم تمسه فى اقتناء المفاخر السآمة ، أخونا وحبنا وعصرينا سيدى أبو السراء : البشير بن أبى بكر ، باكر حضرته منا افوح التحايا ، تحكى أنفاسها طيب الشمائل منه والسجايا ، تحية ملآن الفؤاد تشوقا ، أسأل النوى قلبه ودمعه فتدفقا ، من محب شديد الهيام الى تلقائك، مشتعل الشوق الى لقائك :

اشتهى ان ترى فؤادى فتدرى — كيف وجدى بكم وكيف احتراقى ؟

مجتمع الاحزان بالنوى ، مفترق الصبر باجتماع الهوى .

كانت لقلبى اهواء مفرقة — فاستجمعت اذ رأتك اليوم اهواء

فأين للقلب طاقة بما تحمله من الاهواء ، التى تميت صاحبها وان كان يمشى مع الاحياء ؟

فيالك من قلب تبذل كى الهوى — وابدل غى الهزل من رشد الجد

ثم بعد هذا كله ، نستمد من يد الله تبارك وتعالى عونها ، بقرب تلك الساحة التى باعد المقدور بيننا وبينها ، وان قربت مسافة وساحة ، لعل ان ننال ظلال رفارف العز والقبول ، ونبلغ غاية كل سؤل ومامول

هذا وانا نحمد الله الذى لايجب الحمد على الحقيقة الا له ، وهو المسؤول ان يبلغ كلا منا ومنكم من الخيرات سؤله وأمله ، على تعهدكم لهذا العبد الضعيف المسىء الحقير بالسوءال ، عن كنه حاله فى الحلول والترحال ، فلعمرى لقد بالغت فى الاكرام ، وانعمت بما اثقلت به الكواهل من الانعام ، هكذا تحفظ العهود من الاخوان ، والصدق والوفاء بالذمام ، فالمولى سبحانه وتعالى يتولى عنا جزاءك ، ويزيد رفعتك وسناءك ، وهو المسؤول ان يديم لنا ولكم السلامة

والعافية ، وان يسبل علينا وعليكم من وقايته ستورا ضافية ، وان يسقينا من صرف معارفه كؤوسا صافية ، بمنه وكرمه •

أما بعد : فاحوال المدرسة كما علمت ، مازالت في ازدياد ، ولله الحمدوالمنة، وما سمعنا عن نوادى الشيوخ بالغ الا ما سر البال ، لله الحمد ، والشيخ الوالد رضى الله عنه وأرضاه ، وأدى عنا حقوقه ، وبارك لنا في بقائه ، وسقانا من فيوض معارفه آمين ، توجه مع الاخ خالنا وحبنا سيدى القرشي ابن الشيخ سيدى المدنى الناصرى الى تلك الحضرة السنية ، زاد الله من أنوارها ، وأدام على رغم الحسدة سنا أقمارها ، رزقهما الله سبحانه احسن اياب ، بالنبى وآله وماله من الاصحاب

ولتعلم ان سحائب افكار الادب هطل ودقها ، وجاد برقها ، فرثى الشيخ الوالد ، رضى الله عنه ، وأدامه ، الفقيه المرحوم بكرم الله تعالى سيدى العربى ابن محمد رحمه الله ورضى عنه ، وقدس في بحابح الجنان روحه ، بقصيدة نحوا من (٣٢) بيتا ، ورثاه الكاتب أيضا محمد باخرى نحوا من (٤٢) بيتا ، ورثاه الاديب سيدى محمد التملي باخرى نحوا من (٣٠) بيتا ، ورثاه أخونا سيدى أحمد بن محمد اليزيدى بأخرى نحوا من (٤٣) بيتا ثم اجابه الشيخ بخمسة ابيات ، ثم هنأ كل أديب بالمدرسة الشيخ الوالد رضى الله عنه وأرضاه بما في طوقه ، فاجاب كلا بما يفي بالمناسبة وازيد عن كل ما ذكرناه من غرر القصائد وبدائعها ، الى غير هذا مما لايسعنا الساعة ذكره ، ولايطاق شرحه وحصره ، فالحمد لله أولا وآخرا ، والسلام في العشر الاول من ربيع الاول عام : ١٣٣٠هـ كتب أخوكم الضعيف : محمد بن الطاهر بن محمد لطف الله به

انتهت الرسالة المكتوبة من المدرسة (البومروانية) وسترى ان شاء الله مراثي سيدى العربى في ترجمته في (القسم الرابع)

وكتب أيضا الاديب سيدى البشير بن المدنى الناصرى الى صاحب الترجمة في غرض :

محبنا في الله تعالى الفقيه البركة ، الاجل المرابط ، الخير سيدى البشير، كان الله لنا وله الولى والنصير ، وسلام عليه ورحمته وبركاته ، وبعد :

فقد اتصل بنا خطابك ، ولقى بالقبول والاقبال كتابك ، وعليه فتهيأ لما يحتاج اليه من الخدمة ، تهيأ لها غاية ، فقد علمت حالة الناس اليوم لاسيما من هناك ، وفرق الزرع لمن يظن فيه الخير ، ولاتقصر ، فالانسان عبد الاحسان وطالما استعبد الانسان احسان ، فيوم الاربعاء المقبل أقدم ان شاء الله ، فقد نزلت اغيار وأكدار ، نسأل الله ان يكفر بها الاوزار ، وسنوعب لك ذلك، فلولا ذلك لقدمت في الاربعاء الذى ذكرت ، ولايكون الا خير ان شاء الله ، والسلام ، أخوكم البشير الناصرى •

هذه مخاطبات آتينا بها ، وربما يفهم منها القارىء اللبيب ما لا يفهمه مما ترجمنا به صاحبنا ، ونود لو وجدنا مثل هذا من كل ما يتعلق بمن نترجمهم فاذن لانبخل بايراد كل ما نرى فيه فائدة ، ولكن كيف يتيسر لنا من امثال هذه المخاطبات ما نتوقف عليه ؟ وهي عندأهل هذهالجهة من سقط المتاع ، ولاحول ولا قوة الا بالله ، فكم رسائل مثل هذه المذكورة ، اوقد بها طالب في المدرسة فحم مجمره ، لاغلاء المقراج او لطهو طعامه الذى يطهوه بنفسه ، فضاع ماضاع والى الله المشتكى

هذا هو سيدى البشير بن ابى بكر ، وهذه منزلته فى عصره ، وهـــى منزلة لو دام لها ، لكان اليوم من الافذاذ ، ولكن سرعان ما انتقى كما ينتقــى الاخيار ، فرحمه الله رحمة واسعة •

ولنختم الترجمة بمجاوبة بين المترجم وشيخه سيدى الطاهر ، وقـــد كتب على القطعة الاولى التى للمترجم سيدى محمد بن الطاهر مانصه

القطعة (البالغة) (١) من خطاب الفقيه السيد البشير بن بوبكر المجاطى الاغوديدى الى شيخنا وسيدنا الوالد رضى الله عنه وعنا به ، وهذه هى القطعة كما هى ، يستدعيه بها ليشرف منزله :

اهدت الى هوادى الليل تبشيرا	وعن سنا أسفرت لطفا وتيسيرا
اذ أنجم قد بدت والسن نطقت	وانعم ذكرت للقلب تـذكيرا
فكم أياد لليل قد تبدى (٢) بـــه	بدر بـه السير تقديما وتاخيرا
وأشرقت أرضناواستبشرت وزهت	ان يسر الله منك العود تيسيــرا
لا غرو ان قد زهت اذ عادهاسندى	فى اليوممولاى شيخى الطهرتطهيرا
لا اعدم الله لى امثاله أبـدا	محيـاى مـوتـى تحسيرا وتنشيرا
فاعطف فداك ابى عنى وعن خلدى	بزورة نورت قـلـبى تنويرا
صلى الاله على نور الهدى وتقى	والصحب والآل ما حرر تحريرا

الجواب :

لبيك لبيك يـا من كنت مسرورا	بقرب منزله المعمود تنويــرا
دعوتنى فاستطار القلب مـن فرح	اليك اذ كنت بالافضال مشهورا
لكن عدانى شغل قد علمت به	فاعذر اخاك تكن ما دمت مشكورا
ثم السلام على علياك ما صدحت	ورق فهاجتجوىفىالقلب مستورا

* * *

هؤلاء الثلاثة من تيسروا من الاغوديديين ، وهم مـن وجدنا فيهم شرطنا الذىنتتبعه ، ثمانقضى منهمالعلم ، فلاأعلممنهمعالما اومتعلما فىالمدارس اليوم• ولنتبعهم بمن كانوا على شرطنا من التيغشيتيين •

---

١) هذهالكلمةمنسيدى محمدبن الطاهرمقصودةحين وضعهاموضع (البليغة)
٢) كذا فى الاصل •

سيدي على التيغشيتى

نحو ١٢٩٨ هـ = نحو ١٣٤٧ هـ

نسبـــه

على بن الحاج أحمد بن سعيد بن احمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الكبير ، وينتهى النسب الى الحاج بلقاسم بن محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عيسى بن عمر ، بن أبى بكر بن سعيد بن محمد بن عبد اللـه ابن يوسف بن صالح ، بن طلحة ، بن أبى جمعة بن على بن عيسى بن الفضيل، ابن عبد الله بن كندور بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن حسان ، بـن اسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ٠

هذا النسب الشريف ، وقفنا عليه فى مشجر نسب عند أهل هذه الاسرة المباركة ، ولم نقع عليه عند غيرها الى الان ٠

كان من بين مساكن اولاد سيدى الحاج بلقاسم (أنكيضا) وفى قرية هناك تسمى (أمى نبكار) انتقل اليها جدود لهؤلاء التيغشيتيين ، بل هناك من يحمل أيضا اسم التيغشيتيين ، وأول من انتقل محمد بن عبد الله بن محمد بـن عبد الكبير ، من الاصل الاصيل فى (أمان أوسدرم) الى (انكيضا) ، فكان لـه هناك من الاولاد اربعة : على ، واحمد ، وعبد الله ، ومحمد وهذا الاخير هو الذى انتقل الى مساكن أيت (تيغشيت) الان ، وكان هذا المكان عزبا لهم ، فانحاش اليه هذا قاطنا ومجموع التيغشيتيين يسمون (أيت بوشاطر) وهم اليوم على ثلاث فرق : أيت أحمد ، وأيت حمو ، وأيت موح ، ومن أيـت احمد صاحـب الترجمة ، وهذه السلسلة التى ذكرناها لم تصل الى الجد الاعلى سيدى الحاج بلقاسم ، لان من أملاها على لم يعرف ما بين عبد الكبير ، وبين الشيخ سيدى الحاج بلقاسم ، والحاج أحمد والد صاحب الترجمة ، من افذاذ اتباع الشيخ الالغى القدماء ، وممن تلقن منه من أول يوم ، ثم حج معه سنة ١٣٠٥هـ ثم لازم الزاوية ، وقلما ينفتل عنها الا لقضاء ضروريات أسرته ، وهو أيضا جد الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى من جهة أمه ، ووفاة الحاج احمد فى سنة ١٣١٢هـ وبسببه اعتنق كثيرون من أهله الطريقة الالغية ، وقد خلف أربعـة أولاد الفقير سعيد بن احمد المتوفى سنة ١٣٥٣هـ وكان أيضا صوفيا كبير المقام متجردا فى صورة متسبب ، ذا أحوال ، وقد ترجم فى كتاب (منيـة المتطلعين الى من فى الزاوية الالغية من المنقطعين) والفقير محمد بن احمدالمتوفى

في (ايشت) سنة ١٣٢٨هـ وكان أيضا حسن التصوف ، وقد تزوج بنت عمة لنا تسمى ماماس بنت بلقاسم ، فولد معها اولادا موجودين اليوم ، اكبرهم عبد الله ، رئيس اخوانه رسميا ، وهو الذى افادنى عن أهله كل ما رايت ، وابراهيم بن الحاج احمد ، مات عزبا ، وصاحب الترجمة ، ومنهم سيدى علي التيغشيتى الفقير الكبير المتجرد ، ماشاء الله ، وكان من الافذاذ فى التصوف وماماس هذه تعيش كثيرا فى (الغ) وهى سيدة فاضلة هرمت الان ١٣٨٠هـ وكثيرا ما تخدم على وجه الله لحسن نيتها .

التحق المترجم سيدى علي بالمدرسة الالغية ، بعد أن جود القرءان ، فالم بما يروج فيها بين يديه نحوا وفقها وما اليهما ، وكان وسط التحصيل ، فليس بذلك المتفوق ، ولا بذلك البليد الخاوى الوفاض ، بل ترقى حتى وجد من العلم ما رأى له بركة ، ولكنه بعد أن فارق المدرسة ، لم يتعهد كلما أخذه ، فنزل المقياس عما كان عليه ، وان كان لايزال حسنا ، ويجول فى النوازل ، وربما كان مع سيدى احمد ابى الفدام المتقدم بين الالغيين ، يتعاونان تعاون ضعيفين ، وان كان المترجم أصفى منه جوهرا ، واعلى منه فهما ـ فيما سمعت ـ وقد كان يشارط فى (أمتضى) سنوات ، وفى (ادبودفل) وفى (اغوديد) وفى (أيت حمو) بتاجارمونت ، وفى قرية (تيغشيت) ثم طاف به أمل التكسب بالتجارة ، فاقبل وادبر ، ورافق القوافل ، وكان ناصحوه يردونه الى المشارطة التى تليق به ، ولكنه يلج ، فيابى الا الدوام على ذلك الحال ، حتى خانه الدهر . فتوالت عليه الخسارات ، ثم لما دهمت سنة ١٣٤٦ هـ جلا باهله الى قبيلة (كسيمة) فى قرية ايت واكملو ، ثم سقط مريضا حتى أتى على غالب ما عنده ، فلما أبل ذهب مع ولد له يافع ، فالتهمته الحواضر وما وراءها ، فلم يظهر له بعد اثر ، الا أن ذلك الصبى ، تحدث من صادفه راعيا فى تلك الجهات ، فاخبره بأن والده مات اثر سفره .

هكذا قضى الحياة ، وذهب من غير اثر ، الا بين النوازل التى فضها ، وكان هو العالم الاول من التيغشيتيين والاخير ، وأنا لم اعرفه ، وانما حكى لى عن مكانته الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى ، رحم الله الجميع

الفصل الثانى

في القاطنين ولو موقتاً في قرية (دُوكادير) من الغرباء

وفيه من المترجمين

الصالح سيدى احمد الفقير الساموكنى الاصل

الموثق سيدى محمد بن ابراهيم السلامى

سيدى محمد الاخصاصى الطويلب

الاستاذ سيديا الصحراوى

الاديب محمد بابه الصحراوى

الشاعر محمد سالم الصحراوى

الطالبة رقية بنت محمد بن العربى الادوزية

السيدة مريم الصحراوية



الرجل الصالح

سيدي احمد الفقير ابو الاخبار

السامو كني ثم الدو كاديري

نحو : ٩٥٠ هـ = نحو : ١٠٥٥ هـ

في صغري كنت أرى رجلا اشيب ، يقزل (١) باحدى رجليه ، ويتكىء على عصا لاتفارق يده ، وهو حلس زاوية الشيخ الوالد ، والواقف على شؤون الحرث والحصاد ، والقيم على اصلاح الدلاء والوطاب ، وما الى ذلك دائما ، وملازم الصلوات الخمس في الصف الاول وراء الشيخ ، ولايمكن ان يتخلف حتى عن الصبح في صبارة الشتاء ، والاوحال الى الركب ، وهذه التلعة بين داره والزاوية تتدفق ماء ولا يمنعه كبره ولاقزله عن ذلك ، وعن الدوران مع الحراثين والحصادين على حقول الزاوية التى لايعرفها اذذاك غيره ، ويقول فيه الشيخ انه رسوم الزاوية .

كان سيدى احمد بن باها الفقير ـ وهو اسم هذا السيد ـ لم يرزق هو ولا زوجته اولادا ، الا بنتا واحدة ، تزوجها العم بلقاسم ، فبقيا منفردين . ثم اتصلا معا بالشيخ . فكانا كفرسى رهان فى العبادة ، وفى اقامة شعائر الدين وفى خدمة الزاوية ، وكانت قرينته هذه تسمى ـ لقبا ـ تبلا اوعليت ـ وكانت مثله فى المحافظة على صلاة الجماعة ، وفى الزهد وفى الاخلاق ، وكانت عاقلة تعرف ماتقول وهى التى تنقل عن الشيخ كلاما كثيرا ، وتذكر ان الشيخ دخل عليها مرة وهى مع نسوة يذكرن مؤذنا صوابيا ، مات وشيكا فى الزاوية ، وكان من أعبد الفقراء واصبرهم ، فصرن يقلن هنيئا له الجنة بما عمل ، قالت فخاصمنا الشيخ وقال : لاتتجرأن فتدخلن بين الله وبين عبيده ، فانه لايطلع على ما بين الله وبين عبيده سواه ، ولكن ادعون له واطلبن من الله ان يغفر له

قلت ذكرتنى هذه القصة قضية ام عطية فيما قالت فى ابن مظعون وما اجاب به النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا هو مشرب الشيخ المشهور عنه فى امثال هذه المواقف

---

١) يقزل يمشى مشية الاعرج والقزل محركا : اقبح العرج

كنت اعرف ذلك السيد وأنا صغير ، ثم اتصلت بالمدارس ، فكنت اجده على حالته متى رجعت ، حتى توفى سنة ١٣٣٥هـ فكان دائما هو وقرينته التى التحقت به وفاة نصب عينى ، وما كنتأعرف من هو ، وربما كنت احسبهمن مرابطينا ، ولكننى بعد ان انفتحت عيناى ، وأرهفت اذناى ، علمت انـه مـن أسرة أخرى تسمى (آل الفقير) تنتسب لسيدى احمد الفقير جدها الاعلى وانه مدفون فى المقبرة الدوكاديرية القديمة ، وعليه بيت ، وازاءه حفيده المذكور، وانه كان رجلا صالحا ، سكن فى (الغ) قبل ان ينتشر فيه مرابطونا •

اذن ، كان هنا سيد ءاخر صالح يسمى احمد مثل اسم جدنا سيدى احمد ابن عبد الله ، فلنفتش اذن عن ترجمته ، لندرك ما يمكن ان يدرك عن امثاله البعيدين القدماء ، فان لم تدرك الحقيقة كما هى ، فاننا نقاربها على كل حال •

جعلت أسأل من هنا وهناك ، ثم اخبرت ان احمد بن محمد بن حمو بن عبد الله ، الملقب بابن المؤذن ، من اولاده أيضا ، وانه ابنعم الفقير احمد بن باها المتقدم ، وكنت أيضا اعرفه ، لانه يتصل أيضا بالزاوية فى صغرنا ، يصلـح المحاريث لانه نجار • فكان هذا والفقير بلقاسم السوقى الاغرابويى الوفقاوى ـالمتوفى نحو ١٣٤٥هـ ـ يقومان دائما بهذه الحرفة للزاوية ، والثانى مـن أخلص اصحاب الوالد ، فان عرض له عذر ، جاء احمد بن محمد المذكور فاتصلت به أسأله ، فافضى الى بما ياتى عن جده ، ثم آتانى بسلة رسوم قديمـة لهم ، فاستطعت ان استخرج بين كلامه وبين الرسوم ما نذكره •

هو احمد بن محمد ، ويكنى بابى الاخبار ـ كما تذكره الرسوم ـ ولـه ولد واحد يسمى يحيا ، ثم خلف يحيا ثلاثة : عبد الله وبلقاسم وابراهيم ، ثم أعقب بلقاسم ولدا واحدا ، يسمى محمدا ، ـ فتحا ـ واعقب ابراهيم بن يحيا ابن احمد بن محمد ثلاثة سعيدا ومحمدا ومحمدا ـ فتحا ـ وهؤلاء الاحفاد عاشوا كلهم فى اواخر القرن الثانى عشر ، وربما عاشوا الى اول الماضى ، كما فى استمرار من رسم رأيته هناك ، ثم أخبرنى ابن الموذن المذكور أن جده حمو مات سنة ١٢٩٥ هـ فى (تامانارت) واعقب اربعة هلكوا كلهم فى الغ بـعـد دفنهم والدهم هناك ، بوباء سنة : ١٢٩٦هـ وان اخا جده المسمى باها (ابراهيم) وهو والد الفقير احمد المتقدم الذكر مات سنة : ١٣٠٩هـ وذكر أيضا ان والد جده عبد الله ، هو ابن بنت سيدى محمد بن سليمان ، وانه سبط الفقيه سيدى سليمان ، هذا ما افضى به الى ، ثم قال لم يبق اليوم من ابناء جدنا الاعلى الأأنا وحدى فعرفت ، أن اولئك الذين ذكرناهم فى اوائل القرن الماضى ربما هلكوا جميعا فى وباء ١٢١٤هـ كما هلك احفادهم بالوباء كما ترى سنة ١٢٩٦هـ

شاع عند الناس وايده الواقع ان ابناء سيدى احمد الفقير صاحب الترجمة كلما وصلوا ستة (كوانين) ينقرضون الى ان يتـراجعوا الى كانـون واحـد

ـ والكانون : العائلة ـ هذه عبارتهم فى ذلك ، وهاهم اولاء اليوم بعدما تفرعوا رجعوا الى عائلة واحدة ولم يبق منهم اليوم الا ابن المؤذن المذكور مع حفيد له٠ التحق اليوم بالعمل فى فرنسا ، وابن المؤذن اليوم شيخ هرم ، مبتلى اولابكسر فى الوقعة الجنرالية سنة ١٣٣٥هـ ثم بأمراض ، وهاهو ذا اليوم يزجى عمره (ثم لم ينشب ان مات نحو ١٣٥٨هـ)

ثم ان اصل هذا السيد من وادى (ساموكن) حدثنى حفيده المذكور وقد سألته عما أخذه عن ءابائه عن جدهم : ان سبب انتقال جدهم من (ساموكن) أنه شاع فى ذلك الوادى وباء ، فالتجأ أهله الى الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى ، المتوفى فى ذى الحجة ، سنة ٩٧١هـ فأتوا به الى بلدهم ، ثم حدثوه أن صاحب الترجمة منعزل فى غار للتحنث ، فأرسل اليه ، فأبى أن ياتيه تأدبا ، حتى الح عليه ، وأنه لابد ءات ، فجاءه ٠ فامره أن يطلب الله أن يزيل ما فى ذلك الوادى ، فذهب فنادى فوق سطح المسجد على سكان الجن أن يرحلوا بأولادهم ، فزعم الرواة أنهم رأوا زعازع واعاصير تدور وتخرج من الوادى ، ثم سمع الناس مناداة من الجن ، ينادون أيضا بدورهم على سيدى احمد الفقير أن يرتحل أيضا عن ذلك الوادى ، والا فلايلومن الا نفسه ٠ وكان ذلك سببا لانتقاله ، فوصل (تاكانزا) فتلقوه بالترحيب ، فأنزلوه بين ظهرانيهم ماشاء الله ، ولكن بعد حين رأى من بعض سفهائهم ما لايعجبه ، وصار يتردد الى قرية (دوكادير) عند الحربيليين ، حتى انتقل الى قريتهم ، وقد بنوا له دارا لاتزال موجودة الى الآن ، وذكر لى انها مسقفة بعود (ايقى) الذى يذكر انه من اكثر الاشجار اذذاك فى (الغ) فنقل أهله وأمواله الى داره الجديدة ، فزعم الرواة أنه وقعت بسببه منازعة أفضت الى محاربة بين الحربيليين الدوكاديريين والتاكانزيين

ثم ان السيد تأثل املاكا فى مسكنه الجديد ، وفى (تاكانزا) وفى (تاجارمونت) وذكر ان داره بتاجارمونت ، لاتزال الى الآن ، والاملاك هناك مرهونة ، ثم ذكر الحكاية التى تقدمت لنا فى ترجمة سيدى احمد بن عبد الله ابن سعيد ، حين صادف موته ، وقد بشر بنزوله بعده فى القرية ، ثم قال ان أولاده انتقلوا بعده الى (تاكانزا) ولم يرجعوا الى قرية (دوكادير) الا فى القرن الماضى ، قلت قد وقفت بين تلك الرسوم على مصداق ماقال من انهم راجعوا(تاكانزا) فهناك رسوم حقول هناك ، وما يتعلق بذلك فى قرية (وسلخت) وقد وقفت بين تلك الرسوم على هذه الرسالة التى كتبها رئيس (ساموكن) فى ذلك العصر الى سيدى على بن احمد المتقدم فى شان ولد صاحب الترجمة

(على المجد الرفيع والبركة المرفوعة على المسلمين ، شيخنا وبركتنا سيدى على ابن سيدى احمد ابن سيدى عبد الله بن سعيد ، اسعد الله بنا وبكمببركتكم سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته ٠

وبعد : تعلم علم الخير منا بان الفقير ، يحيا بن أحمد السماوكني ، نحن رضينا به فيما حصل في غرضكم ورغبكم ، سمحنا له على وجه الله، ـ وحقكم علينا اعظم ـ فيما نابه من المطالب المخزنية ، مما لزمه فيه بين اخوانه ءال (ساموكن) فاني سمحت لك فيه سمحة خالصة في حق الله وحق نبيه والسلام فاني طلبت منك سيدى الدعاء لله في وقت الاستجابة ، ليسترنا الله ويسلمنا من فتن الدنيا والاخرى ، ويجعلنا في حرمة العالمين ، والسلام ، الشيخ عبد الرحمن بن عمر الساموكني ، (وفي طرة الرسالة) وكاتبه عبد ربه الراجي بركتكم أخوكم في الله : احمد بن محمد بن عبد الله بن ناصر الساموكني وفقه الله للخير ءامين) •

من هذه الرسالة ترى أنه ليس لسيدى يحيا ابن صاحب الترجمة ، ولا لوالده ماكان للمرابطين السعيديين اذذاك ، حتى ان يحيا استظل كما ترى بظل جاره ، وحرمته حقيقة لم تتجاوز (تاكانزا) وقد رأيت بين تلك الرسوم صدقات عليه وعلى أحفاده من التاكانزيين ، وهذا هو الحامل لهم حتى راجعوا (تاكانزا) حيث يجدون ما لايجدون عند الدوكاديريين •

وتلك الحكاية التي يذكرها الرواة في سبب النقلة لصاحب الترجمة ممكنة من جهة التاريخ ، لان محمد بن ابراهيم التامانارتي يمكن ان يعاصره سيدى احمد الفقير في اول أمره ، ثم يطول عمره الى ما بعد : ١٠٥٠هـ ان كان معمرا ، ومثل ذلك يقع، ولكن ما تخلل الحكاية من الاعاصير المعاينة نهارا ومناداة الجن والناس كلهم يسمعون ، فمما نتوقف زاءه ، لااستبعادا لوقوع مثل ذلك في قدرة الله ، ولكننا اعتدنا في كتابنا هذا أن لانقبل ما يخرج عنسنن الكون حتى يثبت بما تثبت به المعلومات ، ولو ظنا ـ والظن في بعض الامور يغني ـ لان الله أعطانا عقلا نزن به ، ولانقبل ما يخرج عن طوره الا بكونه ثابتا ، فنقول اذن ءامنا بان قدرة الله تاتي بمثل هذا واكثر ، ثم نقول فيما نشك فيه ، كهذه الواقعة التي لها بعض التواتر (الله اعلم)

هذا ما توصلنا به من ترجمة هذا السيد الذى له مزارة الى يومنا هذا مشهورة ، والفضل كل الفضل لتلك الرسوم التي استطعنا بها ان نتراءى بعض ماله ، ولو كان كل الذين نتوقف على ذكرهم يمدنا احفادهم بمثل ما أمدنا به هذا الحفيد ، لامكن لنا ان ندرك بعض شيء ، كما أدركنا اليوم حول مترجمنا هذا بعض شيء ، ولكن كثيرا من الناس يجهلون ما نريد ، او يستنكفون أنياتي اجنبي فيدرك عن آبائهم ما هم يجهلونه وأن أنس لا انس ما قال لي يوما بعض من يحمل اسم الطلب ، بل له حظ غيرقليل من العلم ان هذا كله في متناول يدى ، ولكن ماهي فائدته لوعرفناه ، فهل يعشينا ذلك او يغدينا ، فلم يسعني الا ان الوى راسي تحت طي جناحي ، فاطرقت وقلت ، أرايت أيها المختار مافعل بك الدهر حتى القاك بين من لايهمه الا بطنه ؟ وما تبجر به حقيبته ، ويزاد به دانق الى ما في جيبه ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون ايها الجاهلون

الموثق سيدى محمد السلامى

بعد : ١١٨٠ هـ = بعد : ١٢٦٨ هـ

نسبه :

محمد بن ابراهيم بن مبارك

في ترجمة سيدى ابراهيم بن سليمان من مرابطينا ، تقرأ أنه كان دائما يصاحب سيدى محمدا السلامى هذا ، واصله من قرية (تالات ييسى) وهناك والده واجداده ، ومنها تربى وتعلم ، ولم نقف على كيفية تعلمه ولا على مشيخته وله حظ من العلوم ، قال العم ابراهيم ربما كان افضل من حظ صاحبه ابراهيم بن سليمان ، وله في الفقهيات والنوازل يد جوالة ، ومهارته فى التوثيق أعلى من ذلك ، هذا ما حدثنى به العم ، وأهل مكة أدرى بشعابها .

كان سكن أولا فى قريته ، ثم انتقل بعد ١٢٣٠هـ ـ كما يظن ـ الى (الغ) فتزوج أمرأة أخرى ، فسكن فى دار بقرية (دوكادير) لاتزال معروفة الى الآن بدار السلامى ، ولها برج عادى ، وكان ربما شارط فى مسجد (تاكانزا) وفى مسجد القرية السليمانية أحيانا ، والرسوم التى يكتبها سيدى ابراهيم ابن سليمان يعطف عليه فيها او يعطف عليه سيدى صالح بن عبد الله المتقدم الترجمة ، وتوجد رسوم كثيرة كتبها بيده ، وثلاثهم هم الموثقون فى (الـغ) اذذاك ، وكتبة الرسوم وما اليها من أول القرن الماضى الى ما وراء الستين منه، وقلما يكتب غيرهم الا بعض اساتذة المساجد ، فانهم يكتبون أيضا معهم ، وخطه مائل الى الجودة فى الجملة ، قال العم وتاريخ الرسوم التى حررت بيده ، تمتد من سنة ١٢٣٠هـ الى ما بعد ١٢٦٠هـ أقول قد رأيت له رسما مؤرخا بسنة ١٢٦٨هـ ، ولذلك جعلت وفاته بعد هذه السنة ، ويظن العم انه توفى نحو ١٢٧٠هـ وقال أيضا انه شاخ جدا حين مات ، ولذلك جعلنا ولادته نحو سنة ١١٨٠ هـ فيكون ابن اكثر من (٩٠) سنة وهذا ما يقدره له العم ، وربما قال : انه ناهز المائة ، والله اعلم ، وقد أدركه أجله فى داره هنا ، فدفن فى مدافن القرية ، رحمه الله ، ولم يترك مع هذه الزوجة عقبا يذكر ، بخلاف التى هناك فى (ايسى) فان له معها عقبا ـ كما احسب ان العم ذكره لى ـ فهذا ماامكن لنا عنه ، فرحمه الله رحمة واسعة

سيدى محمد الاخصاصى

نحو : ١٢٨٥ هـ = ١٠-١٢-١٣٤٨هـ

نسبه :

محمد بن ابراهيم

أصله من قبيلة الاخصاص ، اتصل بالاستاذ سيدى محمد بن عبد الله، فلازمه في دراسته ، وفي خدمته حتى مات ولازم المدرسة دائما بعده ، وكان ممن له تحصيل لاباس به ، خصوصا فى المحفوظات الادبية ، وكان يستحضر كثيرا من المقامات الحريرية ، ويستشهد بها فى كل مناسبة ، وباديات أخرى أوكا عليها ذاكرته ، وقد كنت احسبه ناقصا جدا حتى ذكره لى العم ابراهيم، ثم الاستاذ سيدى الطاهر بن على ، فقالا انه متوسط ، كفلان ، وفلان • بل هو من جهة العربية أحسن من فلان الذى اشتهر عند الناس بالنجابة ، قالا وانما همته هى التى اسفت به ، فلا مطمع له لافي علم ، ولا فى كسب دنيا ، وأخبرت أنه كان مع الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فى سفرته الاخيرة الى مراكش ، وانه ممن أرمسوه ، وقد كان الرجل الصالح سيدى الحاج عبلا بن صالح دعا له مرة دعوة ، كان يرجو أن تخرج له فى ان لايعدم الشراب والطعام اللذيذين ، حتى يلتحق بربه ، فكان عمره طاعما كاسيا كذلك الى أن مات ، وكان مع ملازمته للمدرسة فى بيت له معلوم دائما له الى الآن ، يلزم دار الكريم سيدى احمد ابن الحاج عبلا بن صالح ، ويقوم له على صينيته ، ثم يروح الى المدرسة ، وكان يتعاطى بيع السكر ، وما عقلته أنا الا على تلك الحالة ، ولم يفارق قط الكاس (كاس الاتاى) ولا الطاجن المزعفر الذى يفوح بالتوابل الطيبة حتى انقضى أجله ، وكان فيه شبه عزلة عن الناس ، حتى فى حين الموت لم يحضره أحد ، بل مات فى بيته مع عدم الشعور بذلك ، حتى تفقد بعد حين ، فوجد كذلك ، وربما حكى لى حاك أن الداخلين وجدوا الطاجين منصوبا ، ولاادرى اذلك صحيح ، ام انما ذلك تفكهة ، ولم يتزوج قط ، ولاسما له نظر الى اتزار بمجد ، أو الى ارتداء بشفوف ، وكل من ذاق تلك المعيشة الحلوة الطيبة اللذيذة فى المدرسة ، وهو مستقل كل الاستقلال ، فانه يزفر عليها ، ويغبط مثل هذا السيد الذى لازمها طول حياته ، نظير سيدى عبد القادر الوادنونى فى بونعمان ولبعض الالغيين فى ذلك

سقى الله ذاك الطور سحبا هواميا ... فياطالما آضفت علينا الامانيا

نروح ونغدو والزمان كأنمـا ... نجيل على فوديه عضبا يمانيا

نؤمل ما يقصو فيمثل بيننا ... كعبد فيدنى مـن يدينـا القواصيا

يقرب ما نشهى الينا ونغتـــدى ... ملوكا عـلى كـل الانـام أعالـيـا

فان ننس لا ننس المدارس انهـا ... وأزمنها كالغانيـات حـوالـيـا

عليها سلام من بئيس اذا جرت ، ... أحاديثها أجرى الدموع طوامـيـا

وما أنا من ان يجمع الله شملنا ... بها وباهليها بمنىء رجائـيـا

(وقد يجمع الله الشتيتين بعدمـا ... يظنان كل الظن ان لا تلاقيا)



الشيخ سيديا الصحراوى

نحو : ١٢٩٥ هـ = نحو ١٣٧٣ هـ

نسبه :

الشيخ سيديا ابن الشيخ احمدو ، بن سليمان ، من بنى ديمان الذين ينتسبون الى السلالة البكرية التيمية ، وجميع العرب الداخلين الى الصحراء يحافظون على أنسابهم محافظة تامة حتى لايخفى دخيل فى نسب من الانساب وبنو ديمان ، من القبائل الصحراوية التى انتشر فيها العلم ، وتسلسل فيهم أحفادا عن اجداد ، ولذلك كان اجداد المترجم واباؤه كلهم وكل حواشيهم علماء ولم يتيسر لنا الآن ما نذكرهم به

منشأه ومتعلمه

أخذ فى الصحراء ، حيث نشأ بين أهله عن أخيه الشيخ محمد ، وهو عمدته كما أخذ أيضا عن الشيخ يحظيه ، ثم وفد على الشيخ ماء العينين ، فى الصمارة هو وأهله ، فارين من جيوش الاحتلال ، التى هاجمتهم سنة ١٣٢٥هـ فى عقر ديارهم – وديارهم فى المحل الذى يسمى (القبلة) وهكذا تسمى هاجروا الى الشيخ ماء العينين المعروف بمناوأته للاحتلال ، ثم اخذ ايضا عنه علوما منها علم الاصول ، ثم هاجر معه الى (تيزنيت) فلميزل ياخذ عنه الى ان توفى الشيخ فى تيزنيت .

أحواله

رأيت المترجم فائض الايمان ، ناهض العزيمة ، عيوفا لايستخذى لمذلة ولا يرضى بالهون ، فقد هاجر هو وأهله كلهم فى سبيل الله ، فصاحبوا ماء العينين ، ثم لما بويع الهيبة صاحبه الى (الحمراء) ثم الى (ردانة) ثم فى تنقلاته الى ان استقر فى (كردوس) ثم اوى الى الشيخ النعمة فى (أيت رخا) ثم الى الغ عند الاستاذ ابى الحسن سنوات قليلة ، ثم الى (تالعينت) عند القائد عياد الجرارى ، وربما صار يتنقل هنا وهناك ، فقد استحضرت أنه زار يوما مدرسة (تانكرت) وحضر درس شيخنا سيدى محمد بن الطاهر فى الاستعارات ، فكان ربما يتجاذب هو وشيخنا بعض بحوث تتعلق ببعض ما اعتاص من مسائل الدرس ، ثم لم يزل يتقلب فى سوس ، الى أن تم احتلاله مختتم : ١٣٥٢هـفورد

عليه أهله يتطلبون منه الرجوع ، فيعتذر لهم بديون عليه ، فأتوا بما يؤديها به فأخذه فتصدق به فلم يمكن له الا اسعافهم ، فرجع فبقى هناك تصل أخباره، الى أن قيل أنه توفى ، والرجل من رجالات العلوم ، فانه علامة جليل محصل، أديب مشارك فى المعقول والمنقول ، وله أدبيات وقصائد قالها فى بعض الملوك العلويين ، وفى الشيخ ماء العينين •

بينه و بين الالغيين

كان يوما جالسا فى حضرة استاذ الغ ، فجرى بحث فى كلمة لغوية ـ لم يستحضرها الحاكى ـ فقال أبو الحسن بن عبد لله أيفتى ومالك بالمدينة ايمكن لاحد أن يقول • وهنا الشيخ سيديا الذى اليه الاعنة ؟ فكل الصيد فيجوف الفرا ، فقال سيديا منشدا بيت البردة :

استغفر الله من قول بلا عمل   لقد نسبت به نسلا لذى عقـــم

ففتح تاء الخطاب ، يقصد بالخطاب الاستاذ أبا الحسن ، وجرى يوما ءاخر بحث فى لفظة (الغ) هل تصرف او تمنع من الصرف ، فاتى سيديا بـبـيـت السيوطى فى الفريدة

وابن البلاد والقبيل والكـلـم   على الذى تقصده كما رسم

ومقصوده ان لك صرفه وعدم صرفه ، وهكذا يكون علمه معه رحمه الله

من شعره يخاطب الشيخ النعمة من قصيدة

بنفسى بياضا نمقـته باحرف   يد صاغها الرحمن للبذل واللـثـم
فما البحر يحكيها وان عم نـفعـه   ولاالسيف يحكيهالدى الحربوالسلم

ومنه يخاطب بعض الالغيين ـ ولعله الاستاذ ابو الحسن ابن عبد الله ـ

لك المجد فى هذه البسيطة ثابتـا   ثبوت الرواسى حول الغ الشوامخ
فقد فقت كل النشء وقت شبيبـة   كما فقت فى الاسنان كل المشايخ

وقال يهنىء العلامة سيدى على بن عبد الله يوم تزوج بنته العلامة سيدى محمد بن الطاهر الافرانى

شمس النساأدركت بدرالرجالوقد   نالا بما اجتمعا عزا ومفتخرا
وليس هذاينا فى قول خالقنا   (والشمس لاينبغى ان تدرك القمرا)
فالشمس بنت فقيه العصر سيدنا   (على) مـن بالمعالى كلهـا اشتهرا
سليل عبد الاله القرح وارثـــه   فى كل فخر ومن للدين قد نصرا
ولا يناظره فى مجده أحـــد   ولوعلا النيرينالشمس والقمرا(١)

(١) تكرر القمر مرتين

والبدر نجل اديـب العصر شاعره ... من فاق فى العلم والاداب من حضرا
السيد الطاهر البكـرى قدوتـنـا ... محيى رفات العلامن صيته انتشرا
ومن اذا قيلت العوراء او نظـرت ... يغض جارحتـيه السمـع والبصرا
فبالرفا رب والابنا وصل على ... خير البرايا عديم الشكل والنظرا

كان المترجم عاتب الاديب سيدى الطاهر الافرانى فى تركه للتشبيـب فى قصائده ، فاجابه بقوله :

ان النسيب تـركته متخلصا ... للمدح لا عـيـا ولا تقصيرا
لكن ارى المدح الاهـم وانما ... كان النسيب الى المـديـح سفيرا
ايلام صب شفه فرط النـوى ... فنفى الرسول واعمل التسييرا
ذا مذهب ولآخرين خلافـــه ... ولكلها حجج فسل بى خبيرا
هذا اعتذار للاديب السيد المـــ ... ـــبكرى وأرجو أن يكون عذيرا

❀ ❀ ❀

محمد بابا الصحراوي

نحو : ١٢٩٠ هـ = ١٣٤٢ هـ

هذا هو الاديب الكبير المشهور فى الغ ، حيث استقر سنين عديدة حتى صار كاحدهم ، ومن كان فى مثل اخلاقه ، فسرعان ما يالف ويولف

منشأه وأحواله

كتب الى الشيخ محمد الامام ، وقد سالته عنه مايلي : (قبيلة محمد بابه، تسمى (أجاكوجا) من قبائل الزوايا الشنكيطية ، واهلها مشهورون بجودة الخط ، فكان له الخط الاوفر من ذلك ، فاتخذه الشيخ ماء العينين ناسخا لمؤلفاته ، وهو من المهرة فى القرءان العظيم ، حفظا ورسما وحسن اداء ، ولذلك اسند اليه الوالد تعليمنا فى القرءان ، أول ماورد عليه نحو ١٣٢٣هـ فكان أستاذ طبقتنا ، وهو فوق ذلك شاعر مفلق ، حسن الاخلاق ، رقيق الحاشية ، لذيذ المفاكهة ، عزوف عن سفاسف الامور ، مهذب الطباع • يتوقد ذكاء • كرس حياته على علم يفيده أو يستفيده ، مع انقباض عن سوى ذلك ، ويغلب عليه حال التصوف بمعناه الحقيقى علما وعملا ، وفى أخريات حياته لايطيب له المقام فى كثير من الاوقات الا فى (الغ) لما رأى فى أهله من الدين والفضل ، ولهم به حفاوة واعجاب كبير)

هكذا ترجمه تلميذه محمد الامام ، ونزيد نحن انه كان له شرح حسن على لامية العرب ، رأيته بخطه الانيق كماله مؤلف ءاخر فى الاصول ـ سمعت به ـ وله نوادر منها أنه رأى انسانا أراد أن يفتح بيتا فى دار الاستاذ سيدى على ابن عبد الله ، نام فيه الفقيه (اكيك) الصعب الاخلاق ، فقال له بملاطفة ورقة صوت ، ويشير بسبابته الى البيت (الفتنة نائمة لعن الله موقظها) فكانت احدى النوادر الغريبة منه ، وقد كان أحمد بن الحاج ابراهيم الايغشانى محبالعلماء يحرص على ان لايزول عنه المترجم ، فيلازمه اخيرا اكثر من دار الاستاذ ابن عبد الله ، وله هناك محل أغلق عليه ، وحين توفى فى (كردوس) جاء أهله ، وقد ظنوا أن هناك مكنوزا ، فاذا به صفر وزوجته هى أخت محمد سالم الشاعر المذكور قريبا ، لانه تزوج بنت ابن عبد العزيز ، كما كنت كتبته فى حديث أخذته عن العم ابراهيم ، وقد كان يصحب الشيخ ماء العينين ، ويأخذ عنه بعدما أخذ من أهل بلده ، وهو الذى يقرأ الحزب الراتب بين يديه ، ثم صاحب

الهيبة بعد ما بويع في كل تنقلاته الى (كردوس) وقد كان القى عنه اخلاق الصحراويين كلها وزيهم ، وتلبس باخلاق من يعاشرهم وبزيهم ، فحببه ذلك الى القلوب ، والمناسبة شرط الصحبة .

آثـــــاره

كان للمترجم ذكاء نافذ ، وقريحة أدبية علمية ، فكان يشارك في كل ما يعن في المجالس الالفية من البحوث ، فكانمما يشارك فيه ارسال القوافي ، فهذا الاديب سيدى محمد بن الطاهر وفد على الاستاذ قطب رحى الغ ، على بن عبد الله بقصيدة طويلة مطلعها

سيرى مطية واقطعى البيداء ... فعسى يبلغك المسير رجاء

فيجيبه الاستاذ باخرى مطلعها

هذى بروق في الحمى تتراءى ... ام ثغر (مهدد) (١) في البراقعضاء

فقال المترجم ، وقد هزته الاريحية الادبية :

عهود الصبا ذكرت ياهبة الصبا ... فلا حرج ان حن ذو الشوق اوصبا
ويانسمات القرب هل من وسيلة ... الى معهد الاحباب في زمن الصبا؟
ويانسمة الاسحار هل لك لـمـة ... بقلب مشوق بالـغـرام تلهـبا ؟
ويا سلسبيل الوصل هل لحشاشتى ... شفاء من أشفاء الى القبر قـربا ؟
ويا بارق البرق اللموح معارضا ... شتيت لمى ألمى المؤشر اشنبـــا
كفاك فقد حركت ما كان ساكـنـا ... وحاكيت لكن كان أضوا واعذبـــا
رعى الله أيام الصبا وصفاءهـــا ... من أكدار واش او رقيب ترقبـــا
تقلبت الاحوال من طول عهدهـــا ... ولا عجب فالدهر مـا انفك قـلـبا
لحى الله دهرا راعنى بفراق مـن ... أود وأبلى بـالوشاة وعـذبـا
وصير قلبى لايفارق محنتـى ... رقيب تبدى او حبيب تغيبا
فيادهر مهلا قد تنسمت نفحة ... بوفد لها لا بد أن أتاهبا
بوفد حبانا ما حبا بقدومـــه ... الا مرحبا أهلا وسهلا ومرحبـــا
صحبت بمعسول الشمائل منفتى ... به خير مصحوب اود ان أصحـبـا
ترحب به ما شئت ما ان رأىامرؤ ... سنا بدرها الوضاح الا ترحبا
ولا أرتاح مرتاح براح الذ مـــن ... قوافى فيها قـد اجاد واطنبا
فناهيك من شعر بليغ مهـــذب ... بديع حوى ما قد حوى والنهىسبى
بسحر ولكن من طلاوة لفظه ... وخمر ولكن من يعانيه غيبا
مباريه فضلا لا يلاقى سوى الذى ... على كريم الوجه لقاه مرحبا
ولا غرو ان البدر من معشر ابـت ... سجاياهم الا الزعامة والابـــا

١) مهدد كجعفر من أسماء النساء عند العرب .

ليهنك يابدر السيادة مفخــــر تحل بابهى حلة منه واسحبا
وقيت شرور الحاسدين ودمت فى سرور المنى ترتاح برا محببــــا
بجاه رسول الله افضل خـلـقه عليه صلاة الله ما هـبـت الصبا

وبينه وبين الالغيين مخاطبات نثرا وشعرا ، منها هذه الرسالة التـى كتبها الى علامة الغ على بن عبدالله :

«حضرة البليغ السميدع ، من علا ذوابة المجد وافترع ، أمـام الادبـاء وهادى العلماء ، ورئيس الرؤساء ، سيدى على بن عبد الله الالغى ، سلاما أحلى من تلك الشمائل ، واغزر من ذلك النائل ، وتحية تملأ جوكم عطرا ، وتهمى على مجلسكم قطرا

وبعد : فقد حدث حادث ، وهجمت احدى الكوارث ، فتاخرت عن الموعد، الى أن يمر عيد المولد ، ثم افى بقدومى عاجلا ، راكبا وان لم ياتنى منكم مركوب ءاتيكم راجلا ، وسيدنا الامام يسلم عليكم ، وهو يشتاق اليكم ، وطالما افاض عنكم أيها الالغيون من دعواته ، لتبقوا دائما مفخرا من مفاخر ندواته ، وقـــد انشدنى يوما وقد اعتذرت له عن تخلفى عنه بلزومكم وهو يقصد احوالكم ، وكيف يكون الضيف عندكم

نزلت على ءال المهلب شاتيـا غريبا عن الاوطان فى زمن المحل
فما زال بى احسانهم وافتقادهـم وبرهم حـتـى حسبتهم أهلى
والسلام •

وهناك رسائل أخرى اخترت من بينها هذه لتكون نموذجـا لترسله ، وللنظرة التى ينظر بها هو واهله الكردوسيون الى الالغيين اذذاك •

ومما كتب به المترجم الى الاستاذ أول رسالة :

اسنى سلام الى العلامة الحســـن سيرا بسيرتـه المثلى ابى الحسن
وبعد فادع بظهرالغيب نلت رضاالا له لى بالرضا والختم بالحســـن

وقد خاطب أيضا الاستاذ ابن عبد الله وقد وفد عليه وفد الايغشانيين

أبا حسن لازلت بدرا سيادته مطالع سعد تستدام سعادته
ودمت بانواع النعيم ممتـعـا تحفك فى نادى المفاخر سادتـــه
ودمت مفيدا مستفيدا ممهـدا فوائد يا من لاتمل افادتـه
ودمت فريدا فى الارادات كلها رضا الله فيما حتمته ارادته
وعاودك الرحمن من كل نعمة عوائده الحسنى كما هى عادتـــه
عليك سلام الله ما مس وافدا بذا الوفد رفد، فى رضاك وفادته

وقال أيضا فى احد اولاد الاستاذ جاءه عن شوق :

هبت صبا والد صبا بها ولده الى اللقا وانتشى مـن راحها خلده

فاهتز وابتز أثواب الكرى وجرى — من التشوق ما لم يحتمل جلده
ثم امتطى مسرعا مطيه طربا — الى زيارة من يرتاح من يجده
مسترشدا رشدا من نور حضرته — اذ لم يزل نورها مسترشدا رشده
ادامه الله للانام طود علا — وللبلاد كما به اعتلى بلده
ودام من فيض مولاه يفيض جدى — ودام يمتد من امداده مدده
لولا تصاريف اقدار بمغترب — عن أهله ما تخطى والدا ولده

وورد العلامة سيدى الطاهر الافراني وسيدى البشير الناصرى الى (كردوس) في جمادى الثانية ١٣٤٢هـ فخاطبهما بقوله

اقول وقد قالوا اتى الجلة الغر — فكن لهم ندمان ، غيرى بذا غروا
اما اعوز ابن الجد جد تلالات — من اعوازه للناس اشعاره الغر
واني لصب بالتلاقي وانما — يصد فؤادى عن لقائكم العسر
(أذوب حياء من زيارة صاحب — اذا لم يساعدنى على بره الوفر)

فاجابه سيدى الطاهر

عليك سلام الله يا أيها البدر — وان غاب اذ غبت البشاشة والبشر
فلا وجد الا دون طلعتك التى — اساريرها فيها لنا ظرها سر
فملء جفون لاجفان (١) هى المنى — لديكم ، فغيرى باعتذاركم غروا
فحضرة مولانا الامام كفيلة — بغاية ما يرجو من الجدة الزور
فلا زال نصر الله يقدمه ولا — تزل في اقتفاءها ابتغى البيض والسمر

وحين انقطع المترجم الى الرئيس احمد الايغشانى • قال يرحب بالاستاذ ابن عبد الله • ثم بسيدى سعيد التنانى • وقد وفدا الى هذا الرئيس • واليوم يوم عيد المولد النبوى •

زار الفقيه وزوره محمود — وعلى الصدور سروره ممدود
زار الفقيه زيارة أنى بها — وبمثلها هذا الزمان يجود
فشفى بزورته السعيدة مدنفا — قد طالما اضناه منه صدود
لازال محمود الوفادة مرتضى — عند الاله صدوره وورود
لازال يروى الزائرين معمما — نعما وعلما بحره المورود
لازال ممدود الحياة ممتعا — بالمشتهى وله الودود ودود
هذا ولما زار زار باثره الشـ — ـيخ التنانى السعيد سعيد
لاغرو أن اليوم يوم مسرة — فيه النبى المصطفى مولود

---

١) تلميح الى ما كتب به الصاحب ابن عباد الى العسكرى وقد رحل اليه

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم — ضعفنا ولم نقدر على الوخدان
أتيناكم من بعد أرض نزوركم — وكم منزل بكر لنا وعوان
نسألكم هل من قرى لنزيلكم — بملء جفون لا بملء جفان ؟

صلى عليه وءاله وصحابه والتابعين الهنا المعبود
ما غردت ورقا وما هبت صبا وجلا الظلام من الصباح عمود

وللمترجم فى هذا الرئيس أبيات تذكر فى ترجمة الرئيس ان شاء الله قريبا مطلعها :

(جازى المهيمن مد من الاحسان)

تلك بعض ءاثار المترجم الالغية ، واحسبه تاثر ببيئتهم ، حتى صار ما يقوله ، لايشبه ما يقوله المفوهون من شدق ءال كردوس ، كمحمد الامام وابن العتيق ، وقد سمعت ان عنده أقوالا اخرى ، لكن لم يحضرنى الا ما ذكرته

وفاته وآثاره

ساقته تربته الى مسكن اشياخه بكردوس ، فهناك توفى واقبر سنة ١٣٤٢هـ فكتب الاستاذ الالغى هذه القصيدة راثيا ومعزيا فيه للامير مربيه ربه:

عظم الرزء والمصاب بموت الـ ـفرد فى بابه محمد بابه
ذهب الحلم والعفاف وحسن الـ ـخلق والخلق مذ أرانا ذهابه
من لجمع شتات علم ومن للد رس من بعده يوفى نصابه
من يجيد تجويد ءاى من القر ءان يحيى بها ليالى الغيابة
من يروض شوامسا من علوم للرياضات من يفك حجابه
من لتقييد ما يند من العـ ـلم ويابد فى وثاق الكتابة
من يفيد لنا فوائد قد او دعها صدره واخلى كتابه
من يحرر ما يؤلف مولا نا الامام ومن يعى مستطابه
من يبث على الحقيقة فضل الشـ ـيخ (ما العين) من يصيد خطابه
عالم لم يزده الا كمالا غير الدهر والصفا والمهابة
لازم سدة الامام فيرضى اللـ ـه ارضاء من ينوب منابه
عجبا كيف يستر القبر بحرا زاخرا لم يزل يفيض عبابه ؟
ويوارى بدرا يعم سناه الـ ـشرق والغرب سهله وهضابه
لتجد كل مقلة بدموع تبك خط ابنها وفقدا اصابه
ءاه مما أصبت ان كان يجدى الـ ـاسف القلب او يزيل الكآبه
هكذا كل سيد يسرع المو ت اليه ، ويستحث اقتضابه
كان علقا وكل علق نفيس يقتنى فادخرت منه مصابه
فارق الوطن المحبب فى اللـ ـه وفارق أهله وصحابه
علم الله منه حب لقاه فاحب لقاءه ومتابه
فدعاه الى الجنان فلبا ه وارضى بما يحب جنابه

لا تسل عن قرى محب لمحبو ... ب اذا ما اتى اشتياقا رحابه
واعزى العلوم فيه ودين اللـــ ... ـــه اذ كان للمريدين بابه
والامام الرضا ، المظفر من ار ... ضى الاله بالعدل فيما أنابـه
من أهاب بالحظ فاستمع الحـــ ... ـــظ نداء مشوقه فأجابـــه
دام بالله عزه ولسان الـــ ... ـــكون يتلو على الرعايا كتابـــه
حى كردوس اذ يضم عظاما ... سقيت بالتقى وحى ترابـــه
تربة لم تزل تضم كرامـــا ... جلهم للنبى يـحـوز قرابة
لو يفدى الكرام بالنفس والما ... ل فديناك يا محمد بابـــه
غير أنا نفوض الامر للـــ ... ـــه ونرضى عن الخطوب ثوابه
وعليك مـن الالـه سلام ... طيب ما أقام طيب طابـــة

كما رثاه الاديب ابو محمد الافرانى بقوله :

أعينا على خطب الـم فاكلما ... وصرف زمان صير الدمع عندما
وفقد خلـيـل كـان لى خير عـدة ... وكان به شمل الهناء منظما
حيـاء وايناسا وعلما وعـفـة ... ومجدا وحبا راسخا وتكرمـــا
لحى الله دهرا ما رعى ال ذمة ... وعهد لذى فضل سما فتقدمـــا
أما بان من محمد باب ذى التقـى ... تهجده فذا اذا الليل هوما
يبيت كما بات السليم مسهدا ... يرتل اى الذكر غضا منمنمـا
يبارى السهى فى ظلمة الليل رقة ... ولطفا والاهمة وتـســنـمـا
له قدم فى معرك البحث راســـخ ... وصارم ذهن كلما سل صمما
الى ورع لاتستخـف ثباتـــه ... زخارف من دنيا وءانسة الدما
رعى الله دهرا قد نعمنا به كمـــا ... تنعم زهر الروض بالغيث انهمى
لطافة اخلاق وصدق مـــودة ... كما امتزجت راح معتقة بما
سلونا به عن كل هم كما ســـلا ... بنفـح الحمى وهنا مشوق تتيمـا
الى أن أفاق الدهر فاغتاظ من صفا ... أويقات أنس كلها سحر الحـمـى
ففوق سهما للردى نحو صاحـب ... نفديه لو يغنى بما صين من دمـا
فياليت ذاك العهد يوما بعائـــد ... وهيهات ان تجدى لعل وليـتـمـا
(فليست عشيات الحمى برواجـع ... اليك ولكن ما استطعت ابكها دما)
فلهفى على فقد الاحبة حسرة ... وحزنا حشا قلبى لهيبا تضرمـــا
ولولا رجاء الوعد بالصبر والتقى ... وتسليم أمر الله ذبت تندمـا
فيا أيها المولى الامام ومن بـــه ... تتيه العلا فضلا عـلى انجـم السما
فصبرا على ريب المنون فـهـكذا ... تمر الليالى ابؤسا ثـم انعما

محمد سالم الصحراوى

نحو ١٣٢٢ هـ = نحو : ١٣٦٤ هـ

نسبـه :

محمد سالم بن عبد الفتاح

من قبيلة ادا وعلى من (تاكانت) ورد أبوه عبد الفتاح نحو سنة ١٣٢٢هـ الى (الساقية الحمراء) فنزل على الشيخ (ماء العينين) فهناك ولد المترجم ، وأمه خديجة بنت عبد الله بن احمادو ، ثم أخذ القرءان عن الاستاذ محمد بابـه ، المتقدم قبله ، الذى كان معلما لجميع طبقته من اهل الشيخ ماء العينين ، وكان للشيخ النعمة يد طولى فى تحفيظهم للقرءان ، لانه يواخذهم على تكرار سورهم ثم صارت هذه الطبقة تأخذ العلوم عن محمد محمود ابـن البيضاوى خـال انشنكيطى الباشا الشهير فى (ردانة) وعن الاستاذ الحضرمى ابن الشيخ احمد حفيد الشيخ محمد فاضل بن مامين ـ وهو والد الاديب المحفوظ المشهـور فى وجان ـ وعن الشيخ محمد بن عبد العزيز ، وعن الشاعر ماء العينين بـن العتيك ، والشيخ سيديا بن حمادو بن سليمان ، وعن الاديب (أبا) بن عبدالاله من قبيلة (ءال بوحبينى) ، وهذا هو الذى انتفع به المترجم كثيرا فى الفقه ، فقد أخذ عنه المختصر كما أخذ اللغة والادب حتى تمكن عـن الشيخ النعمة ، فهؤلاء مشيخته ، هكذا حكى لى قرينه محمد فاضل ، وقد قال محمد الامام ان انتفاعه الكثير انما هو بمحمد بابه وابن البيضاوى ، وهو ادرى من غيره •

أحواله وتقلباته

مات والده فى الصمارة ، قبل انتقال الشيخ الى (تيزنيت) ثم انتـقل المترجم مع ماء العينين ، فظل مع الهيبة فى تقلباته ، وهو يدرس عن المتقدمين ثم لم يتزوج الا فى حدود ١٣٣٨هـ لما لازم الشيخ النعمة فصار قيما عـلى أشغاله الخاصة ، ثم بعد وفاة النعمة سافر المترجم الى الصحراء ، فلم تعجبه الاقامة بها ، فراجع (ايت رخا) ثم تجول كثيرا ، فكان يتردد بقوافيه ، واذذاك كان يفد علينا بمراكش ، فقدم الى الاكلاوى قصيدة قافية ثـم بعد ١٣٥٠هـ سكن فى (الغ) عند الاستاذ سيدى المدنى فى داره ، ويقاسمه ما تيسر ، مـع ضيق ذات اليد ، وبعد نحو ثلاث سنوات اتصل بالشيخ سيدى ابراهيم بـن البصير ، فطلب منه أن ينتقل اليه ، فاتى بأهله من الغ الى بنى عياط ، الى ان توفيت زوجته ـ وسترى ترجمتها ـ ثم رجع بعد وفاتها نحو: ١٣٥٨هـ الى الصحراء حيث بقى حتى توفى هناك فى نواحى (طنطان)

آثــار ٧

هذا شاعر فطرى مفوه عبقرى ، يعرف كيف يسبك وكيف يصوغ ، ولم يلفت نظرى مما يقوله الصحراويون النازلون بسوس بعد الفحلين الفذين: محمد الامام وابن العتيك ، الا أقوال المترجم ، وسنعرض على القارىء ، مما عندنا من الغياته وغيرها ، وان كان فى الالغيات يسف كثيرا كما سترى

قال يخاطب الاخ احمد ويستمنحه هذه القولة المهلهلة

منى اليك مع المدائح احمد ... أنمى سلام لايزال يجدد
هذا وموجبه لجانبك العلى ... اتحاف قدرك بامتداح يخلد
أنت الكريم ابن الكريم من الورى ... والسيد البر الجواد الامجد
فاطال عمرك فى السرور الهنا ... قرنا ودمت بجاه احمد تحمد

فأجابه الاديب سيدى الطاهر بن على ، متجاهلا المقصود ، وذلك على سبيل المزاح

يا من يطيب به الزمان الانكد ... ويطيب منه مصدر والمورد
أنس الحزين ونجعة للمعتفى ... ذاك الامام ابن الامام الامجد
منا على صوغ غدوت بدره ... ما الشعر يصبينا سلام يحمد
هذا وان لشعركم فى قلبنا ... معنى (يكاد من اللطافة يعقد) (١)
ما فيه من عيب وحقك غيرما ... يبدو لحضرتكم اذا ما ينشد
لم ندر ما قصد الاديب بشعره ... أمن النوال به يقام ويقعد ؟
ان كان ذلك مثل ذاك فلا يكن ... طول الزمان من المياه توقد
أو كان مدحا خالصا فجوابه ... ما قال سيدنا النبى محمد (٢)
أو قلت ذا لذوى الصنيع جزيتم ... خيرا فذلكم جزاء يسعد
منا عليك مع الصباح تحية ... تنسى الازاهر ما الحمام يغرد

وزار الاخوان محمد واحمد الاستاذ سيدى المدنى فرحب بهما محمدسالم على لسانه

لكما الترحب والسلام الامجد ... يا أحمد ثم الرئيس محمد
يامرحبا بكما وسهلا انتما ... سوءلى وربى بالتواصل احمد
اطفأتم بقدومكم عنا لظى ... قد طالما هى فى الحشا تتوقد
يوم لعمرى ذا النهار مبارك ... اذ كان بالغر الاماجد يسعد
فعليكما ازكى سلام دائم ... منا وخير تحية تتجدد

---

١) اوله بمخضب رخص كان بنانه عنم يكاد

٢) احثوا التراب فى وجوه المداحين (حديث)

هذه القطعة رأيت فيها نسخا مختلفة ، فاخترت فيها ما يشبه •

وحين كان ما قاله المترجم في الالفيين لايمت الى الشاعرية التي يعرف بها محمد سالم ، أردت ان أسوق ما اختاره له مما قاله في بعض الرؤساء السوسيين

قال في الرئيس الاخير في (تالعينت) ـ واللهي تفتح اللها ـ

من ذكر ناعمة في طرفها حور ... لم يبق للصبر مني في الحشا اثر
عجزا مهفهفة بيض ترائبها ... لعساء ما شانها طول ولا قصر
تفتر عن درر كالمسك ثاوية ... فيطبيني ذاك المسك والدرر
وكلما ابتسمت في الدهر ناطقة ... مني اليها تداعى السمع والبصر
وما كتمت هوى الا ونم به ... عقيق دمع على الخدين ينحدر
كم ذا كلفت بها والقلب مندمل ... ونار شوقي في الاحشاء تستعر
اثني عناني عنها اليوم منعطفا ... الى الخليفة عبد الله ابتدر
سمح جواد ونعم الدين ديدنه ... بالمجد مدرع بالجود متزر
ناء عن الذام والاسواء جانبه ... عن ذاك بالمجد والعلياء مستتر
الى ما آدبه ما انفك ءادبه ... يمد بالصوت لا يبقي ولايذر
يدعو بدعوته الحسنا له الجفلى ... ما ظل في دهره في الناس ينتقر (١)
بالفوج ياتيه بعد الفوج مجتمعا ... مهما مضى نفر يوما اتى نفر
العلم والحلم والاداب قاطبة ... لدى الخليفة عبد الله تنحصر
ما للخليفة شبه في محاسنه ... وليس يدركه في مجده بشر
اثني عليه مدى دهري وامدحه ... ما دام لي الاجل الممدود والعمر
ابني بامداحه مجدى واثبته ... به وارفل في دهري وافتخر
هذا ولا زال في عز وفي شرف ... عالي المراتب لم يمرر به ضرر
مؤيدا من صميم العز في كلا (٢) ... جار دواما على اسعاده القدر
بخاتم الرسل من فازت بمولده ... على جميع البرايا كلها مضر
دامت عليه صلاة لا انتهاء لها ... يوما ودام سلام طيب عطر
مادام ذو وله بالشوق في شغف ... من ذكر ناعمة في طرفها حور

وقال فيه أيضا

مدح الخليفة ما لم ياتني أجلي ... على اوجبه في السهل والجبل
قد عاجلتني عطايا منه مسرعة ... قد عودت منه للعافي لدى النزل

---

١) الجفلى محركا وبالف مقصورة دعوة الناس الى الطعام دعوة عامة، والنقرى عكسه أي دعوتهم دعوة خاصة وفيه اشارة الى قول الشاعر

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب منا ينتقر

٢ كانه حرك كلأ كفلس من كلأه اذا حرسه

ذاك الخليفة عبد الله خير فتى ... نال الخلافة في الامصار والحلـل
ذاك الكريم الذى في الدهر قد كتبت ... له السيادة بين الخلق فـي الازل
ذاك السخي الذى لم يحك نائـلـه ... سح الغمام بصوب المسبل الهطل
ذاك الجواد الذى جدوى مواهبـه ... من قبل مسئلة ياتيك عن عـجـل
ذاك الهمام الذى في حرز هيبتـه ... حصن حصين مدى الايام للوجـل
ذاك الشريف الذى قد حاز مرتبة ... في العز علياء لم تدرك ولم تنـل
ذاك الاديب سليم الصدر صائنـه ... بما لديه دوام الدهر مـن خـول
ذاك الذى ذهبت في الافق قاطبة ... تفشي مدائحه الركبان في السبل
ذاك النزيه فريد العصر سـيـده ... سمح الخلافة ما مونا من الزلـل
ذاك الذى نال من مجد ومكرمـة ... ما لم ينل ابدا في سائر الملـل
ذاك الشجاع الذى الابطال خاضعة ... أمامه الدهر من خوف ومن خجل
ذاك الذى خصه خلاقـه ابـدا ... بين الورى بالتقى والعلم والعمل
ذاك الذى غ يرما يرضي الاله بـه ... بين البرية لم يفعل ولم يقـل
ذاك الزكي الذى تشفي مناطقـه ... وحسن اخلاقه من سائر العلـل
أبقاه مولاه في أمن وعافية ... دهرا بجاه النبي أفضل الرسـل
دامت صلاة له ما قـال ذو شغف ... مـدح الخليفة ما لم ياتني اجلـي

على ان هذه القوافي كلها لم تظهر فيها براعة الرجل ، وانما ظهرت في مثل قصيدة ميمية نبوية كبيرة ، طبعت في كراسة في (سلا) سنة ١٣٥٨هـ تحت نظر الاديب الكبير عبد الرحمن حجي وقد علق على الفاظها اللغوية ومطلعها:

وقفت ابكي ودمع العين ينسجـم ... ونار شوقي في الاحشاء تضطرم

وهي اكثر من ١٢٠ بيتا منعنا الاختصار من ايرادها •



رقية بنت محمد بن العربي الادوزية

نحو ١٣٠١ هـ = ٢-٣-١٣٤٢ هـ

نسبهـــا :

رقية بنت محمد بن العربى بن ابراهيم بن عبد الله بن على بن عبد الله ابن يعقوب .

هذه والدتى ، أذكرها لوصف تعليم القرءان ، فقد كانت اول معلمةمن النساء فى الغ ، ومهذبة البنات فى دار والدى ، فبها انتشر ما انتشر من ذلك فيهن ، افيجمل بنا ان نتخطاها لانها امرأة ، ومتى عهد منا احتقار المرأة الى هذا الحد ، أم يجمل بى ان أتنكب ذكرها لئلا اسمع ما كان سمعه بعض اجلاء المؤلفين المعاصرين ، وقد ذكر والدته فى أثناء مؤلف له ، من أنه انما يريـد أن يكون نتيجة صادقة لمقدمات صادقة ، وان له نسبا كما ان له حسبا ، فترك ما يستحقه التاريخ ـ خصوصا تاريخ الاسر ـ لامثال هذه الاوهام مما لاينبغى ان يلتفت اليه عاقل ، فليست تلك الطريقة بطريق الانصاف ، مادام الانسان لايتنفج ولا يتزيد ولا يتشبع بما لم يكن ، فان من يترك الحقائق خوف هـذا، ومن يتزيد فيها حتى يفسدها سيان فى نظر المنصفين ، على أن للانسان الذى يقف موقف المدافع الذى يقابل حملة بحملة ، ان يذكر امثال هؤلاء الذيـــن يسرعون بالانكار على من يخلدون اعمال والديهم قضية الربيع وزير المنصور العباسى ، اذ أنكر على انسان رآه اكثر من الترحم على والديه بين يدى المنصور، فقال له الاخر : انك معذور ، لانك لم تذق حلاوة الوالدين ، وكان الربيع يزن بانه لغية ، وهل ينكر ذكر الوالدين بخير الا اخوان الربيع هذا ؟

أول ما اعلنه عن والدتى هذه : أنها هى التى سمعت منها بادىء ذى بدء تمجيد العلم وأهله ، واكبار تلك الوجهة ، فكان كل مناها ان ترانى يوما ما ممن تطلعوا من تلك الثنية ، وممن يداعبون الاقلام ، ويناغون الدفاتر ، فبذلك كانت تناغينى ، وذلك هو محور دعواتها حولى ، افاكفر لها هذه النعمة اليوم ومن يونسنى الا كلمات من العلوم ازاولها تمطقا استحلى لوكها بذوقى

كانت درجت بين يدى والدها علامة جزولة فى عصره ، فكان يهـم ان يدفع بها الى الدراسة الواسعة فى ميدان العلوم بعد ان أتقنت حفظ كتاب الله ولكن جاءت خطبة الوالد المسرعة ، فحالت دون امنية والدها ، بل وامنيتها هى أيضا التى عرفت من أبيها وبعض اخوالها واعمامها وبنـــى أعمامها واجـدادها كيف التشرف بالعلوم ، فكانت تمنياتها تدور على ذلك ، ولكن ذلك لم يسبق

به القضاء ، وما كل ما يتمنى المرء يدركه ، وقد جاءت بلوحتها بين يديها يوم زفت من دارها الى دار زوجها !!

في سحر يوم عاشوراء نحو ١٣٢٣هـ ايقظتني فناولتني كاسا مملوءة ماء، فقالت : ان هذا الماء ماء زمزم الذى هو لما شرب له ، وهذا سحر يوم عظيم وهو مظنة الاستجابة ، فاجرع منه وانو في قلبك ان يرزقك الله العلم الـــذى أتمناه لك دائما ، فافرغت الماء فى حلقى بنيتها هى التى تدرى ما تطلب ومـا تنوى اذذاك ، ثم استلقيت ثانيا في مضجعي ، وانا حينذاك ـ ولااكذب القارىء ـ لانية لي ولا أقصد بشربى لما قدمته لى بسرعة الا أن ارجع الى الاستمتاع بنومتى لاغير •

أخبرنى استاذها سيدى أحمد بن عبد الله الايجلالنى المجاطى ، قـال استدعانى الاستاذ سيدى محمد بن العربى ، سنة ١٣١٠هـ من المدرســة الادوزية ، فأمرنى ان الازم داره ، وان اعتكف فيها على تعليم بناته واولاده ، فخرجت الى والدتك في دراعة سوداء ، وفى راس لوحتها ـ يوم يفر المرء الآية ـ وكانت تتعلم قبل ان اتصل بها عند غيرى ، ثم دأبت عندى حتى ختمت سبع ختمات ، وجودت غاية التجويد ، فعول والدها ان يدخل بها فى طور العلوم، فاذا بتزويجها جاء بغتة ، وذلك عند مراهقتها ، قال : فحين أرادت أن تركب على البغلة جاءت حتى قبلت رأسى ، فركبت ولوحتها معها ، كرمز لكونها لاتزال تتعلم ، وقد كان والدها ذكر ذلك لزوجها ، ولكن أيمكن ذلك له مع ما طوق به من ارشاد العباد ليل نهار •

كان للوالد رحمه الله زوجتان قبل ، فدرجت منهما بنتان قد ادركتـــا ابان التعلم ، قالت لى احداهما وهى السيدة فاطمة ، فانتدينا يوما مع نساء الاسرة ، فدار الحديث حول البنتين ، فقال الشيخ : لابد من تعليم البنتين ، فقالت والدة السيدة المذكورة أليس سيدى موسى بن الطيب بلائق لذلك، فقال الشيخ اننا نريد من يعلم ويربى ويهذب ، لامن يعلم فقط ، ولا يليـــق للنساء الا النساء ، فان المرأة لاتنقاد الا لمثلها ، فقالت تلك الوالدة ـ وهـــى عجوز الدار القيمة على شؤونها ـ انني كنت عند اخوالى بنى اعجلى ببعقيلة ، فطرق اذنى هناك ان للاستاذ ابن العربى بنات يتعلمن ، وانجبهن فتاة تسمى رقية ، وقد استظهرت كل القرءان دون اخواتها ، فقال الشيخ يفعل الله الخير •

هذا ما حكت لى تلك السيدة ـ ولاتزال حية الى الآن ١٣٥٨هـ ـ فكان عجبا أن يتداول مثل ذلك عند الضرات اولا ، وكان الاعجب ان تشير ام احداهن بذلك ولو لم تخبرنى المذكورة بذلك فاها الى اذنى ، لما كنت صدقت بذلك ، ولكن ذلك هو الواقع ، فلا سبيل الى التشكك فيه ، ثم كانت هناك بشارة روحانية للوالد بتزوج بنت الفقيه ، فيسر الله ذلك له فى حكاية ذكرتها فى كـتـاب

(الترياق المداوى) (١)

فاتح الوالد تلميذه الفقيه سيدى ابراهيم بن صالح التازروالتى التى كان سلفه ، فأمره ان تفاتحقرينته السيدة خديجة امها زينب بنت صالح ، زوجة الاستاذ سيدى محمد بن العربى ففرح سيدى ابراهيم بن صالح بذلك غاية الفرح ، كما حدث به من رءاه اذذاك والشيخ يكلمه بينهما فى الموضوع، وهو يقبل رأس الشيخ فينة بعد فينة ، فلما انفتل من بين يديه القى اليه ذلك الخبر باستبشار زائد ، فسارت المخابرة اولا مع أمها ، ثم قبل أبوها الاستاذ بعد ان أقنعتهزوجته زينب بذلك ، فتم الامر على ايدى النساء حتى اصبح الرجال أمام الامر الواقع .

سمع الناس بذلك فكان رابعة العجائب ، لانهم يعلمون تلك الحملات التى يلهب بها الاستاذ الادوزى الناصرى الطريقة ، هذه الطريقة الدرقاوية المحدثة بسوس ، حيث يزن اصحابها بالبدع ، ويامر بالمناداة فى الاسواق، ليكون الناس كلهم على علم من رايه فى الدرقاويين ، ولذلك ما كادوايسمعون بهذا الاتصال الجديد ، حتى كانوا بين مكذب وهو الكثير ، وبين مصدق ، والدهش ياخذ بتلابيبه .

فى ١٠ - ٤ - ١٣١٧هـ كان الشيخ الوالد ، وشيخه الاستاذ الادوزى ابن العربى ، والاستاذ سيدى محمد بن عمرو ، والسيد البركة الحاج محمد بن ابراهيم اباراغ البعمرانى ، ومعلم السيدة صاحبة الترجمة أحمد بن الحاج عبد الله الايجلالنى فى ءاخرين ، فى دار الاستاذ الادوزى يعقدون النكاح (٢) فيحرره الاستاذ ابن عمر ، ويعطف عليه ابن ابراهيم اباراغ ، فهكذا تمت المعجزة ، ورأى من يكذب بامكان هذا الاتصال انه مما وقع فلا ارتياب ، ومن أغرب المصادفات أن حضر الفقير المعدرى الملقب أجاكور ، وهو الذى كان يتولى بنفسه المناداة فى الاسواق والمواسم بما ذكرناه، عن اذن الاستاذالادوزى فقال لسيدى بلعيد الصوابى وسيدى الحاج محمد بن عدى الواعظ الآن اختلطت المياه ، وتعانقت القلوب ، وهتك السجف الذى كان يحول بين الطريقتين ، فقال له احدهما - وأخاله الاول - لم يزل الامر دائما كذلك ، وأهل الله كلهم ذات واحدة ، ولكنك وامثالك ، تكثرون التمويه ، وتهرفون بما لاتعرفون ، او كما قال (وقد توفى اجاكور هذا ازاء الحمراء مع الهيبة فى أواسط رمضان : ١٣٣٠هـ كما بلغنى)

تمت العقدة عشية ، فكتب الاستاذ الى صهره الشيخ الوالد بعد انفضاض

---

١) مطبوع فى جزء

٢) فى الجزء السادس من كتاب (من أفواه الرجال) رسم عقد النكاح مع ما يتعلق بغالب هذا الزواج - وهذا الكتاب فى عشرة اجزاء لايزال مخطوطا -

تلك الجلسة بما نصه :

بعثت اليك ببعض كلي فان راعيـ ـته كنت كلي راعيا يا اخي حكما
غرست بكد طال وردا فحين حـا ن ازهاؤه اوليتك القلمـا والشما
ولابد من شوك ولطف اقتطافـه يريك من الزراع ما جنه حلمـــا
فان كان بضعة النبى تريبه على حلمه ففيره دونه جزما
فعلمك اغنى عن اذاعة سر مـا هنالك اغناء السمندل شربما (١)
فاسس حديث ام زرع لانس من، يداعبه من كان خير الورى رحمـى
لزوجك حقا بعد ان النبى قا ل هذا لمن يقلى النساء ليعلما (١)
ويدرى بان المصطفى حبب النسا اليه واعطى فيهن (١) القوةالعظمى
فسر بكلاءة الاله وحفظـه بآداب تحفة العروس معلمـا (١)
وتمم بناء من شكرت جميله له بحضور الحزب رافضة نومـــا
وعلم ـ كما وعدت ـ علما مقربـا بمقدار ذاك العقل فى سنه علمـا
وخاطب بـقـدره فهـن كما رووا قوارير والرجال كالصخرة الصما
فان الزجاج بعد صدع لمن أرا د اصلاحه يابى تشعثه الضما
فلولاك ما اسلمتها لضرائـــر وبعد وقوم لم نصاهرهم قدمـــا
فوالله ما علمت من عيبها سوى وحق ابيك انها تكثر النومـا (٢)
فـان كنت حققت المناط علمت أ ن نوم الشباب لم يكن معه وصما
فهذى وديعة الاله بكف من رأينا له تقوى اذا استسلمتسلمى
بقيتما (١) فى الف ورغـد معيشة ورعى حقوق الله ما ذكرت نعمـى

هذا ما قاله الاستاذ انقله من خطه كما هو بفصه ونصه

فاجابه الشيخ الوالد في الحين ، قبل ان يغدو الى الغ ، ليتهيـا لمقابلة السيدة واهلها الذين ركبوا يقتفون آثاره :

جزاك اله العرش خير جزائـــه أياشيخنا اوليت فوق المنى جرمـا
زففت لنا بنتين بنتا لفكركم وبنتا لصلبكم فذى نعمة عظمـى
جمعت لناالاختين فىعقد واحد(٣) فلم يك ذاك فى قضيتنا اثمـــا

ثم لما وصلت السيدة ومن معها الى الغ ، وصلت على ايديهم أبيـات ، يودع بها الاستاذ بنته ، نصها

فراق بنتى صعـب علـى فـؤادى جـدا

---

١) كذا من خط الاستاذ فى الجميع
٢) يشير الى الحديث فى عائشة من أن النوم يغلب عليها وهى تعجن
(٣) من اضافة الموصوف الى الصفة وهو قليل كالكعبة اليمانية فىحديث البخارى وقد أصلحه الاستاذ الرفاكى بقول والعقد واحد ، وهو اصلاححسن

لم ارض للدهر فعلا	ولم اطق له ردا
لكن مولاى ربى	قضاؤه لن يردا
افنى الفراق قلوبا	لما رأت لك بعدا
لم ار عيبا وشينا	أعده لك عدا
لذاك لم أرض صبرا	عنك (رقية) بدا ،
ودعتك الله ربى	يحفظ لى منك عهدا
من اين كنت فقلبى	عنى هنالك صدا

القت الوالدة عصاها فى دارها الجديدة ، قالت ضرتها السيدة فاطمة المتقدمة ، فقال لها الشيخ : ان شغلك الوحيد الذى جئت اليه هو تعليم هاتين البنتين خديجة وعائشة ، فلازمت ذلك ، فكانت هى معلمة الدار ، والمرشدة والواعظة للوافدات الى الشيخ ، حتى شدت تلميذاتها ، فكن ربما يقمن بذلك الارشاد الذى تعلمنه منها ومن ابيهن ، وكان تعليمها للبنات مقصورا على ما تيسر من القرآن وتعليم الكتابة والتهجى ، والتمرين حتى تقرأ التلميذة من عند نفسها الكتب الشلحية الموجودة بكثرة المشتملة على السير والاحاديث والقصص ، وكنا أيضا ونحن فى الطور الابتدائى نأخذ عنها ، قال الاخ أحمد انها هى التى علمته الطور الابتدائى حتى توسط حزب (سبح) ، وكذلك أنا وربما بلغت من عندها اكثر من ذلك •

تلك سيرتها ، وذلك هو شغلها فى الدار ، وكانت كلما ذكرت الوالدوعده لابيها ان يعلمها العلم ، يقول لها انا الى الآن لم نجد فراغا ، فقد رأيت ما نحن فيه من ملابسات الناس والسياحات على عباد الله لنعلمهم دينهموالاشتغال بالواردين الكثيرين ، ولكن ان فاتك انت هذا الموعود به ، فلعل ذلك يكون لاحد اولادك ، هذا ماحكته لى رحمة الله عليها ، ومقصودها ان تستنهض همتى للتعلم حتى أنال به شفوفا ، لعلى اكون انا هو الموعود به

نفست بهذا العبد الكاتب ، فى صفر من السنة الثامنة عشرة وثلاثمائة والف (١٣١٨هـ) فجاء الاشتغال بالاولاد شغلا ءاخر على ما تقدم ، وقد حضرت اذذاك والدتها السيدة زينب بنت صالح ـ كما حدثتنى به السيدة فاطمة المتقدمة ـ والجد ابن العربى هو الذى اقترح ان اسمى محمدا ، فذكر له الوالد أن عنده محمدا ءاخر ، فزيد وصف : المختار للفرق ، فهذا هو سبب تسميتى بمحمد المختار ، على خلاف عادات اهالينا فى الاسماء ، وكانت لها رحمة الله عليها مع تعليمها هذا يد صناع فى الاطعمة الحضرية التىتعلمتها فى دارهم الراقية ، فاذا حضر من الاضياف من يستحقون العناية التامة، فانها هى التى تقوم على تهيئة الطعام الخاص ، كما ينبغى ، وفيما سوى ذلك فانها مشتغلة بالتعليم وتربية اولادها الذين تتابعوا

وكان الشيخ الوالد يراعيها حق المراعاة ـ كما حكت لى ـ وجعلها امينة

على الطرف والذخائر التي تكون في الصناديق ، وربما غارت من ذلك ـ على العادة ـ الضرتان الاخريان ، ولكن حسن سياسة الوالد ، يقدر أن يسوى بها كل ما يعن في القلوب ، بمراعاته المساواة الواجبة بين الضرائر ، وقد كان الوالد ـ مراعاة لوالدها الاستاذ ـ بنى اذذاك الكايزة ـ البيت الجميل (١) ـ ليراها والدها متى ورد ، ليعلم ان بنته في الرفاهية التي الفتها عند والدها لا في تقشف الدرقاويين ، هكذا اخبرني سيدي مولود ، وكذلك صار يفتح منها الباب لشرب الاتاي فينة بعد فينة متى طرقه سراة الناس ، وان كان الشيخ لم يتنازل قيد شعرة عن المعهود منه ، وانما مقصوده جبر خاطر استاذه والد السيدة ، وما عبد الله باحب اليه من جبر الخواطر

هذه حقائق وامور عائلية ، ما كنا لنتعرض لها لو لم يلجئنا اليها ماكتبه الاستاذ الرفاكي حول هذا الموضوع في ترجمة الشيخ الوالد ، وفي ترجمة الاستاذ الجد ابن العربي في كتاب (روضة الافنان في وفيات الاعيان)

وأصل القضية ان الجد رحمه الله طلب من الوالد بعد مضي زمان ان يزيره بنته ، فاجابه الوالد بان ذلك لايتيسر وليس من المعتاد عندنا اليوم ، وهناك ضرات لها اخريات قد يتطلبن مثل ذلك ، فنقع في ذهاب ومجيء في الطرقات ، وذلك ينافي ما اسسنا عليه الاسرة ، وما رضيت به الحرات قبل اليوم ، فبلغ الجواب هذا الى الاستاذ ، فقام وقعد ، واغتاظ • فعاوده الوالد بأنه يحب هو أن يتشرف في الغ بأهل دار أدوز كلهم ذكورا واناثا ، فجاء الجميع فصدروا بكل ما يقر اعينهم ، ثم صادف الحال ان بلغ احد الوشاة ولم أدرمن هو ـ الى الاستاذ ان بنته ممتهنة ، وانها تطحن ، وانها تكلف ما لاتطيق وانها بين الضرات في سعير يتلظى ، فقال تلك الكلمة التي نقلها عنه الاستاذ الرفاكي (غدرني فلان ، فلولا المروءة لكان لي وله كيت وكيت) او كما قال، وفي هذا الحين كتب هذه القصيدة الى الوالد ، كما قال الاستاذ الرفاكي في ترجمة ابن العربي

في حب ءال البيت للانسان	جميع ما يرجو من الاحسان
اذ حبهم اجر لتبليغ النبي	محمد رسالة الرحمان
الاجر واجب علينا نغرمه	وليس ثم اجرة الاثمان
فمن يكن منع اجرة الاجير	فخصمه خير الورى العدناني
احرى اذا كان الاجير هو فاحـ	ـتل بهذا الدار ياذا الشان(٢)
والود لم يكن بسهل يدعى	ادراكه من عارف رباني

١) وقد ذكرنا ما قيل في هذه القبة الانيقة من القوافي في ترجمة الشيخ في (الجزء الاول) من هذا الكتاب

٢) كـــذا

فكيف من يقول ما لايفعل — يوما فيكشف لدى امتحان
الود ايثار القبيح المنظر — السيىء الطبع المسىء الشانى
بالنفس والمال على احتياجه — لوجه من آتانا بالفرقان (١)
يقى الشريف باعز ولده — قتلا اذا ما ثار ذو عدوان
يجعل ماله وعرضه له — وقاية من غير ما امتنان
ان ناله من جهة الشريف — اذاية فى العرض والابدان
يهبها موهبة اتته — من الشريف ناشر الشكران
وان يكن يستمع المقالا — متل عبيد سيد منان
يحب من يحبه لحبه — ويبغض البغض العدو الشانى
وان تكن عقيلة غيداء — فى ملكه صغيرة الولدان
وكان فى خاطره زواجها — صرم ما عقده آلبان (١)
وان يكن فى راسه تاج الملوك — ازاله وصار من عبدان
وكل ما ملكه من خير — يحسبه من دون حق السانى
يكلاءه كلاءة الكلاب — لدار ربها بكل آن
زن بالذى سمعته حبك يا — من يدعى تراه ذا بهتان
واعترفن بالقصور والتمس — تحقيقه من خالق الاكوان

هذه الرجزية التى هى كما يراها القارىء ، ما كنت اعرفها حتى وقفت عليها فى كلام (الروضة) ، وعندى حول هذا النظم كلام كثير يجول فى هاجسى ولكن الاولى طيه لوجه الله ، لان للجميع نية حسنة ، وفى قضية فاطمة لما اراد على ان يتزوج عليها ما فيه قدوة •

وفى هذا الحين ، كتب الاستاذ ايضا الى صهره الاستاذ الرفاكى المؤرخ المذكور ، يجيبه عن قطعة كتبها مع قريننه ، وقد ازارها والدها الاستاذ ابن العربى

جاءنى من مقدم الاصهار — ما به عطر روضة الازهار
وبه قبل نسمة الاسحار — آنست بنوافح الاخبار
ذكر العهد قل متى كان عهدى — منسيا ، فيرد بالتذكار (١)
كنت احسنت لم يجىء منك الا — مونس مطرب من المختار
انت حرز الامان للبنت والكا — فى بنظم القوافى يوم الفخار(١)
نحن نفديك بالدرقاوى وايـ — رحمة الله من عذاب النار (١)
ماله معها من اللطف والامت — بمنزل مزعج جبار
لا تصاهر بسوس درقاويا فالـ — ـقرب منه بعد من الغفار (١)
واذا ما جهلت تبغى اختبارا — فلتقف ساحلا من التيار

---

١) كـــذا

لم يروا لسواهم فضل علم ورشاد والفضل للانصار
لا تسلم اذا دخلنا عليهم تركهم رده على الاختيار
وقل (الله) ثم ذرهم يمدو ن شباك الحطام فى الامصار
هذا ١ نصحي والنصح ليس اغتيابا لا ولا حسدا من الاخيار (١)
أبقى (١) ربى عليك ستراجميلا وطبيعة احمد المختار
وسلاما تراه فى كل أين يا حبيبا به هناك افتخارى

هذا ما يقول الاستاذ رحمه الله تأثرا بما ابلغه ذلك الواشي النمام ، وكان ينبغى له أن يتذكر قوله تعالى : ياأيها الذين ءامنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية ، فان الحقيقة التى تقدمت تكفى فى سل غضب الاستاذ لو تأنى، ولكن سبق السيف العذل ، ورضى الله عن الجميع

أما الوالد الذى لايعرف للغضب معنى فى أمثال هذه المواقف بعد انهذبته التربية ، وشذبه التصوف ، فانه مازال بصهره وشيخه حتى زاره مرارا فى الغ ، فلاقاه باحتفالات ، سلت غضبه ، لان غضبه كان عن حق ٠ لوكان ما سمعه حقا ، كما أزاره مرة اخرى كل بناته وزوجته ، فساد الرضا ، وعم البشر والتأم الجرح الذى هو عادى بين بعض الاسر ، وقدءاودالاستاذ الزيارة الى الغ مرات آخراها فى نحو شوال سنة ١٣٢٣هـ فخرج الفقراء المتجردون من الزاوية ، وهم اذذاك اكثر من مائة ، فلاقوه بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، على عادة التيمكيدشتيين ، ثم أمر الوالد ان لاينزل شيخه عن بغلته الى أن يصل الفراش ، وكنت استحضر ذلك الحين ، وانا كما ابتدأت اخط واتهجى ، وقد عقلت انني ذهبت اليه برق فيه كلمات خططتها بخرمشتى ، فقلت له : ياجدى : ان هذا خطى ، وهو احسن من خطك ، فجعلنى فى حجره، فصار يناغينى ويربت على ظهرى ، ثم انفتلت من عنده ، فذهبت لاغسل ما خططته فى الرق ، قياسا على اللوحة ، لاكتب فيه ثانيا ، ولكنه ذاب بالماء فتعجبت تعجب صغير رأى ما رأى اول مرة ما كان لايعرفه قبل ، وفى ذلك الحين ـ كما أظن ـ خاطبه الشيخ الوالد بهذه القطعة (او هى جواب للنونية المتقدمة)

هذا الذى فخرت به ازمانى تيها على الماضى من الازمان
شيخ المشايخ قدوة الاقران علم الهدى التاج الذى اقرانى
شمس الهوى نور الهداية والنهى قطب المفاخر ماله من ثان
من قال هذا مثله او فوقه فى الدين دعه يفوه بالبهتان
نصبت له بين الاكابر راية بعناية المولى على الاعلان
فرد له مجد تسلسل فى اصو له سيدا عن سيد الاعيان

١) كـذا

بالله ردوا قلب مضنى قد ثــوى بحماكم فالصبر قــد اعيانــى

وقال الاستاذ سيدى على بن عبد الله يرحب به :

يا سيدا عمــت الدنيا مــا ٓثــره ومفلقا فاق فهما من يناظره
وبدر تم ولكن لا أفول لـــه وشائدا ما بنت قدما عشائـــره
وشيخ عصرى وصدرا فى العلوم به ردت عــلى صدر دهره اواخره
اهلا بمقدمك المنسى مضاضة مـــا قد مر من مر هجر عاش قاهره

(كان الاستاذ لوح هنا الى تلك القضية ، ان كان ممن سمعها ، ولااظـن ذلك)

ومرحبا بك يا من لايماثلـه فى الكون سام وان جمت مفاخره
تنورت بك ارضى مذ طلعت بها يا بدر علم ومن للمجد ناشره
تشرفت بك ارض كنت واردها واخضر منها هدى نصحك ما طره
رضت نفوسا لمحكم الرياضة لم تزل بروض جنان ماد زاهــره
لازلت للخلق بابا للوصول الـــى حضرة خير الورى المشكور ناصره
صلى وسلم رب الخلق اجمعهـــم عليه ما عمت الدنيا ما ٓثره

هكذا انجبر الكسر ، والتام الفتق ، وقر الاستاذ عينا ، وربما ادرك ماكان يخفى عنه • ثم لم ينشب بعد رجوعه ان التحق بربه ، رضى الله عنه ورحمــه رحمة واسعة

وأما الاستاذ الرفاكي ذكره الله بالخيرات ، فقد ذكر من هذا بعضاوترك بعضا ، وعلق فى كتابه المذكور ، بما نصه فى ترجمة الوالد ، فقال بعــد ان ذكر الثلاثة ابيات التى اجاب بها الوالد شيخه :

(جزاك اله الخلق خير جزائه)

الاولى : والعقد واحد (يعنى فى الشطر الاول من البيت الثالث)

(جمعت لنا البنتين فى عقد واحد)

ليتزن ، فهذا شعر الفقراء ، ولم يكن من الادب ان يذكر الظهر (يعــنــى فى البيت الثانى)

(زففت لنا البنتين بنتا لفكركـــم وبنــتا لصلبكم فذى نعمة عظمى)

ثم قال فياليته قال فــى الجــواب ، ليأتــى بالصواب ، ويترك لفظ الظهر الذى فيه الارتياب : ـ انقلها من خطه مباشرة ـ

فسمعا ابا الدلفاء فالوعد مــبــرم واعطيت قوسا باريا لاتخف غمــا
وانى لجمع شمل الفى عارف اساة القلوب يانفون التذمما
ابو زرعكم لا تياسوا منه اننى كفيل بخلق كان منه تهدما

زففت لنا البنتين والعقد واحد ففكرية صلبيــة عادما ذمــا
بقيت لنخبة المعانى منمقــا وللفلذات رائــبــا مــتنــعما
كفاك الاله والسلام يزف مــن نديم لمجد عن منكم تسنما

ثم قال بعد ذلك

ثم ان الصهر لم يف بالعهود ، ولادى الوعود ، بل أهان المهرة ، وعصى للشيخ أمره ، فجعلها من جملة العيال ، تطحن ودمعها سيال ، ومنعها مــن الزيارة ، وزاد فى القحة بالنفس الامارة ، فتململ الشيخ لذا ، وتمــنــى ان يفديها لو أمكن الفدا ، فلما اعوزه الحال ، ولم تراع الحرمة الرجال ، قــال رحمه الله

لا تصاهر فى سوس درقاويا فالـ ـقرب منه بعد من الغــفــار
واذا ما جهلت تبغى اختبارا فلتقف ساحلا مــن التــيار

ولنصرف عن الكر العنان ، طالبا من الله المنان ، ان يمدنا برضا الاشياخ والغفران ، ويقيل عثرات اللسان ، ومازبره فى ذلك البنان ، وحواه الجنان ويرزقنا معهم المجاورة فى الجنان الخ ..

وقال أيضا فى ترجمة الاستاذ الادوزى ، بعد ان ذكر الرجزية النونية:

فى حب ءال البيت للانسان جميع ما يرجو من الاحسان

هذه الابيات يخاطب بها سيدى الحاج على الدرقاوى ، صهره على بنتــه رقية ، جعلها من جملة من يخدم فى النوبة حتى فى الطحن ، ولم يعرف حــق الشرف ، وكان الشيخ يعاتبه على ذلك ، ويقول غدرنى الحاج على ، لولا المروءة لفعلت معه ما يستحق ، ولكن نلتقى بين يدى الله فنتحاكم ، اخبرنى بذلــك ثقة من خدامه ، انتهى

هذا ما قاله الاستاذ الرفاكى ، ولااعلق عليه شيئا ، لافيما يقولــه عــن الاشعار ، فالقارىء بلا شك ناقد بصير ، ولافيما يتعلق بغيرها ، لان ما أعرفه قد تقدم ، الا اننى أقول ان فى الزاوية طاحونة كبرى تدار بالبهائم قد كفت العيال مؤونة الطحن ، والعشرات من الفقراء الملازمين كذلك ، دابهم الطحن والاشتغال ، ولكن الاستاذ الرفاكى معذور ، لانه غائب عن الواقع ، وانماهو مؤرخ ، ـ كما يقوله متكررا فى كتابه ـ يكتب ما يسمع ، ومن روى ما يسمعه كما سمعه ، فليس عليه من شىء فى مذهب بعض المؤرخين ، من جملتهم الاستاذ الرفاكى (حفظه الله) وازيد ايضا ان هذه القضية ما اثارها بالقلم الا قولهذا المؤرخ الجليل ، والا فلا دوران لها ، منذ رجعت المياه الى مجاريــهــا، ورضى الاستاذ ابــن العربــى ، وقد رأيــت ان آخر زورة كانــت قبل وفــاتــه

بشهرين ، ولم اعهد قط من والدتي انها نقمت على والدى قلامة ظفر ، الا ما لابد منه من جراء الضرائر ، وذلك امر مدخول عليه من أول يوم ، على ان كلام هذا المؤرخ الجليل ، يحوم حول غير ذلك الذى يتعلق بما بين الضرائر كماتراه

نعم حدثتني ان الشيخ حثها يوما على ان تسافر لزيارة اهلها قالت ، فأبيت انا لان عادة ضرائرى لااريد ان اتخطاها قيد انملة ، هكذا ذكرت لى رحمة الله عليها

ثم لاباس هنا ان أروى حكاية حدثتني بها الوالدة رحمة الله عليها قال استدعاني الشيخ الى بيت في الدار عينته لى ، قبل ان يذهب الى سياحته الاخيرة التي توفي بعد رجوعه منها ، فقال لى : يافلانة ان لك علينا حقوقا جمة لانك شريفة ، ولانك حافظة لكتاب الله ، ولانك بنت شيخنا ،ولانك لاتزالين في مقتبل عمرك ، أريد منك الان ان تصرحي لى بما في ضميرك بعدى فانني ان شاء الله ان رجعت من هذه السفرة ساذهب الى الحج او الى ما يريده الله ، فان كان خاطرك يتعلق بالزواج بعدى ، فاذكرى لى ذلك الآن ، فان فلانة وفلانة لضرتيها الاخريين، أعلم ان الزواج لاغرض بعد لهما فيه ، لكونهما تجاوزتا سنك ، ولكنك انت لست مثلهما ، ولذلك اذكرى لى ما يظهر لك ، قالت فانهلت عيناى بالعبرات ، وعلوت شهيقا ، وهو يكرر على ان تكلمى ، اجيبى ، حتى الح على كثيرا ، فقلت له ليهدأ بالك ياسيدى فانه لاخير في الرجال بعدك ، فلست بهذه التي تكلمك ان قبلت ما ذكرته لى قالت ، فقال لى لاباس بذلك ، وانما أريد ان اختار لك انا بنفسي ، فان اختيارى اولى من اختيارك انت ، ان كنت ترغبين في ذلك ، قالت فقلت له كلا ثم كلا ، بل ابقى على اولادى حتى التحق بك ، قالت فكنت من ذلك اليوم اعلم ان الشيخ ميت لامحالة ، فطويت نفسى على شجن الله اعلم به ، ثم لما رجع وسقط مريضا ، أيقنت بالواقع ، وتعجلت وحدى المضض ، والناس كلهم لايعرفون ما اعرف

هذا ما حكته لى رحمة الله عليها والله شهيد ، وكفى بالله شهيدا ، ثم قالت لى ان هذا لاينبغي ان تقوله لاحد ــ تعني في ذلك الحين ــ فانني لم اذكر هذا لغيرك ، ثم بعد ذلك ذكرت الاخت عائشة قرينة سيدى سعيد التناني انها أيضا ممن تلقاه عنها •

هل يتفضل الاستاذ الرفاكي (حفظه الله) ، ليسمع كل هذا ، ليعرف ما خفي عنه ، فان له الفضل كل الفضل في اثارة هذا الموضوع حتى ظهرت الحقائق ، وبرزت مطويات الصدور ، فكثير مما مر في هذا الموضوع ما كنت لاعرج عليه ، لانه من احاديث الاسرة ، ولاينبغي ان يتحدث بمثل ذلك في كتاب عام كهذا ، ولكن بعد ان دفعنا اليه الاستاذ حفظه الله ، فاننا خضناه مكرهين •

واذكر انني زرت أبا الاسعاد الكتاني في عرصة (الجبل الاخضر)

في (الرميلة) في (الحمراء) في اواسط سنة : ١٣٥٤هـ فكان ما فاتحني به وقد جرى ذكر كتاب الاستاذ الرفاكي الذي انتسخه وطالعه في تلك الايام ، هذا الموضوع فظللت ابين له ما اعرف ، حتى ادرك الحقيقة ، واظنه قال : ان هذا هو المظنون باولئك الناس ، اومثل هذا الكلام ، وهكذا القلم ماجرى في شيء الا دعا اليه أفكار المطالعين الجفلى ، حتى يستكشفوا ما هناك من خبايا ٠

ثم ان الوالدة بعد ان توفي الوالد : ٢٨ - ١٢ - ١٣٢٨هـ وفت بوعدها، فلم تصغ الى من يعرضون لها بان لاتئد شبابها ، وكل ما فعلت ان اقترحت ان تخصص لها شقة من الدار لتنفرد فيها بصبيتها الخمسة ، اكبرهم هذا العبد الكاتب ابن عشر سنين ، واصغرهم الاستاذ ابراهيم ابن خمسة اشهر، فلبست للحداد لباسه ، ثم ولت للتبتل وجهتها صابرة راضية ، فاذا زهرة شبابها تذوى بسرعة ، وصعدتها تنحني الى الامام من آثار ما لابد ان تلاقيه وهي ايم لهـــا صبية صغار ، وربما لاتجد كل ما يحتاجون اليه في كل وقت في (الغ) ، ولذلك ربما حفزها حافز ، فطلبت النقلة الى زاوية المعدر ، لتمضى فيها ما بـقـى من عمرها ، فقد وقفت على مراسلة للاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى في ذلك ولكنها هدأت نفسها بعد ٠ واقلعت عن تلك النية ، فلزمت السكون ، حتى دب اليها ما يدب الى كل حي ٠

مراسلات الاستاذ ابن مسعود

كان العلامة محمد بن مسعود ابن خالة هذه السيدة المترجمة ، ولذلـك فاتحته في هذا الذي كان خلج في ذهنها ، وهاك ما يتعلق بذلك ٠

الرسالة الاولى

الشيخ الاعز الاصيل ، ذو الفخر الجليل ، والمجد الاثيل ، مولانا ابـو عبد الله سيدى محمد ابن الشيخ الاكبر العارف الاشهر ، القطب الربانـي الغوث الذاتي الحقاني ، مولانا ابي الحسن سيدى الحاج علي بن احمد الالغي رضي الله عنهما وعنا بهما ، وسلام على السيادة العلية ، ومن تعلق بها أهـــلا وصحابا ، ولازائد بحمد الله الا الخير ٠

هذا وقد وصلني هنا كتابة للسيدة زوجة الشيخ بنت الفقيه الادوزى، حاصلها : أنها اشارت الى استشارتنا في النزول الى سكنى زاوية الشيخ بالمعدر وذكرت ان الشيخ رضي الله عنه ، كان اشار عليها في حياته بذلك ، فاجبتها بأننا لانكره ذلك ، بل احببناه وفرحنا به ، واشرت عليها بالتثبت وعدم العجلة وادامة الاستخارة ، ولم ازد لها على ذلك ، غيراني قلت لها : متى عزمتم عــلى النزول ، فأرسلوا الينا لنهيىء الفراش والاوعية ٠

هذا حاصل ما كتبت به الى ، وحاصل ماجبتها به ، وسيدنا ينظر فى ذلك ، فنحن لايظن بنا اننا نستثقل احدا من اهل بيت الشيخ رضى الله عنه ولكن نحب ان لانبخل عليه بما ظهر من النصح ، فان تيسر اعمال مقتضاه، فذاك ، والا فالخير فيما فعل الله ان شاء الله ، فالذى حضرنى الان ان الاولى ان يتنازل سيدنا بما أمكنه الى الغاية لجميع من فى الدار ، فانهم عيال سيدنا الشيخ الاكبر ، والبرور بهم برور بالشيخ ، والرفق بهم والاحسان اليهم والتواضع لهم ، والرحمة لهم ؛ والشفقة عليهم ، وتحمل اذاهم ومعالجة تباين اخلاقهم ، وايثارهم على النفس ؛ والتحليل بكل ممكن فى ستر احوالهم وجمع شملهم ، حتى يبلغ الذكور ، ويقوموا على انفسهم ، كل ذلك من طاعة الشيخ والدكم رضى الله عنه ؛ وما علمت ان يسره لوكان حيا ، كان يتأكد عليك السعى فيه بجدك وجهدك ، وما علمت أنه يسوءه لوكان حيا فى حقهم ، وحق غيرهم ، يجب عليك اجتنابه بالكلية ، والتنصل عما وقع منه ، وارضاء من أسخطه ؛ ممن كان من جانبك ، حتى يزول ما فى خاطره ، ولو بالتطارح عليهم وتقبيل رؤوسهم واقدامهم ، والتباكى بين ايديهم ، حتى يرقوا وتزول حزازة صدورهم .

فهذا وامثاله هو الدال على كمال عقل سيدنا أيده الله ، وصلاحيته للخلافة المعنوية ، والقيام بأمر طريقة الشيخ ، رضى الله عنه ، وهو الذى يسر الصديق ويكبت العدو ؛ والعكس بالعكس ، فليحذر سيدى ان يسمع عنه سادتنا الاخوان ، وجميع من له أدنى انتساب الى الطريقة ، انه اخل بشىء مما يجمع قلوب اهل الدار عليه .

وقد كنت وصلنى على يد بعض الثقات اهل الصدق من الاخوان ، خبر باشتكاء السيدة المذكورة بشىء من غليظ الكلام ، صدر اليها من سيدتنا جدتك من قبل الام ، اعنى الغشانية ، وقد قالت لها فى جملة ذلك : ان كان لك دار، فالحقى بها ، او ما يقرب من هذا ، هذا بلغنى ممن اجزم بصدقه ، من خاصة الفقراء بحيث انه عندى محقق كالشمس ، فمثل هذا لاينبغى اهماله ولا التساهل فيه ، بل يليق ويتأكد كالمتحتم ، ان تلقى بالك ، وتصرف حظا وافرا من تيقظك وتنبهك الى جميع أمور الدار ، وتباشر تفاصيلها بنفسك ، وتسد من الذرائع ما يخشى انفتاح الشر باهماله ، واتساع الخرق فى شانه ، وذاكر النساء فى شأن التواضع بعضهن لبعض ، والصبر والحلم والفتوة ، والصفح عن العثرات ، وأمثال ذلك ، واعمل وجوه النظر والفكر ، لينصلح به أمر عيالك ورعيتك ؛ ففى الحديث ؛ كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته ، وابتهل الى الله تعالى فى اصلاحهم ، وتأليف قلوبهم ، واحتل لهم بالرفق والتلطف فى الحضور الى مجالس الذكر والوعظ ، وأقم المجلس بحاله المعهود فالنار لايطفيها الا الماء ، أترى أن سيدنا الشيخ الاكبر رضى الله عنه ، كان

يفعل ذلك كله عبثا ، كلا ، فما الصق زاوية النساء بمحل ذكر الفقراء الالذلك ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، وكل ما لايحبه الله تعالى ، ومنه سوء الشحناء بين العيال ، والتباغض والتحاسد والتدابر ، فهو من المنكر ؛ ولا بد من اعتناء سيدنا ايده الله بهذا الامر وتشميره عن ساعد الجد فيه . بما ذكرنا من صرف الهمة الى مجلس الذكر ، واقامة الواعظ ، وتوجهه بصفو لبه الى حضرة ربه ، والسعى بغاية جهده ، في اصلاح ذات البين لكل من فى دار والده رضى الله عنه ، فهذا كله من طاعته المفروضة عليه

فان سكن ما تشوش منهم فذاك والحمد لله ، وان عزمت السيدة ابنة الفقيه الادوزى على ما ذكرت ، وصممت عليه ، فلاتمنعها قهرا ولو بالتهديد ، وكل أمرها الى اللهتعالى ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وأما اولادها الذين يقرأون فهم فى نظرك ، فانظر ما يصلح بهم ، ليس لها ان تذهب بهم الا برضاك ،الا أن لها أن يزوروها فى نحو العواشر ، هذا هو حكم الشرع بعد تعذر الارضاء والله تعالى من فضله ياخذ بأيدى الجميع ، ويتولانا واياهم ءامين ، وذاكر فى هذا كله فيهذا كله الاخ سيدى سعيدا التنانى ، فان ظهر له حيلة او وجه ، فاستعن به ،والله المعين ، ولاباس ان نرى كلامك بعد ذلك ، والسلام •

فى اواخر ربيع الثانى سنة : ١٣٢٩هـ عبيدكم : محمد بن مسعود

الرسالة الثانية

وقال منرسالة أخرى فى مثل هذا التوجيه ، تقدمبعضها فى ترجمة سيدى محمد الخليفة فى (الجزء الثانى)

(واما امر السيدة الادوزية ، زوجة الشيخ الاكبر ، رضى الله عنه ، فانظر ؛ وذاكرها انت بنفسك ، واعزل لها دارا ترضاها واجبر خاطرهاجدا وان طلبت حضور احد اخوتها لذلك ، فارسل اليه ، وانلمتطلبه فانت كاف والسلام •

وقد طال الكلام ، ولكن فى بسطه شفاء للنفوس كما قيل :

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ما لم ينلك بمكروه من العذل

وليعذرنا الشيخ ، وليدع معنا ، فاننا والله نحب له كل خير والسلام)

نعم اعزل للسيدة الادوزية كل ما ترضاه من متاعها ، وحظوظ اولادها من الغلة ، وافعل معها ما تحب كله ، مما يقطع العلقة بينها وبين بقية النسوة وقل لها : انا خديمكم داخلا وخارجا فى الحطب والبهائم وغيرها ، والشيخ كان لم يمت ، فهذا هو الذى يرضاه الله ، والشيخ منك سيدى ، والسلام

* * *

انقاد الاخ سيدى محمد الى ما أوصاه عليه استاذه ابن مسعود ، فعزل لها ولاولادها دويرة خاصة ، فكانت تشكره دائما على ذلك ، وتقول ان محمدا ربح منى حين حال بينى وبين مخالطة النساء ، ثم انصحتها انهدت فى سنين قليلة بسرعة ، فانتشبت فيها ادواء ، فحفزها مجموع ذلك الى ان تخلص وجهتها لله ، وقد اخبرتنى الشقيقة فاطمة التى تلازمها دائما انها تعودت ختم القرءان فى كل أسبوع ، وتتحين بالختم يوم الجمعة ، قالت فتجمعنا حواليها اذذاك فتشملنا بالدعاء ، هذا وانى منذ ١٣٢٩هـ قد التحقت بالمدارس ، وما كنت استحضر من احوالها كثيرا ، ولذلك ترانى انقل عن غيرى ، وما كنت ألم بها الا فى العواشر ، فكانت كلما راتنى تناولت كتابا للمطالعة ـ هبه الف ليلة وليلة الذى هو أول كتاب طالعته فى ابتدائى ـ تجلس الى ، وكلها سرور حين بدأت تتطلع الى امانيها فى ، وقد استحضرت اننى سهرت ليلة فى تلاوة قصة عجيب وغريب المشهورة فى ذلك الكتاب ، فقالت : الحمد لله الذى احيانى حتى رايت ولدى يسهر على كتب العلوم مطالعة ، وسمعتنى مرة اسرد من كتاب حديث لبعض الفقراء فى رمضان ، تشبها بالشيخ الوالد ، وافسر لهم مافيه فحين دخلت اليها ، لاقتنى ؛ وهى ترفرف فرحا ، غير انها انتقدت على : اننى اسرع فى كلامى ، حتى لايكاد السامع يفهم خطابى ، كما انتقدت على مرة اخرى اننى اسرع عند تلاوة الدعاء ، فقالت ان التأنى هو حلاوة الكلام ، فكانت هكذا تنتقدنى ، على حين انها تستبشر بما يخيل لها اننى فيه كما تحب .

كنت طالعت من كتاب ترجمة الجيلانى البغدادى كثيرا من اخباره ثم خطر لى سفر الى حوز (الحمراء) اواخر سنة ١٣٣٦هـ فقلت لها ياماه ، اطلب منك ان تهبينى لله ، كما وهبت ام مولاى عبد القادر ولدها لله ، فقالت: اننى اهب منك كل ما املكه لله ، فليكن الله فى معونتك ياولدى ، غير اننى اتطلب منك أن لا تنقطع عنى ما دمت حية ، وكنت اذذاك أظن اننى بتمثيل هذا الدور اصبح كالجيلانى ، وتلك بعض خطرات الصبا التى لا تؤسس الا على الامانى والمحاكاة ، ثم وفيت لها بطلبتها ما استطعت ، فكنت أقطع مابين الحمراء الى الغ ذهابا وايابا فى اكثر من شهر على البهائم ، ولكن اصحاب والدى فى الطريق يجعلون هذه السفرة الطويلة الشاقة كأنها نزهة من النزه حين يمر بهم ولد شيخهم فيفرحون به ، ويكرمونه بكل ما فى وسعهم ، ثم يرشدونه الى ما يعرفونه من طرق الخير

فى سنة ١٣٤١هـ زرتها فرأيتها تمشى مقوسة نحيلة ، ووراءها حفيدان لها بنت للحبيب الاخ ، واخرى لفاطمة الاخت ، فقالت ياولدى انه قد

حان الوقت ، وقرب الاجل ، فقد كان عهدى بام ابيك ـ تاكدا ـ فارقتالحياة حين كنتم يا احفادها تتبعون خطواتها ، كما يتتبع هذان خطواتى ، ثم تطلبت منى ان أرسل اليها بعض ما تحتاج اليه فى نقلتها من هذه الدار الى تلك الدار على عادة كثيرين من أهل بلادنا الذين ينتظرون اليوم الاخير ، من تهيئتهم للكفن والحنوط ، ثم رجعت انا الى الحمراء ، ولم الق لكلامها هذا بالا والشباب مطية الجهل ، وكل من كان فى مثل سن العشرين يغمى عليه ، فلايدرك الحقائـــق حتى تنطحه بقرونها •

تلتحق بالرفيق الاعلى

فى يوم من ربيع الاول سنة : ١٣٤٢هـ وأنا جالس فى بيت احد اصدقائى فى المدرسة اليوسفية بالحمراء ، حمل الى البريد رسالة ، ما كدت أفضهاحتى سقطت من هول ما قرأته فيها •

كتب الى استاذى سيدى سعيد التنانى رحمه الله تلك الرسالة يعزينى فى الوالدة ، ولكن ليت شعرى هل عبارات المعزين هى التى تسلى القـلـوب المرزأة بالكوارث الجلى ؟ او تطاول الازمنة ، هو الذى يضمد الجراح ، ويمسح ما فى قلوب المحزونين •

لايزال ذلك النهار ماثلا بين عينى الى الآن كما لايزال مثله ماثلا بين اعين كثير من القراء الكرام ، وكان الوقت وقت العصر ، فسفحت العين ماسفحت ، واجرت الانفاس الزافرة ما اجرت ، فخرجت مع صاحب لى هناك الى (الباب الجديد) حيث ننتبذ عن جلبة المدينة ، وضوضاء ازقتها ، فصرنا بعد ماسكتنا طويلا نتحدث حول هذا المصاب العظيم على ، فلم البث ان ملت الى اليراع، وأنا على شفير جدول هناك ، فامليت على لسانه مفتتح هذه القطعة فى ورقة صغيرة فكنت كلما ازددت شطرا ، أحس باننى استرد من حياتى التى كنت اضللتها منذ حين شطرا ، فأتممتها ، فكان من العجب ان بقيت فى مبيضتها بين اوراق حتى وقعت عليها ، وانا فى هذا المنفى الذى لايقل رزءه عن ذلك الرزء ، وهكذا ترد الصدور الاعجاز حتى فى المآسى ـ ولله الامر من قبل ومن بعد ـ

وهاك ما قلت اذذاك على مافيه ، فاقرأ وارق فى درج الجناس ، حتى تتم مراقى الابيات امامك ، لتعرف كيف ينظم المختار سنة : ١٣٤٢هـ :

عجبا لنفسى لاتذوب صفاتها	والام قد وردت على نعاتها
طلعت رسالة نعـيهـم فتناثرت	من أدمعى الحمراء منظوماتها
ما فى عبارات الرسالة غيرمـــا	تمرى به من اعينى عبراتها
ما كدت اقرأ ما بها حتى همى	دمعى فكادت تنمحى جملاتهـا
فزفرت زفرة مايؤجج من غضا	فتهيج ما بين اللظى زفراتهـا

لو لم ازحزحها امامي سرعـــة — لتحرقت من زفرتي جنباتهـــا
فكانما ينحو الاسى بسطورهـــا — نحوى كما تنحو الحروب كماتها
فقسيه نوناتها ، وسيوفــــه — راءاتها ، ورماحه ألفاتهـــــا
كلم الفؤاد بلفظها فكانمـــا — تلك الكلام تجانسا كلماتهـــا
ياليتني ما كنت اسمع قبل ذا — فاصم حين تجاوبت صرخاتها
او ليتني ما كنت ابصر علني — لا أهتدى اذ لاح مخطوطاتهـــا
رزء عظيم ما اصبت بمثله — مذ فتحت من اعيني مقلاتهـــا
ومصيبة جلى وكارثـــة لها — ما بين أعماق الحشا طعناتهـــا

* * *

امي وما امي ، فقدت بفقدهـــا — عطفا تجللني به شفقاتهـــــا
امي وما أمي ، فقدت بموتهـــا — من كان لي كل النعيم حياتها
ياليت اني من يموت فداءهـــا — كيلا يجرعني السموم مماتهـــا
من ذا يقابلني برحمي مثلهـــا — وهي التي تنهل لي رحماتها ؟
من ذا يشجع للمعالي همتي — وان اعتلت وتطاولت هاماتها ؟
من ذا يحثحثني الى قطف العلو — م وان خير المجتنى ثمـراتها ؟
آه على امي الشفوق فليتني — جاءت نعاتي حين جاء نعاتـهـــا

هذا ما شيعت به تلك الوالدة ، حين جرعتني ما جرعتني بثكلها رحمهاالله

بعض فوائد عنها

قد كنت استفدت منها بعض فوائد ، نذكرها لا لعظم فائدتها ، بل ابقاء لآثار تعليمها رحمها الله وجعلها في الفردوس بفضله

منها انها انشدتني هذين البيتين ، وكررتهما علي حتى حفظتهما مـن املائها ، وهما مشهوران :

ان النـعـــاس والكســـل — أحلى مـذاقـــا مـــن عسل
ان لــم تصدقـنـــي فسل — من كان قبلي قـــد كسل

أنشدتهما لي في معرض استنهاض همتي ، وترك النوم والكسل جانبا ، ان أردت ان أكون حقيقة رجلا عاملا .

ومنها أن من أراد أن يستفيق في أي وقت شاء من الليل ، فليقرأ بعد أن يأخذ مضجعه ، ويجعله آخر كلامه : آيات (ان الذين ءامنوا وعمـــلـوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس ....) الى تمام سورة (الكهف) علمتني ذلك لانني الاقي من المعلم ما الاقي ان لم استفق سحرا ، وهذه الفائدة ذكرها بعض المفسرين ومنها ان الثوءلول تقرأ عليه آية (لم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم

الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا) تقول ذلك وانت تدير به أصبعك ، وتكرر لفظة (موتوا) ثلاث مرات •

ولها رحمة الله عليها تمكن في الذى يحتاج اليه من فقه العبادات بلسان الشاذلية ، ويد لا تعرف الا ان تناول بيدها كل ما في متناولها كرما ، وقد سمعت سيدى ابا بكر بن عمر يقول كنا نحن المتجردين ، لانجروء ان نتطلب ما نتوقف عليها الا منها ، لعلمنا بسماحها بكل ما تملك • وختاما هذه حياة والدتي أكتبها متحريا ان لا أقول الا ما اعلم ، ولأزكيها ، فالعلم الحقيقي عند الله ، الا أنني احسن الظن بها •

(ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ، قال رب اوزعني أن اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلي والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي ، اني تبت اليك واني من المسلمين ، اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيآتهم في اصحاب الجنة ، وعد الصدق الذى كانوا يوعدون)



مريم الصحراوية

نحو ١٣١٦هـ = نحو : ١٣٥٧ هـ

نسبهـــــا

مريم بنت محمد سالم بن عبد الله بن احمادو ، مـن قبيلة آل سالـم المشهورين بالعلم من اجيال الى الآن ، وفى اسرتهم علماء كبار يدرسونويؤلفون وقد توفى من يسمى منها غارى ، ولايزال منهم علماء احياء الآن : ١٣٧٨هـ

مريم هذه قرينة محمد سالم بن عبد الفتاح الشاعر العلوى الشنكيطى المتقدم الذى سكن باهله فى الغ ، بعد : ١٣٥٠هـ ماشاء الله ، فكانت هـــذه السيدة العالمة ، حين نزلت مع زوجها فى (الغ) تعلم بنات آل الحاج صالح فى دار الاستاذ سيدى المدنى بن على ، فذكر لى عنه ان لها وراء اتقان حفظ القرءان يدا حسنة فى العلوم ، وكان لها فى تلاوة كتاب الله العجب العجاب بغنتهـــا الصحراوية الحلوة

شهدت نساء دار الاستاذ انها تبقى كذلك طوال الليل ، وفى الاسحار، يقلن ندرها كذلك عند نومنا ، وان تاخرنا عن المنام كثيرا، ثم نجدها كثيرا عند افاقتنا عند السحر ، ولاندرى متى تنام ، وقد اعتنت باولادها وبناتها فى التعلـيم .

احوالها

كانت السيدة (ماحا) والدة الشيخ النعمة ، وزوجة الشيخ ماء العينين عالمة كبيرة محصلة ، مشاركة مشهورة بالتفنن ، فاتصلت بمريم هذه ، فربتها وعلمتها . وأخذت عنها حسن السمت والاخلاق الطيبة ، فكل ما ذكرناها به من التلاوة والتهجد انما حصلته من السيدة التى ربتها وعلمتها ، ثم زوجتـها لزوجها المذكور ، حين لازم ولدها الشيخ (النعمة) ووالدة محمد سالم خالـة الشيخ النعمة ، ولذلك زوجته بهذه التى ربتها .

ومما يتعلق بالسيدة انها ضيفت يوما انسانا ، فقال زوجها بسبب ذلك قطعة ليس عندنا الا مطلعها

ماذا تحاول ويحها لك مريم ولضيفها فى الناس ضيـف مكرم

هذا ما سمعته عنها ، وقد انتقلت مع زوجها عن (الغ) اواسط سنة ١٣٥٥هـ الى (تادلة) فى زاوية الشيخ سيدى ابراهيم ابن‌البصير ، لتعليم بناته ، وهو ساكن فى قبيلة أيت عياط ، ثم انها توفيت هناك فيما بلغنا اما فى سنـــة ١٣٥٦ هـ واما فى التى بعدها .

الفصل الثالث

في الوفقاويين

وفيه من الرجال

العلامة الحاج مسعود الوفقاوى الشهير

النوازلى سيدى محمد بن مبارك

الفقيه سيدى الحاج احمد نيت اوبريك

النجيب سيدى احمد بن مبارك

القاضى سيدى احمد بن ابراهيم الوفقاوى

الفقيه سيدى عبد الله بن احمد نيت اوبريك

النجيب سيدى مبارك بن احمد العكيدى

الرئيس الشيخ ابراهيم الوفقاوى



سيدى الحاج مسعود الوفقاوي

٣ ـ ١٢٩٥ ـ ع = ليلة ١١ ـ ١ ـ ١٣٦٦هـ

نسـبـه :

مسعود بن احمد بن ابراهيم

وآله يسمون (آل تاعدويت) ، ويقطنون قرية (دوتمنروت) وهى مسقط رأس هذا الامام الكبير ، ألعلامة الشهير ، احد مفاخر (الغ) الخالدة ، والفذ المبرز في التدريس والتخريج في عهد اقفر فيه من التدريس ساحله ، وعريت افراسه ورواحله ، يقبل كل علماء سوس الباقون على خويصتهم ، وقد لووا الرؤوس تحت الاجنحة ، فيقبل هو على محافل التعليم العربى وفنونه المتعددة بهمم رفرفة الاجنحة ، فسبحان من قسم الحظوظ ، وصير كلا الى ما خلق له .

متعلمه للقرآن

أخذ القرءان في مدرسة (تازموت) عن الفقيه المعلم لكتاب الله ولفنون المعارف سيدى محمد المافامانى العلامة الشهير ، بين علماء اسرته الماجدة ، وكذلك أخذه أيضا عن الاستاذ سيدى محمد المعروف باسم (كدرار) الجبـلى من تلك الاسرة أيضا ((وأخذه أيضا في مدرسة (المولود) الرسموكية ، عـن الاستاذ الفقيه المعلم لكتاب الله ، والمدرس فى فنون شتى : سيدى مسعـود ابن مسعود التيروكتى الرسموكى)) فعن هؤلاء جود القرءان واتقن حفظه ورسمه

اساتذته في الفنون ورحلته العلمية

افتتح الجرومية سنة ١٣١١هـ على يد العلامة الملحق للاحفاد بالاجداد ابى العباس الجشتيمى ، مفخرة جزولة ، فكتب له بيده المباركة (الكـلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع) ثم التحق بالاستاذ سيدى عـلى الاسكارى في مدرسة (تاهالا) فاخذ عنه المبادىء النحوية والفقهية ، واتم عليه الجرومية وأخذعنه بعض رسالةالقيروانى ، ثم التحق بالمدرسة (الايغشانية) وفيها الاستاذ الاديب الكبير سيدى العربى الساموكنى ، فصادف هناك لدته سيدى عبد الله ابن محمد الصالحى الالغى ، فكانا معا فى طبقة واحدة ، في متون الابتـداء ، فأخذ هناك (المرشد المعين) ومن (باب الاضافة) من الفية ابن مالك الى آخرها وبعض (الرسالة) ثم انتقل ١٣١٢هـ الى المدرسة (الالغية) فربض فيها ازيد من أربع سنوات ، عند استاذيها ابى الحسن الالغى ، والتاجارمونتى ، ثم انتقل

الى مدرسة (تانكرت) الافرانية ، وفيها الاستاذ سيدى محمد بن على اكيك ـ الرعد ـ فثابر عنده عامين ، وفى سنة : ١٣٢٢هـ غادر سوس ، فنزل فى مدرسة (اخليج) فى قبيلة وريكة ، عند استاذها العلامة سيدى الحاج على الوريكى ، فلازمه اربع سنوات تامة ، وزيادة ثلاثة اشهر وفى سنة : ١٣٢٥هـ نزل فى الحرمين لاداء فريضته ، وللاخذ ، فجاور هناك سنة ، كان ياخذ فيها عن العلامة شيخنا شعيب الدكالى : الشمائل والفية ابن مالك ، ثم رجع بحجتين ، وفى سنة ١٣٢٦هـ كان نحو خمسة اشهر فى (مدرسة سيدى حسن او حسين) الكيلولية ياخذ عن استاذها العلامة سيدى محمد بن القائد الكيلولى فيها بعد ماحج معه ذهابا وايابا ، وقد كان قليلا عند أبى العباس البوزوكى الكيسيمى قبل ان يغادر سوس الى خارجه

فهؤلاء مشيخة المترجم ، وهكذا كانت رحلته العلمية التى رجع فيها ريان بالمعارف ، متوجا بالتفوق ، مشارا اليه بالشفوف على الاقران ، أخذتها عنه من فيه

مشارطاته

كان اولى مشارطاته على يد الشيخ الالغى ، فقد قدمه الى القائد عبد المالك المتوكى اثر مارجع من تينك الحجتين المتقدمتين ، فشارط فى قرية (بووابوض) دار القائد سنة ، وقد حكى لى ان الشيخ الاحسن البعقيلى هذا الذى له أليوم شهرة كبرى فى الطريقة الاحمدية ، كان معه اذذاك ياخذ عنه ،قال وقد كان معنا فى (اخليج) فى مبادىء اخذه •

ثم شارط بعد فى مسجد (تازانتوت) باد اوتنان مرتين ، وقد كان هناك: ١٣٣٠هـ ثم فى مدرسة (ايت باها) بهشتوكة ، ثم فى مدرسة (ايغيلالن) الى ان اسود مابينهوبين الطاغية القائد محمد ابنالحاج الحسن الاينزكانى الكسيمى فهرب الى هشتوكة ، فشارط فى مدرسة (ايكونكا) ، سنة ١٣٤٠هـ وفى هذا الوقت جرت المكاتبة بينه وبين شيخه ابى الحسن الالغى فكتب اليه استاذه تلك الرسالة التى ذكرناها فى ترجمته ، وفيها القصيدة الطاهرية التىمطلعها:

ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود   وفوقه ظل لطف الله ممدود

ثم بعد افول نجم الطاغية راجع مدرسة (ايغيلالن) حيث تحيط به السعادة ، وتهمى منه سحائب المعارف الى الآن سنة ١٣٦١ هـ

اجازاته من اشياخه

اخبرنى انه مجاز من الشيخ شعيب الدكالى ، ومن الاستاذ ابى الحسن الالغى ، ومن العلامة سيدى محمد بن على اكيك ، ونص اجازة الاستاذ الالغى

وفيها الاجازة فى الطريقة ايضا

حمدا لمن أدام بدوام المجددين ، رونق هذا الدين ، وذب عنه بصوارم أقلام العلماء المهتدين ، شبه الفرق الضالة ومختلقات المعتدين ، وجعل اتباع السنة النبوية لامراض القلوب شفا ، وانهل وعل من وفق لخدمتها من بحور الفضل والمنة بما رق وصفا ، والصلاة والسلام بلا نهاية على من يسن سنة الاسناد ، وتلقاها الائمة براحة القبول دون جحد وعناد ، فقال صلى الله عليه وسلم : نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها ، واداها كما سمع فرب مبلغ اوعى منسامع ، وقال فى حديث ءاخر : ليبلغ الشاهد منكم الغائب وعلى ءالهوصحابته الاكرمين •

وبعد : فان الاجازة فى طرق العلم واسناده ، والانتظام بالرواية فى سلك من ارشدهم الله لاصداره وايراده ، قوم أيدهم الله لدى مناضلة الملحدين بنصرته ، وشوقهم لاملاء ادلة الدين والتحلي بنصرته ، مما سنه الاقدمون واكدوا عليه ، ويزكو به علم الرجل وما من الاستنباطات لديه ، والذلك وبسببه استجازنى علامة عصره ، ونبراس مصره ، محبنا واخونا وولدنا وسيدنا الفقيه التقى ، والندب النقى ، زائر الحرمين ، ومحمودالطرفين سيدى الحاج مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفقاوى ، صاننى الله واياه من المساوى ظنا منه انى اهل لسلوك تلك المهامه الفيح ، وان الباع فى العلم والعمل به مديد فسيح

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما ان عين السخط تبدى المساويا

والله يعلم انى لست من رجال ذلك الميدان ، ولاممن راض نفسه الا مارة بالعلم والعمل او دان ، والامر كما قيل

لعمرك ابيك ما نسب المعلى ... الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت ... وصوح نبتها رعى الهشيم

لكن وجب لحسن ظنه اسعافه ، فاقول وبالله التوفيق ، وهو الهادى لسواء الطريق

اجزنا أخانا المذكور بما أخذته عن اشياخي الذين فضلهم اشهر من ان يذكر ، وقدرهم يعرف ولاينكر ، من جميع مقرواتى ومسموعاتى ، قراءة أو املاء او أخذا او اذنا ، اجازة مطلقة عامة ، غير مقيدة ، فى جميعفنون العلم وكذلك اجزناه فى الطريقة الاحمدية الكتمية ، اجازة عامة فى جميع ما تضمنه كتب الشيخ رضى الله عنه ، وما استنبطه اتباعه الجهابذة من الاوراد اللازمة وغير اللازمة ، كما كان الاذن بذلك عن اشياخنا رحمهم الله ، ورضى عنهم وارضاهم عنا ، وذلك على الشرط المحرر ، والامر المقرر ، من كلمة لا ادرىفيما

الايعلمه المسؤول ، فانها للعالم جنة ، متى اخطاها اصابته جنة ، وعلى ما قرر في كتب الشيخ من الشروط الواجبة والمندوبة ، والتحلى بالاخلاق المرغوبة ، والتخلى عن الرعونات المذمومة ، والسير على النهج الذى سلكه المقدمون الاخيار الذين آنسهم الله بقربه واوحشهم من الاغيار ، رضى الله عنهم وعنا بهم ءامين ومنها أبيات اجزت بها بعض الاخوان فى الله كانت أحق بهذه الاجازة المباركة وأهلها ونصها

هذا وان العبد ليس لما به ... حليت اهلا من شفوف المقعد
حطت لـــه اقـداره ... وزرت به اوزاره وسط الندى
كسرته بـاء بطالة انى لـــه ... رفع بفعل فى التقى لم يوجـــد
لكن لحسن الظن منك رأيتـــه ... بابا وسلم نيل ذاك المقصد
وطلبت كتب اجازة اطلاقـهـا ... تغدو حقيقتها مجاز المسنـد
تروى بها عن جلة من شيخـــــة ... غر ويروى عذبها القلب الصدى
وذكرت ان لذاك سرا بينا ... ما كان يخفى عن بصيرة مهـتدى
فاجزتك المقرو والمروى عـــن ... أشياخنا الاعـــلام للمسترشد
واجزتكم سند الطريقة من ابـى ... عثمان للشيخ التجانى احمد (١)
واليه من ركن الطريقة سيدى الـ ... ـحاج الحسين سليل قوم مجـد
وعليك تقوى الله فهى ملاك مـــا ... تبغى من الخيرات طول المسند (٢)
ودع الملا هى والمناهى واعـتـزل ... متشمرا متشوقا مجد الغـد
حتى ترى ريان من بحر الندى الـ ... ـفياض من خير الخلائق احمد
صلى عليه الله ما هـبـت صبا ... فصبت الى نجد قلوب المجد
وعلى صحابته الكرام وكل من ... يقفو طريقتهم ليوم الموعـد

وأوصى المجاز ونفسى بتقوى الله ومراقبته فى السر والعلانية ، والرضا بمقاديره الجلالية والجمالية ، فذلك ملاك الاخلاق الكمالية ، وعنوان سعادة الحقيقة الانسانية ، وأوصيه أيضا بما فى ءاخر العهودالمحمدية للشعرانى رضى الله عنه ونصه

أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم : الا نغفل عن محاسبة أنفسنا فى جميع أحوالنا ، لاسيما العلم والمال والعمـر والجسم ، فمن حاسب نفسه هنا خف حسابه هناك ، وكان يسيرا ، ومن أهمل نفسه هنا طال حسابه هناك ، وكان عسيرا ، (الى ان قال آخر العهد) واعلم ان أكـثـر

---

١) اخذت اولا عن الشريف مولاى عثمان البلغيثى المراكشى ، ثم عن المقدم الاشهر الشيخ الافرانى رضى الله عنهم ءامين انتهى من حاشية الاجازة .
٢) الدهر

الناس اليوم عدموا مناقشة نفوسهم فى العمل بعلمهم ، ومناقشتها فى المال الذى دخل فى يدهم ، ومناقشتها فى انفاقهاو امساكه ، هل يرضاه الله تعالى ام لا ، وكذلك عدموا مناقشة نفوسهم فى ذهاب عمرهم فى اللهو والغفلة والمعاصى ، فان كل وقت مضى ، يختم عليه بما فيه ، وكذلك عدموا المناقشة فى جسمهم ، هل بلى فى طاعة الله عز وجل او معصيته ، او نوم او غفلةاو لعب ، فياطول وقوفنا والله فى تلك المواطن ، الا أن يتغمدنا الله برحمته •

واعلم ياأخى انه كلما كثر علم العبد ، كثر حسابه ، وكذلك القول فى المال والعمر ، فيسأل العالم عن كل مسألة علمها ، هل عمل بها ام لا ؟ وعن كل درهم اكتسبه ، هل فتش عليه من حيث الحل ام لا ؟ وهكذا ، فلا حول ولاقوة الابالله العلى العظيم • انتهى كلام الشعرانى رضى الله عنه •

وأسأل من أخوة المجاز الا ينسانى من أدعيته المرضية ، لاسيما فى الاوقات المرعية ، فالله يجعلنا من عباده المتقين المخلصين ، ومن قبضة اليمين الذين قال فيهم هؤلاء للجنة ولا ابالى ، ءامين ءامين يارب العالمين ، بجاه النبى وآله ، والتجانى وانجاله ، وكتبه من اقر بتفريطه وافراطه ، فىالطاعات والمعاصى ، وشهد باجرامه الدانى والقاصى ، ذو القلب القاسى ، وسط ربيع النبوى عام : ١٣٤٥هـ العبيد الجهول : على بن عبد الله بن صالح

فاجابه المترجم بقوله من قصيدة لم يحضر عندنا الا هذا منها ، وهى نحو (٢٠) بيتا

ايا شيخنا تقفى شمائلك العلا	على كل نفس ان تكون على ورد
لبست ثياب العز قدما وبعدما	خلعت بكتب الشيخ اكسية الكمد
وتاه النهى بوصله وتالقت	لوامع برق السعد فى ظلم الوجد
فلا تقنطى يانفس فالشؤم بعدما	يحكم فى الانسان يعقب بالسعد
فبعد ظلام الليل فجر وبعد ان	يصيح غراب البين وصل على بعد
على اننى الرحمن احمد انه	تفضل بالنعماء عن سنن القصد
واخطرني فى بال شيخى من أرى	كتابته الترياق للالم الفرد

أحواله و اخلاقه و اجتهاده فى التعليم

العلامة سيدى الحاج مسعود ، نادرة جزولة فى سعة الاخلاق ، فقد كان موطأ الاكناف ، دمث الشمائل ، ممتع المجالسة ، مقبولا من كل من يعرفه يالف ويولف • لاتجد لامن طلبته ولامن معاريفه من الخاصة ولا من العامةمن يمكن ان يزنه بفلتة من فلتات المعاشرة ، فبهذا الحال اسس لنفسه مجدا شامخا وشرفا مؤثلا ، وسيادة أرت العالم كيف يسود الانسان بنفسه ؟ وكيف يكون العصامى بين الناس ؟ فان أهله لايمتون الى السيادة العلمية ، ولا الى السيادة

القومية بشيء ، فجاء بينهم كما يجيء البدر المنير ، بين دياجي الليل البهيم •

قل للمشير الى أبيه وجده اعلمت للقمرين من اسلاف
شرف العصاميين صنع نفوسهم من ذا يقيس بهم بني الاشراف

استقبل حياته في قلة من متاع الحياة الدنيا ، وتقلب في المدارس على هذه الحالة ، وهو يصابر مضض الحاجة ، ويجاذب الدهر حباله ، فان اراه الزمان كيف مجال الاضرار ، يريه هو كيف يكون صبر الرجال الاحرار ، فكذالك أمضى فجر حياته في ميدان الصبر ، حتى نال اخيرا بركة الصبر ، جزاء موفورا (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) •

كان يجعل بين عينه منذ ملك أزمة الفنون ، أن يمضي عمره في تعليمها فلم يزل يفي المعلم بوعده وعهده ، وهو يشارك الطلبة في كل ما تصل اليه يده ، حتى طارت له شهرة سارت مسير الرياح الاربع ، وهبت أخبارهاالعطرة هبوب النسيم من حيث ما يطلع الفجر ، فتكون أخباره على السامعين بردا وسلاما فيفدون عليه فيلاقون من جنابه وكرمه دماثة تطيب لهم مقاما ، فهاهو ذا اليوم بعد أن أنتصب الى التدريس ماينيف على ثلاثين سنة ، يصدر عشرات فعشرات من العلماء الاعلام ، الذين تقر بهم عيون الاسلام •

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ولايزال على ذلك الى الان ، والطلبة عنده يصلون مابين سبعين وثمانين في الوقت الذى نرى فيه كل مدارس سوس شاغرة من تلك الكثرة ، ونرى المدرسين يسيرون الهوينى في ميادين التدريس ، فلم أعرف الان من يجتهد اجتهاد المترجم ، الا الاستاذ ابا العباس اليزيدى ، الا أنه مع اجتهاده ، وأفراغ جهوده في بث جميع الفنون المتداولة بعزم ونشاط ، لم يواته الدهر كما واتى المترجم (وذلك فضل الله يوتيه من يشاء) (ولا يقال لفضل الله ذا بكم)

وملاك فوزه بهذه المنقبة : اخلاقه الدمثة التى تصيره محبوبا حبا جما عند تلاميذه ، وكرمه الجم الذى لايعرف فيه حدا محدودا ولا اقتصادا ، فلا يفتأ يريش من التلاميذ كل من حص الدهر ريشه ، ويزيد على ذلك اقامة حفلات عامة لهم جميعا كل يوم خميس ، فيعطيهم ذبيحة او ذبيحتين ، وقد اعانه على كرمه أوقاف على ذلك المكان (ايغيلالن) الذى فيه المدرسة ، فان للمدرسة احباسا من عهد بعيد ، وله هو كذلك حظوة في الذى يزاوله من أسباب الثروة فيعود بكل ذلك على من معه ، هذا كله مع احترامه من كل من له سلطة على تلك الناحية ، فقد كان للباشا السيد الحسن بن ابراهيم التامرى ، يد كبرى في احاطته بهالة متسعة من الاحترام والاجلال ، وقد أخذ عن الاستاذ كل اولاد الباشا ، وكل اولاد أعيان من يجاورون تلك الناحية من حاحة وهوارة وهشتوكة وما اليها :

وقد كاد يلاقي عنتا بعد هذا الباشا حين تعين في مكانه الباشا ابراهيم الحاحي فقد كنت اذذاك في (اكادير) فذكر لي هذا أن هنا فقيها يبيع احباس المدرسة ويبني بها الديار في (اينزكان) وسماه لي ، فقلت له على رسلك فبينت له حال الرجل ، وانما سمعه انما هو دسيسة من حسدته ، فكان ذلك هو السبب حتى عرف قدره ، فاجله واحترمه ، ثم أهلك الله الرئيس الماسكيني الدساس وشيكا ، ولاريب ان حسن طوية الاستاذ واخلاقه هي التي دافعت عنه مع مخالقته وكرمه •

فهذه هي الاسباب الطبيعية التي رفعته الى المنزلة التي نال فيها مانال من الشفوف ، واذا أراد الله بانسان مرتبة سنية ، هيأ له أسبابها ، ومهدله طرقها •

وقد كان مثابرا على التعليم في جميع الفصول ، لايعرف بطالة ، ولايشغله شاغل عن الدرس ، فانه يبكر الى المدرسة من داره بكور الغراب ، فلا يزال في موالاة الدروس الى ان تدهم العشية بظلمائها ، ففي ذلك امضى شبيبته وكهولته ، كما يمضي فيها اليوم شيخوخته ، ويتعهد الطلبة احيانا بالعتاب المر والتعنيف المبكي ، فيجلو ذلك عن النفوس ما عسى ان يصدى منصلها ، ويفل غرارها ويجعل فيها الى التكاسل متسربا ، والى عدم تتبع البحوث منفذا •

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تابى ان تسامحني بان اراك على شيء من الزلل

وله همة عليا ، وعزوف عن الدنايا ، واستنكاف عن زيارة أرباب الدنيا والاختلاف اليهم ، الا لضرورة تحوجه الى ذلك ، فقد حكى لي انه ما كان يصل السيد الحسن بن ابراهيم باشا (اكادير) الا في النادر القليل جدا ، مع أنه ممن يكبرونه ويشيدون بالثناء المستطاب عنه •

ان وجود مثل هذه الهمة المسعودية العليا ، وانصرافها الى بث العلم في هذا الوقت الذي انصرفت فيه همم كثيرين من انداده من العلماء عن بثه ، لفضل عظيم على هذا الصقع السوسي ، فلو كان معه أناس يسيرون بسيره ، ويطيرون بعزيمته ، لما وصلت العلوم بسوس الى هذه الحالة المخجلة ، فقد اقفرت المدارس ، وغيضت العلوم ، وأصبحت قبائل كانت قبل ميادين العلماء أقفر من جوف الحمار ، فلا مفتي ولا مرشد ، ولاحول ولاقوة الا بالله ، كأنلم يكن بسوس قط اجتهاد شرق ذكره وغرب :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أما ما وقع له مع القائد محمد ابن الحاج الحسن ، فقد سألته عن جليته فذكر ان عونين وصلاه من عنده يوما ، فاتيا به ، فكلفه بان يذهب الى الاستاذ ابى الحسن الالغي فى قضية رسوم املاك تشاجر فيها مع ورثة محمد ـ فتحا ـ ابن عبد الرحمن الماسكيني وكان هذا رئيسا فى (ماسكينة) ثم خاف من القائد فهرب الى حيدة ، فخاس فيه حيدة العهد ، فاسره ومكن منه القائد ابن الحاج الحسن ، فقتله فى (انزكان) ثم فتك ايضا باخيه محمد فهرب اولادهما الى هوارة فى ايالة حيدة ، فاستلقى القائد على املاكهم ، وادعى أنه اشتراها من الذين فتك بهم قبل ان يقتلهم ، فتخاصموا فى المحكمة الشرعية عند قاضي (أكادير) سيدى عبد الله المراكشي ، ـ وكان عاميا جاهلا كما ذكره عارفوه ـ فأدلى اولئك الورثة بفتاوى علماء مراكشيين ، فاراد القائد من يصحح ماكتبه له عدوله من كسيمة ـ ولم يكتبوا الا ما املاه عليهم ـ ولذلك بعث المترجم الى الاستاذ الالغى ، قال فامرني ان اذهب ليلا ، وبعث معى ٤٠ قالبا من السكر ، وقلت له انني لم اتهيأ للذهاب ، وليس معى درهم واحد ، فسلف لى عشر ريال فقط ، فذهبت مرغما من غير ان يعرف احد اين ذهبت ، وقد خرجت ليلا ، ثم بعد رجوعي وقد مكثت فى (الغ) اربعين يوما ، حاول فيها الاستاذ تصحيح الرسوم ، فأخذ بظواهرها وصححها بنثره ثم نظم ذلك الشاعر سيدى الطاهر الافراني ـ كما يوجد كل ذلك فى المجموعة (الفقهية) التى جمعتها قبل ـ فودعني الاستاذ وبعث الى القائد حمل جمل من تمر جيد ، وملأ لى انا حمل بغلتى ، فحين وصلت هشتوكة لاقيت انسانا لايعرفني ، فسألته عن اخبار كسيمة ، فقال ان الناس يقولون ان القائد فتك بالحاج مسعود الفقيه ، وذهب بامة له صغيرة جميلة ، ثم لما وصلت كسيمة وجدت الامة أتى بها القائد من دارى فاعطاني ثمنها ١٥٠ ريال ثم بعد استقرارى فى المدرسة بقليل قيل لى ان القائد وشى اليه بانني اعزم على ان اشتكى به على يد الوزير الشيخ شعيب الدكالي ، ثم بعث الى سيدى ابراهيم الركراكي ، أن لاأحوم بعد بساحته ، فهربت مع الطلبة الى السويرة ، فنزلنا عند الحاج عبد الرحمن الحاحي ، المحتسب ـ المعروف بحاديمان ـ وبعد ١٦ يوما خرجنا من هناك الى دار الباشا الحسن بن ابراهيم التامرى ، فلاقينا هناك سيدى سعيدا التناني رحمه الله ، فمكثنا هناك ثلاثة أيام ، ثم الى اداوتنان ثم الى مشهدسيدى ابراهيم بن على ثم الى (الكناوات) ازاء تارودانت ، حيث ءال ابن المصلوت،فوصل خبرنا أهل مدرسة (ايكونكا) فاتوا فذهبوا بنا اليهم فذلك هو سبب المشارطة هناك سنتين ، وقد ارسل الى القائد الكسيمى (١٥٠) ريالا اخرى ، ولكنني لم ادخل فى يده ، ثم لم ينشب ان عزل فنفى عن بلده ، فاستقر فى مكانه

الباشا الحسن بن ابراهيم التامرى ، فهو الـذى ردنا الى مكاننا هـذا فـى (ايفيلالن) حيث لانزال الى الان ، قال وقد كنت فى مدرسة (اداومحمد) تسعة اشهر بعد (ايكونكا)

أقول : هذا ما كتبته عن الاستاذ فاه لاذنى ، وازيد أنا ان جواب الالغيين لم يرجع به الاستاذ فى الحين ، بل أرسل اليه بعد ذلك من اتى به ، فـاراد الرسول ان يزداد توثيقا للفتوى الالغية ، بفتوى سيدى المحفوظ الادوزى ، فنزل عليه فى (ادوز) فادخل هذا الاستاذ الفتوى الى محله ليلا فصار ينقضها عروة عروة ، لانها لم تعجبه ، ثم مكن الرسول من الجميع ، فبات الرسول فى قرية فيها فقيه فقرأ له ما حمله ـ وهو أمي ـ فاذا فيها نقض للفتـوى ، فاضطر الرسول الى الرجوع الى (الغ) لازالة النقض ، فحررت نسخة اخرى من الفتوى أيدها اخرون منهم مولاى عبد الرحمن البوزكارنى الذى كتب عليها (ليس فى الامكان ابدع مما كان) هكذا حكى لى جهينة الاخبار سيدى الحسن ابن مبارك البعقيلي الحكاية بتفاصيلها ، وقد عرفنا نحن ماكان بين هذاالعلامة الادوزى وبين الاستاذ الالغى من مناقضات شتى فى قضايا متعددة ، وماهذه الا احداها ، فرحم الله الجميع ٠

ومن أخبار المترجم ما حدثنى به ان الشيخ الالغى هو الباعث الاكبر له حتى تمادى فى التعليم ، فقد كان والده من اصحاب الشيخ واتباعه ، وكان كزا ، فكان يبعث اليه الشيخ فى المدرسة (الالفية) ما يكفيه من الدقيق والادام والتمر ، قال : فان انس لاانس مجيء الشيخ يوما الى المدرسة فى وسط نهار وقت حصاد ، فوجدنى وحدى مضطجعا فى الساحة ، وقد ذهب الطلبة لحصاد زرع الاستاذ ، فسألنى لم تخلفت ، فأريته دملا فى رجلى ، فاخذ رجلى فوضعها فى حجره ، فصار يفجر قيحها بيده ، وانا اكاد اذوب خجلا وانا اتعجب مـن تواضع الشيخ ودماثة اخلاقه ، قال وقد ركبت يوما على بغل فى رفقة الشيخ من (تاماعيت) الى (سيدى ابى السحاب) فركب الشيخ على بغلته ، وقد اردف وراءه احد الفقراء ، فاذا ببغلته عاثرة ، فصاح الفقير : يا الشيخ سيدى الحاج على ، فالتفت اليه الشيخ ناهرا له ، يقول : أادلك على الله ، وتجعلنى أنـا الاها تنادى باسمى ؟ افتعثر البغلة بشيخك نفسه ثم تريد ان يغيثك انت ؟ وقد حكى لى تلاميذ الاستاذ انه كثيرا مايحدثهم بهذه الحكاية ، وبـان مـن اعاجيب أحوال الشيخ انه ما دخل بلدة ثم خرج منها الا تأثرت به حتى الجمادات قال تلاميذه ، ولم نسمعه يكثر فى مجالسه ذكر انسان ، كما يكـثـر ذكر الشيخ ، وقد كان هو تيجانيا فى الطريقة ، ولكنه يتحامل عليهم ويرمـى بعضهم بالغلو ، وكثيرا ما يرسل اليه السادة الاحمديون فى احدى اجتماعاتهم، فيقول لهم انني لست منكم ، وهكذا بقى على فكرة الفقهاء متباعدا عن فكرة

الفقراء ، وكان كثير الانبساط في مجالسه ، وقلما يخلو مجلس من مجالسه من النوادر ، وقد حكى كمحدث بنعم الله عليه انه لما فارق الغ ليس لـه الا قميص كتان خلق ، وانه لما كان مشارطا في (تازانتوت) اشترط على اصحاب المسجد ان يكسوه ، قال : ثم داروا على التجار في النعال في سوقهم ليجدوا لي نعلا توافق رجلي هذه فلم يجدوها ، ثم يظهر رجله ، ويقول : انها اكبر من كل الارجل ، وقد كان حسن العهد ، لاينسى اصحابه ، ولاذكر اشياخـه وقد سمعته يوما يحكي عن شيخه سيدي محمد بن علي اكيك ، انه بات ليلـة عند فقيه بليد شارط في مدرسة فسأله البليد عن شروط قيام الساعة ، فقال له : انمنها كونك فقيه مدرسة لان في الحديث ، اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة •

كان أصيب بضيق في صدره في أيامه الاخيرة ، فلا يقدر ان يركب عـلى السيارة ، بل حتى البغلة قد يؤذيه ركوبها ، وكثيرا ماينزل مرارا بين(ايغيلالن) و (اينزكان) ان تسوقالسوق ، واتذكر انني كنت تواعدت معهأن نزور(تيدسي) لرؤية خزانتها ، واشترط على أن لايركب الا على بغلته ، فاذا بـه أرسل الى ان السيد عبدالسلام القيم على الخزانة رفض الزيارة ، محتجا بان فلاناالدرقاوي لايدخل مقامنا نحن أصحاب مولاي احمد ، فقال لي الاستاذ : أرأيت الان مـا أقول لك عن هؤلاء القوم ، وقد كنت ارده عن ذمهم ، فيابـــى الا الاسترسال فحين وجد هذا السبب الخاص اطلق لسانه كما يشاء وانا لاأجد ما أرده به •

ومن عادته ان يشفق على الطلبة ، وان ينفق عليهم من كل ما في امكانه، ولاسيما على المجتهدين منهم ، وكثيرا ما يسرب سرا الى من يعرف فيه الهمـة طعاما خاصا ، او سكرا او بيضا أو لحما أوشعيرا أودراهم ، ومتى كان الطلبة يحصدون زرعه على عادتهم فانه يدر عليهم الخيرات ، فما شئت من لحم وادام صباحا ومساء ، حكى لي بعضهم انه كان بكثرة الرأفة عليهم ، لايقدر انيراهم يوم الحرارة في الفدادين ، فقد غشيتهم موجة حرارة بغتة ، بـعـد انقشاع سحاب فسعى حتى داناهم ، فصار يلوحاليهم بذيله ، فقال لهم ، لم تخلقـوا لهذه المشقة ، ولكنه اذا أصبح أحدهم نائما عن الصلاة وعن الصبح ، فانـه يسمع الاحجار في بيته ، وخصوصا من النوافذ ، وكثيرا ما يملأ ذيل ثوبـــه بالاحجار فيتتبع النائمين بذلك يرمي أبواب بيوتهم بها ، والطلبة اذذاكيحترمون الاساتذة من قلوبهم ويحسنون فيهم الظنون ، ويصبرون لكل ما عسى ان يمسهم من جهتهم •

بيــني و بينه

كنت دائما أتعالى الى التعرف به ، منذ عرفت لامثاله أقدارهم ، وأدركت لنظرائه قدر مساعيهم ، وذلك منذ نزلت بالحمراء للاخذ ، ولكن تتابـعـت

السنون وتوالت على عوائق ، حتى استقررت فى البلد منفيا، فلماسرحتوملكت أمر نفسى ، سافرت فى ربيع الثانى ١٣٦١هـ فلاقيت المترجم فى سوقالثلاثاء فى مدينة (اينزكان) وقد ذكر لى انه ما تسوق ذلك النهار ، الا لاجل هـــذا اللقى ، فكان هذا التشريف منه لهذا العبد من المنن الكبرى ، فمضت لناساعة طيبة ، ملئت بالاستفادة من الاستاذ عن تقلباته فى رحلته العلمية . وتتخلل ذلك انشادات مستملحة طيبة ، كانت تاتى بادنى مناسبة ، واذذاك شاهدت من اخلاق الاستاذ البارزة ميله للمفاكهة والنوادر والمستملحات ، على عادة الادباء الاريحيين ، فمما قيدته عنه فى تلك الجلسة المستمرة من نحو عاشرة النهار الى مابعد العصر ، البيتان المشهوران

زمانـــنـــا كـــأهــلــه   وأهلــه كــمــا تــرى
فسيرهـــــم كسيره   وسيره الـــــــى ورا

فذكر ان بعض من انشد البيتين ، كسر (زمانا) فى حضرة بعض الامراء فقيل له فى ذلك ، فقال والله لاكسرنه كما كسرنى ، ولاخفضنه كما خفضنى وانشد أيضا لابىزيد الجشتيمى ، وذكر ان الشيخ شعيبا الدكالى كثيرا مـــا كان ينشده بعدما سمعه

كم مــن فقيه سفيه فى تدبــره   فلا تلازم بين العلم والــرشد

وأنشد لمحمد شكرى ابن الشيخ ياسين حين ذكرت له القصيدة القافية التى كانت لى فى العصيدة

ان رمت منى عصيدا مالــه مــثــل   له شروط بها قد يحسن العمــل
الماء منى ومنى النار اضرمها   منك الدقيق ومنك السمنوالعسل
الغرف منك ومنى الاكل اجمعه   والشكر منى لما اوليت يا رجــل

وانشد أيضا من الشقرونية فى وصف العصيدة أيضا

وهى اذا كانت من الدقيـــق   أفضل ما يوكل بالتحــقــيــق
لكنه لا بـــــد مــن تسمين   كما أتى عــن ماهر مــكــين

وانشد فى الكسكسو :

أفضل ما فــى غربنا يلتمس   من أفضلالقوت العجيب الكسكسو

وانشد أيضا

خير المجالس خمسة او ستة   او سبعة ومن الكثير ثمانية

وانشد لليفرنى صاحب (الصفوة) فى هذا المعنى

واحسن اعداد الندامى ثلاثـــــة   الىالخمس وانف الزيد عنهاذا ظهر

وانشد وهو يذكر كبر السن ، وثقل السمع ، البيت الشهير

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعى الى ترجمان

وانشد أيضا

حاكى أباه فلا غرو ولا عجب فوثبه الشبل تحكي وثبة الاسد
فلن ترى والدا طابت مغارسه الا وبهجته تبدو على الولد

وانشد أيضا بيتى ديوان الحماسة المشهورين :

أماني من ليلى حسان كأنما سقتنا بها ليلى على ظما بردا
منى ان تكن صدقا تكن احسن المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وانشد أيضا

لك الثناء وان يذكر سواك به يوما فكا لرابع المعهود فى البدل

وافضل منه قول ابى نواس

فان نحن اثنينا عليك بصالح فانت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

وانشد أيضا للشيخ فالح المدنى من علماء الحرمين حين كان المترجم هناك :

اعلموا اننى مقيم وقلبى راحل بين ركبكم فى الجمال

ومما كتبته اليه متوخيا السجع الذى يألفه ذوقه بعد مفارقته ١٣٦١هـ

«المدرس الذى هو من مفاخر الغ الخاندة ، والذى انتظمت فى لبته به مآثر لن تزال طوال الدهر ما كان منها الطارفة والتالدة ، صاحب الشمائل التى تفاوح العنبر الشحرى ، ورب الكرم المتدفق الذى لو شاهدته امواج البحر لاتجرى ، سيدى الحاج مسعود الوفقاوى ، ثم الايغيلالنى

على ذلك القدر السنى سلام كما ارجت تحت النسيم كمام
مقام به فخر العلوم بسوس اذ تدار به منها بسوس مدام
فلولا دروس منه اقفر ربعها وضمت ذماء للعلوم رجام (١)
اديم لهذا الدين ينشر بنده وتنفذ منه فى يديه سهام
وايلى السعود تستجيب دعاءه ومقعده فى المكرمات سنام

أبيات جاء عفوا ، ولذلك تراها رهوا • أما بعد فكيف مولاى ومجالسه التى يستمتع بها مجالسه ، الايزال جلاسه يستمتعون منه بما كنت استمتعت

١) الذماء بالفتح بقية الروح والرجام القبورج رجم محركا

به منه تلك الساعة الممتعة ؟ التى قضيتها معه ، فانها زينة عمرى ، وقلادة نحرى ، وميسم سعادتى ، واتمنى ان لاتنقضى معه جلستى ، لو ملكت ارادتى.

هذا فقد بلغت البلد فرجعت الى عشى ، وانكمشت فى فرشى ، وفى جوانبى كتب مختلفة ، وبين يدى مسرات مؤتلفة ، فانا اغتبط فى الـغ بنعم كثيرة وان كنت اتعمد الانعزال عن قومى ، فاننى أصبح ءامنا فى سربى معافى فى بدنى عندى قوت يومى ، نعم شاملة ضافية ، وعيشة هادئة صافية ، اتولى تحرير الفوائد التى اقتبستها من مثل مولاى ، واجعل اتمام تاليفها يوما ما غاية مناى ، وقد حررت فى الاسبوع شبه رحلة (١) عن هذه السفرة فى كراريس ، تضم أخبار ما راته عيناى فيها من البلدان والمدن ومن عالم ورئيس وربما تصل يد سيدىعند تخريجها من المسودة ، فينتقدها فكره البحاثالناقد البصير بما عنده .

يوم الخميس ٤ ـ ٦ ـ ١٣٦١هـ

ثم أجابنى الاستاذ ، وقد تعرض لتمر أهديته اليه ، وقد باسطته فى الرسالة بأن مقصودى ان يتذكر عهده فى الصغر حين كان فى أهله الوفقاويين:

«من عبد ضعيف ، مقر بذنوبه لخالقه اللطيف ، مسعود بن احمد الوفقاوى الراجى من ربه غفران المساوى ، الى حبه حبر الاحبار ، وجهينة الاخبار ، المعدود فىمقدمة العلماء الاخيار ، من ذوى المكانة والاعتبار ، سيدنا ومولانا واخينا الفقيه الارضى الوجيه العلامة ، الذى من دابه الاصابة فلا يقابل دائما بعلى ، مه : سيدى محمد المختار ، المعتمد عليه فى رواية الآثار ، وتصحيحاسانيد الاخبار ، صاحب الفصاحة التى تزرى بسحبان عند انشاء الاشعار ، زيادة عن حلاوة وطلاوة ، يلين بهما قلب ذى قساوة

سعى معشر كى يلحقوه فبرزت ... بـه غرر مشهورة وعلائـم

جعل الله مغناكم سيدى مغنى الاحباب والاخوان ، سالما من طائف كل ذى بغى وعدوان ، وسلام عليكم سيدى ورحمة الله وبركاته ، وعلى اولادكم الابرار المقالين ان شاء الله من كل عثار .

هذا والحمد لله ثم الحمد لله على معرفتكم ومحبتكم الدائمتين ،المقتضية أبدا الدعاء من الجانبين ، ثم ان ما بعث به سيدى النجيب ، من التمر الجنيب قد اتصل بنا وحصل ، وفى حواصلنا حصل ، وقد رجع الى به الشباب، وبلغت به سماء صباى بلا أسباب ، فقد تذكرت والدكم الذى هو والدى ، وهو وانا فى المدرسة هناك اكبر مواردى

عطست بانف شامخ فتناولت ... يداى الثريا قاعدا غير قائـم

---

١) هى الرحلة الاولى من (خلال جزولة)

وكيف لا افرح بتلك المكارم ، وقد قام بمنحها خازم وابن خازم (١)

ساشكر عمرا ما تراخت منيتى ايادى لم تمنن وان هى جلت

وما احلى كل ما ذكر الشباب ، وبذكراه يحصل له الاياب ، نعم اننى لم اكن الفت التمر كثيرا حين كنت بين اهلى من بنى وفقاوة ، اذهم اهل قساوة فلا يتجاوزون منه ملء المزاود ، وانما ديدنهم فى سعيهم (أزل اود) (٢) فجزاكم الله يا أهل الاحسان ، جزاء موفورا ، وأدام عليكم سرورا دائما وحبورا والسلام التام على أهلكم الكرماء ، وأولادكم النجباء» .

تخيرتها للنسل وهى غريبة وقد انجبت والمنجبات الغرائب

ونب عنى سيدى فى تبليغ السلام الى اولاد المرحوم المقدس سيدى على ابن عبد الله ، وطالما انتظرت رسالة من سيدى الطاهر بن على تتضمن السلام والسؤال لمودة سابقة ، فلم أر أثرا لمودة سابقة ولا لاحقة ، ولعل العلة ما أحدثك به ، وهو قول القائل المبين للهجر وسببه

اذا ما صديق قد تولى ولاية ولا سيما ان كانت الخطة القضا

فكن قانعا منه بمعشار وده ولا تطمعن فى الوداد الذى مضى

وهذا من الكاتب مزاح ، فان احتمله فلا جناح ، والا فاطو ذلك بالراح فلاتبده له يا صاح

ثم كتبت اليه بعد شهور ، احثه على ان يرسل الى ما توقفت عليه فى ترجمته ، وقد بعثت اليه بالرحلة المتقدمة وبرسالة : (وشى المطارف ، فى ثبوت الهلال بالخبر الرسمى من الهاتف)

(عليك أبا العرفان ياخير مسعود سلام كنفح الزهر او عرفة العود

سلام مشوق نحو حضرتك التى متى ارها اصبح بها جد مسعود)

وعود امانيى زيارتها فهل اعيش الى ان اجتلى خير موعود؟

فانى من تدريه لايطبيه عن هواه شراب الراح او رنة العود

المدرس الذى شمس تدريسه فى سماء الجد والدؤوب ، لايعرف فى سيرها خسوف او غروب ، والعلامة الذى تتدافع امواج معارفه مطردة فى تموجاتها فى كل انحاء جزولة ، حتى غمرت والحمد لله سوسا كله حزونه وسهوله . بقية السلف الذى يعرف كيف يقضى عمره فى هتك سجوف الجهالات ، وعمدة الخلف متى طاف عوص او المت اشكالات ، سيدنا ومولانا وشيخ عصرنا سيدى

---

١) قال اسحاق الموصلى

اذا مضر الحمراء كانت ارومتى وقام بنصرى خازم وابن خازم

عطست بانف شامخ وتناولت يداى الثريا قاعدا غير قائم

٢) اسع وهات .

الحاج مسعود الوفقاوى ، الذى علت به وفقاوة ما لايعلو اليه السعدان ، كما علت برسول الله صلى الله عليه وسلم عدنان (١) وليس بذى شرف من لم يكن من شرفه لذويه طرف .

وبعد : فقد برح الشوق ، حتى ضاق بى الطوق ، وتطاول الفراق،فمتى يوم التلاق ؟ فقد كدت ازور تلك الجهة فى الشهر الماضى ، لولا ان فاجأالمغرب ارعاد المدافع وابراق المواضى (٢) فرجعت من (ماسة) معرجا بافران حيث الفصاحة والبيان ، والبلاغة تتلاعب بها اليدان ، فثويت فى دار شيخنا علامة العصر ، ويتيمة الدهر ، فرأيت كيف يحافظ من العلم والادب والكرم الفياض على ما كنا نخاله قد غاض ، فنخوض كرما جما ، وأدبا وعلما ، فدارت هناك أدبيات كأنهامغازلات ، وقواف ، كأنمايجول الحبب على ماءصاف ، ثمأبت الى الدار فألقيت عصا التسيار ، مكتفيا من الاغتراب ، وقانعا من الغنيمة بالاياب ، فان لم تجد الحركة فالسكون ، وملازمة الوكون ، فان لم يكن ماتريد فارد مايكون أما البلد وما اليه ، فلازائد على ما يسر القلب ، ويهدد الجدب ، وعلى مايملا بالانشراح كل سرب (٣) من طلائع الخصب ، فقد توالت امطار هذه السنة مرارا ، فلم ير الجدب الذى كان يالف هذه الجهة حتى صيرهم بلاقع وقفارا الا أن يزمع الرحيل حين لايرى لنفسه قرارا ، فقد اخضرت الارض وازينت، وتحلت الغ وتزينت ، فكأنى بها بعد امد قليل ، وقد جرت أيام الربيع اذيالها وأخرجت الارض اثقالها ، تتهادى كغانية رداح ، لعبت بها الراح وتجاذبها العشاق بالراح :

ان هذا الربيع شىء عجيب — تضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودر — حيث درنا وفضة فى فضاء

وبعد فقد تلقت اليدان الرسالة التى أرسلها مولاى فى رمضان ، رسالة وما أدراك ما الرسالة ، أقرأها فكأنما تغازلنى منها غزالة ، ببيان أرق من السحر الحلال ، وأدمث من روض اريض ورفت فيه الظلال ، وبلاغة تستوقف الابصار من ادباء الامصار ، وتخلب الافكار ، بالمعانى الابكار ، ينبعث الميت من جزالتها ، ويحار الفصحاء من فصاحتها ، ويسجد عبد الحميد لبراعتها :

شرك النفوس ونزهة ما مثلها — للمطمئن وعقلة المستوفز

---

١) قال ابن الرومى

قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم — كلا لعمرى ولكن منه شيبان
كم من أب قد علا بابن له شرفا — كما علا برسول الله عدنان

٢) هجوم أمريكا على المغرب وذلك مذكور فى الرحلة الثانية من (خلال جزولة)

٣) السرب بالفتح فالسكون الصدر

فلله در ذلك اليراع السيال ، وعقد ذلك البيان المتلال ، فقد عرف كيف ينفث ساحره فى العقد ، بل درى كيف يزأر اسده على النقد (١) وقد أريت الرسالة للاديب العلامة القاضي سيدى الطاهر بن علي ، فطار بهافرحا ، كانما تحسى بها قدحا ، وقد خامر ذلك المزاح قلبه بسرور فائض ، والممازحة بين الادباء اكبر رائض ، فهذا جوابه فى يد الحامل مثنى لافرادى ، وكاد يثلث لو وجد فراغا وقرطاسا ومدادا ، كما فى يده (الرحلة) التى جمعتها على وجهها يوم الرجوع من عندكم ، فان وقعت دون المدى فمن عندى ، او وافقت فمن عندكم والفضل للدر الناصع اللون ، لالسالكه فى الاسلاك ، ولولا انواركم لما هتكت يراعتى سجفا من سجوف الاحلاك .

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلا فقل

فليقرأها مولاى وليعدها مع الحامل ، منبها على ما عسى ان يكون فيها من زلل الانامل ، وكذلك الورقات التى معها فى حكم ثبوت الهلال بالهاتف، فقد أبديت فيها ما عسى ان يرجع به المخالف ، فتأمل وانتقد بفكرك المتقد ، فان لكم أيها السوسيون جناى وخياره فيه ، اذ كل جان يده الى فيه (٢) وحولكم كل ما لفقت وجمعت ، ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وعليكم جميعا التنبيه على زلاتى ، فذلك عندى اعظم فائدة من المشيخة امثالكم فضلا عن لداتى، فالمرآتان تريان مما اختفى ، ما لاتريه مرآة واحدة فى القفا ، واما مالايزال التسويف به ماطلا ، وكان مكان ترجمتكم فى (المعسول) به عاطلا ، فاحب من سيدى المبادرة به مع الرسول ، فالتوصل به غاية السول ، مستوفيا كل ما حولكم من آثار منكم واليكم ، ومن ذكر الذين اخذوا عنكم ، فاخوكم الان فى فراغ لسوس ، ولاعطر بعد عروس ، فللتعجيل بركات ، وللتاخير آفات . وليرحم الله القاضي الروداني الذى كنت منه على وعد ، لاستوفى منه كل ما أريد بعد ، فاذا بالحمام استاصل من ذلك كل مرام ، فرمست به آثار،وطويت بهاخبار ، فعلى من يعتب وما على الدهر من معتب ، وهذه احدى آفات التاخير فيرتد الطرف جد حسير ، فربما كان التأنى آفة من ءافات العمل ، وكان الحزم كل الحزم فى العجل ، سدد الله الخطا ، وعصم من الخطا .

٣٠ - ١١ - ١٣٦١ هـ

---

١) النقد محركا صغار من الغنم

٢) مثل قاله عمرو حين جمع الكمأة فاتى بها أهله على حين ان رفقته اكلت ما جمعته منها وذلك فى حكاية (الزباء)

جوابه

احمد الله فلا ند له يده الخير فما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال وما شاء أضل

السلام والرحمة على اخينا وصفينا الاتقى ، وحبيبنا الطاهر الانقى المتفق على جلالته ، وصحة روايته ، المحقق البليغ بلا ريب ولامراء والمفلق الذى سلمت حال المساجلة لدلوه دلاء الشعراء ، والمدقق الذى اطبقت على تقديمه فى فنون العلومسائر العلماء

لا تحسبوا ان فى سر باله رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل

ذلك المسبل المشبل هو سيدنا ومولانا محمد المختار ، وارث هدى رسول‌الله المصطفى المختار ، الألغى ، المصون بفضل الله من الغاء كل من يلغى

وبعد فالباعث الاعلام بدوام المودة ، وبان ماوقع فى شأن رمضان من اضطراب الناس فى دخوله وفى انقضائه دام عندنا كذلك مدة ، فقد اضطرب الناس كثيرا هنا كبيرا وصغيرا ، حقيرا وخطيرا ، فمن قائل هذا اليوم عيد فطرنا نفطر فيه بالخبز او بالفطير ، ومن قائل كيف نفطر ونحن لم نقع فى ثبوت العيد على خبير ، فاستوى العالم والجاهل ، والمتيقظ والغافل ، والمصيب والفائل ، والصناع والخرفاء ، والعمياء والزرقاء ، كل طائفة تخالف الاخرى سرا وجهرا ، يخبطون خبط عشوا ، فيتضاربون بالفتوى ، حتى اداهم الحلل الى ان استفتوا اوباش الخرابيش (١) المكدين بالخنانيش (٢) وهكذا كثر التخالف فى صحة الحكم المنقول بالهواتف والبرق ، فلا يفرق المستفتى مافى حكم النقل بذلك من الفر ق، فتبارى الناس وتحاوروا ، وتشاجروا وتناحروا

الا طعان الا فرسان عادية الا تجشؤكم حول التنانير

* * *

ومهمه اطرافه فى مهمه أعمى الصوى بالجاهلين العمه

* * *

بنو حنيفة اثلاث فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

ولم يذكر جرير الشاعر الثلث الثالث لطى جناحه اذ :

(من البغى سعى اثنين فى قتل واحد)

---

١) هى الكتاتيب عند الشلحيين

٢) يقصد بذلك جمع خنشة والخنانيش الاكياس

فلو سكت الجاهل لارتفع الخلاف ، ولوجد في الناس الانصاف ، فمن الناس عندنا من لم يعيد الا يوم الثلاثاء ، اقتداء بائمتهم الاغبياء ، الذين اتخذوهم من دون الله علماء واربابا اولياء ، فبينما ذلك المنكر من القول الزور من القوم البور ، اذ جاءهم منكم الاسد الكرار ، والغيث المدرار ، في مؤلفكم (وشي المطارف ، في ثبوت رمضان بالخبر الرسمي من الهاتف)فقال لسان حال هذا المؤلف ، كما قال المبرد في الكامل : (ليس لقدم العهد يفضل الفائل ، ولا لحد ثانه يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما استحق) وكما قال عيسى عليه السلام : (قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه) فصارذلك المؤلف ينادى بقول القائل :

ايه ابا الشداد ان وراءنا — احاديث تروى بعدنا في المعاشر

كيف لا وصاحب هذا المؤلف الوشي ومزركشه ، لاتجده رضي الله عنه الا رادا (١) يعيش في الاوراق ، ساهر الآماق ، حتى صار في الآفاق ، ممنوع اللحاق (سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ولهذا عزز ما في المؤلف بطرق الفحول ، من معقول ومنقول ، المسلم لهم بالقبول ، فسارت حكم الفتوى بما فيه على أيدى الركبان مسير الدبور والقبول .

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق — وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

* * *

ورأينا ءاياته فاهتدينا — واذا الحق جاء زال المراء

وما منا الا من له مقام في الشغف به معلوم ، والحق معلن لامكتوم :

ترى المحابر والاقلام قد نضدت — الى المساطير للتقييد والرقم

وما اجدر هذا الوشي ان يقال فيه : مثل ما قاله سيدنا أبو عبد الله ابن عبد الله الالغي ، في كتاب رآه عند بعضهم مطررا :

رخيص ذا الكتاب وما حوته — مساطره ببذلك صاع تبر
وفيه اذا تصفحه حزين — بكسر الجهل جبر اى جبر

وما نقله سيدنا وغيره عن الشيخ عليش من ثبوت الحكم بآلات نقل الاصوات مسلم الثبوت من علماء السنة ، ولاعبرة بتاليف بل بتويلف شحنه مؤلفه بأقاويل كالتماثيل محاولا ان يرد على الشيخ عليش ومتابعيه بتلك الاباطيل ، والمؤلف تونسي ، وقد نسيت اسمه ، وقد نقض ما ذهب اليه صاحب هذا التويلف ، العلامة سيدى احمد البرزنجي المدنى ، فكان قوله مقبولا عند العلماء ، وكان كالسهام في نحور البلداء اللؤماء ، وقد تركنه في الحرمين

---

١) الراد : أصله : الرائد الطواف ، والرادة الطوافة في بيوت الجيران

غ يرمطبوع ، ولذا ما اتيت به ، ولا بموضوع ذلك المنكر الموضوع ، لوقوع النهي عن اكتسابه والنظر فيه من المحاكم التركية ، ومن لم يفت بفتوى الشيخ عليش في فتاويه ، ولا بما في وشي المطارف الموشى بالاقوال المقبولة ، فهو (أعلوش) : ـ الثور ـ :

على نحت العلوم من معادنها   وما على اذا لم تفهم البقر

او هو (انكور) التيس :

ساكتم علمي عن ذوى الجهل غايتي   ولاانثر الدر النفيس على الغنم

ولاتنس ياسيدى ومولاى جواب الفقيه ، سيدى محمد بن على اكيك عن سؤال من سأله عن أشراط الساعة ، والحمد لله ثم الحمد الله بلا نهاية ، على اسباغ نعمه علينا بوجودكم ، وبث علومكم في صدور الرجال والاوراق ، في هذا الزمان الذى احسن ما يوصف به قول القائل

هذا الزمان الذى كنا نحذره   في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم تحدث له غير   لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

* * *

والوقت كالمورود والناس القذى   هل ساغ مشروب على أقذائه

وعلى كل حال ، لانخاف من الضلال ، حين تجددون الدين ، ولاتجديد الا بعلم متين ، وانتم من العلم بمكانة لاتنكر ، فلا تهملوا شكر فضل الله عليكم المظهر ، وقد سمعنا أن شمس سوسنا تعزم على الطلوع الى الحاضرة ، وعلى مراجعة ما كانت فيه قبل من الافلاك السائرة ، فان كان ذلك صحيحا ، فالشمس تجرى لمستقرلها ، واينما كانت فان كل وجه يكون مقابلها :

كالشمس في كبد السماء فنورها   يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وان لم تحدث هذا العزم بعد ياعلامة ، فبالله لاتقم علينا القيامة :

كلي اليك مع الانفاس محتاج   لو كان في مفرقي الاكليل والتاج

وقال آخر

وهل بين من يعطيك علما بلفظه   ومن بكتابه يفيدك من فرق

والبيت كما انشدنيه بعضهم

وقال ءاخر

فافخر فما من سماء للعلا ارتفعت   الا وافعالك الحسنى لها عمد
واعذر حسودك فيما قدخصصت به   ان العلا حسن في مثلها الحسد

أما (الرحلة) فهي مع أخيها (وشي المطارف) نعمة سابغة ، وفي الكل حجة

بالغة ، فانا منهما بين الشمس والقمر ، وبين الثمار والدرر ، فان كانت البغية فى تحرير الفقه ، فوشي المطارف ، الذى لايخشى متبعه المتالف فتتحلى المسامع والافواه بحليه وحلوائه

راق لفظا ورق معنى فجاءت   فى حلاها وحليها الخنساء

وان كانت المنية فى مناقب الناس ، لامثالب النسناس ، فعلينا بالرحلة التى تريك الغائب كالحاضر ، حتى كأنك تشاهده وتحاضر ، فلله مولاى وما يكتب

«بقيت سليما لاتقابل بالردى»

فقد عصمت الرحلة من الرذيلة ، وسوء الكيلة ، فخلت من كل المثالب ، الا ما اقتضته النصيحة العامة للمسلمين ، ورفع اعلام الهداية للمستهدين ، فلا يوصف السنى بأوصاف المبتدع ، ولايجعل فى قرن واحد المتهور والورع ، وما راء كمن سمع ، فذكر مساوى ذلك الهماز ، المشاء بنميم ، المناع للخير المعتدى الاثيم ، العتل الذى هو بعد ذلك عين الزنيم ، من فضيحة الحاضر للغابر ، ومن اسر سريرة سيئة فضحته المساطر ، فماله فى التاريخ من ساتر ، فان اخطأت فيه النعمة ، فقد أصابت فيه النقمة ، (ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ، قل استهزئوا ، ان الله مخرج ما كنتم تعملون)

عليه من اللؤم سروالة   فليس يرق لمستعطف

* * *

لعن الاله تعلة ابن مسافر   لعنا يشن عليه من قدام

فليذق المعتدى من وبال امره الان ، وليزدد أمره افتضاحا يراه كل من له عينان :

فلا تحسد الكلب اكل العظام   فعند الخراءة ما ترحمه
تراه وشيكا شكا استه   كلوما جناها عليه فمه
اذا ما أهان امروء نفسه   فلا اكرم الله من يكرمه

فلعله يجاب ، اذا كان يدور متكففا على الابواب :

فلم يبق فيه سوى عظمه   وذاك لعمرى طعام الكلاب

فلا شك انه ان تاب وعمل صالحا ان الله يقبل التوبة من عباده فيعفو ويصفح ربنا لاتكلنا الى أنفسنا طرفة عين

٣ ـ ٤ ـ ١٣٦٢ هـ

ومقصوده بهذا الكلام هو البباز المذكور فى تلك الرحلة (سامحنا الله واياه ولعل ما وقع له بعد يكون له كفارة)

وقد كتبت اليه بديهة هذه القصيدة ، جوابا لرسالة اخرى لم اجدها عندى الان

مولاى ياعلم الاسلام والديـن — وحاوى الخصل فى كل الميادين (١)
من كان يقرى بعلم وافر وبـجـو — د دائم من يرى من المساكيـــن
انى تلقيت من يديك مالكــــة — مثل الحديقة رفت بالرياحين
قبلتها ألف الف استلذ بمـــا — قد كان ينشرنى حينا ويطوينـــى
يا طالما كان ظنى ان افوز بـهـا — فاليوم صار يقينا ، كل مظنون
احيت فؤادى بما أدته عن ندس — متى تخيلته بالوهم يشفينى
ما وصل خود كعاب كاد عاشقها — يردى بسيف من التهيام مسنون
الذ فى رشفاتى من قراءتها — ءايات سحر على القرطاس مكنون
اظل ارتشف السحر الحلال بها — مثل ارتشاف رضاب الخرد العين
خط يوافق حسنا من بلاغته — مفننا بين هاتيك الافانين
كذا كذا ، فليخط الكتب كاتبها — لا المتلوى كامثال المصارين
مقوم السطر لا امت ولا عوج — موضح الفصل بين السين والنون
ليس البيان سوى ما كان يرقمه — مثلك يارب افصاح وتبييـن
لله در يد سوت برقتـهـا — تلك السطور بتحبير وتزيين
عليك خير سلام من أخيك مـــا — فى الود قمت بمفروض ومسنون

١ ـ ١٠ ـ ١٣٦٢ هـ

الاخذون عنه

١) سيدى الرشيد الروداني القاضي
٢) سيدى احمد الروداني أخوه القاضي ، ذكرا معا فى (القسم الخامس)
٣) سيدى مبارك البوزوكي الكسيمى المتوفى نحو ١٣٤٧هـ ذكر مع ءاله فى (القسم الثالث)
٤) سيدى الحسن الازاريفي الثانى ، يذكر الازاريفيون فى (القسم الثالث)
٥) سيدى الحاج الاحسن البعقيلي ، الشيخ المشهور يذكر فى (القسم الرابع)
٦) سيدى الحسن بن على الالغى ، أستاذ فى المعهد الردانى (تقدم ذكره)
٧) سيدى احمد بن ابراهيم الوفقاوى القاضى سياتى قريبا
٨) سيدى احمد الهوارى العدوى الاستاذ فى المعهد الردانى ذكر مع أهله (فى القسم الرابع)
٩) سيدى عبد الرحمن التنانى الواعزونى التازانتونى ٠ لايزال حيا يشارط فى المساجد كسيدى ابى موسى ٠ واولاد أبى الرايس

---

١) الخصل بفتح فسكون ما يفوز به السابق فى الميدان كالسبق محركا

١٠) سيدى محمد بن عبد الله التانيتى التنانى
١١) سيدى محمد بن محمد بن ابراهيم التنانى
١٢) سيدى عبد الله الوفقاوى الكاتب فى محكمة تافراوت سياتى قريبا
١٣) سيدى محمد بن مبارك الوفقاوى تاتى ترجمته قريبا
١٤) سيدى احمد بن مبارك الوفقاوى سيذكر قريبا
١٥) سيدى احمد بن محمد المافامانى السملالى المذكور مع أهله فى (القسم الثالث)
١٦) مبارك بن احمد الوفقاوى تاتى ترجمته قريبا
١٧) مولاى سعيد ، استاذ مدرسة سيدى ابى السحاب بماسكينة
١٨) ابراهيم البعمرانى (الاستاذ فى (ايغيلالن) الان بعد المترجم)
١٩) محمد بن اسمعيل ، الحاكم المسدد فى محكمة اكلميم ثم فى(تارودانت) ذكر مع أهله فى (القسم الرابع)
٢٠) محمدا بن الفقيه التامرى
٢١) محمد بن كربيض الحاحي ثم الاكاديرى ، توفى منذ نحو ١٠ سنين
٢٢) عبد الله الاكديرى ، الفقيه فى أكادير الشهيد فى الزلزال
٢٣) ابراهيم الازنيرى الاعرج (العدل فى محكمة امينتانوت بعد الاستقلال)
٢٤) مولاى سعيد بن مبارك التواينانى عدل فى محكمة (تارودانت) وخطيب فى مسجد (مفرق الاحباب)
٢٥) مولاى احمد أخوه ، عدل واستاذ فى (تازمورت)
٢٦) محمد بن هرماس الرودانى ، الفقيه الجليل ، عضو المجلس الاستشارى كعالم سوس
٢٧) الطاهر بن محمد بن الحبيب الجرارى • نائب قاضى (ايكودار) يذكر مع أهله فى (القسم الرابع)
٢٨) مولاى أحمد اخرباش • نائب الحاكم المسدد فى تارودانت • ويذكر مع أهله فى (القسم الرابع)
٢٩) احمد الخليفة الاينزكانى ، توفى منذ سنين وعنده بنت للاستاذالمترجم
٣٠) عمر الهوارى من (عين البيضاء) استاذ فى محل بهوارة وهو رجل فاضل وهو صهر الاستاذ أيضا على بنته
٣١) عمر البعاريرى ، تزوج الاستاذ اخته ، عدل فى محكمة هوارة
٣٢) الحسن بن محمد بن احمد الاكلويى ، عدل فى محكمة تيزنيت ، وله ذكر فى الرحلة الثانية من (خلال جزولة)
٣٣) محمد ـ فتحا ـ بن محمد بيشوارين الساحلى يذكر فى (القسم الرابع)
٣٤) احمد الرخاوى
٣٥) احمد الوجانى ، نزيل تونس ، العلامة الجليل (وقد رجع من تونس

فصار استاذا ى المعهد الروداني)

٣٦) عبد الله بن منصور التازموزتي ، رئيس في بلده

٣٧) عبد الله الكونكي

٣٨) الحسن البونعماني الاديب الكبير ، ذكر مع أهله في (القسم الرابع)

٣٩) محمد بن عبد الرحمن الاسغاركيسي ، يذكر معأهله في القسم (الرابع)

٤٠) عبد الله بن الطاهر الافراني ، يذكر مع اهله في (القسم الثالث)

٤١) الحسن بن مولود البعمراني العلامة الجليل (وهو الان ١٣٨٠هـ) حي

٤٢) علي بن سليمان البوكرفاوي البعمراني نزيل فضالة ، نجيب رفعراية الفكر هناك

٤٣) عبد الحميد بن عيسى التدرارتي البعمراني ، وقد ذكر مع أهله في (القسم الرابع)

٤٤) محمد الجد المنتاكي ، استاذ في احدى المدارس

٤٥) احمد الغالب السرغيني الروداني احد أساتذة المعهد الروداني

٤٦) أحمد بن زكريا البعمراني ذكر في (القسم الرابع) مع أهله

٤٧) محمد بن الحسن الباز القائم بفرع المعهد بتزنيت ، وهو علامة جليل محصل

٤٨) محمد بن العربي البرهومي الهواري ، عدل في محكمة هوارة، فقيهحسن

٤٩) عمر بن الباشا الحسن التامري ، المعتبط شابا ٠

٥٠) الطيب بن احمد بن الدريوش البعمراني ، أستاذ في المعهد ، وقدحصل على العالمية رسميا

٥١) محمد بن عبد الله العلالي الهشتوكي عدل في هشتوكة

٥٢) عبد الله الحمزاوي من القراء الاينزكاني الحاحي الاصل

٥٣) محمد الشركي ، استاذ مذكور

٥٤) العربي الهشتوكي ، استاذ في عين (المداور) بهوارة

٥٥) عبد الله الايرازاني ، أستاذ في (ايرازان)

٥٦) مبارك بن علي التاكانتي الاخصاصي

٥٧) عبد الرحمن بن محمد بن علي امزيل الاينزكاني ٠ وأخذ أيضا عن مبارك البوزوكي ٠ لايزال حيا وهو خطيب في مسجد (اينزكان) الان ١٣٧٩هـ وأبوه عالم جيد ، أخذ عن سيدي عبد الله بن ابراهيم اليوفتاركاوي توفي بعد ١٣٢٠هـ وقد ذكر في الرحلة الاولى من (خلال جزولة)

٥٨) محمد بن الطيب الدحويي الهواري استاذ في (اولوز) ثم في (دودرار) وكان قبل في(ادوز) بهوارة استاذا في مدرسة ابتدائية وهو محمد بن الطيب ابن الحبيب بن الحسن بن العربي وأصلهم قرية (المرس) من قبيلة أيت بوبكر وأصلهم الاصيل من (تاوريرت) برسموكة ٠ والفقيه الحسن بن العربي الذى

ذكر في النسب كان قاضي تلك الجهة • توفي قبل ١٢٨٠هـ • وولده الفقيه احمد بن الحسن الاخذ عن محمد بن محمد بن أحمد المرابط الادوزي توفي نحو ١٣٢٥هـ وقد عرفت محمد بن الطيب ذا شيبة وشارة ، وقد مثل يوما أمام الملك مع وفد من علماء سوس

مرض الاستاذ ووفاته

كانت صحة الاستاذ منهارة من ازمان ، وكانت الامراض تعتريه كثيرا • وقد ذكرنا فيما تقدم انه كثيرا ماتغلب عليه الصفراء ، حتى يغمى عليه ساعة أو ساعتين ، فهكذا كان منذ احقاب ، وفي ءاخر أيامه افتتح دروسا منها • المقنع ، في عواشر الاضحى ، ولم يتمكن في استتمامه ، وانما كان يدرس وفي جانبيه مسائد • حتى اذا غلب انقطع في الدار • وقد كان الطلبة تفرقوا في العواشر ، وهم يتخوفون من وفاته وشيكا ، ثم أمربان يرسل اليهم كلهم فاجتمعوا وهم زهاء سبعين ، فذهبوا اليه في الدار ، فوجدوه منبطحا على بطنه لايقدر أن يرفع رأسه ، فصار يوصيهم ، فكان مما قاله الوصية الاتية التي جمعها بعض الطلبة مما استوعبه من كلامه ، كما هو ، وبعد الوصية صار يقول : الموت ـ الموت ، الموت ـ ثم خرج الطلبة من عنده • فبقي بعد ذلك اليوم أسبوعا • وهو عاقل مستحضر • حتى رجي برؤه ، وقد كان اعرض عن التكلم مع أهله ، وانما يكلم طلبته ، وفي ليلة بلغ نعيه الطلبة ، فهيء في الدار • وكفن فووري في مستقره الاخير ، بعد ما اجتمع الناس المتجاورون ، فصلى عليه ودفن بعد الضحى •

وهذه وصية المترجم انقلها من خط تلميذه الاستاذ سيدي احمد العدوي سمعها من فيه ، وسجلها في حينها وقد كان القاها على تلاميذه الحاضرين •

«(أيها الاخوان اعلموا انكم أولادي وأنا أبوكم فان أباكم وصل ءاخر منازله وانه ذاهب الى ربه فمن سمع مني خيرا فهو خير له ومن سمع مني شرا فهو خير له ، ومن سمع مني كلمة فسينتفع بها دنيا واخرى ان شاء الله فاللهم اجعلها له نورا وهدى وتقى ، وأنا راض عنكم ، لاعزل منكم أحدا ، فلا ءاذن لاحد أن يذهب الا بعد الموادعة والمسامحة ، فلا احد أحب الى من الله ورسوله والشيخ التجاني ، واشهدوا واعلموا اني لست من المتبدعين ، وما كتبت زورا ولاعقدا يدل على الدنيا ، فاشهدوا اشهدوا لي بذلك ، فان فعلت فاني اوخذ به بين يدي الله ، فكونوا ماستطعتم كذلك ، ولاءاذن لاحد ان يذهب حتى يصلي علي • ويستغفر لي في مقري كما هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم • والله مالي قدرة على الكلام (واسالوا هؤلاء الحاضرين) الا الان من شدة الشوق اليكم فلا يذهب احد حتى يودع اخاه • فهذا هو الموت ، ولا تقبروني الا بين اخواني

المسلمين واياكم وبيت سيدى سعيد • وبيت سيدى يحيا ، مخافة رقص النساء على • واياكم ان تفضاونى بشىء • فمن فعل فالمواخذة لابد منها بين يدى الله • وأياكم وأن يغلبكم العوام ، فيفعلون شيئا من ذلك والسلام عليكم)

مراثيه

سمعت ان هناك مراثى للمترجم ، والكن لم أتوصل الا بهذه التى قالها شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالغى

قامت قيامة أهل الفقه اذ نودى ... بنعى شيخ الورى الفقيه مسعود
الوفقوى ابن احمد امام تقى ... نجم هدى ورضا وكعبة الجود
قد جل موته من رزء المصاب به ... اذ كان والله منا خير مفقود
رزء عظيم غدا فى الدين ثلمه لا ... يكون طول مدى الدهر بمسدود
قد اظهر الدهر انجازا لموعده ... بالبؤس منه واخلافا لموعود
يا أيها السيد الارضى الامام ومن ... له يد فى المعالى غير مجحود
خلفت بعدك وجدا لايريم ولا ... ينسيه لى جمع والد بمولود
اقمت عمرك رسم الدين مجتهدا ... لم تال جهدك فى رصف وتشييد
لم يوذ فقدك يامولاى غير ندى ... ومنتدى علم مقصور وممدود
فالعلم فى الغرب قد ءال لغربته ... والدرس مندرس ليس بموجود
يامفردا علما بالرفع مشتهرا ... وواحدا صار جمعا عند تعديد
انفقت عامك فى الاقراء منتدبا ... لله محتسبا اقراء تجويد
احييت فى الغرب علم الشرع فانبعثت ... للاستفادة منك أهل تسديد
وانتجعوك فنالوا منك كل منى ... اذ وردوا غير مطروق وتصريد
مسعود يبكيك أهل الفقر والشرفا ... كذاك أهل المعالى دون تفنيد
علما بان ليس من بعدك مقرينهم ... نعم ويبكيك أيضا علم توحيد
قد سعدت (اغلال) منك وابتهجت ... لما احبتك حبا غير معهود
فافتخرت باحتلالك ومجدها ... بك ذوو العلم طرا اى تمجيد
فيابنى العلم صبرا يابنيه فقد ... فاز بقسط من الرحمان محمود
عمت مصيبتنا لكن يحق لنا ... نلقى القضاء بتفويض وتحميد
تلك المنون سبيل انكل لا احد ... يسلم منها ومن يحظى بتخليد ؟

الى ءاخرها ، وقد اختصرنا منها اخيرا •

أولاده

للاستاذ من الاولاد الذكور اربعة

١) محمد ، أخذ قليلا عن أبيه ، وفى مراكش ، فقد لازمنا هناك زمنا • ثم

تقلبت به الاحوال ، فكان رئيسا على اهله زمنا غير قليل

٢) احمد ، أخذ أيضا عن والده قليلا ، ثم عن الاستاذ احمد بن ابراهيم الوفقاوى القاضى فى (تمانار) ، ثم لازمنا فى مراكش ، حتى حصل تحصيلا ، وهو اليوم أستاذ فى احدى المدارس الحكومية فى (اينزكان) وهو ممتاز فى اخلاقه وحسن مواخاته ، وفى طيب سريرته

٣) عبد الله ، اخذ اولا عن الاستاذ سيدى ابراهيم البعمرانى الذى قام بمدرسة (ايغيلالن) بعد سيدى الحاج مسعود ، ثم التحق بمراكش حيث يستتم الآن •

٤) مسعود ، هو اصغرهم ، يتابع دراسته فى احدى المدارس الحديثة تحت حصانة أخيه احمد •

واما البنات فهن ثلاث ، تزوجهن من ذكرناهم بين الاخذين عن الاستاذ

قولة ابن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه الامجد ، العلامة الاسعد ، سيدى الحاج مسعود بن احمد الوفقاوى ، اتفقت الخاصة والعامة على كمالاته ، وقامت الدعوى مصدرة بصدق جلالاته ، لايدرك شأوه فى العلم والتدريس والحفظ والجود ، من عرفه عرف ان الناس فى رجل ، والدهر فى ساعة ، والارض فى دار :

(فتى كملت أخلاقه ومآربه)

لاتحل به البأساء ولا الملائم ، ولاتاخذه فى الله لومة لائم ، اخذ عن جلة الكرام ، ممن لهم فى العلم قدم والمام ، واجازوه فى العلوم على أنواعها ، تفسيرا وحديثا • وفقها ونحوا وأدبا وتاريخا ، الا أنه يحب الخمول ، ويكره ان يخاطب بالعالم ، ولما طلب الاجازة من شيخه سيدى على بن عبدالله الالغى ، اجازه وكتب له أبياتا ، نصها

هذا وان العبد ليس لما بــه   حليت اهلا من شفوف المقعد

(الى ءاخرها ، وقد تقدمت اثناء الترجمة وكذلك بعض جوابها من المترجم)
ثم قال : وقد كتب الى مرة ما صورته :

«••••وانه من الضعيف ، الطالب من ربه اللطيف ، غفران المساوى ، مسعود بن احمد الوفقاوى ، الى سيدنا وخليلنا الذى لاجد له بديلا من خليل سيدى الفقيه العلامة ، الذى لايقابل بفضل الله بعلى مه ، سيدى على بن الحبيب أحبكم الله وأعانكم ، واغناكم ، ووفقنا جميعا لما يرضاه ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعلى أهاليكم •

(وبعد فلا باس يستدعى الشكوى لغير ، والباعث عليه الاعلام بالمـودة المقتضية الدعاء من الجانبين للجانبين ، ومن لوازم المودة الالهية ان يقبـل الحبيب حبيبه على أى حال كان عليه ، مع علمى بانكم اكثر منا محبة الينا، فلما علم حامله ولدكم وولدنا محبة بذلك ، استشفع بى اليكم ، فى أمر عرته العرواء عند ذكره اليكم ، وذلك مساعدتكم فى كذا الخ ، وسلم منا على جميع الاخوة والاخوان والسلام)

اذا ضاق صدر الدهر ، فهو رحيب النادى ، واسع الصدر للحاضر والبادى فاضل تزينت المجالس بمنظومه ومنثوره ، وحدائق العلوم مبتسمة بثغوره ، سمح السجية ، بسام العشية ، يجرى بحر الفضائل من بره ، ويعذب الورد للصدى بما يصدر من صدره ، ويفيض احسانه لراجيه وآمله ، وتبتدر الانـام لتلقى عطايا أنامله ، وتتزاحم على سيب علومه ، تزاحم رقاب اعدائه على سيفه وخصومه ٠

وله مخاطبا لبعض تلامذته ، وقد نزل عليه سقف بيته بالمطر

همام حليف الصبر لا تستفزه	من السقف امطار وبل الدفاتـــر
على ان سقف البيت يرمى بنبعه	وانت بالفاظ كنظم الجواهر
على ان سقف البيت لا شك ينقضى	من الفم ما ابدى ، أدر المفاخـر
شربت بكاس العلم عذب معينه	وحليت حلى النحـو زين الاكابـر

النوازلي

سيدي محمد بن مبارك الوفقاوي

١٣٠٥ هـ = نحو ١٣٧٠ هـ

نسبه

محمد بن مبارك بن ابراهيم ، وهو ابن عم الاستاذ الحاج مسعود المتقدم وهو من فقهاء أيت وافقا النوازليين

متعلمه

أخذ المترجم القرءان ببلده ، وفي (تاوييت) عن شيخ الجماعة سيدي سعيد بن عبد المومن ، ثم افتتح الدراسة العلمية عند استاذ المدرسة الوفقاوية سيدي عبد الله الكرسيفي ، اخذ عنه الاجرومية مرات ، ثم انتقل الى (تازانتوت) عند الحاج مسعود ثم كان عنده في (سيدي ميمون) بكسيمة ، ثم لما نجب ، طلب أعبو من الاستاذ ان يرسله اليه ، ليسرد عنده الحديث في رمضان ، ولم يبق هناك الا قليلا ، ثم انتقل الى المدرسة (الالغية) فبقي فيها ثماني سنوات ، فهناك حصل ما حصل من الفنون ، وتحصيله وسط ، ولكنه بملازمته الاستاذ ابن عبد الله بعد ذلك تخرج في النوازل بكثرة العمل ، فان الاستاذ يتخذه كمعاون وكرسول في كل القضايا الوفقاوية ، ولاتخلو منها حضرة الاستاذ يوما واحدا ، بل تكون عنده عشرات ، ولذلك قال بعض الوفقاويين للاستاذ وهو يباسطه أتريد ان نرتب لك كل سنة قالبا من السكر على كل دار ، فتزاول قضايانا مجانا ، فقال له بمباسطة مثلها انني قد أتوصل في قضية واحدة بمثل ذلك كله ، وفي كل هذه القضايا يقف فيها مع الاستاذ صاحب الترجمة ، فيقوم مقامه على الحقول ، ويعاين الحدود ، وما أشبه ذلك فبهذا تخرج في النوازل العملية ، والتوثيق حتى كانت له ملكة في ذلك ، ثم لما توفي الاستاذ سنة : ١٣٤٧ هـ بقي يتردد في بعض قضايا ربما يحكم فيها أو يستعين به فيها من يحكمون فيها ، لانه اكثر الناس اطلاعا على مختلف القضايا وتطوراتها هناك ، وبعد الاحتلال لزم داره الى سنة ١٣٥٦هـ فعينته الحكومة ازاء الاستاذ سيدي الطاهر بن علي ، فهاهما ذان الآن يتمشيان في ذلك .

وقد شارط في المدرسة الوفقاوية سنة واحدة ، ثم في مساجد اخرى من بلده ، هذا ما حدثني به عنه أناس ، واما أنا فلم اعرفه الى الآن ١٣٥٨هـ حتى احدث عنه بالعيان والمجالسة ، وقد حدثني الاستاذ سيدي عبد الله بن ابراهيم ان عندنا ثلاثة ، هم بأنفسهم تواريخ تمشي في مختلف النواحي المتعلقة بهذه البلاد ، فذكر والده ، والفقيه سيدي احمد أو الشلح الايسي ، وصاحب الترجمة ٠

أقول هذه شهادة كبيرة ، وأنا أتأسف جدا حيث لم اتصل الى الان بهذين كما اتصلت بالعم ، لاقيد عنهما ما نحن مدخروه لاحفادنا غدا ، ممايتعلق ببلدتنا هذه ، ونطلب من الله ان ييسر ذلك في المستقبل ، وهو على كل شيء قدير

ثم انني بعدما كتبت ماتقدم ، اتصلت بالمترجم يوما في مجلس فرأيته وسمعت كلامه ، وقد حضر في محاورة حول كروية الارض ، فرأيت منه ما هو مظنون من أمثاله ، وقد تساقط عليه بعض من لايتقون الله ، فشدخ رأسه ، فحمل مغدورا ٠ فبقي شهرا ، ثم لحق بربه ، والسبب هو المخاصمة على ماء واسم الضارب : ابراهيم بن المحفوظ ، وقد سجن لذلك سنتين ، ولايزال حيا الآن ٠ وتحرير وقت موته بالضبط ليس عندي الان ، فاما قبل ١٣٧٠هـ بقليل او بعده بقليل رحمه الله

الحـاج

احمد نيت اوبريك الوفقاوى

شعبان ١٢٨٨ هـ = ليلة ١٢ ـ ٨ ـ ١٣٦٤ هـ

نسـبـه :

أحمد بن ابراهيم بن محمد ـ فتحا ـ بن مبارك بن ابراهيم بن سعيد ابن محمد بن سعيد بن موسى ٠

هذا فقيه ءاخر من هذه القبيلة ، نشأ من أسرة أبناء الحاج ، وأصـل الاسرة من (تيويسمن) من وادى الجبل ببعقيلة ٠

متعلمه

أخذ القرءان عن والده في مسجد (ازروالن) بمجاط ، ثم أخذ عن الاستاذ اكيك فى (تانكرت) وعن سيدى الطاهر بن محمد هناك أيضا ، وعن سيدى محمد الفقيه المافامانى فى (بومروان) فعن هؤلاء أخذ اخذا ليس بمتسع

متقلباته

لازم حضرة الاستاذ على بن عبد الله سنين كثيرة ، وهو شيخه فـى الطريقة وفى النوازل ، فكان العضد الايمن للاستاذ فى القضايا التى يحكـم فيها ، وفى القيام على حدود الاراضى ، وفى قسم التركات ، وكان يلازم مـع ذلك تعليم القرءان فى مسجد (تافكاغت) حيث شارط ، ثم بعد وفاة الاستاذ صار يتردد على خلفه سيدى المدنى فى ذلك ، حتى دهم الاحتلال ، فانكمش كما انكمش كل الفقهاء أمثاله ، وقد كان أدى فريضة حجه فى شبيبته ، وهوهادئى ساكن ، كما حكى لى عنه لانى لاءعرفه ٠

تأبينه

صار شيخا مسنا ، فطاول الحياة الى ان توفى فى سنة ١٣٦٤هـ فتيسر لى ان قلت فيه مما أرسلته الى ولده سيدى عبد الله ٠

احقا مضى ذاك الفقيه المسدد ... ومن كان في سوق النوازل يحمد
مضى طاهر الاذيال لا تستفزه ... براطيل من للجور في الحكم يقصد
ولكن لنا من نجله خلف ومن ... له خلف من بعده فمخلد
فذا أنت عبد الله أفضل قائم ... لنا ان مضى نحو الفراديس احمد
فدم للمعالي والمعارف مشرقا ... كما كنت قبل اليوم والناس شهد
فما مات من ابقى نظيرك عالما ... له بصر بين الفنون محدد

ورثاه الاديب سيدي محمد بن علي الالغي بالابيات الاتية بعد ماكتب مايلي لما توفي السيد الصوفي اويسي زمانه ، واياسي اوانه ، الكاتب اللبيب والاخ الحبيب ، صديق أسلافنا وصديقنا ، وعيبة اسرارهم وبطانتهم ، الاريب الجيسوبي المشارك ، سيدي الحاج احمد بن ابراهيم البعقيلي أصلا ، الوفقاوي منشئا ووطنا ، بموضع (ايكيليز) بأيت او الشريف رحمه الله وعظم الاجر في مصابه ، وفسح عليه في بحبوحة جنانه . قال الكاتب في مرثيته ، وتعزية ابنه الارضى الفقيه المفوه ، سيدي عبد الله ابن الحاج أحمد ، الهمه الله الصبر وثبت له الاجر ، ما نصه

سيدنا الحاج احمد الرضا العلم ... مات فمات الحيا والدين والكرم
مات الوفاء وصدق الود واتقدت ... نار تشب بها في اضلعي ضرم
يا عجبا لفؤاد شفه لهب ... محلل فيه مذ بانوا ومذ صرموا
عهدي به ما به كفر ولا دخل ... ولا نفاق لمن ودهم حرم
الموت سيف له حد يجرده ... على الخلائق لم يشبع له قرم
فما نجي منه سوقة ولا ملك ... وان حوى حازما ما قد حوى ارم
صبرا وان كان مرا فادحا جللا ... عبد الاله فان الصبر معتصم
فيك الكفاية انت المفرد العلم ... والسيد الشهم لانكس ولا برم
فالله رب رؤوف بالعباد فما ... يرجو سواه عبيد ان هم جرموا
فالله يرحمه وكيف لا وله ... بزورة المصطفى وبيته الحرم

ثم رثاه الفقيه المفوه المدره النجيب المدرس سيدي المدني بن علي بمانصه:

هذا مصاب كوى اكباد من طرقا ... اسماعه لهبا يشوى الحشا حرقا
أصم ءاذان هذا الكون مذ نفقت ... أسواقه فلهيب الحزن قد نفقا
رزء جليل اتيح للورى عمم ... قد هد اركان هذا الدين قد طرقا
والدهر ديدنه قد ما ينغص ما ... صفا ويقذى عيونا كيفما اتفقا

هذا ما وجد في القصيدة وهي اكثر من هذا .

احمد بن مبارك الوفقاوي

نحو : ١٣٠٢ ﻫ = ربيع الاول ١٣٥٩ ﻫ

نسبه :

أحمد بن مبارك من آل الشريف - قرية من قرى الوفقاويين وامه بنت احمد ارجدال

أخذ القرآن فى بلده حتى حفظه ، ثم مر باستاذ جهة المعدر ، ثم التحق بالعلامة سيدى الحاج مسعود ، منذ كان فى (أيت باها) قبل ان يشارط فى (ايكونكا) ، لازمه سنين كثيرة ، وهو من اوائل اصحابه ، وقد ذكر عارفوه أنه نجيب محصل ٠ درس الفنون كلها مرات ، وحين تخرج شارط فى مدرسة (سيدى مزال)فى (أيتايلوكان) ، ثلاثة أعوام ، ثم فى مسجد (تاكادير نعبادو) فى قبيلة ما سكينة سنتين ، وفى هذا المحل اتصل به الاستاذ القاضي سيدى أحمد بن ابراهيم الاتى ، وذلك فى نحو صفر ١٣٥٣ﻫ فتعلم من عنده القرءان لانه شغله فى هذا المسجد ، بعدما درس العلوم حين كان فى تلك المدرسة ، ثم افتتح متجرا فىسوق (اينزكان) (١٣٥٥) ﻫ حيث بقى حتى توفى ، وقد ساقه اجله الى قرية (تاكادير) لقضاء بعض شؤونه عند اصهاره هناك ، لانه اقترن ببنتهم حين شارط عندهم ، فدفن هناك

قال عارفه : كان رجلا رزينا متدينا حيبا ، وقد ورث من والده الفقير مبارك الذى هو من أصحاب الشيخ الالفى ، حتى انه لايسمى الا بالدرقاوى، وكان فى مسلاخ المتجردين ، وان كان يعد من المنتسبين ، وقد مات هذا الاب قبل الابن بنحو عشر سنين

اسم هذه القرية بلفظ الشلحة (أيت او الشريف) ، وهناك مدفن سيد يسمي سيدى محمد - فتحا - ويضاف الى (توفاسور) وهو اسم الساحة التى دفن فيها ، ولعله هو الشريف ، فنسبت اليه القرية

سيدى احمد الوفقاوي القاضي

نحو ١٣٤٠ هـ = حـــى

نسبــه

أحمد بن ابراهيم بن على بن حمو بن احمد (ارجدال)

ورد الجد الاعلى احمد أرجدال هذا من (أسا) من القبيلة العربية الهلالية القاطنة هناك ، وتعلم الان بأيت اوسا ، وهي قبيلة عظيمة لها رؤساء مشهورون فهناك من اوائل هذا القرن القائد الربانى بن حمدى ابن : جعا ويسى ، الــذى كانت الزاوية المنسوبة هناك الى الشيخ سيدى يعزى وهدى المتوفى ٧٢٦هـ مضافة الى ايالته ، وهو من فخذ تسمي (ادحمو اوعلى) ويذكر هذا القائد بخير ودين من جيرانه ، وقد توفى فى رمضان ١٣٦٠هـ وقد كان رئيسا قبليا قبل الاحتلال ، لتلك الجهة الواقع : ١٣٥٢ وقد خلفه الان القائد بوزيد بن الربانى وقد اشتهر كابيه باكرام كل طارق حتى انه ليقال انه كابيه ، لايزالان يحافظان على عادة كرماء العرب من ايقاد النار على اليفاع ليلا ، لهدى السارين اليهم ، ولاهل الربانى ثروة عظيمة من الابل ، تنيف على الالف فيماذكر لنا ، وقد زكوا فى هذا العام بخمسين جملا ، والرياسة قبل هذين فى الشيخ على البكو الماسرى جدهما ، وهناك ازاء (ءال الربانى) قائد آخر : محمد بن الخرشى ، على (اداومليل) لايزال حيا ، ورث الرياسة أيضا عن ءابائه ، كنظيره المتقدم ، وفي هاتين الاسرتين رياسة (ايت اوسا) الان ، وقد سمعنا بان هناك عقدا فيه حماية أهل (الغ) وبهذا يعرف اتصال ءال الغ بتلك الناحية قبل اليوم ، ولعل ذلك الاتصال هو الحادى لجد المترجم ، حتى انتقل من تلك الصحراء الى الغ ، فقطن بين قبيلة الوفقاويين ، فأدرك بينهم سمعة لاتزال تدوى الى الان ، وقد اشتهر بأنه أثل كثيرا فى قرية (أمالوأوسرك) ، وهو من أهل اواسط القرن الماضى ، وقد قفى ولده حمو حياته عادية ، وكذلك على حفيده ، الا انه ترك ولدين لهما مكانة ، فالحاج مبارك ، ممن أعمل قدمه حتى حج ، فى عصر لايحج فيه الاالمقدمون من أصحاب الوهم ، ثم انقطع فى تونس الى أن وافاه هناك أجله ، وقد مـــر بالقرآن مرورا ، وأما ابراهيم والد مترجمنا ، فانه من حفظة كتاب الله المتقنين اخذه فى مسجد المعدر عند احد بلدييه ، ثم صار يشارط فى مساجد قبيلته فاشتهر بحال حسنة محترما مبجلا ، يقصده الناس لتحرير رسومهم لتثبته وعدالته بينهم ، وقد آنسنا منه ظاهرة سنية حين سمى اولاده باحمد وابى

بكر ، وعمر وعثمان وعلي ، هذه السلسلة المباركة ، وهي ظاهرة تدل على انه مشغوف بالسنة • واكبار رجالات الدين الاولين ، فقد اتم الله امنيته فـــي اولاده ، فنشأوا شببة يتطلعون الى المعالي ، على قدر بيئتهم ، ويقودهم أكبرهم احمد المترجم ، فيسير الاخرون اليوم وراء أحمد بن ابراهيم مترجمنا هذا ، كما كان الخلفاء الاربعة أمس وراء احمد بن عبد الله صلى الله علـيــه وسلم وقد توفى ابراهيم اخيرا ١٣٦٥ هـ

منشأه وأخذه للقرآن

رأيت الآن ماهي أسرة الاستاذ القاضي سيدى أحمد الوفقاوى ، وهي أسرة لها ما لها ، فلنر الآن كيف هـذا الفرع الطيب ؟ وهل تكون الفروع الا طبق الاصول •

أخذ القرآن أولا عن والده ، وعليه أتقن حفظه ، وجود عليه تسع ختمات في مساجد القبيلة الوفقاوية التى كان يشارط فيها أو فى دارهم ان كان شاغرا من المشارطة ، ثم انتقل الى قرية (تاكاديرت) من قبيلة : ما سكينة ، فـلازم الاستاذ سيدى أحمد بن مبارك الوفقاوى ـ المذكور قبله ـ المشارط هـنـاك فأخذ عنه ختمتين اخريين •

هذان هما استاذا المترجم فى القرءان ، ولم يعدهما الى غيرهما

في مناغاة العلوم العربية

القى المترجم جرانه امام العلامة سيدى الحاج مسعود ، فـي مـدرسة (ايغيلالن) من ١٣٥٥هـ فتدرج فى اخذ الفنون ، ولازم غاية الملازمة ، لان الاستاذ كان يلزه ويضغط عليه ، ويريد له التفوق لما بينهما من الرحم ، فان المترجم من اخوال الاستاذ ، وقد كفله كفالة تامة ، فيكسوه ويمونه ويربيه ، زيادة على تعليمه ، فلم تمض سنوات حتى تفوق على يده ، وكرع من حياض النحو وكل العلوم العربية ، والفقه والحديث ، فقد مرعلى المتون مرورا متعددا ، حتى انه مر بالالفية أربع عشرة مرة ، وعلى ذلك فليقس ، ولاريب ان من ثافن البحر الزاخر ، كسيدى الحاج مسعود ، ولازمه ملازمة تامة ، وكان فى مثل حدةذهن سيدى احمد الوفقاوى ، سيكون فطحلا عظيما ، وفحلا لايشق غباره ، وكذلك كان ، فتكشف عن جهبذ محصل ، وعلامة متمكن ، علمه معه اينما سار وهوذا لايزال حيا ، فعينه فراره

ومن يقـل قـولـه او زوره قلت له الامام تحت الشجرة (١)

١) يحكون ان ذيبا رأى ديكا فوق عال فناداه انزل أيها المؤذن لنصلى فقال أيقظ الامام من تحت تلك الشجرة فوجد سلوقيا فقفز هاربا منــه فنظم بعض الصحراويين مغزى المثل فى البيت •و

يشارط في مسجد آيت ماعلا

كان الغلاء المفرط الشديد سنة : ١٣٦٤هـ حين بلغت (العبرة) من الشعير الذى هو جل معيشة اهل سوس ، نحو الف فرنك ، فاثر ذلك فى المدارس الى ان وقعت الفاقة فى ضعفة من فقراء الطلبة فى مدرسة (ايغيلالن) فتفرق بعضهم ، وغادروا مجلس استاذهم الى حيث يتمصصون ما يسدون به أرماقهم ومن بين المغادرين المترجم الذى تسلل وان لم يودعه الاستاذ بخاطره ، لانه كان العمدة الكبرى فى تعليم المبتدئين من الطلبة ، فهل ينتظر من رب المدرسة ان يسلم فى العمدة الكبرى فى ذلك التعليم ؟ ولكن الواقع انه انطلق فشارط فى مسجد أيت (ماعلا) مـن قبيلة (أيـت سمك) وهو مسجد كبير مشهور ، لايشارط فيه الا الاساتذة الكبار ، فقام الاستاذ بتعليم القرءان ، ثم أبت همته العليا الا ان يضم الى ذلك دراسة الفنون لثلة من الطلبة ، لازموه عامـيـن ، فنجبوا على يديه غاية النجابة ، ولو كان الأستاذ ممن يقنعون بتحصيل الفنون التى يهتبل بها السيوسيون لقبع فى محله ، ولكن الاستاذ العزوف الانوف الطلعة ، لايرتضى الا أن يضم علوما اخرى من الحواضر الى ماكان اتقنه فى سوس

عندنا في الحمراء

كنت عرفت الاستاذ من الغ حيث زارنى ومد الى قصيدة مطلعها :

أيا سيدى أطلق عنانى اطالع لعلى ان ارقى لاوج المطالـــع

نكتفى منها بهذا المطلع ، والرسالة تقرأ من عنوانها

ثم اتصل التعارف حتى انتقل الينا فى الحمراء (١٣٦٦هـ) بعدما قضى سنتين فى المشارطة ، فثابر بهمته القعساء ، فاخذ البيان والاصول ، والمنطق والحديث والادب ، ولو كان ممن يكبون على المطالعة لكان فذا عظيما ، ولكنه يقنع بما ياخذ ، ومع ذلك ، تكشف عن علامة مشارك ، مضطلع بما استفاد ويزعم أنه تاثر ببيئتنا حتى فى فنونه التى كان أخذها من سوس ، كالنحو والفقه ، وحقيقة صارت مرآته تزداد صفاء ، فعاد مفكرا يدرك العصر الحاضر ومتطلباته ، ويكاد ينكر ما مضى له قبل ان يتصل ببيئتنا ، لازمـنـا ثلاث سنوات ، ثم دقت ساعته ، فولى وجهه شطر التعليم ، وهل يليق للتعليم الا مثل الاستاذ سيدى احمد الوفقاوى العلامة المحصل ؟

في مدرسة (تمانار) بحاحة

فى سنة : ١٣٦٩هـ وصلت اسلاكه بتلك المدرسة التى افاض فيها مـن معارفه ما أفاض ، فقام بهمة عظيمة ، وبعزيمة نادرة النظير ، فى تعليم الطبقات

التي انتظمت امامه ، فادرك الطلبة عنده حوالى ٤٠ طالبا ، فلم ينشب ان تجلت للعيون ءاثار تعليمه فى نجباء اصحابه ، وتهذيبه لمن يحلقون حوله ، ولـو كان الدهر يساعف امثاله من ذوى الهمم ، وممن لهم مكانة عليا فى التمكـن من المعارف ، لكان الاولى ان لايزايل صفته هذه ، ولكن ، ولكن ٠ ولكن٠

تاجر في البيضاء

انقلب المغرب رأسا على عقب ، بعدما طاف بعرش الملك المحبوب سيدى محمد بن يوسف ما طاف ، فكان لابد لامثال الاستاذ ان يختار لنفسه احـد الطريقين ، اما الصراط المستقيم الذى فيه سلامة العرض والدين والجسم ، بشرط ان يصبر على لاواء الدهر ، وعلى تقلبات الاحوال المعاشية، واماالترهة(١) التى فيها ما فيها من مماشاة الوقت ، والولوج من كل باب ، ولباس لكل لبوس فيتطور مع الدهر كيفما تطور ، ويقول بلسانه ما يخالف مافى ضميره ٠

أترى الاستاذ سيدى احمد الوفقاوى اللبيب الجسور يختار كعادة امثاله الطيبى النفوس المفكرين العارفين بزمانهم ، غير الصراط المستقيم الذى لاعوج فيه ولا أمت ، وكذلك فعل ، فلم يلبث ان طلق تلك المدرسة ، وطلق خطبة الجمعة فيها ، لئلا يذكر بلسانه فيها ابن عرفة ، فالتحق بالبيضاء ، بالبضاعة التى فضلت من اجرة مشارطته ، فها هو ذا الان بيضاوى له دكان ، وقـــد تزوج اوائل ١٣٧٤ هـ فحمد ما فعل ، وان كان انما ركب هذا المركب الوعـر مرغما :

اذا لم يكن الا الاسنة مركب   فلا رأى للمضطر الا ركوبهـــا

في القيـادة

جاء الاستقلال ، فاستطاع كل من كان ناكصا على عقبه فى حين الازمة أن يظهر ، فحاول المترجم الذى كان يمت الى ذلك باعراضه عن الخطبة بابن عرفة أن يتعالى هو أيضا الى رتبة ، فاتصل به اهل (تمانار) الحاحيون الذين كانوا مشاهدين منه ذلك الموقف الذى تجلى فيه اباؤه ، فتطلبوا منه أن يكون قائدا عليهم ، فتيسر ذلك حيث بقى شهورا ، لاقى فيها ما لاقى بين الانياب والاظفار ، ومشاكل الرياسة غير مشاكل الاستاذية ، فاخذ أيضا درسا ءاخر فى الحياة لم يكن لياخذه لولا ماكان ٠

---

١) الترهة الطريقة التى لا تكاد تبين ازاء المحجة وهى بضم التاء وفتح الراء المشددة ٠

في القضاء

ثم انتقل من وزارة الداخلية ـ حيث القيادة ـ الى وزارة العدل ، فتعين قاضيا في (الشياظمة) حيث بقي نحو عام ، ثم في (سكتانة) بتالوين حيث هو ، ثم نقل الى (ايغرم) حيث هو الان ١٣٨٠هـ

منه واليه في الادبيات

كان اكثر لداته المسعوديين استحضارا للادبيات انشادا ، وربما تعاطى بعضها انشاء ، فمما حضر الان من ذلك ما خاطبني به وانا لاازال في الغ نحو ١٣٦٣هـ :

لك الله مـن فـذ يفوز بـرضوان ... ويحرز خصل السبق في كل ميدان
لقد زخرت منك العلوم بأسرهـــا ... تخوض فتاتينا بدر ومرجان
ولا غرو ان الفرع قد طاب أصله ... وماشبل خفان سوى ليث خفان(١)
فعزكم مـوطـد بعلومـكـم ... وسطوتكم تعلو على كل سلطان
امالكم فضل بـكـل فضيلة ... مفوفة كالزهر في وسط بستان؟
فما منكم الا عزيز ممـجـد ... مهيب متى يلحظكم اى انسان
أيا سيدى المختار كيف ابين عن ... مقامكم عندى فقد ضاق تبياني ؟

فاجبته بقولى بديهة

حنانيك لاتصكك صماخي ببهتان ... متى كان للمختار ياقوم من شان؟
عفاالله عمن كان يقزل (٢)خلف من ... يجلى ويحجى محرزا خصل ميدان
فما كان الاابن الوجار (٣)لمن دروا ... ويحسبه من ليس يدرى ابن خفان
فاى علوم نـال غير مصوح ... هشيم الجنى ما ان يهش له جان
نعم كان مهتما ولكن تقاصرت ... خطاه فلم تدرك له القصد رجلان
فماذا يفيد الاصل قد طاب ان يكن ... له الفرع غصنا قد ذوى بين اغصان
دعوني دعوني انني قد عرفتـنـي ... فاذنان منى تسمعان وعينان
فما هـو اولى ان اكـن ذا بصيرة ... الايقان نفسي ام ظنـون لاخـوان ؟
الجهل نفسي ثم احسب عاقلا ... فماذا ترى من ذين رجحان ميزان؟
سوى ان اخواني يقيسونني عـلى ... محاسنهم والود يـغـرى باحسان
على انني ارجـو وفاق ظنونهـم ... مقاما بفضل الله ربـى ورضوان
واعلى مقام ارتجى ان اعيش فـى ... رغيد وان القى الاهى بغفران

١) بفتح الخاء وتشديد الفاء من محلات الاسود في بلاد العرب .
٢) انقزل محركا اقبح العرج
٣) وجار الثعلب بالكسر مسكنه

وقد كان انقطع عنى اوائل رمضان : ١٣٧٤هـ فكتبت اليه ارتجالا ــ اداعبه ــ

فراقا وبينا مستداما وغضبة ... مديلة لاتنقضى امد الدهـــر
فما اقترفت كفاك من طول غيبــة ... ففوق الذى من حقه غضبة الشهر
فلست اذا ما كنت أقبل بعدهــا ... لقاءك بالاغضاء بـالرجل الـحـر
فها انذا خلدت فعلتك التى ... اثور بها غضبان فى قطعة الشعر
لتبقى على الايام بندا مرفرفا ... عليك يراها الناس مادمت فى العمر
فانت الذى اوقدت جمرة غضبتى ... فكن وحدك المشوى فى ذلك الجمر

ثم اتبعت ذلك قولى

الى الى لست غضبان لا ولا ... تاثرت الا اننى تهت فى الشعــر
فما انت الا ذلك الولد الذى ... تغلغل حتى كنت هاجسة الفكـر
وكيف أرى غضبان عنك وانت من ... يشحذ سيفى ان يفلل مــن الغير
فثق بفـؤاد فيه صورتك الـتـى ... يجللها الاجلال منى بالشكر



سيـــدي

عبد الله بن احمد الوفقاوى

١٣٣٢ هـ = حـــى

نسبـــه :

عبد الله بن بن ابراهيم بن محمد ، فتحا ، بن مبارك بن ابراهيم بن سعيد ابن محمد بن سعيد بن موسى

هذا من النشء الالغى الذى نشا أخيرا فى هذا السهل ، فظهر بعلمـه وذهنه ، فكان له مقام محمود فى جيله ، فلم ينشب ان برز الى الميدان ، فكان له ما كان .

متعلمـــه

أخذ القرءان عن والده الحاج نيت اوبريك ـ المتقدم قريبا ـ فى مسجد (تافكاغت) حتى ختم عليه أربع ختمات ، ثـم عـن الاستاذ احمد بـن محمد التومانارى ، فى مدرسة (بومروان) كان يعلم القرءان تحت نظر الفقيه سيدى عبد الله بن محمد الانامرى أوليلي السملالى ـ الذى كان استاذ المـدرسة ـ والعادة ان يكون استاذ العلوم ، وأستاذ القرءان فيها تحت نظره ـ وأحمد هذا من المدررين الذين يملأون اوقاتهم دائما فى المساجد بتعليم القرءان كآلاف امثاله فى ذلك الجيل فى كل مسجد فى أية قرية بسوس ، ثم انتقل الى الحوز واعاه حيا الان شوال ١٣٧٨هـ وقد ختم عليه ختمتين

وفى سنة ١٣٤٧هـ افتتح عند الاستاذ الحاج مسعود فى (ايغيلالن) ثم لازمه من هذه السنة الى ١٣٥٩هـ ، فمر على جميع المتون ، وحصل غالبها فيها من الفنون ، نحوا ولغة وفقها وفرائض وحسابا ، وحديثا وتفسيرا وادبا وقد حفظ من المتون ما يعهد حفظه ، كالالفية والتحفة ، والرسموكية فـــى الفرائض ، والسملالية فى الحساب ، وقصائد أدبية ، فضلا عن المتون الصغيرة

بعـد التخرج

اتصل بمحكمة القاضى السيد الحبيب المثقال ، السويرى فى (اينزكان)

كاتبا فبقي هناك سنتين ، ثم رجع الى مسقط رأسه ، فشارط في المدرسة (الوفقاوية) سنة : ١٣٦١هـ فبقي فيها الى سنة : ١٣٧٢هـ ولكنه لايزاول التعليم فيها الا قليلا ، لان من أعماله المنوطة به مزاولة شؤون قبيلته الوفقاوية الكتابية الرسمية ، في قسم الاملاك والفرائض بين الورثة ، ويحضر يوم حكومة اهل قبيلته الرسمي ، فكان يستخلف في المدرسة الاستاذ مباركا الاتي ذكره ، فبهذا امتلأت العشر السنوات التي قضاها هناك ، وكان يرافق العلامة سيدي الطاهر بن علي في هذا العمل طوال تلك السنين ، وقد فارق المدرسة ١٣٧٢هـ فاستقل بهذا العمل وحده ، الى ان جاء الاستقلال ، فاستقبل عهدا اخر اختبط فيه ماشاء الله ، حتى تعين القاضي الشرعي في (تافراوت) فكان احد عمد محكمته الى الآن ١٣٧٨هـ

كانت لي به معرفة أيام كنت في منفاي الى الغ ، فكان يرد علي ، كماكنت وردت عليه يوما في مدرسته ، فتصفحت كتبا وجدتها عنده ، وقد وجدته في مذكراتي عن ذلك النهار ولا ادري هل انشدهالي او نقلتها من تلك الكتب

رغيف ابي علي حل خوفا من الاضياف من فوق السماك
اذا كسروا رغيف ابي علي بكى يبكي بكاء فهو باك

آخر

غضب الكريم وان تاجج نارها كدخان عود ليس فيه سواد

آخر

لقد ضيعت حظك من وصالي وبعت بابخس الاثمان كنزا
فكيف رضيت يا هذا بدوني وقربك من جنابي كان عزا
ستعرفني اذا جربت غيري وتعلم انني لك كنت حرزا

آخر

واذا رايت العبد يهرب ثم لم يطلب فمولى العبد كان الهاربا

من منشداته

جاذبته يوما في اختلاف الوجهات بين الناس ، فانشد هذا الشطر

«وللناس فيما يعشقون مذاهب»

كما أنشد أيضا «وحكمة ربي في اختلاف المشارب»

كما انشد أيضا وقد اهرقت كاس بيننا ... البيت المشهور

شربنا واهرقنا على الارض فضلة وللارض من كاس الكرام نصيب

كما انشد أيضا البيت الشهير :

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

وبعده :

فلو فى النار تنفخ لاستنارت ولكن أنت تنفخ فى الرماد

وكان هذا المعنى سببا حتى انشد قول المتنبى :

اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع اخى الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم



مبارك بن احمد الوفقاوى

١٣٣٨ هـ = حـــى

نسـبـه :

مبارك بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد ـ فتحا ـ بن احمد بـــن ابراهيم بن أحمد بن حمو بن احمد

ويقال لاهله (بنو العكيد) كما يقال لهم أيضا أيت همو بن احمد ، مــن قرية (اعلى مستالات) واصل الاسرة من (أسا) وقد سكن اجدادهم اولا فى قرية (اغرابو) فقيه من فقهاء جيله فى تلك القبيلة التى لاتبض بالعلماء الا بمقدار

متعلمـــه

اخذ القرءان عن الاستاذ عبد الله بن احمد الدفلاوى السملالى ـ من ءال يعزى المخرج لكثيرين ـ فى مسجدهم بمسقط رأسه ٠ ثم الاستاذ محمد بن احمد الاخصاصى ، ثم الاستاذ محمد بن احمد من بنى المؤذن ، ثـم الاستاذ محمد بن أحمد الزيمامى السملالى ، فحفظ القرءان بسبع ختمات ، وبهم جمع القرءان كله فى ختمات ثم افتتح المبادىء عند الاستاذ اليزيدى احمد ابـــن الحاج محمد فلازمه نحو سنتين ثم لما فارق الاستاذ اليزيدى المدرسة المولودية التحق هو بالمدرسة (الالغية) ١٣٥٣هـ ، عند الاستاذ سيدى المدنى بن على ٠ فربض عنده ثلاث سنين ، ثم اتصل أيضا بالاستاذ ابى العباس اليزيـدى المتقدم فى المدرسة (الوفقاوية) ثم بالاستاذ احمد التاجارمونتى فيها ، ثـــم التحق بالمدرسة (الايغشانية) عند سيدى الطاهر بن على ، وكان ينوب عنه فى التدريس الاستاذ على بن صالح الاوفقيرى ، وقد الم حينا بالمدرسة (البومرواتيه) عند استاذها الرجل الصالح سيدى عبد الله بن محمد الايكدمانى ، ثم لازم المدرسة (الجشتيمية) عند الاستاذ اليزيدى المتقدم اربع سنين ، الى ان توفى فهذه متعلماته ، وهؤلاء اساتذته

مشاراطاته

رأيت في ترجمة سيدى عبد الله بن أحمد أنه كان استخلفه كنائب عنه ليزاول التعليم في المدرسة (الوفقاوية) سنة ١٣٦٧ﻫ ثم بعد ان كان هو الوارث للمدرسة من ١٣٥٥ﻫ الى ١٣٧٢ﻫ فكان يدرس دائما في هذه السنين لثلة من الطلبة ، ثم استقل بالمدرسة حينا ، وقد كان يالف التعليم في الجشتيمية باذن استاذه اليزيدى .

توظفه

ثم بعد الاستقلال كان عضوا مستشارا في محكمة قاضى السداد الى ان تعين كاتب الضبط في المحكمة الشرعية هناك ، وهو على ذلك الان ١٣٧٩ﻫ



الرئيس ابراهيم بن داود

٦ ـ ١٣٠٧ هـ = حـــى

نسبـه :

ابراهيم بن محمد بن داود بن الحسين بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن وشعا .

القبيلة الوفقاوية مشهورة فى هذا البسيط بهذا الاسم منذ ٤٠٠ سنة وقد ورد ذكرها فى القبائل التى مانت مولاى احمد المنصور الذهبى وجيشه فى الغ ، كما ذكرت فيه أيضا القبيلة الايغشانية بهذا الاسم وبوصف الحربيلية ولهذه القبيلة الوفقاوية قناة قلما تلين لغامز ، وكثيرا ما تجرى بينها وبين جيرانها حروب منها ما وقع بينها وبين الحربيليين ، حين انتهب اولئك حصنهم ذلك العالى المبنى فى القنة الوسطى من الجبل المشرف على الغ غربيا ، وعن جنوب المدرسة الوفقاوية ، وقد اشتهر ذلك الانتهاب ، وهناك انسان يسمى انكور ، كان اندفع منه وهو متلو بصوف ، فحفظ من الانكسار ، ثم كالوا لآل (تاكانزا) صاعا بصاع ، فانتهبوا أيضا حصنهم ، وذلك كله لايزال متداولا وان كان مفلتا من قيود التاريخ

ومن الوقائع المشهورة بينهم فى اول هذا القرن :

ان الوفقاويين احتالوا فارادوا ان ينهبوا (تاكانزا) بخديعة ، فذهبوا مع عروس مزفوفة من عندهم بجماعة كثيرة ، بينها (٢٥) من السملاليين ، فسبق الخبر الى التاكانزيين بوساطة بعض آل (انكيضا) كان استقى الخبر من أم العروس ، وهى تتأفف على ما نسج حول عرس ابنتها ، فاوعز بالخبر الى الحاج ابراهيم فاغاث آل (تاكانزا) باهله وباصحابه الامانوزيين ، فيهم (١٢) فارسا ، فحين وصل الوفقاويون بالعروس لم يخرج اليهم التاكانزيون ولالاقوهم بالترحاب على العادة ، وانما ارسلوا اليهم الطعام ، فعلم الآخرون بافتضاح الدسيسة ، فرجعوا فى الحافرة ، وقد خاب مسعاهم .

وقد جرت أيضا حرب بسبب هذه القبيلة بين بعض المجاطيين ورئيسهم الحسين ابن الحاج جد على الايشلحينى ، وبين الشريف التازاروالتى سيدى الحسين ، وذلك حوالى ٨٠ فى القرن الماضى ، لان سيدى الحسين غرم ءال (تاغلولو) خمس ريالات للدار ، فاحب ان يمثل ذلك الدور أيضا فى هذهالقبيلة

فقام هذا المغوار دونها ، وكانت هذه القبيلة تثور الحرب بينها وبين سملالة أحيانا وكانت مجاط دائما من شيعة الوفقاويين ، وقد كانت حرب نحو ١٢٨٧هـ على بعض القرى بينهم ثم حرب الاربع سنوات المشهورة بالحرب الايغشانية السملالية ، وقد الممنا بها فى ترجمة الرئيس الايغشانى ، وهى التى استمرت أربعة أعوام متوالية ، تحمل فيها الوفقاويون ما تحملوا ، خصوصا يوم فتحوا التخوم بينهم وبين جيرانهم ، وكذلك دارت تلك الحرب الوفقاوية الايغشانية ١٣١٤هـ = ١٣١٥هـ وقد ذكرناها فى ترجمة الحاج ابراهيم الاتية ، وفى ١٣٢٨هـ انقض السملاليون فى سوق الجمعة على محمد الملقب بوفوس الكشوضى من قرية (ءايت اوالشريف) فاعتقلوه ثم أطلقوه ، فجاء هذا الى الشيخ الالغى يبكى عليه ، قال العم ، فسمعت الوفقاوى يقول له : والله لنقيمن نحن أيضا سوقا أخرى ، وبعد نحو أربع سنوات ، أقيمت سوق الخميس الوفقاوية نحو: ١٣٣٥هـ فقامت العداوة بين آيت وافقا وسملالة ، فانكف كل فريق عن سوق الاخر ، وفى نحو ١٣٥٠هـ قامت بينهم حرب عنيفة ، جاء مربيه ربه فهدنهـا ولم يلبث الاحتلال ان جاء ، فاستوى الماء والخشبة

وأخبرنى العم ان من العجيب ان ذوى التحدث بالغيب كثيرا ما يقولون : ان سوقا ستقام هناك ولا بد ، قال واعرف انسانا يسمى : الطاهر بن ابراهيم سكن بالربوة المطلة على مشهد لالاتعزى ، يقول ذلك ٠ وهو رجل صالح ، كان غريب الاحوال ، وهو خال الفقيه سيدى سعيد بن على الاعضياوى ، ومات نحو ١٣٢٠هـ

وقد كانت سوق قديمة تقام فى قرية (أغرابو) فى محل لايزال يسمى (السوق) الى الآن يوم الجمعة ، وسبب انهدامها ان رجلا من التاكانزيين واعده وفقاوى أن يتسوق ، فاذا بآخرين القوا عليه القبض بسبب ما بينهم وبين ءال (تاكانزا) ، فقامت الحرب بين الوفقاويين حتى سقط كثيرون ، فانقطعت السوق بذلك ، وهذا نحو ١٢٨٠هـ أو بعدها بقليل

ويقال ان المكيال الذى يضاف لسوق الجمعة وفيه أربع آصع ، أصله من هذه السوق الوفقاوية ، قبل سوق الجمعة السملالية التى ما اقيمت الا سنة ١٢٩٩هـ

ذلك ما تحدث به العم قائلا : انه يعقل ذلك المكيال قبل : ١٢٩٩هـ ويزعم المترجم ان مكيال تلك السوق اصغر من ذلك ٠

هذه نظرة على هذه القبيلة فى أمورها الخارجية ، وهى فى الحقيقة قد اندمجت اخيرا فى الكتلة المجاطية ، يجرى عليها قانون المجاطيين ، الا انها قدرت ان تتملص مما أصاب مجاط فى الايام الاولى للحاحيين ، اذ انضمت ايام

النفلوسيين ، الى الكتلة الولتيتية .

وأما امورها الداخلية ، فانها كانت تنقسم الى قسمين كبيرين ايت اسماعيل وايت عزو ، وكانت الحرب قديما كثيرا ما تثور بين الفريقين بسبب الرياسة ، وكان امغار احمد ارجدال ، من رؤسائها المشهورين ، ويظن العم أنه مات في أول القرن الماضي ، او في ءاخرالقرن قبله ، وقد حج بيت اللهالحرام

أخبرني سيدى الطاهر بن على انه رأى بين رسوم احفاده حين قسم املاكهم سنة ١٣٥٥هـ مكتوبا له كانه وصية وصى بها حين ازمع الى الحج ، ويظهر أن له ديانة هي التي حفزته الى اداء فريضته ، ولكن الاستاذ لم ينقل بذاكرته وقت تاريخه ، وكانهذا الرئيس من فريق ايت اسماعيل وهو الذى تقدم ذكره في ترجمة القاضي الوفقاوى ، وقد زالت منهم الرياسة بعد ذلك ، فتمشت أمور القبيلة بالنفاليس ـ أى الرؤساء ـ وكان مجتمعهم في موضع يسمى (زلافة) وهناك كانت المدرسة قبل ان تبنى هذه ، وفي (زلافة) مزارات كثيرة سمى لى صاحب الترجمة بعض رجالها ، ولكن لاتاريخ لهم ، ولذلك لمنهتبل بهم ولا بكثير امثالهم هناك

وممن اشتهر من نفاليسهم في ءاخر القرن الماضي الفقير محمد اوسار، وهو الذى ينوب عن قبيلته في مجامع تازروالت بايليغ ، عند يعسوب القبائل اذذاك سيدى الحسين بن هاشم ، وكان ازكن رؤساء قبيلته ، يوثر عنه في ذلك بعض حكم بدائيه ، قيل له في سنة ١٣٠٠هـ ماذا ظهرلك من (تزنيت) حين يسورها السلطان : قال انها بمنزلة البردعة التي يسويها الانسانلبهيمته فانها متى تمت والقيت عليها ، فلا مناص لها من ان تذهب وتجيء في نقل الاثقال ـ او كما قال ـ واخبرت أيضا انه جاء مع رؤساء قبيلته ليصلواالشيخ الالغى سنة : ١٣٠٦هـ بعد رجوعه من الحج ، فظل الشيخ يعظهم ، ويعلمهم التوحيد وما وراء القبر ، فقال له الفقير محمد اوسار أصحيح ياسيدى كل ما يقال هناك ، أم انما ذلك يقال لزجر الناس وتخويفهم من الاسترسال فيما لاينبغي ؟ فاطرق الشيخ مليا ثم التفت الى مرابط من ءال (اكادير ايزرى) كان جاء مع الوفقاويين ، ويعتقدون فيه الخير ويخدمونه ، فقال له : بالله عليكماذا تعلم لاصحابك هؤلاء ، فانهم لايزالون ينكرون الحشر .

اقول ربما كانت هذه المقالة من اوسار انما جرت لمجرد الكلام فقط والا فرجال هذه الجهة وان بلغ بهم الجهل ما بلغ ، لا أخال انهم ينكرون ذلك أو كان هو كذلك وحده ، والله أعلم ، وقد هلك اوسار هذا نحو ١٣١٠هـ وهو من أحفاد الطالب ابراهيم ، المشهورة به تلك القرية الوفقاوية الى الان ، وابناؤه يرفعون ـ فيما يقولون ـ نسبهم الى أبى بكر ، وقد فتشت على مشجر نسبهم

فقيل لي أن عهدهم به يوم ذهبوا به الى سيدى الحاج احمد الجشتيمي ليعلم أنهم من أبناء عمومته ، ثم لم يظهر بعد ، هذا ما قيل لي ، وهم اليوم قد طلقوا المرابطية ، فدخلوا في غمار العوام ، وذلك منذ اواسط القرن الماضي ، وذكر أمغار ابراهيم المترجم له ، أنهم من أقرب الناس أن يصاب كل من مسهم باذى قال وقد اشتهروا بذلك كل الاشتهار ، ويذكر انهم اخواله

نشأ الشيخ ابراهيم صاحب الترجمة نشأة شبان أهل بلده ، غير متوسع في المال ، فصار يخبط يمينا وشمالا ، وكانت تظهر منه نزعة الى الرياسة منذ بعيد ، فكان باها بن باها الرجل المشهور في رفقة الاستاذ علي بن عبد الله لايناديه الا بأمغار باها ، لما يرى ذلك من شمائله ، وكان من الذين زحفوا مع الهيبة الى مراكش ، ويحكى أنه لما انهزم مع ناس سلكوا طريق (فروكة) فتعرض لهم اناس هناك ، فكادوا يبطشون بهم ، قال : فسللت سيفي ، فجلت برمكتي • فقدر الله ان انجو

وقد كانت له أخيرا في مجمع قبيلته جولات ، ثم لما جاء الاحتلال انتخب للرياسة على قبيلته ، فسار سيرة مثلى ، وقد كنا مرة في مركز (تافراوت) في السنة الماضية ١٣٥٦هـ فمررنا بداره ، فشاهدت منه مايدل على أنه ممن يؤسس للرياسة بأسس متينة ، وكثيرا ما أسمع سيدى الطاهر بن علي يثني على جوده ، ويقول انه لايرى الا ان الكرم زينة الرجل

واخبرني الاخ احمد رحمه الله انه لما طرق هذه النواحي رئيس الزاوية الناصرية بتامكروت ، سيدى عبد السلام ، سنة ١٣٥٥هـ أرسل الى رؤساء الغ ، فقال صاحب الترجمة الاولى ان نذهب اليه ، وان نقدم له ضيافته هناك وأنا ساعطي مائة ريال حسنية ، فمن هنا تعلم نفسية الرجل، ورأيته مرة أخرى يريد ان يفرح صبية لنا ، فمال بيده الى كيسه ، فصار يفرق لكل واحد ما صادف ريالا اوريالتين ، أو فرنكا ، فادركت من الرجل ما أدركت ، وسبحان الله : ان الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ، او كما قال صلى الله عليه وسلم

واشكره شكرا كثيرا ، لان كل ما سمعته عن قبيلته هو الذى افادنيه كما أفادني ترجمته ، ولم يرزق الى الان اولادا ، يسر الله له في عقب صالح ويسر له كسب مال صالح • لان ماجمع من مهاوش ، فالى نهابر يصير

ومن أعظم مزاياه أنه عمر (المدرسة) في وقت خلت فيه المدارس• وكفاه ذلك مزية ، يعرفها عنه التاريخ

وبعد : فقد كنت كتبت ما تقدم سنة : ١٣٥٧هـ او فى السنة التى بعدها ثم توالت السنون ، وشان المترجم يعلو الى ان جاءت الحوادث حول العرش فكان ينجر مع جيرانه من الرؤساء ، فلما جاء الاستقلال ، ذهب كثير من ماله وكاد يذهب هو أيضا لولا ان هرب الى البيضاء مع حفظ الله ، ثم استقربعد فى داره حيث هو الان فردا من الناس ، يعيش فى رد هجومات الوفقاويين عليه ، دفاعا عما بقى من أملاكه ، ولعله لم يجد الا بركة بعض المحاسن التى كانت فيه ، ثم اتجه بعد ان استقرت الحالة لكسب الحلال ، ففتح دكانا فى سوقهم ، حيث هو الان ، فالله يوفقه امين • وفى (الالفيات) قطعة كنت قلتها يوما بعدما خرجت من داره ولم أرهاله ، مطلعها :

اندى الكرام الشيخ ابراهيم فلديه يروى المعتفون الهيم



الفصل الرابع
فى الايغشانيين

ذكر فيه من الرجال

القاضى سيدى عبد المومن الديانى
الفقيه سيدى سعيد بن صالح الديانى
الفقيه سيدى محمد بن عبد المومن الديانى
الرئيس سيدى احمد بن محمد بن عبد المومن الديانى
الرئيس محمد الاشكر الديانى
الرئيس الحاج ابراهيم الايغشانى المشهور
الرئيس احمد بن الحاج ابراهيم الايغشانى
سيدى المحفوظ الايغشانى
سيدى محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم
الرئيس على بن احمد بن الحاج ابراهيم
الفقيه الاستاذ الحاج أحمد بن الحسن البناءى
الاستاذ سيدى الحاج محمد بن الحسن البناءى
أمغار باها الايكلييى
أمغار يوسف بن باها
الفقيه أحمد بن ابراهيم التاوييتى
الفقيه يحيا بن محمد التاوييتى
القارىء سعيد بن عبد المومن التاوييتى
سيدى أحمد بن بوهوش التاوييتى
النجيب محمد بن مبارك التاوييتى
الحسن بن مبارك أخوه
الفقيه محمد بن عبد الله الايكدمانى
القارىء على بن همو الايكدماتى
أمغار بركا الايكدمانى
العلامة سيدى عبد الله بن محمد الاخفش الايكدمانى
العلامة سيدى على بن يونس الانامرى

الصالح سيدى يعقوب الايكدمانى
الرئيس سيدى على بن يعقوب
الفقيه سيدى محمد بن على بن يعقوب
سيدى يونس الايغشانى
الشجاع على اليبوركى الانامرى
سيدى مبارك ومادين الانامرى
الفقيه سيدى أحمد بن ابراهيم الانامرى
النجيب سيدى الحاج الحسين بن صالح التاكانزى
القارئى محمد بن أحمد الاوكافى الانامرى
القارئى مسعود آفلوس التاكانزى
الصالح أحمد الفقير التاكانزى
الصالح سعيد جد ءال بلخير
الفقيه أحمد بن محمد الاوبلخيرى
الصالح محمد بن احمد المدونة
الفقيه محمد ـ فتحا ـ بن أحمد الاوبلخيرى
الصالح سيدى ابراهيم بن على الايغشانى



القاضي

سيدى عبد المومن الدياني

نحو : ١٠٢٨ هـ = بعد : ١١٢١ هـ

نسبه :

عبد المومن بن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

هناك فى تلك الزاوية فى الشمال الشرقى بالغ اسرة مجيدة لها منذ اربعمائة سنة ذكر خالد فى ميدان العلوم أولا ، ثم فى ميدان الرياسة والسياسة ثانيا وتسمى الان (ءال الطالب) وتسمى تلك الشعبة التى يثوون فيها من ذلك العهد (اكنى اديان) ـ شعب المتدينين ـ وذلك مما يدل على ان وصفهم بالتدين حتى أضيف اليه شعبهم الذى يسكنونه قديم ، قبل صاحب الترجمة الذى ينتسب هذه النسبة الديانية العاصمية فى توقيعاته ، ومن أمعن النظر ، واعمل فكره فى أخلاق هذه الاسرة اللامعة ، يدرك باستشفاف عقله أنها ليست من جذم الذين يسكنون هذا البسيط منذ ذلك العهد من المرابطين وغيرهم الذين عبر عن حالهم الذى يعرفهم احسن تعبير الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى حين قال ان هذه الاية : (كلوا وارعوا أنعامكم) لاتصدق الا على الالغيين الذين لايعرفون الا الاكل ورعى الاغنام ، يريد بقولته ان يستفز ذوى الشعور الحى منهم الى تطلب المعالى ، والى عدم الاقتصار على الشهوات الظاهرة ، التى يعرفها كل أحد ، والى رفع الهامات والتطلع الى أعلى المقامات .

من صغرى كنت ارى هؤلاء الديانين ، فاراهم من جهة شجعانا مغاوير لا ينامون عن وتر ما استطاعوا الى أخذ الثار ممن وتروهم بأى سبيل ، مع تطلع دائم الى الشفوف من كل ناحية من النواحى التى يتطلع منها أمثالهم من العوام الى الشفوف ، ومن جهة أخرى اراهم منحاشين الى التدين والكرم والاخلاق ، الا خلقا من بعضهم فتخلقا ، كما كنا نعرف الحاج ابراهيم وابنه الرئيس احمد رحمهما الله ، فقد كانا يتراءيان لنا أنهما بجمعهما لهذه الاخلاق جمعا ممزوجا ، كانا جمعا بين طرفى نقيضين ، على ماهو معروف فى وسطنا هذا ، ثم بعد ان دخلت فى السنة الماضية الى ميدان البحث حول الالغيين كافة

تبين لي بعد البحث الممكن ، والتساؤل مع من يظن ان عنده اثارة من علـم أن جدودهم ليسوا من الايغشانيين اصالة ، وانما حلوا بين ظهرانيهم من عهد لم نهتد اليه بعد ، ولكن يظهر ان ذلك كان على أقل تقدير قبل القرن العاشر وقد حدثني كثيرون أن الحاج ابراهيم كان يقول ان أصلهم من (ركراكة) وان جدهم الاعلى انتقل من جبل الحديد ، المشهور في الشياظمة حيـث جدود الركراكيين ، وان اسمه عبد الصمد ، وزعم بعضهم ان عند الحاج ابراهيم مخطوطا في ذلك بين رسومه ، ولكن أهله اليوم لايعرفون لهذا الرسم وجودا في سلات رسومهم ، وما كان ليخفى عنهم لو كان باقيا الى الان فيها ، وقـد اتصلت بمشجرين من أنساب الركراكيين ، فلم أقع فيهما على ما يلقى ضوءا على ما أتطلبه ، مع أنه ذكر فيهما معا هؤلاء الركراكيون في وادي الكبير ومعناه بلغتنا : (أسيف مقورن) ، وقد كنت أحسب ان المقصود به هذا الذي يسمى بهذا الاسم في قبيلة ايغشان ، وقد ذكر لي الفقيه سيدي مبارك بن مومادين الايغشاني ، ان هناك في ذلك المحل ركراكيين ، ثم زاد ان الديانيين أخوتهم فهكذا كنت أظن أنني وجدت الخيط متصلا ، ولكنني بعد أن راجعـت أيضا المشجر الاخر ، وجدته كأنه نسب الوادي الكبير لهشتوكة على ما يتراءى منه فضعف حسباني المتقدم ، رغم ان المشجر الاول يكاد ينسب الوادي الكبير الى ايغشان ، ولكنه مشجر لايقدر عاقل ان يعول عليه ، فيما لم يخالـف فيه ، فكيف بما خولف فيه ، كنسبة الوادي الكبير ، وقد سقنا ملخص هذا المشجر وكل ما يحتوي عليه ، حول ركراكة ، في (الفصل الاول) من (القسم الثالث) في ترجمة يحيا بن عبدالله الركراكي ، الدويملالني ، كما ذكرنا أيضابعض ما يتعلق بالركراكيين أيضا في (الفصل الثاني) من ذلك القسم حين تعرضنا لاهل (تاوريرت وانو)

ذلك ما يدل على ان النتيجة في بحثنا كادت تخرج صفرا ، ولكن عدم وجدان الشيء ، لايدل على عدم وجوده ، لان الاهمال خصوصا في هذه الناحية مما تمالأ عليه المغاربة ، ما لم يكن وراءه دانق يحتجن اومنصب يرتقى فلئن ثبت ما ذكره الفقيه سيدي مبارك المواديني ـ وهو على كل حال ممن لايهرف بما لايعرف على حسب ظننا به ، ولا سيما في مثل هذا المقام ـ فان ذلك مما يصحح ويؤيد ما يقوله الحاج ابراهيم ، على أنه كان ينبغي لنا أن نقف عند كلامه ، وان نكتفي به ، فالناس مصدقون في انسابهم ، كما يقول الامام مالك ابن انس ، فهذا ما وصل اليه بحث انسان غريب منفي الان لايجرؤ على ابداء طلبته لكل من يلقاه ، وخصوصا في مثل هذا العلم الذي يصير به الانسان عند الالغيين أضحوكة اذا راوه مهتما به ، فيالغربة البحاثين المنكودين في المغرب المنكود بالجهل

هذا وقد وقفت على مخطوطات عد ملية متاكلة ، مغلفة بالجلود القديمة وهى على مايظهر من تحريرات بلوكية لاسلاف هذه الاسرة واحدها مـؤرخ بـ : ١٠٢٠هـ وبعضها ربما كان قبل هذا العهد ، كما انهناك رسالة ومخطوطات أخرى تتعلق بموضوعات أخرى لكنها خرجت من أيديهم لان الشيخ اعطاها لاحد المراقبين فى (تافراوت) فلم يرجعها اليه .

ثم ان أول من أسس مجد هذه الاسرة او (جدده) فيما نعرف هو صاحب الترجمة الذى هو الجد الاعلى لهذه الاسرة التى أعانت فى تاسيس مجد الـغ أخيرا ، ولكن بكل أسف لم أتصل عنه الا باخبار ضئيلة ، تمدنا بهـا بعض نفثات أقلام منه ومن غيره

كنت يوما اطالع (طبقات) الحضيكى ، فاذا بى أرى من بين من أخذوا عن الاستاذ سيدى عبد الله بن يعقوب ، عبد المومن الايغشانى ، فهذه الكلمة وحدها هى التى افلتت من قلم الحضيكى ، فنفعتنى اليوم ، وكذلك كنت أطالع فى مجموعة من الفتاوى ، فوجدت فيها فتوى موقعة باسمه ، وكذلك رأيتأسمه متكررا فى المجموعة التى نشرناها فى (الفصل الاول) من (القسم الاول) فى ترجمة جدنا سيدى عبد الله بن سعيد ، وأولاده ، فقد ذكره فى الوثيقةالكبرى التى وقعها ثمانية عشر من العلماء ، وكان أحدهم ، كما شهد أيضا فى تبرئة نشرناها فى ترجمة سيدى عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد .

فى هذه المخطوطات رأيت اسمه مذكورا ، وربما رايته فى غير ذلك كما أظن ، ولوكان مشهورا بين الصوفية لتبرع الحضيكى بترجمته ، على عادته فى ان لايترجم الا من كانوا على هذا الوصف ، ولايغرنك انك ترى من علماء القرن العاشر والحادى عشر مترجمين فيه وهم خالون من هذا الوصف ، فانه انمـا اقتبس ذلك من (وفيات) الرسموكى بعزو ، وكثيرا ما ينسى هذا العزو ،مـع انه ياتى بعبارتهنفسها احيانا ، ولما انصرم الحادى عشر ، وقد انقضى فىيده ما كتبه الرسموكى الى سنة ١٠٩٨هـ صار لايعتنى الا بمن ذكرنا وحدهـم مالم يكونوا غير السوسيين ، والا فيذكرهم مطلقا ، متى اتصفوا بالعلم ، وهذا ليس يقدح فى الحضيكى ، ولكنه شيء واقع ، نحب ان يتنبه له المطالع ، لئلا يتعجب أن نرأى عالما كبيرا له شهرة ، وصلت الحضيكى بلا شك ، ثم يتنكب ذكره مع أنه يعمد الى محمد بن يزيد من ثمالة فيذكره (١) ولايحمله على الاعتناء

---

١) تلميح الى قول الشاعر

أسائل عـــن ثمـالة كل حى	وكلهم يقول وما ثمالة ؟
فقلت محمد بن يزيد منهـم	فقالوا الان زدت بهمجهالة

به الا ذلك الوصف ، ولكنه مشكور على كل حال ، فلولاه لفقدنا أيضا كثيرين من أهل القرن الثانى عشر من السوسيين

ثم ان سيدى المحفوظ بن الهاشم فقيه الاسرة اليوم من أحفاد المترجم النابهين ذكر لى أن عنده رسالة كتبها بعض العلماء التمليين الى صاحب الترجمة فحلوه فيها بالقاضي فعرفنا بذلك أنه كان قاضيا من القضاة الاسماعيليين فى هذه الجهة ، ويؤيد هذا انني رأيت له توقيعات بين الذى رأيته مما مر بين يدى كتوقيعات القضاة في العادة ، كما رأيت فى فتوى لسيدى محمد بن محمد ابن أحمد الدويملالنى التملى وصفه بالقاضى العدل ، وأخبرنى أيضا أمغار على ابن أحمد رئيس اسرته اليوم بل رئيس كل الايغشانيين - وسترى ترجمته فيما ياتى ان شاء الله - ان هناك بعض رسائل اسماعيل الى أهاليهم فى ذلك العصر ، ولعلها الى صاحب الترجمة ، وكما أخبرنى أيضا سيدى المحفوظ بن الهاشم المذكور أنه رأى رسالة حول ثلاثة من أهاليهم فى ذلك الحين، يدرسون بمراكش ، ولعلهم من اولاد صاحب الترجمة ، ولو كنا اتصلنا بكل هذه الوثائق لفهمنا منها امورا ، ولكن لم يتيسر أن نراها ٠

وأما مقدار عمره ، فاننا رأينا أنه تخرج بالاستاذ عبدالله بن يعقوب المتوفى (١٠٥٢هـ) فكان لابد فى هذه السنة ان يكون على الاقل ابن نحو : ٢٥ سنة ، لان المعتاد ان لايتصل بالمدارس حتى يحفظ القرءان ، والمعروف ان يحفظ غالبا في هذه الجهات عند المراهقة ، ثم يقبل على العلوم ، فيتخرج بـاستاذه تخرجا يمكن أن يصح انتسابه به اليه ، وذلك على الاقل يحتاج الى نحو عقد تام ، ولهذا قدرنا ولادته فى نحو ١٠٢٨هـ وأما زمن وفاته فقد جعلناها فيما بعد (١١٢١هـ) لاننا رأينا فى مخطوط الشهادة المنشور فى ترجمة سيدى عبدالله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد ، تاريخه سنة ١١٠٢هـ ثم أخبرني ابن الهاشم انه كان يوقع الى ١١٢١هـ فهو على هذا التقدير يكون يوم وفاته ابن اكثر من ثمانين سنة ، وهذا على كل حال مقارب للحقيقة والله اعلم

ثم أننى رأيت بخط يده فى كتاب ارسله الى امغار على بن أحمد ، أن له ولدا يسمى محمدا ولد فى ١٠ - ١ - ١٠٨٢هـ ولم ندر ، اله أولاد اخرون أملا ، وقد تقدم ان ثلاثة من أهاليهم اذذاك يقرأون فى الحمراء ، فلم نعرف أهم اولاده مباشرة أم لا ٠

وقد وقفت على ايغشانى يسمى يوسف بن عبد المومن يكاتبه سنة : ١١٤٢هـ الفقيه سيدى محمد بن على اليعقوبى الاتى ان شاء الله ، فلم ادر أهو ولد من أولاد صاحب الترجمة املا ٠

ومما يتعلق بالمترجم اننى رأيت ما يدل على أنه تقاتل مع أحد اخوته،

فجرحه أخوه ، ثم سعى بينهما بالصلح ، فابى المترجم الا القصاص ، فلم يرض حتى جرح أخوه في رأسه قدر جرحه ، ثم تصالحا اذذاك وقد ارخ ما حدث فيه ذلك ، بصفر : ١٠٧٣هـ

ثم ان محمد بن عبد المومن له ولد يسمى احمد بن محمد ، ثم ولد لاحمد ابن محمد هذا ولد يسمى : عبد المومن بن أحمد بن محمد ، وعبد المومن هـذا ممن له مخطوطات مجودة بين الرسوم ، ويظهر أن له الماما بتراث أهله العلمي حتى كان يشكل اسمه مع أسم جده القاضي عبد المومن على كثيرين ، حتى عرفنا الحقيقة في ذلك الكتاب الذي عرفنا به ان هناك جدا وحفيدا ، كلاهما يسمى عبد المومن ، وقد استوقف بصري في ذلك الكتاب : عبارة وجدتها بخط بعض هؤلاء الديانيين ، فقد قال في كلام : قال شيخنا سيدى ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، فلم أعرف من قال منهم هذا ، وليس أمامنا من أهـــل القرن الثاني عشر ، ممن نعرفهم الآن ، الا : محمد بن عبد المومن الاول ، واحمد ابن محمد بن عبد المومن ، وعبد المومن بن أحمد بن محمد بن عبد المومن الاول والفقيه سيدى سعيد بن صالح ، الذى عاش ءاخر هذا القرن الثاني عشر ، وتوفي في العقد الثاني من الثالث عشر ، كما سياتي ، فامعنت النظر فوجدت أنه لايمكن ان يكون محمد بن عبد المومن ، لانه ولد كما ترى سنة : (١٠٨٢هـ) والفقيه سيدى ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، ولد سنة (١٠٧٦هـ) فهما يكادان يكونان من الاقران ، فبعيد أن يأخذ عنه عادة ، وأما ولده أحمد ابن محمد ، وحفيده : عبد المومن ، وسعيد بن صالح ، فهؤلاء الثلاثة يمكن أن ياخذوا عنه ، وقد توفي سيدى ابراهيم المذكور سنة : (١١٦٠هـ) على ان الاخير يغلب على ظنى أنه ممن أخذ عن الحضيكي ، وقد اخبرني الاديب سيدى احمد ابن الحسن البناني : أنه رأى رسائل له كثيرة ، بينه وبين اولاد الحضيكـى وربما كان ذلك ، لانه تلميذ والدهم المتوفى سنة : (١١٨٩هـ) وعلى ان الثانـى أيضا ، وهو أحمد بن محمد ، لاذكر له فيما عرفنا ، ولذلك يغلب على ظنى : أن سيدى ابراهيم استاذ عبد المومن الثاني ، الذى ذكرنا أن لـه مخطوطات ، ولو وقفنا له على ما يستحق الذكر من المخطوطات ، او لو سمعنا عنه بمايستطاب اوما يروج على الاقل ، لافردناه بالترجمة ، ولكن يكفيه ان يستظل بظل ترجمة جده القاضي عبد المومن الاول ، والدنيا حظوظ وقسم

وقد سالت عن قبر صاحب الترجمة ، هل هو معروف هناك اليـوم ، فذكر لى ما يدل على أن الاحفاد ، أضاعوا حتى قبور الاجداد ، ولله الامر مـن قبل ومن بعد

وقد اوردت من (المجموعة الفقهية) فتوى ، وقفت عليها لصاحب الترجمة ولكنها صغيرة وقليلة الكلام ، وان كان قليله لايقال له قليل

(ثم انني بعد ما كتبت كل ما تقدم بثلاث سنوات اخبرني مخبر أنه راى عند أمغار علي الدياني ـ حفيد المترجم ، والذى سيترجم فيما بعد ـ رسوما قديمة بينها تحرير بعض الامراء لعبد الله اخي عبد المومن هذا ، وان عبدالله ممن يمت الى الطلب ان لم يكن عالما كبيرا ، وقد خاطب ذلك الامير رؤساء الديانيين العاصميين ، بانهم يلاحظون سيدى عبد الله بعين الاحترام ، وبينها ايضا رسم ، فيه ان عبد الله هذا عدا على اخيه عبد المومن ، فشجه ، فجرى الناس بينهما بالمصالحة ، وراودوا عبد المومن على العفو ، فيابى الا القصاص فعمد عامدا الى عبد الله فشج راسه ، كما فعل هو باخيه ، فوقع الفصال على ذلك ، وذلك الرسم مكتوب على الفصال التام حول ما وقع بينهما (وهذا يفصل مجمل ما تقدم حول هذه القضية) ، كما ذكر ايضا ذلك المخبر انه راى ذلك التحرير موقعا باسم احمد بن العافية ، ولاندرى احمد هذا ، ولانستحضر من هو السلطان الذى كان احمد هذا من عماله ، وكما ذكر ايضا انه راى من بين تلك الرسوم ما يدل على ان اخر اسمه ايضا عبد المومن كان من اجداد المترجم فوق الرجال الذين ذكروا انفا عند ذكر نسب المترجم ، وسالته الم يربين تلك الرسوم اثارا اسماعيلية ، فقال ان امغار علي ذكر انه كان دفعها لبعض المراقبين المدنيين في مكتب (تافراوت) ثم لم يسترجعها منه ، فذهبت ضائعة ويظهر من كلام هذا المخبر ان من بين تلك الرسوم ما هو سعدى ، ولم يستوعب المخبر تاريخ تلك الرسوم ، لانه نساء ، ولانه يتوقف كثيرا عند الاخبار عن شيء ، فلا يدلي الا بالمحقق عنده ، لايرجم بالظنون)

وهناك ايضا رسم فيه ذكر لكتب خزانة المترجم واحصائها ، ثم ما وقع لها بعد ، اخبرني بذلك سيدى المحفوظ .

الفقيه سيدى سعيد بن صالح

ابن محمد الديـاني

قبل ١١٦٥ هـ = ١٢١٤ هـ

أول ما سمعت بهذا الفقيه من العم ابراهيم حفظه الله ، فذكر عنه انـه فقيه جيد ، موجودة احكامه التى فصل بها النوازل ، ومحرراته فى ذلك كثيرة بين رسوم هذه الجهات ، وأخبر أيضا انه مات كلالة في وباء (١٤) من القرن الماضى ، ويحكى عن الرئيس الحاج ابراهيم الايغشانى انه أدرك زوجته حوكا بنت عبد الله بن عبد المومن حية بعد : ١٢٦٥ هـ وهى عجوز دردبيس ، وذكر عنه ان هذه الدار التى يسكنها اليوم على ابنه ـ وهو على بن ابراهيم الكبير الديانى زوج اختنا ـ كانت داره ، وقد صارت اليه ـ اى الى الحاج ابراهيم الذى يحكى ـ فهدمها وجدد بناءها ، وقد وجد فيها صرة من الدراهم المحمدية ـ نسبة الى السلطان سيدى محمد بن عبد الله ـ حين كان يهدمها ، هذا مـا حدثنى به العم ، ثم سألت الاديب سيدى احمد بن الحسن البنائى ، فقال: انه من بنى عمومتنا نحن وءال أوباها قال قد أطلعت له على مكاتبات عديدة فى خزانة الحضيكيين ، يكاتب بها اولاد الشيخ سيدى محمد بن احـمـد الحضيكى ، وقد كان وعدنى ان يفرغ جهده لعله يتصل ببعض هذه الرسائل لتعرض على القراء ، ولكن ذلك لم يتيسر الى الآن ، وفى أثناء بعض مراجعاتى لرسوم فى سلة ، وقعت على هذه الرسالة اليه ، كتبها اليه بعض ءال تاكانزا من أبناء سيدى احمد الفقير الالغى وقـد قرأت ترجمته فى (الفصل الثانى) ءانفا ، ونص الرسالة

«الى الفقيه النبيه الورع سيدى سعيد بن صالح من (هوت اديـان) الغشانى ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وازكى التحية والاكرام ، يعم جميع أحوالك المرضية •

وبعد فلا باس عندنا ، ونعلمك بما بيننا وبين أبناء يونس ، فما لنا قسم فى زمن المرض ـ لعله يقصد مرض الوباء الواقع ، سنة ١١٦٣هـ وهـو مشهور ـ وكل عمر ماله ، ولم تكن المبادلة بيننا ، وهذا الرسم الذى خرج وفيه المبادلة ، لم نعلم به ولم يره ءاباؤنا ، فقال لنا سيدى بلقاسم العباسى

ان هذه المبادلة لم تصح ، وأما سيدى صالح بن بلقاسم (البوضياشى) فقد كتب على الحكم ، ولم أرض بحكمه ، ولم نكتب تراضيه ، فقد برحنا عليه فى سوق يوم الاحد • وايضا منعنا ان نقرأ رسوم ابناء يونس ، فهل هذا هو الشرع فى هذه المسالة اومافيها»

هذا مضمن الرسالة ، وقد اختصرت من بعض جملها ، اما سيدى بلقاسم العباسى المذكور ، فستراه ان شاء الله مع ءاله العباسيين فـى فرصة أخرى ان شاء الله •

وأما سيدى صالح بن بلقاسم البوضياشى ، فلم اسمع به قط ، ولارأيت له ذكرا مع أنه فقيه كما ترى ، يفض النوازل ـ و (بوالضياش) محل فـى (تيفرميت) ببعقيلة ـ

وهذا ما عرفته عن صاحب الترجمة ، وقد رايت خطه ـ وهو وسط ـ فى بعض المخطوطات ، ولكننا مع كل هذا لم نقف على درجته العلمية ، ولا على مشارطاته أو ماكان يملأ به حياته ، وكذلك شيخه لم نعرفه تحقيقا ، وقد مر فى الترجمة المتقدمة انه يتراءى لى أنه ممن أخذ عن الحضيكيين ، والله اعلم ، وأما زمـن ولادته فـقـد حزرنا انها قبـل ١١٦٥هـ باعتبارنا زمـن اخـذه للقرءان والعلوم ، ثم عصرا بعد ذلك ، ينال فيه هذه الشهرة التى له،وأمانسبه فلم أعرف عنه غير ما تقدم لا غير ، وأنه من الاسرة الديانية •

الفقيه سيدي

محمد بن عبد المومن الديانى

قبل : ١١٩٠ هـ = نحو ١٢٥٠ هـ

نسبه

محمد بن عبد المومن بن أحمد بن محمد ابن القاضي عبد المومن بن محمد ابن على بن محمد بن عبد المومن .

هذا وتد من أوتاد الغ فى النصف الاول من القرن الماضي ، وأحد العلماء الاجلاء فى عصره ، الذين لهم يد طولى فى النوازل وفى فصل الخصومات .

قال العم ابراهيم واخرون : أنه والفقيه سيدى سعيد بن الحسن بن على العدانى المجاطي : عالما هذه الجهة الكبيران اذذاك ، وكان هذا الديانى أكبر من صاحبه عاما وشهرة ، ولم يرتفع شأن الاخر جدا الا بعد وفاة الديانى هذا ، لان وفاة العدانى تأخرت الى نحو ١٢٧٠ هـ .

أما الفقيه سيدى محمد بن عبد المومن ، فقد ابتدأت شهرته فى حياة ابن عمه الفقيه سيدى سعيد بن صالح ، فعند العم ابراهيم : محرر له ، فصل به نازلة سنة : ١٢١٦هـ وقال العم : انه هو القيم على النوازل الكثيرة التى نشأت عن الطاعون الجارف الماضي اذذاك سنة ١٢١٤هـ قال : وما اكثر مخطوطات تفصيلاته وقسماته للتركات ، وفصله للخصومات ، بين المخطوطات التى مرت تحت يده ، قلت : وقد رأيت أنا بعضها ، كما رايته أيضا بين المفتين ، ومن بين ما رايت له جولة معهم : الفقيه سيدى محمد بن أحمد بن محمد الادوزى ، الذى سنترجم له انشاء الله فى مكانه بين الادوزيين فى (القسم الثالث) بحول الله ، والفقيه سيدى عبد الله بن محمد الكرسيفى ، استاذ المدرسة الوفقاوية اذذاك (وستراه أيضا بين الكرسيفيين) فى (الفصل الثانى) من (القسم الرابع) وهذه الفتوى المذكور فيها مع هذين فى : (المجموعة الفقهية) وهى صغيرة

ثم اننى الى الان لم اقف على شيوخه ، وان كان يتراءى لى – والله اعلم – ان أحفاد القاضي عبد المومن ، لايزالون يتعهدون مدارس احفاد الشيخ عبدالله ابن يعقوب ، فقد رأيت فيما تقدم أحدهم أخذ عن الاستاذ ابراهيم بن محمد

ابن عبد الله بن يعقوب ، ورايت صاحب الترجمة يجري مع عصريه الاستاذ سيدي محمد بناحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن يعقوب ، شارح المرشد المتوفى سنة ١٢٢١هـ افلا يدل هذا على انه ايضا يغلب ان يكون اخذه عن الاستاذ محمد بناحمد بن ابراهيم المتوفى : ١٢٠٦هـ او عن عمه الفقيه سيدي على بن ابراهيم المتوفى سنة ١٢٠٧ هـ وهما اللذان قاما قياما غريبا في التدريس في العصر الذي يمكن ان ياخذ فيه ، هذا ما يتراءى لي ، ويكاد يكون عندي ظنا بكثرة ما يحيط به مما مر من المقويات المذكورة ، بل ما المانع ان يدخل في هذا الامكان ، حتى سيدي محمد بن احمد المرابط المذكور ، لانه درس في ادوزحينا من الدهر

ومن عادة الفقهاء السوسيين من قديم انهم لايعتنون غالبا بالتاريخ في مخطوطاتهم كلها ، ولكن سيدي محمد بن عبد المومن ، كثيرا ما يتركها أيضا حتى في الرسوم ، فتوقف الناس فيها على راس القرن الماضي ، فافتى سيدي محمد بن عبدالله الالغي ، بانه على كل حال ثقة ، لايلقى رسمه المحرر بيده بسبب ذلك وحده ، ما لم يعارضه معارض اقوى ، وقد حدثني الاستاذ سيدي الطاهر بن على أنه رأى خط الاستاذ بذلك عند بعض الوفقاويين

ثم انني سمعت من سيدي المحفوظ الايغشاني انوفاته جزما ، كانت سنة : ١٢٥٠هـ ولكنني سمعته مرة اخرى تردد في ذلك اليقين ، ورجع به الى الظن ، ولذلك وقفنا عند الظن ، وذكرنا لفظة : (نحو) التي نذكرهادائما في امثال هذه المقامات ، وذكر أيضا أن اخوال أحمد ابن صاحب الترجمة من ءال (تيغشيت) لان هؤلاء الشرفاء التيغشيتيين كانوا تزوجوا قبل هذا الجيل امرأة ايغشانية ، فسموا بذلك آل تيغشيت ـ اى ءال الايغشانية ـ ولهذا الاتصال ، اصهروا بدورهم الى سيدي محمد بن عبد المومن هذا الفقيه .

وسمعت العم ابراهيم يقول ان صاحب الترجمة استحوذ على كثير من متاع أخواله المجتاحين في وباءسنة ١٢١٤هـ ثم قال سيدي المحفوظ ان التيغشيتيين قد استحوذوابعده على غالب متاع الفقيه سيدي محمد بن عبد المومن ورسومه وكتبه ، فكان ذلك هو سبب تشتت متخلفه ، قلت : وفي هذا يقولون لابد للودائع ان ترد دنيا او اخرى .

هذا ما امكن لي علمه عن سيدي محمد بن عبد المومن ، وقد ضاعت أحواله واخباره وكل مايحوم حوله ، مع انه كان من أعيان عصره ، وممن يتزين بهم الغ في النصف الاول من القرن الماضي ، ولم اعرف عنه من الاولاد الا ولده سيدي أحمد خاصة .

وقد كان أبوه سيدي عبد المومن بن احمد بن محمد تزوج عائشة

الحربيلية ، من (أيت‌ايبض) من سكان (دوكادير) فولدت صاحب الترجمة وعبد الملك ، وعبد الله ، ثم اقترن باخرى من أيت الخراز من العاصميين فمات عنها وهي حامل ، فولد ولد بعده سمي : عبد المومن ، على العادة المستمرة من ان من ولد بعد موت أبيه يسمى باسمه • هذا ما قصه على سيدي المحفوظ جزاه الله خيرا على ما يفيدني به عن أهله وحده ، وقد ذكر ان ذلك في عدة ورثة سيدي عبد المومن ، فبهذا تعلم ان المصاهرة بين الدوكاديريين والديانيين قديمة منذ اواخر القرن الثاني عشر ، ثم‌جاء القرن الرابع عشر فتجدد ذلك ، لكنه في هذه المرة مع المرابطين الدوكاديريين العلماء ، لا مع الحربيليين العوام ، (وتلك الايام نداولها بين الناس) ، واما الفقيه سعيد العداني ، فانه يذكر مع اهله في (القسم الخامس) حين نترجم لعلي المجاطي الفقيه ان شاء الله



احمد بن سيدي محمد

ابن عبد المومن

قبل ١٢٣٠ هـ = نحو ١٢٨٤ هـ

نسبه :

أحمد بن محمد بن عبدالمومن بن أحمد بن محمد ابن القاضى عبد المومن ابن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

معروف فى عصره بسيدى احمد نطالب ـ اى الطالبى ـ اضافة الى والده ومن عادات أهل هذه البلدان قديما ان يطلقوا على كل فقيه ، وصف الطالب فيكتفون به ، كما يطلقونه دائما على حفظة القرءان ، ولهذا سميت اسرة ءال محمد عبد المومن الى الان : أيت الطالب ، وهو اطلاق على ءال الفقيه •

حفظ سيدى احمد بن محمد كتاب الله ، والم ببعض معلومات ضئيلة من العلوم ، لايؤبه بها فى ميدان القضاء والافتاء اللذين اشتهر بهما من اشتهر من جدوده الماضين ، فكان لايقصد الا لتحرير الرسوم فقط ، ولايقصد بالنوازل وما اليها ، وسيرته محمودة ، ويوثر عنه من العدالة والتثبت والنزاهة وعدم الخروج عن الصراط السوى فيما يزاول ما يستحق به الذكر ، ومن الكرم ما يدعم به هذه الصبابة التى يجول فيها يراعه ، وهذا ما نسمعه عنه من هذه الناحية ، وأما ما نسمعه عنه من ناحية أخرى ، فانه صار من بين افراد اسرته الماضين أول من مال الى مشاركة العامة فى أمورها ، وينتشب فى مشاكل القبيلة ، ويؤيده فى ذلك ماله من الاوصاف المتقدمة ، وما ورثه عن ءاله من سيادة وقرت مع طول الزمن فى الصدور ، فوجد من يتشيعون لما يقوله من بين افراد القبيلة الايغشمانية ، فكان بذلك قذى فى أعين ءال باها الايكليين رؤساء ايغشمان اذذاك ، وأهل (تافراوت) من اداوعاصم ، فخذ من افخاذ قبيلة ايغشمان •

ثم ثارت منازعة بينه وبين ابناء عمه الديانيين المسمين ءال باها ، وهم جيرانه دارا لدار ، فى قرية واحدة ، فكان هؤلاء الايكليون ـ وكلاهما يسمى ءال باها ـ اتفاق نسبة ، لا انهم من اصل واحد ـ يدا واحدة عليه وعلى من معه ، فأدت هذه المنازعات الى أن فتك بصاحب الترجمة غيلة ليلة صيف فوق شفير سطح لداره ، ولايزال المحل معلوما الى الآن عند أحفاده ، وكان الذى

تولى اغتياله احمد بن باها الايكليبي ، وهو من حفظة القرءان ، ولكنه لايتجاوز حنجرته ، اذ رأيناه يرتكب مثل هذا ومعه أحمد بن باها الدياني ، جدءال احمد ابن باها الديانيين الموجودين اليوم ، فقد نصب الاخير منكبه حتى طلع عليه الاول الذي باشر الاغتيال بيده ، فهكذا سقط هذا الفاضل بهذه الفتكة الغاشمة التي ما حملهم عليها الا أنهم شرقوا بسيدي احمد ، الظاهر بشرفه وبمجده وبفضله وباخلاقه في الميدان ، فخافوا ان يكسف نفوذهم ، وهذه الفتكة كانت حوالى سنة : ١٢٨٤هـ وقد حكى لي سيدي المحفوظ ان مخطوطاته التي شاهدها من الرسوم ، قد قارب انقطاع اوقات تحريرها هذه السنة ، وقد امعنت في السؤال حتى ثبت عندي ان موته كان حقا حول هذا التاريخ

ذهب سيدي احمد ضحية غدر الايكليبين ، وقد ارداه أحدهم كما اردى جساس كليبا ، وسنرى من ولديه الصقرين محمد الاشكر والحاج ابراهيم من ياخذان بالثار أخذا عنيفا ، ويضحيان برئيس أسرة ءال باها الايكليبين ، ثم لايبوء بشسع نعل سيدي احمد نطالب ، فشتان ما بين طالب مهذب ، وبين عامي جلف •

وقد أعقب من الذكور محمدا الاشكر ، والحاج ابراهيم الاتيين امام القارىء ، والحاج محمد ـ فتحا ـ الذي فتك به أخوه علي المعتوه ، وله عقب الى الآن ، وعلي المعتوه ولد سنة : ١٢٥٧هـ كما وجدته بخط والده وقد اخبرني ابراهيم بن موح الايبوركي ان أهله مكثوا يوما ، اذا بعلي جاءهم يلهث ، فقال : انني قتلت أخي الحاج محمد ، لانه خاصمني ، قال واذ عرفنا عتهه ، أرسلنا الى أخيه محمد الاشكر ، فذهب به ، فالقاه في قيد حتى مات وهومختل ومقتوله الحاج محمد ممن أخذ عن الاستاذ محمد بن ابراهيم اعجلي الشهير ـ وسنذكره ان شاء الله في (الفصل الثاني) من (القسم الثالث) ـ ثم زوجه بنته ، وقد خلفه عليها أخوه الاشكر ، فولدت له الهاشم الشهير ـ الاتي ـ وأما بنات سيدي أحمد نطالب ، فخمس ١) مماس ، اقترنت بأحمد بن الحسين التاويتي الايفشاني ٢) رقية اقترن بها الفقير عمر من امكراز ، من أسيف اودرار ، وكثيرا ما تزور الوالد بالغ ٣) تعزى : اقترنت بالشجاع علي الايبوركي ـ وسترى ترجمته قريبا ـ ثم خلفه عليها أخوه بوهوش ، وقد عرفتها يوم كنت مجاورا في المدرسة الايغشانية فكنت اختلف اليها وانا صغير ، واذكر أنها كوت ساقي مرة من ورم بها من اثر المضاربة بالكرة الرجلية ٤) مريم اقترنت بمحمد الايبوركي اخي علي المذكور ، وهي ام ابراهيم بن موح الذي أفادني كثيرا عن عائلته ، وعن أخواله الديانيين هؤلاء وام يبورك ، من رؤساء ايغشان اليوم • ٥) حوكا ، اقترنت بمحمد بن عبد الله بن علي بن احمد بن بلقاسم بن علي بن عبدالله بن سعيد ، من قرية تيبيوت بالغ ، ثم خلفه عليها

صنوه بلقاسم بن‌عبدالله الى ءاخر هذا النسب ، وهي والدة فاطمة بنت بلقاسم زوجة الشيخ الوالد الاولى ، تزوج بها ١٠ ـ ١٢ ـ ١٣٠٢ هـ فهي ام اخينا الاكبر سيدي محمد الذي مرت ترجمته في (القسم الاول) وام صنوه عبد الحميد ، ولاتزال فاطمة حية الى الان ١٣٥٨هـ وهي من الضعف بمكانة، وولادتها نحو ١٢٨٤هـ ، وقد ماتت حوكا اول سنة ١٣٤١هـ وهي من مربياتنا في الدار ، لانها انقطعت الى دار الوالد منذ ١٣٠٥هـ الى ان مات ، فقامت بادارة شؤون المنزل ، وكانت زوارة للقبور ، محبة للخير ، وقد حبست مصحفا مجزءا على ضريح سيدي احمد بن عبد الله بالزاوية الدوكاديرية • وفي مرضها الذي ماتت فيه صارت تقترح ان تحضر اليها والدتي لتتسامح معها • ووالدتي قد انعزلت في دار على حدة بأولادها الصغار • ولاممر بين هذه الدار وما فيه السيدة حوكا الا في السطح ، وحين كانت نساء ءال الشيخ لايطلعن الى السطح ولو ليلا أرسلت الوالدة الى بنتها فاطمة ، فتجشمت معها ليلة الطلوع على السطح فادت حق المسامحة مع السيدة حوكا التي لم تنشب ان لفظت نفسها الاخير اثر خروج الوالدة • وانما أتيت بكل هذا ليعرف كيف تحافظ نساء ءالنا من الجارات على ان لايخرجن من الدنيا بتبعة بينهن ، فرحم الله الجميع

فهؤلاء صاحب الترجمة وبناته ، اتينا بهم ، لاننا رايناه منجبا في الذكور وفي الاناث ، ، وامهم زوجة صاحب الترجمة ، من (أسيف اودرار) أخت زوجة سيدي محمد بن ابراهيم اعجلي • هذا ما عرفناه عن سيدي احمد نطالب رحمه الله •

الرئيس محمد الاشكر الدباني

قبل ١٢٥٠ هـ = ١٣٠١ هـ

نسب ـ ١٨

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد المومن بن أحمد بن محمد ابن القاضي عبد المومن بن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

رأيت اخبار سيدى احمد نطالب ، ورايت أنه لايزال يلتفت الى القلم ويحرر به ويقصده الناس لذلك ، وهو مع ذلك يتمتع برياسة نسبية اصطدم بها رؤساء (ايكلى) الذين غصوا به ، ونفسوا عليه مكانته ، ثم رأيت كيف اختتمت حياته ، وكيف فتك به اولئك الجبناء الذين لايقدرون ان يواجهوه فى الميدان فمالوا الى الطعنة وراء الظهر غدرا وختلا ، وهل هذه الا أفعال الجبناء الرعاديد ؟

نفض ابنه محمد الاشكر يده من تراب قبر والده ، فمد يده الى البندقية وعاهدها على ان لاترجع الى مستقرها حتى يوخذ بثار ذلك المظلوم ، فوفى بالعهد ، وقليل من أمثاله من يفون بمثل هذه العهود ويغسلون العار بادراك الثار ، وهو ينشد بلسان حاله

ساغسل عنى العار بالسيف جالبا ... على قضاء الله ما كان جالبا

انتدب الاشكر ويسانده صنوه الحاج ابراهيم الذى رجع اذذاك من المدارس القرآنية ، وألقى اليراع ، وامتشق الحسام ، وأقبل اقبال من جعل نصب عينيه ما جعل . فكان هذا آخر عهد تلك الدار بالاقلام والمحابر ومزاولة العلوم والدفاتر ، فجاء عهد البارود والرياسة ، وأقبلت الرجولة تحلق فى سماوات (اكنى اديان) بجناحيها المتراصتين بالخوافى والقوادم ، فكأنما عهد سيدى أحمد نطالب برزخ ، انتقل بسببه ذلك الشعب من شعب الطلبة المطرقين المساكين الى شعب الرؤساء الشامخين بأنوف المغاوير ، فذهب عصر المداد الاسود ، وجاء عصر الدم الاحمر ، وانطوى زمن الدواة والقرطاس ، وانبثق زمن البارود والقرطاس (١) فهكذا تتبدل الاسر ، وتنقلب من حال الى حال ، وذلك كله

---

١) يقصد الناس فى المغرب بالقرطاس حشو البنادق الرومية

بحكم الضرورة ، فقد رأينا الديانيين سائرين فى طريقهم ، ولكن محاككة الايكليين هى التى وجهت سيدى احمد نطالب الى ما وجهته اليه ، ثم بعد ان فعلوا به ما فعلوا ، استثاروا من أشبال الاسد ، من تراموا بحنق حتى هتكوا سجف العار ، بادراك الثار ، ثم صفا بذلك لهم الجو ، فاستبدوا به • ومن خلقه الله لشيء هيأ له أسباب ذلك

فى وسط نهار فى اليوم التاسع من ذى الحجة ، فى سنة لعلها : ١٢٨٦هـ صاح محمد الاشكر من قمة الثنية التى فوق (توكال) بصوته الجهورى : ياءال توكال : احترسوا ، فان أمغار باها ، قد قتلناه الان فى هذه الشعبة ،فانجفل التوكاليون ، وقد عرفوا صوت الاشكر الجهورى ، فبذلك ضحى بامغار باها فاذيق ءاله فى ذلك اليوم ، ما أذاقوه لابناء سيدى أحمد نطالب حين سقط من فوق سطح داره ، والمرء مدين بما دان به وكيفية قتله ستراها فى ترجمته قريبا •

هذا أمغار باها قد سقط ، وهؤلاء أقوياء اشداء من آله ، وعلى رياستهم أمغار يوسف ، يتربصون هم أيضا بدورهم كيف يضربون خصومهم ضربة قاضية تجعلهم يأسفون على مغادرتهم ما بين الكتب ، الى مجاذبة الرياسة اربابها ولكنهم لاقوا من صاحب الترجمة فحلا هائجا ذا شقاشق ، لايرتد بالخوف، ولايعلم للفرق وخوف الرجال معنى ، وقد انحاز اليه من القبيلة الايغشانية رجال يستعين بهم على مطلوبه ، ومن بينهم اصهاره من (ءال ايبورك) تحت رياسة الباسل على الايبوركى الاتى ذكره ، وءال (أسيف مقورن) فبهؤلاء استعان حتى فتك غيلة باثنين من ءال (ايكلى)

ثم حدث فى سنة : ١٢٨٨هـ ما أرغم الديانيين والايكليين على ان يواجهوا جميعا متساندين حربا دهمتهم من السملاليين ، كانت تقدمت منها شرارات بأيت وفقا ، وبين يدى (توكال) ثم لما احتفل الشر ، وامتخضت العداوة ، وقد انقض السملاليون على قرى كثيرة من ايغشان أرادوا ان يستلحقوها ، فاجمعت كلمة الايغشانيين على مدافعتهم ، ففى اخر ١٢٨٨هـ اندلعت نار الحرب ، فبقيت الى سنة : ١٢٩١هـ فكان على الرئاسة العليا صاحب الترجمة وعلى الايبوركى ، وأمغار يوسف الايكليبى وقد انجر عليهم ذيل قول الحماسى : (عند الشدائد تذهب الاحقاد) فصارت القبائل تنقسم على المتحاربين ، فكان البعقيليون والمجاطيون والامانوزيون من انصار الايغشانيين ، والتمليون والصوابيون من انصار السملاليين ، فدارت حرب ضروس شديدة ، تتخللها فترات تهدأ فيها الحرب ، مع ابقاء التخوم مملوءة بالحرس ريثما يصل رجال القبائل اهاليهم ثم يرجعون ، فهكذا دواليك ، وقد اخبرنى مجاطى انأخا له كبيرا ذكر له : انهم فى حين ينزلون فى قرية (زلافة) من أيت وفقا ، وتصلهم

قصاع الايغشانيين هناك ، وتكون قصعة الديانيين كبيرة مختارة ، كجفنة ابن جدعان التي سقط فيها صبي فغرق في حوض ادامها ، او كجفنة المحلق التي تطفح مثل جابية الشيخ العراقي الفاهقة او كجفنة المقنع التي لا يغلق الباب دونها مكللة لحما ، مدفقة ثردا ، قال الراوي فكانت هذه الجفنة الغراء يستدعى لها رؤساء ايت علي المجاطيين ، لما بينهم وبين الديانيين من قديم ، من صحبة ومودة ، ففي وسط هذه الحرب سقط الباسل : علي الايبوركي ، ثم لما مضى منها مضى ، ائتمر البعقيليون وغيرهم في ان يديروا الحرب حـول قبيلـة سملالة ، وان يفتحوا جميع المنافذ اليها ، ففتحت (تارغنا) و (تيفرميت)و(انامر اوليل) وما يوازي ايغشان فتشابكت اذذاك القوات ، وانتطحت الكباش ، فما أكثر القتلى من الجانبين ، خصوصا في يوم يذكر حول دار (بومزونح)اذتداول هذه الدار الفريقان بجزر ومد ، وقد استمات المتناحران ، ورخصت فيهاالارواح وتناثرت الاشلاء •

اشتدت هذه الحرب الزبون فاكلت نارها الرطب واليابس ، وقد استشرى داؤها الوبيل ، فجاء صالح ذلك العصر سيدى المدني الناصري فصار يسعى بالصلح بين الفريقين ، حتى اتمه الله على يده ، على ان من أراد سملالة يلتحق بها من الايغشانيين ، ومن أراد ان يبقى وسط اخوانه يبقى معهم ، ثم نادى بانه حمى وادى ايغشان ، ودعا على من مد فيه يده بعد اليوم ، وهذه الهدنةاما في اواخر : ١٢٩١هـ واما في اوائل التي بعدها فطويت هذه الحرب وماكادت

ثم ان الحاج ابراهيم تزوج من ءال باها ببنت مسعود ، ولا ندرى هـل المقصود بهذه المصاهرة ان ينسى بها ماتقدم او المقصود مـن الديـانيين ان يستميلوا اليهم بعض ءال باها ، ليفلوا الحديد بالحديد واياكان فهـو زواج سياسى ، وهذا التزوج كان في اول العقد العاشر من القرن الماضي ، لان أحمد ابن ابراهيم ولد هذه المراة الايكلية ، ولد سنة : ١٢٩٥هـ ولكن الطاهر بن باها سقط غيلة في ثنية (تيزى اوزرو) ، فاتهم به الديانيون ، فنغلت الجروح من جديد ، وصار كل فريق يتربص بصاحبه فرصة ، فاراد الايكليون ان ينصبوا حبالة متينة لخصومهم ليقضوا عليهم قضاء نهائيا ، ولكن سقطوا فيها ، ومن حفربيرا لاخيه وقع فيها

اخبرني ابراهيم بن موح الايبوركي انه ذهب هو وصاحب الترجـمـة لزيارة الرجل الصالح سيدى احمد بن عبلا الكرسيفي (المتوفـى ١٣٠٢هـ) فشكا عليه الاشكر ما يناوئهم به الايكليون ، وانهم على كل حال لابد ملاقـو كيدهم بكيد ءاخر ، فقال له سيدى احمد ان الله سيجعل لك خيرا ، وما داملك الايبوركيون ، فقد دامت لك القبيلة ، فلا تاس مما كانوا يعملون •

وفي أوائل سنة : ١٢٩٩هـ سرى محمد الاشكر من (اكني اديان) تحـت

جنح الليل ، الى دار الايكليين ، كما سرى هـؤلاء ايضا الى دار الديانيـيـن فاستولى الاشكر على دارهم بمن معه ، وقتل من فيها ، ثم انتظر حتى رجـع ءاخرون ، فتمت المجزرة ، وقضي الامر ، فهدم دارهم • ونقل سقوفها وابوابها الى داره • والفضل على المدرسة الالغية بمصراعين هما اللذان ركبا على بابها الشمالى ، وسترى في ذكرنا لآل باها ، كيف تم له ذلك النصر

في ذلك اليوم اصبح الاشكر رئيس ايغشان وحده ، يخلق وحده ويفرى(١) ويؤسس ويشيد بمعاونة صنوه الحاج ابراهيم الذى كان من الجرأة فى مكانة غريبة ، طالما نهاه عنها صاحب الترجمة ، ولكنه لاينتهى ، فصار العاصميون كلهم والايغشانيون من فوق (تيزى) في يد الديانيين ، وأما الاخرونفلايزالون ينسحبون مع السملاليين

في سنة ١٢٩٩هـ ثارت الحرب الامانوزية المشهورة ، وسببـها ان ءال قرية (أيت الحسن اوعلى) كان الامانوزيون يعركونهم ويفرضون عليهم مغارم فاحتموا بالديانيين حين رأوا منهم هذا الانتصار الباهر على اكفائهم الايكليين فقام الامانوزيون وقعدوا ، فاغاروا على غنم للايغشانيين ، فاغار هؤلاء أيضاً على غنم لآل (ايزربى) وقد كان للامانوزيين اذذاك قوة وبطش حتى ان الطريق المارة الي (تامانارت) كادوا يقفرونها من السابلة ، بما يوالونه من النهبوكذلك جيرانهم الالغيون المرابطون وغيرهم ، رأوا منهم وجها كالحا ، ويـدا محتوشة فهؤلاء الان يصطدمون والديانيين وقد ردوا على غارتهم بالمثل ، وسيرون منهم اباة ضيم ، وذادة اشداء دون حياضهم ، وسيتلقون منهم درسا بليـغ الاثـر، لن ينسى الى الابد •

أنف الامانوزيون ان يجدوا من جيرانهم هؤلاء الحديثى العهد بصولجان الرياسة من يقومون امامهم وجها لوجه ، فالتقوا يوما بينهم فكان يوما مستطير الشرر ، سقط فيه تحت السنابك (٢) وامام البنادق (أيت اوفتاس) المشهورون وسيدى يوسف طالب من الديانيين ، ثم تكررت الملاقاة بينهم اياما ، والاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى يجرى بينهم بالصلح مرارا ، فلايكاد يغادرهم على هدنة ، حتى يحدث ما يستدعى احد الطرفين الى هتكها فتعود الحرب قريبا هذا والديانيون يمدون فى اعدائهم الدسائس ، حتى تفرقوا فيما بينهم ، فاذا بالحرب الخارجية تعود بينهم داخلية ، فكفى الديانيون أمر أعدائهم ، لانفرقة

---

١) خلق الجلد يخلقه كنصره ينصره اذا قدره قبـل أن يقطعه وفرى بمعنى قطع ،وفى المثل ما كل من خلق يفرى اى ما كل منقدر شيئايستطيع انجازه

٢)جمع سنبكة بضمتين طرف حافر الفرس

الاعداء باب يفتح للانتصار عليهم بادنى سبب ، فالتحقت القرية التى قامت حولها الحرب بالايفشانيين ، والامانوزيون خزايا ينظرون ، ثم ما كـــاد الديانيون يخرجون من الحرب الامانوزية ، بعدما وضعت اوزارها ، حتـى جاءت اخرى ، فى (اكنى ايكدمان) بسبب ان السملاليين نزلوا فى هذه القرية من جديد بجيشهم ، فنهبوا ديار من يهبون بريح الديانيين ، وحاصروا ديارا اخرى ، والذين مدوا اليهم اليد من القرية هم (ايت بكو) و (أيت على نبهمو) وسيدى محمد بن على الملقب بالاخفش ، وبلا بن على المقتول فى تلك الحرب فسرى اذذاك الحاج ابراهيم أخو المترجم حتى دخل بعض الديار المحاصرة ، مع (١٢) عشر رجلا ، ولكن اشتد عليهم الحصار جدا ، فجاء الاستاذ سيدى محمد ابن عبدالله الالفى ، قال ابراهيم بن موح ، فبات عندى ، فتطلب منى ان لا اصنع له الاعصيدة ، ولكننى ذبحت وقمت بكل شىء وفى الصباح سعى بالصلح حتى قبل السملاليون الهدنة ، على ان يتقدم المحاصرون بالذبيحة الى المجمع فقبلوا ذلك ، فخرج المحاصرون بعدما فقدوا حتى الماء ، وقد استطاع الفقيـه سيدى محمد بن عبد الله ان يدخل على المحاصرين قبل استسلامهم فصار يعاتب الحاج ابراهيم على ما ورط فيه نفسه من هذه المغامرة ، فقال له الحاج ابراهيم لئن انجيتنى من هذه ، لالتحقن بايت بعمران ، فاشتغل بتعليم كتاب الله فى مسجد اشارط فيه ، ولكنه لما نجا نسى وعده •

قال ابراهيم : فانتصر علينا السملاليون ، ولم يبق فى تلك الجهة ممن يرفع رأسه بموالاة الديانيين ، غير ءالنا اليبوركيين ، فارسلت الى نحو (٣٠) رجلا من ءال (أسيف مقورن) فخبأتهم عندى شهرا ، استعدادا للطوارىء ، لان (اكنى ايكدمان) و (انامر) الا ماكان منا ، قد صار الكل من السملاليين وقـد نادى السملاليون على دار الايبوركيين ان من هدمها فله ٤٠٠ مثقال حتى جاءنى مرة ليلا محمد الاشكر ، فطلب منى ان أماشى الزمن ، وان أدارى السملاليين حتى يفرج الله ، فقلت له لا والله ، مانحن بخارجين عما نحن عليه ، فقال اننا الان ضعفاء ، لانقدر أن نغيثكم بشىء ، قال فقلت له : عليكم بـمـا وراء (تيزى) وأما ما هنا فنحن أدرى بما نصنع فيه ، ثم ان المخابرة جرت بـيـن الايبوركيين مع بعض العروسيين من سملالة فمكنوهم من ١٣٠ ريـــالا ، فاحتالوا على الايكدمانيين ، فقالوا لهم الان انضممتم الينا ، فلا بد من رهائـن تصححون بها أقوالكم ، وتبرهنون بها عن حسن نياتكم نحونا ، فقدموا لهم كل ما يملكونه من الحلى ، وتبرهنون بها عن حسن نياتكم نحونا ، فقدموالهم أيديهم ، قالوا للايبوركيين شأنكم وما تريدون ، فقام هؤلاء والديانـيـون، فصبحوا (اكنىايكدمان) فاستولوا عليها وغرموا كل مـن فيها ممن يوالـون سملالة : ٤٢ ريالالكل دار ، قال ابراهيم : فوضعهاكلها محمد الاشكر فى جيبه وحده ، ومن يقدر ان يقول له اين حظنا منها :

فاذا تكون كريهة أدعى لها   وذا بحاس الحيس يدعى جـنـدب

فصفت بذلك القبيلة كلها للديانيين ، وايس السملاليون من ان يحوموا حولها بعد لاسيما حين مثلوا ذلك الدور الشائن من اختلاس الحلي مــن أهله بحيلة وكل من غدرته وخست عهده فقد انقطعت الحبال بينك وبينه

وهنا اقول للقارىء ان غالب رؤساء القبائل من ذلك العهد الى زمــن الاحتلال ، لايخرج عن مثل هذه العهود ، وعن امثال هذه الميادين التي لايحوم حولها الشرف ،ونحن الان نتحقق هذا ونعرفه ، وربما ياتي عصر بجيل اخر يكون عنده هذا من قلم المؤرخ اما كذبا من كاتبه اوتحاملا منه اوسحب جزئية واحدة على كليات اخرى غيرها ، وكاني بالمنصف من احفادنا يقف هنا متعجبا ويقول أهكذا كان اجدادنا ، وعهود رؤساء قبائلهم ، ثم ينغض رأسه (١) ويقول : أم هذا من المفتريات ؟

وقعت هاتان الحربان الامانوزية والايكدمانية سنة ١٢٩٩هـ فانجلت عن مكانة لصاحب الترجمة ثابتة ، وقد ابتدأ في تاثيل الاموال ، وكانــت أخلاقه اخلاقا لاتسف ، فقد حكي لي عنه : انه يسخو بما عنده قبل ان يتطلب من القبيلة اخراج ما عندها ، كما حدثــت أنه لايتجاوز صاحبه ، ولا يخيس فيه عهده • ولم يكد ينال هذه الانتصارات وتمضي عليه سنة وبعض اخرى حتى سقط مريضا ، ثم هلك حتف انفه

وكان يقول دائما لاخيه الحاج ابراهيم انني لا أموت الا على فــراشي وانما أخاف عليك انت أن تؤديك جراءتك هذه الى ان يفتك بك بعض الفتاك في مفازة ، فتسقط مجندلا تسفي عليك الريح والمور (٢)

وقد أعقب من زوجته التيفشيتية ولده الطاهر ، ومن بنت الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم اعجلي الهاشم الذى نعرفه كوزير للرئيس احمد بن الحاج ابراهيم في كل أيامه ، وولادته نحو ١٢٩٤هـ ووفاته في ١٣ رمضان ١٣٥٥هـ بعد الاحتلال لهذه الجبال بثلاث سنوات ، وكان مذكورا مع الرئيس احــمــد في قصائد كثيرة ، ستاتي في ترجمة المذكور ، وقد استشفع مرة بطلبـــة (اداى) الحربيلية عند الاستاذ سيدى الطاهر ، في قضية ، فكتب اليهم الاستاذ قائلا للشفاعة

ياسادتي اني قبلت توسلا	بكم لهاشم المحب الوامـــق
فالله يكلاه ويهدى قلبــه	وينيله من كل خير رائـــق
ويعز جانبه ويسعده باقـــ	ـبال المنى ومنال كل موافق
وكذاك نحن وانتم طرا ومــن	أصفى الوداد لنا بقلب صادق

وانما أتيت بهذه القطعة الدعائية لتعلقها به ، والهاشم هذا هو والد سيدى المحفوظ الذى تكرر ذكره فيما تقدم ، وسترد ترجمته ان شاء الله

١) انغض رأسه حركه كالمتعجب او المستهزىء
٢) المور الغبار قال شاعر في قتيل بفلاة
تسفى عليه الريح والمور

الرئيس الحاج ابراهيم الشهير

١٥ ـ ١٠ ـ ١٢٦٠ هـ = ٢١ ـ ٢ ـ ١ ـ ١٣٣٣ هـ

نسبه

ابراهيم بن أحمد بن محمد بن عبد المومن بن أحمد بن محمد ابن القاضي عبد المومن ابن محمد بن علي بن محمد بن عبد المومن

هذا هو صقر (الغ) الذي يحلق بعد صنوه المتقدم ثلث قرن في سماواته الفيحاء ، وليثه الزءار ، الذي يحمي حماه ببرثنه المسنون وبوثباته التي لها فتكات أية فتكات ربما تنسي فتكات البراض وجساس

هذا الرجل هو الذي كان العضد اليمنى لصنوه المتقدم ، حتى أخذا بثار والدهما ، فكان دائما في الصفوف الاولى في المعارك التي دارت اذذاك ـ وقد ذكرنا أهمها ـ فكان لجرأته ولطفراته دوي ، كان يذر قلب أخيه يخفق دائما عليه ، شفقة وخوفا من أن يتردى في احدى مهاو تعرض لـه اذذاك كثيرا ، ولكن الحاج ابراهيم مجدود ، يمزق كل الحبالات التي تنصب له ، ثم يبرز وراءها وهو مكلل بالنجاح .

كان ممن حظي بحفظ القرءان ، تلقاه اولا عن بعض اساتذة القريـــة وبعد أن قدر على ان يتغرب ، كان في مدرسة (تيزي الاثنيــــن) عند الاستاذ الكبير المشهور الركراكي : سيدي الحاج محمد احد القراء في ذلـك العصر المذكورين بالقراءات السبع ، وسنذكره ان شاء الله في(الفصل الثاني) مـن (القسم الثالث) ثم كان أيضا في (مدرسة الجمعة) في قبيلةأيت عبلاالبعمرانية وهناك ثاور احد الطلبة ، فغادره بطعنة نجلاء ساقطا فقمص ينتهـب الارض الى الغ ، وربما كان مطعونه برىء بعد ذلك .

ثم انني كنت أسمع ان له اتصالا بسيدي محمد بن ابراهيم الاعجلي المتوفى (١٢٧١هـ) وانه كان افضي اليه بأنه سيعيش في حياة عالمين بالغ وصاه عليهما فمن هنا التمس الناس مستندا لهذا الاعتناء الذي يلقاه الاستاذ سيدي محمد ابن عبد الله ، والشيخ الالغي منه ، وهذا عندي مستبعد ، لان سن صاحب الترجمة حين وفاة أعجلي في السنة المذكورة ، لايمكن عادة انيفضي الىصاحبها بمثل هذا ، ولعله كان هناك يقرأ مع أخيه الحاج محمد ثم كان هذا الافضاء من اعجلي الى أخيه الاشكر الرجل الكبير حينئذ ، او الى الحاج محمد ، فلفق

الناس هذا على ما ارادوه ، هذا ان كان هذا الافضاء صحيح السند ، وأما انا فانما أسمعه بغير تواتر من عند هيان ابن بيان ، والله اعلم بحقيقة الامر

كان عمره يوم قتل ابوه (٢٤) سنة فمن ذلك الوقت طلق المدرسة وطوى الكتاب ، وعلق اللوحة ، بعدما اتقن حفظ القرءان اتقانا ، وحصل حرف المكي فلازم صنوه ، وقد رأيته دائما معه ، يوم احتلال دار الايكليين ، وفى (اكنى ايكدمان) حين حوصر ، حتى فك عليه حلقة الحصار الاستاذ الالغي الذى لذعه حينئذ بتانيب مر ، يقول له أفى كل يوم تلقى نفسك فى التهلكة ؟فقال له هذا لئن نجوت من هذه لالتحقن بقبيلة بنى عمران فاشارط فيها فاعلم كتاب الله ، ولكنه ماكاد ينجو حتى كان وعده المخيس كحلفة (١) ابن الرومى المشهورة ومن خلق لشيء ، وركبت فيه غرائزه ، فهيهات ان يتملص منه ، وان حاول ماحاول لان التخلق ياتى دونه الخلق ـ وقد تقدمت الحكاية ـ

ولمامات صنوه تصدر فى مقامه ، وقد تمهدت السبل ، ووطئت العقبات واجتمعت كلمة القبيلة ، وليس عليه بعد ذلك الا أن يحافظ على ذلك بمهارة فالمحافظة على الانتصار حتى تجنى ثمرته ، أصعب عند الحربيين الدهاةمن الانتصار ، فكم انتصرت المانيا فى اول حرب ـ ولكنها لاتعرف كيف تحافظ على الانتصار الى الاخير ـ

سلك طريقا وفق اليها غالبا غاية التوفيق ، حداه اليها سعده فكان عوض ان يضع الحصون فى تخوم قبيلته ، وأن يشيد المعاقل على قنن الجبال ، مد سماطا لايغلق الباب دونه ، وليس من ورائه حجاب ، فاغناه ذلك فى مدافعة الاعداء ، وفى فتح القلوب ، وتنمية الاصدقاء ما لايغنيه كثير من سابغات الدروع • ولامنيعات الصياصى ، على أنه حاول بناء حصن قديم تهدم فوق داره فى عهد الحاحيين ، ولكن حصنه الحصين حقيقة انما هو فى مائدته الطافحة كان رئيسا من الرؤساء ، يقدم المصلحة التى تراءت له على سواها فكان لابد له أن يفرط منه مالايدوم له ما هوفيه ـ على رأى أمثاله ـ الا بارتكابه ، ثم لايبالى ان يوافق انظار غيره اولايوافقها ، ولكن كرمه ومحبة العلم وذويه غطيا كل ذلك ، وقد كان هذا مما لوحظ منه من سنواته الاولى ، فاسمع مايقوله فيه الشيخ الالغى فى رحلته الحجازية، حين ذهب معه حتى شيعه بماسة:

ومعنا محب اهـل الخيـر	من لم يفارقهم بكل سير
ووصفه اوصاف أهل اللـه	وقلبه لاه عـن الملاهـى
لـه عديدة مـن المناقـب	تحط ماله مـن المثالـب

---

١) يقول

وانى لذو حلـف حاضر	اذا مااضطررت وفى الحال ضيق
وهل من جناح على مرهق	يدافع بالله ما لايطيق ؟

اخلاقــه طابت سليم الصدر ‏ من كل شين شان اهل القدر
شجرة السخا حمت له الحمى ‏ وأطلقت له اللسان والفما
ووجد الفضل لذلك السخا ‏ ففلكه تمخر بالريح الرخـــا
حبى أبو سالم الغشانــى ‏ خادم علــم قارىء القرءان

هذا ما يقوله فيه الشيخ في شعبان : ١٣٠٥هـ وهو يحاول ـ كما نحاول ـ ان يذكرله الحسنات فقط ذكرا جميلا ، فشهد له بالسماحة التى هى بمثابة ستر كثيف ثخين ضاف ، يغطي كل ما لايسلم منه امثاله من المثالب،والحسنات يذهبن السيئات ، وبهمة عالية لاتميل الى الملاهي ، وبتلاوة القرءان ، واتصاف بأوصاف أهل الخير ممن ينحاش اليهم ، وبسلامة الصدر ، وباخلاق طيبــة تحوط هذه الخلال بسياجها ، وهذا حقيقة وصف الرجل من هــذه الناحية وكأن القارىء يراه •

وكان طول حياته بين هذه الاخلاق ، وبين أخلاق الرؤساء الاخرى يتلون فاذا كان مع العلماء واهل الخير ، فانه خادمهم والمتعصب لهم ، واذا كان مع أعدائه ، أومن يتوجس منهم أمورا تضربه فانه يكون كالاسد وسط النقد (١) فويل لمن اصطدم واياه

ومما يتعلق باخلاقه وصراحته فيما يريده من غير مجمجة ماحــكــاه بعضهم ، قال جئت الى دار الحاج ابراهيم ، فوجدت فاضلا من أهل قرية (اكني ايكدمان) في بيت مسجونا ، فناداني ، فقال لى انظر هذا الرجــل باى ذنب سجننى ، فلما ذكرت له ذلك ، قال : لاذنب له عندى الا أنه أصبح يعرض عنيوعن مجيئه بالاحسان الى دارى ، بعد ما ألفت منه ذلك ، فذكرت ذلك للرجل ، فقال : ان كان هذا هو ذنبي الوحيد ، فان الامر سهل ، فوعده بالرجوع الى مايريده ، فاطلقه فاستمر على ما يريد منه •

حكى لى العم ابراهيم ان الاشكر وصاحب الترجمة دخلا على واترهم: ابراهيم بن أحمد بن باها سنة : ١٢٩٩هـ فطلبا منه رغما أن يدفع اليهما اثنتى عشرة غرارة منالشعير ، ليحرثاها فى تلك السنة ، وكان ابراهيم المذكور ذا حبوب كثيرة ، فالتجأ هذا الى الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ، فما زال يسفر بينهم حتى ردت الى عشر ، وقد انقض عليه صاحب الترجمة مرة أخرى بعد ذلك ، فاراد ان يمتص كل أمواله ، فالتجأ أيضا الى الاستاذ سيدى على بن عبدالله ، والشيخ الالغى ، فمازال الاول يسفر بينهما حتى قنع منه بمائة ريال هذا كله فى مقابلة مسامحته من القتل ، مواخذة له بمافعله والده حين اعان فى الفتك بسيدى احمد نطالب ، ومن أعان بادنى شيء على قتل انسان ، فهو حلال

---

١) النقد محركا جنس من الغنم صغير الارجل الواحد نقدة للذكر والانثى ويجمع بنقاد ونقادة كجمال وجمالة

الدم ، فضلا عن المال في نظر الموتورين • وقد سقط احمد بن باها اخوابراهيم هذا يوما ازاء (تسنضرت) في (دوكادير) بطلقات مجاطيين ، فقيل ان ذلك من تتمة الاخذ بثار سيدى احمد نطالب ، وقد تتبع ءال باها الايكليين الذين هربوا سنة ١٢٩٩هـ بعد تخريب دارهم فلم يبق منهم الا من طال عمره ، وكذلك الامانوزيون الذين كانوا قاسى منهم ما قاسى في تلك الحرب مع اخيه لم يزل يتتبعهم حتى انخنسوا أمامه ، فمنهم (ءايت تلحيق) الذين كانوا يعاكسونه ويتتبعونه كما يتتبعهم ، افانه سبقهم الى الضربة ، فسقطوا يوما ثلاثهم أمام بسيط (ايكلي) وقد رجعوا من مجاط في حاجة لهم ، وذلك هوماكان سيقع له ، لو سبقوا اليه •

بهذا القمع ، رد ايدى العداء عن حماه ، بل عن الغ كله ، فانكف عنه الانكضائيون • والابراهميون والامانوزيون وغيرهم ممن يعبثون فيه بضعفة المرابطين ، وغيرهم ، فعادت لالغ حرمة زائدة به وباصحابه العلويين من مجاط ، ولواحد تراعيه افضل من كثيرين متشاكسين فعظمت حرمات الزاويتين الالغيتين ، فياويح من حدثته نفسه ان يمد الى احداهما او الى حمى مما حوليهما يدا ، لانه لايعرف الا نصر اصحابه ظالمين او مظلومين ، فكم فاتك يطل الى الظهور من سكان بسيط الغ من الحربيليين ، ثم لم يظهر له بعد قبر ، اووجد ببطن شريان يعوى حوله الذيب (١) وقد ابصرت مرة انسانا اعمى يقاد مسمول العينين ، فاخبرت أنه سرق ، فوصل الى يد صاحب الترجمة فسمل عينيه بحديدة محماة

ومن بارز اخلاقه أنه صريح الى الغاية ، يقول لك في وجهك ما يريده شئت او أبيت ، كما أنه اذا أراد حاجة او مالا من عند انسان لايعتذر له ، ولايركب متن التمويه ، بل يقول له والعين تنظر في العين ائتنى بكذا ، وهذه لعمرى سياسة ، لايسلكها الا المقتدرون الذين يعرفون من انفسهم مقدرة تامة ، وأما المخاتلة والموارية ، واظهار ان عمرا هو المراد مع أن المراد هو خارجة ، فلايركبها الا الرعاديد الذين كلما رأوا خيالا تطير نفوسهم شعاعا ضعفوا فختلوا ، ولو قووا لقتلوا

أراد الله به خيرا ، فادى فريضته في سنة : ١٣٠٧هـ واذ كان مغرما بمصاحبة اهل الخير ، والاتصال بالعلماء ، ذهب في جماعة منهم الاستاذ الكبير الحاج محمد اليزيدى ، والفقيه سيدى الحاج احمد اليزيدى ، والفقيه الحاج

---

١) قال الشاعر

ابلغ هذيلا او ابلغ من يبلغها ... عنى حديثا وبعض القول تكذيب
بأن ذا الكلب عمرا أخيرهم حسبا ... ببطن شريان يعوى حوله الذيب

احمد اوالشلــح الايسى ، فى أناس فضلاء ءاخرين ، وقد صاحبهم الاستاذ سيدى على بن عبد الله الى ان ودعهم فى السويرة ، واما الشيخ الالغى ، فانه ودعهم بابيات مطلعها

وفد خير الخلق ان جئتم الــــى روضة الحب الشريف المصطـفـى

توجد فى (مجموعة) من منظوماته ، تلحق بكتاب (من أفواه الرجال)

الحرب الوفقاوية

من أشهر الوقائع التى انتشب فيها صاحب الترجمة ، فظهرت فيهـا عزيمته الصارمة وثباته وانفته الحرب الشهيرة التى طارت بينه وبيـن الوفقاويين ، وسببها : أمر بسيط غريب ، حتى كأنه رواية من الرواياتالتى يألف ذوو الفراغ ان ينسجوها بأخيلتهم ، وهم على كراسيهم جالسون وعلى مناضدهم ينحنون ، ولكن هذه حقيقية لا خيالية ،

اتصل فتى ايغشانى بآنسة من الوفقاويات اتصالا ابتدأ من النظرةالتى ذكرها الشاعر المصرى فى قوله :

نظرة فابتسامـة فســلام فكلام فـمـوعـد فلقاء

ثم ذيل ذلك بقول الشاعر الالغى الذى حاول ان يذيل هذا البيت بذيول القضية ، حتى بلغت مابلغت ، وان كانت شاعرية الالغى وقعت دون مـدى شاعرية المصرى المفوه

فوصال فصحبة فـوداد	فهيام به الحيـاء هبـاء
فهروب الى الحبيب نهارا	فعلى الاهل والجميع العفاء
ملك الحب أرسن القلب حتى:ا	ـقاد نحو الحبيب كيف يشاء
فليقولن من يؤنب ما شا	ء فآذان ذى الهوى صماء
كان ما كان فلتسخ هذه الغبـ	ـراء او تسقطن تلـك السماء

جرت هذه الحكاية الغرامية التى انتهت بكل ماتنتهى به دائما الغراميات من الافتصاح وحين كان جو الغ اذذاك طاهرا كانت فيه هذه القضية احدى الغرائب ، الاأنها لم تقف عند الغرام بل دخلتها السياسة ، فقام الوفقاويون وقعدوا لذهاب اختهم مع عاشقها ، وقالو ان هذه الا اهانة عظيمة ، وخزى يبقى أمد الدهر ، واحدوثة تتناقلها عنا ألسنة الركبان ـ وكأنهم نسوا السنـة الاقلام ـ فأرسلوا بالتهديدات المبرقة المرعدة الى صاحب الترجمة ، وتوعدوه ان لم يرجع الانسة الى أبويها ليملأن عليه أرضه خيلا ورجـلا ، فكاد الحاج ابراهيم ـ الذى لاتطبيه أمثال هذه الوقائع الغرامية المسفة ، ولايعيرلاحاديثها سمعا ، ولايابه بأهلها ، ولايعد ذلك الامن السفاسف التى ما كانت لتجرى على

باله ، فضلاعن أن تجرى بين يديه ، أو يقر على امثالها من يريدون العبث بالفضيلة ، أو ان يمدوا أيديهم الى هتك العفة والشرف ـ يجيبهم الىمايتطلبونه من رد الانسة ، لولا أنه رأى من هذه التهديدات التى شفعوا بها طلبهم الملح مايملي على أبائه وانفته ، ان لايقف ازاءها الابهامة مرفوعة ، وانف اشمشامخ العرنين ، فرد عليهم بتهديدات مثلها ، فصارت العقدة بهذه التهديداتالمتبادلة عويصة الحل ، بعدما حاول الاستاذ سيدى على بن عبدالله ، والشيخ الالغى أن تسوى المسألة على الوسط ، فتزوج الانسة بالرجل الذى اختارته ، فيطوى ذكر هذا الامر المخجل ، ولكن الوفقاويين صموا عن ذلك ، وصمموا على استرداد اختهم بلا قيد ولاشرط ، فلجوا فى ذلك والحوا الحاحا ، ثم أنهم تمكنوا مناعتقال ايغشانيتين من عرض النساء فى بسيط (باردا) فزادت الحالة توترا ، وصار الجو يشم منه رائحة البارود ، فجاء امغار محمد المجاطى فتردد سفيرا بين الفريقين ، حتى تمكن من اطلاق هاتين الايغشانيتين ، وضمن أن تطلق الاخرى الى أبويها ، ولكن مضت أيام ولم ترجع ، فصار حينئذ كل من الفريقين يستتبع القبائل ، ويستجيش كل من يجدهم وكان ابتداء هذه المشكلة فى اواخر ١٣١٤هـ فما كاد الكيلولى ينزل فى تيزنيت فى اوائل ١٣١٥هـ حتى اتصل به الحاج ابراهيم بالمخابرة ، على يد القائد سعيد المجاطى فاوعز الكيلولى الى الاخصاصيين ومن وراءهم أنيؤيدوا الايغشانى ، فجاءوا اليه بجيشهم وأرسل ءال القائد سعيد المجاطى نحو ٤٠ فارسا من شيعتهم اليه وأما المجاطيون قاطبة فانهم من شيعة الوفقاويين مضادة للقائد سعيد ، فكان السملاليون والامانوزيون ومن ذكرناهم شيعة صاحب الترجمة ، وكان عنده أيضا فرسان حاحيون ، انحازوا اذذاك عند القائد سعيد المجاطى ، ففى ليلة زحف المجاطيون بقبائلهم الى بسيط (باردا) تحت (توكال) حيث جيش الاخرين نازل ، قال مجاطى ممن حضروا ، فجئنا نحن الاربعين فارسا المجاطيين حتى التقينا مع اخواننا فى وسط (باردا) فصرنا نتعاتب ساعة ، فاطلق واحد منهم فى واحدمنا ، فأجفلنا مغذين الى أصحابنا ، والاخرون يطاردوننا ، فحسب أصحابنا أننا اتفقنا بيننا ، فزحفنا اليهم جميعا ، فماجوا مولين الادبار ، فلم يقفوا حتى ادركناهم ، فعرفوا أننا باقون على العهد .

ثم ان هؤلاء المجاطيين المناصرين للوفقاويين بلغهم مايفعله القائد سعيد المجاطى خفية ومايحاوله فى بلدهم من التمهيد للكلولى ولمغارمه ، فرجعواكلهم يحاصرونه وأهله فىقرية (ادعلىاوباها) فقل من عند الوفقاويين ، فزحف اليهم خصومهم ، فقامت الحرب ساعة ، ثم انهزم اولئك المهدون المبرقون المرعدون فنهبت قرى حول المدرسة ، وقدم ما سواها الطاعة ، ويذكر ان قرية (أمالو اوسرك) نهب منها متاع كثير ادهش بعض الحاحيين الحاضرين ، فقال : ان هذه الا السويرة الثانية ، كانه يشير الى المتاع الكثير الذى انتهبه الحاحيون من

السويرة سنة ١٢٦٠هـ هكذا انقضت هذه الحرب ، وخرج منها الحاج ابراهيم منصورا مظفرا ، وسمعت الرئيس على بن أحمد رئيس ايفشان اليوم يحكى عن جده الحاج ابراهيم أن الشيخ الالغى ، قال اذذاك ان منتهى الحروب فى الغ هى هذه فى هذا الجيل ـ او كما قال ـ

ثم ان مجاط التى ذهبت فحاصرت قرية (ادعلى اوباها) ما كادت تخربها حتى علمت ان أصحابهم الوفقاويين قد وقع بهم ما وقع ، فزحفوا جميعا الى (تاكنزا) وكانت منحاشة الى صاحب الترجمة تعد من قبيلة (ايفشان) ، وقالوا لانجد ما نجازيه به الا أن نحتل (اكادير نتكنزا) وننتهبه كماانتهب قرى اصحابنا ولكنهم وجدوا فى اكادير من مانعوا دونه ، حتى أغاثهم أحمد ابن صاحب الترجمة بمائة رجل ، طلعوا من وجه الغ ، فاحتلوا اكادير ، فرجع المجاطيون بخفى حنين ، وبيناهم مستديرون فى مجمع ذلك النهار فى (والكوت) اذابنذير يسعى ، فقال لهم : ان الحاج احمد الكيلولى صمد الى (تامكرت ايخشان)فاجفلوا كلهم ، فتبع ذلك ماتبعه ، فذهب الوفقاويون تحت غبار مشاكل اخرى انستهم قضيتهم ، وان كانوا هم لاينسون ما وقع بهم ذلك النهار ، الى هذا النهار

في كتلة الجبليين ضـد الحاحيين

رأيت ان القائد سعيدا الكيلولى ، ممن اعان الحاج ابراهيم فى تلك الحرب ولذلك لم يكد خليفته الحاج احمد يغلب المجاطيين ، حتى كان عنده مع الاستاذ ابن عبدالله ومع الشيخ الالغى الذى كان يعرفه هؤلاء الحاحيون قبل اليوم ويحترمونه ، ثم تردد الحاج ابراهيم اليه مرات ، ولكنه لما جد جد ولتيتة كلها ضده ونظفوا من أتباعه بلادهم ، اضطر الى مسايرتهم ، لانه منهم على كل حال ، فكان السور الصغير الذى احاطته هذه القبائل كلها ببلادها ، قد امتد حتى مر أمام شعبه الذى يسكنه ، ثم مر الى (تيزى) الايزربية ودام أيضا على ذلك ايام انفلوس ، حتى انقشع جيش هذا عن سوس سنة : ١٣٢١هـ

الحرب السملالية

رأيت فيما تقدم أن قرى توجد بين قبيلتى ايفشان وسملالة ، كانت دائما موضع نزاع بينهما ، ولكن عاد حسن التفاهم بينهما منذ : ١٢٩٩ ولامر ما انقض أيضا السملاليون سنة : ١٣٢٩هـ على قرى يريدون استلحاقها حتى نزلوا فى (اوبلخير) فقامت حرب بينهما ماشاء الله حتى ذهب علماء منهم الاستاذان الالغيان : سيدى على بن عبد الله ، وشيخنا سيدى عبد الله بن محمد فوقعت هدنة بمصالحة ، عاد بها حسن التفاهم •

فهذه شهيرات الحروب التى اصطلى بنارها ، وهى كما ترى كان موقفه

دائما فيها ـ فيما أعلم ـ موقف المدافع ، ولذلك يخرج منصورا ، او محفوظ الكرامة على الاقل •

تقلبات اخرى في آخر حياته

جاءت سنة ١٣٣٠ ه بما جاءت به من حركة الجهاد تحت راية الهيبة وسمعت أنه كان اولاممن لايرتضي ذلك ، ويتراءى له ان ذلك لايجر الا فتنا سوداء وان كنت وقفت له على رسالة كتبها الى الاستاذ سيدى على بن احمد الاسكارى يذكر له فيها ما يدل على ابتهاجه باجتماع الكلمة ، ولعل من نقل عنه انه لم يرض بذلك ـ وهو الاستاذ الرفاكى فى كتابه (الروضة) ـ تسرب اليه ماكان ربما تراءى له اولا ، ثم بعد ان ءانس الاجماع ، دخل فى غمار الناس ، وقد ابتهج كما ابتهجوا اذذاك ، وقد كان من الذين حضروا فى تيزنيت حينئذ ، ثم رجع ، ولم يسافر الى (مراكش) ثم زار (تارودانت) فى اول ١٣٣١ همع الاستاذ على بن عبدالله ، وقد رأيت فى ترجمة هذا ماكان قاله حين وقع للاستاذ ماوقع فى تيزنيت ، وقد كان اذذاك نيف على سبعين، فضعف جسمه وتوالت عليه امراض ، ودب اليه ماكان طوى صحيفته اخيرا

أعماله مع المرابطين الالغيين

المرابطون الالغيون فى نظر الحاج ابراهيم : عظام كبار المقامات ، أفضل من كل المرابطين سواهم ، فاذا كان يحب أهل الخير طرا ، ويحترم ذوى العلم اجمعين ، فان له لمرابطيه هؤلاء محبة خاصة ، ولعلمائهم احتراما فذا ، فقد وقف نفسه ازاءهم موقف ذلك الاخصاصي الذى يلقب الى الان (مران) (أى عفريتا جلدا لايقاوم)

يحكون أنه جاء هذا الاخصاصي الى الشيخ سيدى احمد بن موسى فىزمنه فقال له اننى أريد أن أكون مريدك ، فقال له ان عندى لمريدين كثيرين ، فقال أو مؤذنك ، فقال عندى مؤذنى ، فقال او خادمك ، فقال عندى خادمى • فصار كلما اقترح على الشيخ عملا يتصف به عنده ، قال : ان ذلك عندى،حتى قال له اننى أكون (مرانك) أى عفريتك القوى الذى لايقاومه احد فقال ما تقصد بذلك ؟ فقال له أكون دائما ضد من يحاول ان يمسك بحق او بغير حق فقال له الشيخ نعم ان هذا ليس عندى ، فقيل له (مران) من ذلك الحين ولايزال أولاده يحملون هذه النسبة فى الاخصاص ، فيقال لهم ابناء (مران) فهذا الدور هو الذى يمثله الحاج ابراهيم مع مرابطيه الدوكاديريين العلماء فقد امتنع مرة سملالى أن يؤدى دينا للاستاذ سيدى محمد بن عبد اللهالالغى فركب الى سوق الجمعة ففاوض أصحابه السملاليين ، فخرج معهم حتىالقوا

عليه القبض في وسط السوق ، حتى أدى ما عليه ، وكذلك رأيت اعاناته للمدرسة الالغية حين تبنى سنة : ١٢٩٧هـ وهكذا يقف معهم في كل مايتوقفون عليه من العملة ، حصادا أو درسا أو حرثا ، واخبرني بعض الفقراء القدماء أنه كان يحضر بادىء ذي بدء في الزاوية بين الفقراء ، فاتفق مرة أن صادف مجيء الشيخ سيدي الحاج الحسن التاموديزتي ، فقال الشيخ الوالد له: ان هذا هو الحاج ابراهيم الذي يكون وقاية دون المرابطين ،فادع له ، فقال التامودیزتی : سندعو له الله أن يجعل فيه قوة لاتفلت مجرما ، وهذا معنى عبارته التي هي هذه بلسان الشلحية (اداس ندعوايك وداكرفن اضن زكضنن) وترجمتها الحرفية : سندعو له أن يكون دائما ممن يربطون الكلاب الكلبة وقد ظهر للعيان استجابة دعاء هذا الشيخ الصالح فكم كلب كلب ربط فانكف شره ، وكم مجرم قمع فاستراح منه الالغيون

وأخبرت أيضا أنه كان في أول امر الوالد ، كثيرا ما يعرض عليه اداء أشغال كثيرة للزاوية ، فكان الشيخ يعتذر له بأن الفقراء موجودون وهم اولى أن يقوموا بزاويتهم ، ثم لايسمح له أن يفعل الا بالقدر الذي يجبر به خاطره فكان ربما حرث بازواج بعض قبيلته او حصد ، والشيخ يراعي منه ما يعرفه من حسن نيته ، ولذلك يستعين أحيانا ببهائم قبيلته في الدرس ، وقد كان الزرع سنة مخصبا بالغ ، وقدحرث الشيخ في بسيط (ايمي ايكلي) فاقترح عليه الحاج ابراهيم أن يحصده له بالناس من قبيلته ، ولكن أصبحت طائفة من فقراء مجاط بنحو سبعين مع المتجردين الذين يناهزون أيضا المائة ، فحصدوه فذهب اليه ، فقال له لك نيتك ، فقد أتى الله بمن حصدوا الزرع ونية المومن خير من عمله ، وهكذا كان الشيخ يعامل أيضا القائد سعيدا المجاطي في حرثه في (أيت علي) وهو يراعيه مراعاة لابد منها •

وكان من عادته رحمه الله أنه لايحب أن يزاول أعمال الزاوية الا الفقراء وحدهم ، ويقول : ان هذا للفقراء ، فهم أولى من يقوم به ، وأخبرني بعضهم ان صاحب الترجمة قال له بعد وفاة الشيخ ، وقد لاقاه في (باردا) أظن عند أزواج الحرث ذهب الشيخ سيدي الحاج علي ، وهيهات ان تلد امرأة أخرى مثله ، وبمثل هذا يعامل أيضا الاستاذ سيدي علي بن عبد الله ، فيعينه من نواح شتى ، فجازاه الله خيرا عن أعماله هذه

ومن أغرب أحواله أنه يجعل دائما نفسه كالمنفذ لاقوالهم ، فقد وفد مرة فقيه صحراوي ، وكان يقبض بيديه في الصلاة ، فانكر عليه الفقهاء من الالغيين لانهم خليليون أقحاح ، فما سمع صاحب الترجمة ذلك حتى انتدب اليه وهو ضيف عنده مع اولئك العلماء كأنه يريد أن يمنعه بالقوة ان يقبض في الصلاة مادام عنده

وكان أيضا شيخنا سيدى عبدالله بن محمد فى مبادئه ، قد قال مـرة ان قولنا عند تكرار الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم صلى عـلى سيدنا محمد وعلى ءاله وسلم ، اللهم صلى على سيدنا محمد الخ ان سكون ميم لفظة (وسلم) وسكون (اللام) فى اللهم حين نصل بينهما يتعين بالتقاء الساكنين ان نكسر الميم ، لا أن نفتحها على ما يجرى فى الالسنة ، فصار يصنع ذلـك عند التصلية قبل الصلاة ـ كما هى عادة اهل هذه الجهة ـ امام من هم أكبر منه لذذاك من الالغيين الآخرين ، فكأنهم باحثوه حول ذلك فى دار صاحـب الترجمة ، فانتدب له يحاجه بالقوة ، وهو خال من العلم ، ولكنه يكفى انيكون الشيءفى نظره حقا • ان يتفوه به الفقهاء الالغيون الكبار الذين يومن بانهم كالمعصومين ايمانا قويا ، فهكذا كان دائما يحبهم محبة زائدة ، ولايخفى عنه نقص بشرى لايمكن ان يخطئهم ، ولكنه فارضى الخلة اذ قال (فكونوا كما شئتم انا ذلك الخل)

هذا هو الحاج ابراهيم الايغشانى الشهير ، ولايحسبن القارىء أنناطنبنا فى ترجمته ، فان كل من عرفه يدرك حقا أننا موجزون ، قصدنا منه الىالنواحى التى تهم التاريخ ، فاعتنينا بها ، الى ماله من المناقب التى غطت مالـه مـن المثالب ـ كمايقوله الشيخ الالغى فيما تقدم ـ فابرزناها ، وهو بـالاجمال : أفضل رجال عصره من رؤساء هذه الجهة واشهرهم ثروة وتاثيل أملاك ، بحسب وسطه ، مع محافظته على تلاوة القرءان وأوراد ناصرية وأداء الصلوات فـى أوقاتها فيما نسمع •

وقد متعه الله بأولاده فشبوا بين يديه ، ونبغ منبينهم كبيرهم احمد ابن تلك المرأة التى تزوجها من ءال(ايكل) وولده الاخر محمد ثم على ثم عبد المومن وقد استقلوا كلهم عنه حياته وتزوجوا ما عدا الاخير فكان لكل واحد منهم دار خاصة ، ثم قسم لهم ، وبين لكل واحد ماله ، وهو لايزال صحيحا • وقـد اشتهر ولده أحمد بين يديه اشتهارا عظيما ، وتجلى بين الناس بمظاهر ربما آنس والده منها انها بدأت تكسفه ، فكان يغضى حتى انه وقعت مـرة نادرة أدبية تستحق التخليد ، وذلك أن ولده احمد هذا كثيرا مايفوز من السنـة الشعراء بامداح ، ولايذكره هو أحد ، وفى يوم اجتمع عنده من العلماء منسترى أسماءهم ، فتساجلوا هذه القصيدة الاتية بينهم ، فألموا فيها أيضا بذكر ولده احمد ، الا ماكان من الاستاذ سيدى الطاهر ، فانه ذكر صاحب الترجمة ، فانتفض هذا فرحا وبهجة ، فقبل رأسه ، وقال له جزاك الله خيرا اذ ذكرتنى حين كان غيرك ينسانى دائما ، فتحدث الناس بذلك متعجبيـن ، وما كانوا يشعرون أنه ممن يتطاولون الى ان يروج اسمه فى ذلك ، ولايابى الكرامـة الا لئيم ، وهذه هى المساجلة :

قال الشيخ الالفي والكؤوس تدار
شنف مسامعنا بـذكـر حبيبنـا
فقال سيدى عبد الله الانزاضي البعقيلي :
وازل ضروب الهـم عـن اكبادنـا
فقال الاستاذ سيدى الطاهر الافراني
فالذكر قد يـغـنـى اذا عز اللـقا ... وينفس الاحزان حال بعادنا
فقال الاستاذ سيدى علي بن عبد الله
هيهات يغني الذكر صبا طـالما ... يرعى النجوم لناى حب فـؤادنا
فقال أيضا الاستاذ الافراني
وادر سلافة ذكر من نهواه يـــا ... ساقي الهوى واحرص على اسعادنا
فقال الشيخ الالفي
بسلاف ذكر للاحبة سرمـدا ... وشرابها حقا دليـل رشادنا
لاسيما في دار احمد من زهـت
فقال الاديب سيدى البشير بن المدنى الناصرى :
وتعطرت بشذاه أرض بلادنا
فقال الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتي
فرد الزمان وفخره وكريمـه ... أبدى الاله به صلاح فسادنا
أسدى من الاحسان والاكرام مـا ... يستوجب الاكثار من أمجادنا
يا أنس من قد زاره في بيته ... أسنى المجيد بها بها اعيادنا
فقال أيضا الاستاذ الافراني
دار تكامل حسنها وتزينـت ... بحلى تنسيك الغزال الشادنا
فقال الشيخ الالفي أيضا :
لله در مزخرف لسقوفـهـا ... ورتاجها حسنا لوى بمقادنا
فقال الاديب سيدى البشير أيضا
ما شئت من فرش ومن نغم ومن
فقال الشيخ الالفي ... نوع الشراب ، ومن شذى انشادنا
قد زانها واتم وصف جمالـهـا ... روض يذكرنا نعيم معـادنـا
فقال الاديب سيدى البشير الناصرى أيضا :
ابقاه رب الناس خير أحبـة ... واراه كل الخير فوق مرادنا

فقال الاستاذ الافرانى أيضا

فهو الحبيب ابن الحبيب اجل من نختصه ابـدا بمحض ودادنا
فهم بدور سماء مجد قد اضا ء سناهم بجبالنا ووهادنــا
دامــوا ودام السعد يخدمهم كما شاءوا ولازال الزمان مهادنـا

هذه هى المساجلة التى قيلت فى ثوى احمد بن ابراهيم الجديد ، اذذاك كما بنى ، وهو المعد فى داره للاضياف ، كما لايزال كذلك اليوم فى يد ولده سيدى محمد بن أحمد حفظه الله ، وقد رأيت القصيدة كلها فى وصفها وفى وصف ولد صاحب الترجمة احمد ، ثم كان له نفسه حفظه علـى يـد الاستاذ الافرانى ، الذى نال قبلة حارة فوق رأسه ، اظهارا للتاثر بسرور كثير ممـا صنعه ، فهذا أيضا مجلس من مجالس الغ ، اذ الناس ناس والزمان زمان

وكانت صحة الحاج ابراهيم أخيرا ضعيفة ، فاستطب ماشاء الله ، وقد أولع باكل الفلفل الحار حتى انه ليطحن له مع الدقيق ، فتاتى الخبزة منه كانها فلقة من شفق ، وعهدى بطواجين ءاله اذذاك بالفلفل ، لايمس منها من لم يالف أكل الفلفل ، وكأن ذلك سرى اليهم من والدهم رحمه الله ، وأكل الفلفل الحار عادة جارية فى كل بلاد سوس ، الا أن الناس متفاوتون فى الاكثار منه والاقلال خصوصا فى البلاد التى يوكل فيها التمر ، ولكل بنى بلد عاداتهم ، ثـم ان الحاج ابراهيم فى ءاخر عمره قد الح عليه ماكان يعتاده حتى الحقه بربه ٠

سالت يوما بعض أدبائنا الالغيين ، هل هناك مرثية له ، فاذا بالالغيـين لم يسعدهم الدهر ان يرثوه ، وهكذا ذهب وحرم اقوال الادباء بعد مماتـه كما حرمها فى حياته ، ولاادرى كيف لم يقل فيه شيخنا الافرانى ، ولعل له اذذاك عذرا كبيرا زواه عن اداء حقه ، والا فلاأحسبه ممن يغفل عن امثال هذه الواجبات ، وما هو اوجب من تذكر هذا الرجل العظيم الكريم المغوار

قول الرفاكي فيه

حاج بيت الله الحرام ، وزائر الصفا والمروة والمقام ، أبو سالم الطالب الابر ، والكريم الاغر ، سيدى ابراهيم الغشانى ، حب أهل الله الربانـــى فهو فرش العلماء ، ومائدة الشرفاء ، يتلقاهم بالترحاب ، وينزلهم فـى دار التعظيم كالمحراب ، لاتخلو داره من الضيوف ، ولاتجده بهم عسوف ، بـل يخفض لهم جناح الذل من الرحمة ، ويقريهم ما لايقدر عليه أصحاب الكلمـة مائدته فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ، وبابوراته تتلالأ وانخبئت تحت الاحضن (١) الى مواعين مصقولة ، تنسى للعاشقين العقيلة ، أضافنا فى ذى

١) يقصد جمع حضن ، والمعروف عنه أنه يجمع باحضان وهو مادون الابط الى الخاصرة ٠

الحجة عام ١٣٢٣هـ في زيارتنا لتيمكيدشت ، وارفقنا بخفير شجاع خبير ، فوصاه أن يمر نا عليه في الصدور ، وفهمنا أننا رسخنا منه في الصدور،فآتينا على وفق الغرض ، وأزلنا ثم مابنا من وعث المرض ، فلما حللنا داره وتوسطنا وجاره ، شرع يسألنا ، ويهضم من حق اشياخنا وقال ان اولئكالان يدعون الشرف ، لما يجدون من الترف ، وأسلافهم كسيدى أحمد ممن سلف ، لايدعى مدعى هذا الخلف ، فسقط في أعيننا وندمنا على ما فعلنا ، فجعل يتبجح باءال (تحت الحصن) فكدر علينا البيات ، وزرينا ما اعجبنا من النبات ، وسقط الذباب في الشراب ، ولات حين مناص عن تراب ، فندمنا ندامة الكسعى حين استبان النهار ، والفرزدق لما ابان النوار (١) فلم نر الا ان نكايله بكيله ، وان نغمز فيما تبجحبه بخيله ورجله ، فقلت له : في اى شعب ءال (تحت الحصن) قال من الشرفاء ، فقلت له انهم ساموكنيون ، على مانص عليه الحضيكى في (المناقب) (٢) فقال انه موجود ، ارنيه كالنجم الثاقب ، فقلتله: استسعيت يعبوبا ، واستمطرت اسكوبا ، فلما سردته عليه اجاب بانهم لم يقبلوا ذلك ، وأنهم بمراحل عمن هنالك ، فقلت له ان الحضيكى علامة هذه الافاق ، بالوفاق ، فقد ذكر أيضا المسعودى ان ساموكن وحربيل اخوان من ولد جالوت ، فسكت عن غيظ • وبات وفي قلبه حر القيظ ،فافترق المجلس عن كدر ، وليس الوقت وقت السفر ، فلما أصبح الحال ازمعنا الترحال ، ونصصنا البغال (٣) واجرينا الرجال ، حتى خرجنا من ارضه ، وسلمنا من قرضه ، وأدينا لله ما علينا من نفله وفرضه •

فثوبا اجر وبغلا نخست الى ان امنت فقلت عدس

* * *

مشيناها خطا كتبت علينا	ومن كتبت عليه خطا مشاها
وارزاق لنا متفرقات	فمن لم تاته منا أتاها

ثم اقول :

فتى خصه الله بالمكرمات	فناقض منه الحيا بالكرم
فلو ترك الغمر كان الفتى	ولا بد للنضج من ذى الفدم

* * *

---

١) قال

ندمت ندامة الكسعى لما	غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها	كآدم حين أخرجه الضرار

٢) يعنى الطبقات المطبوعة

٣) نص الناقة استحثها شديدا

وفى الصمت ستر للغبى وانما صحيفة لب المرء ان يتكلما

الحريرى

جازيت من اعلق بـى وده جزاء من يبنى على اسه
وكلت للخل كما كال لى على وفاء الكيل او بخسه

توفى فى (٢١) محرم الحرام عام : ١٣٣٣هـ ٠ انتهى ما قاله فى ترجمته

ثم قال أيضا فى ءاخر ترجمة الشيخ سيدى الحسن بن أحمد التيمكدشتى وقد ذكر رحلته لمشهده ، نعم نزلنا عند الحاج ابراهيم (اغشى) حين ذهبنا فارفقنا احد الامانوزيين ، فقال له : لاتفارقهم حتى توصلهم الى ، ففعل الرجل فلما بتنا عنده فى الرجوع هش وبش ، وفرح غاية ، فابدأ واعاد فى المآكل والمشارب ، الا انه نغص ما فعل ، بكلام نقص به قدر ءال تيمكيدشت ، كما تقدم فى ترجمته ، فبمجرد كلامه سقط فى أعيننا ، ولو علمنا منه ذلك ماقاربنا داره ، فهو يحط قدر أشياخنا ، ويرفع قدر اولاد سيدى عبدالله بن سعيد فياله من خبط خبط عشواء ، يحط قدر ءال النبى المحقق ، ويرفع قدرالمظنون والحضيكى رحمه الله ، نسبهم لساموكن ، فهو أعرف بشعاب (١) القبائل ثمه ، فالله يغفر له ، وسبب ذلك أنه رأى فيهم فى الوقت اماجد علماء ربانيين فنظر للحالة الراهنة ، فالعذرله ، (الى ان قال): نقل العلامة سيدى احمد بن ابراهيم السملالى عنمروج الذهب : ان من اولاد جالوت ساموكن وحربيل فهو فى عهدته ، واخذت ذلك عن العلامة سيدى المحفوظ بن عبد الرحمن الادوزى قائلا قرأته فى حكم لسيدى أحمد بن ابراهيم لمنازعة بينه وبين سيدى الحسن بن الطيفور الساموكنى القاطن فى تيزنيت ، والله اعلم

ثم كتب المؤلف على هذا المكان فى نسخته ما نصه ، ويؤيده ما ذكره شارح القاموس من ان البرابر من بقية قوم جالوت ، ومسكنهم فلسطين فلما قتل جالوت تفرقوا الى المغرب ، انظره ٠

هذا ما قاله الاستاذ الرفاكى حفظه الله ، وقد وصفه بعين الاوصاف التى فيه ، من الكرم وحب الشرفاء ، وغير ذلك ، وأما هذا الذى استثار من الاستاذ هذا الغضب ، فقد تكلمنا عليه فى ترجمة الجد عبد الله بن سعيد بما وصل علمنا اليه ، وأما الجالوتية وغير الجالوتية ، فنمر على ذلك مر الكرام لاسيما حين اطلعنا على أصل البربر الحقيقى ، والاشتغال بذلك هنا عبث ٠ فقد تحقق ان البربر من أصل منه العرب والعبرانيون ، فذلك قول المنصفين من البحاثين المسلمين والجرمانيين ، على أننا وجدنا فى ترجمة الرفاكى هذه ما عرفناه وذكرناه عن صاحب الترجمة من نظراته الى الالغيين ، وذلك هو القصد ، رحم الله الجميع رحمة واسعة ، ، وحفظ ءال المترجم بمنه وفضله٠

---

١) يعنى شعوب القبائل

الرئيس

احمد بن الحاج ابراهيم الايغشانى

١٢٩٥ هـ = ١٣٥٣ هـ

نسبه

احمد بن ابراهيم بن احمد ابن الفقيه سيدى محمد بن عبد المومن بن احمد بن محمد ابن القاضي سيدى عبد المومن ، بن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

جاء أحمد والرياسة في دارهم قد امتدت اطنابها ، وكلمة أهله النافذة في قبيلتهم طار لها صدى يطن ما بين قبائل الجنوب سهوله ونجوده وبرزالى الميدان ، فوجد للاسرة ما آت من الاصدقاء ، بين رؤساء مرهوبى الجناب ، وبين علماء يشيدون بالسنتهم واقلامهم ، ومحبرات رسائلهم ومهذبات قصائدهم ما لايشاد مثله الا بأسلات السن ذوى المعارف • وبأطراف اليراع ، من الذين يعرفون كيف يخلدون الكرام ، ببنات الاقلام ، فان كان هناك واحد او اثنان يعدون أشياء من عثرات الاسرة ومثالبها ـ وكفى المرء نبلا ان تعد معائبه ـ فان هناك عشرات ينظرون اليها بعين الرضا التى تكل دائما عن كل عيب

جاء أحمد والدار الديانية حافلة بالخيرات ، وطئت اليها الجداول من كل ساقية ، ومهدت اليها السبل من كل فج عميق ، والهدايا والتحف والجبايا تترى اليها ، فصار الضرع حافلا ، والروض أنفا ، والاملاك الموثلة تدر من الحبوب والفواكه بكل ماتحتاج اليه كل اسرة جعلت معاقلها المنيعة فى سماطها الممدود أمام كل صادر ووارد ، وقد تعددت الديار ، وتنوعت الاوانى ، وتفننت أشكال الزرابى • فما شئت من كل جديدة كما نفضت منها الصناع اليد، وما اقترحت من أنواع الاطعمة التى تتناول بيد او بيدين ، صنوانا وغير صنوان

حكى الهاشم رحمه الله أنه جلس مرة فى ثوى الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، فدخل عليهم الشيخ الالغى ، وقد رجع الساعة من دار الديانيين هؤلاء فسألوه عن الحاج ابراهيم كيف هو ؟ فقال الشيخ انا لله وانا اليه راجعون ، ان الرجل لايزال سادرا فى غلوائه ، مادا أيدى البطش فى مخلوقات الله بلا شفقة ولارحمة ، كما هو ديدنه دائما ، فقد كنا عنده انفا ، فاقبل على ازهاق الارواح ، واقتياد الاسرى ترسف فى قيودها ، وتعثر فى فضل اسارها

ولولا أن هيأنا الله فافتككنا كل من اتصلت به أيدينا ، لعالت المسألة ، ولكان (اكنى اديان) بعد ، لايزال يعج بالاسرى ، قال الهاشم فقلت بيني وبين نفسي والشيخ يحكي ، ويستعظم ما يذكره ، ويتظاهر بوجه المتعض من هول ما راى ليت شعري أيةمصيبة جديدة حدثت بعدى ، فكدت اتمزع هلعا من طولوصف الشيخ ، فما سكت حتى أقبلنا عليه نمطره بأسئلة متتابعة ، كيف ، وماالسبب ومن هم هؤلاء الذين فتك بهم ، فلم ننشب ان رأينا وجه الشيخ عاد يتهلل، كأنه فلقة قمر ، وقد زال عنه أثر ما تظاهر به ، فقال لن تراعوا لن تراعوا فماهناك الا الفتك بالكباش والدجاج على عادته ، ثم سوقها فى الموائد كماهى مشوية ، وفى الطواجين المكتظة بالدجاج المحشو الوسط باللوز والزبيب ، وهى صفوف صفوف ، مثنى وثلاث ورباع ، فكنا والحمد لله ممن هيأتهم الاقدار ففككنا قيودها ، وحللنا اسرها ، ولولانا لبقى ما هنالك يعج بهذه الاسرى التى تترنح تحت قدها (١) قال الهاشم فكان مارأيناه من الشيخ من تمثيله لهـذا الدور ، وهو الذى لانعرفه الا بالوقار والهيبة ، عجبا ، لمنزل نذكره فنزداد عجبا على عجب ، قال الهاشم : وان كنت اوقن أن الذى يقوله الشيخ من عرامة الحاج ابراهيم وتسلطه على الناس ، حقيقة لاتنكر ، ولكنه لايتعدى الا عـــلى من يستحقون ذلك ، ولم نكن نعهد من الشيخ الا قول الحق دائما •

أقول : هذه الحكاية بهذا الاسلوب من هذا الشيخ الذى نعلم منه أنـه لايقول الا حقا ولوكان فى صورة مزاح ، لتدل كل دلالة على ما نريد أن نبين كنهه للقارىء من كرم هذه الاسرة فى ذلك الحين •

فكما أن الشيخ الالغى رحه الله خلد مقدار ذلك الكرم بحكايته المحبوكة على هذا النسج الدعابى ، مؤيدا به ماكان قاله فى رحلته ـ وقد تقدم ذلك ـ كذلك خلد كرمهم أيضا شيخنا سيدى الطاهر الافرانى فى قطعة نونية يداعب بها صاحبه الاستاذ سيدى العربى الساموكنى ، وهما هناك فى ربيع الاول ١٣٢٩هـ ونصها

ان الموائد انت مـن شجعانها	و (الزرد) حرب أنت من فرسانها
لله درك فارسا يفرى بسيـــــــ	ــف السن لحمالشاء عن(اخسانها)
ويفك فى قعر الطواجن ظفره	أسرى الدجاج تقاد فـى ارسانها
واذا كررت عـلى (الطبالى) كـرة	أهرقت رشفا من دما كيسانـهـا
وتزج فـى بحر (المكايـل) غائصا	فلك السفنج فتنثنى بحسانهـــا
وتعوم فى جمع من السادات فـى	نعم همت كالسحب فـى نيسانها

١) القد بالكسر السير يقد من الجلد وقد يربط به المعتقل عند العرب

جادت بواكفها يدا بحر الـنـدى	فذ العلا طرا سنا انسانها
خير الاحبة احمد وابوه من	شاد المكارم فى ذرى غسانـهـا
فرد مكارم مـجـده أعيـت عـلى	اعشى البلاغة او على حسانهـا
لازال فى شأو البلاغة جاريـــا	طلق العنان الى مدى احسانها (١)

* * *

(اخسانها) عظامها • (المكايل) : السكرجات • (الطبالى) الصينيات (الزرد) الزردة معربة : وهى الحفلة من الطعام •

هكذا تخلد تلك المكارم بالحكايات الممتعة بأوصافها ، وبالقوافى الرائقة التى تمتزج فيها العجمية بالعربية ، لغلبة الاريحية على وصافها

والناس أكياس من أن يمدحوا رجلا حتى يروا عنده ءاثار احسان

قال بعض الوزراء البخلاء لبعض اصحابه وقد راى من فى المجلس يكثرون ذكر البرامكة : ان الناس يكذبون على البرامكة فيما يصفونهم به من الكرم ، فقال له: ولماذا لايكذبون على سيدنا الوزير ، وماذا يمنعهم من ذلك فالقمه حـجـرا لايمضغه ولايستسيغه ، فليسمع البخلاء كلهم هذا الجواب

كان الحاج ابراهيم اعتنى بولده هذا اعتناء يرشحه به الى تمثيل الدور الذى تنتظره منه الاسرة المؤسس شرفها على المجاملات ، وغر الجفنات ، قبل أن تؤسس على المواضى المشرفيات ، والعوالى السمهريات ، فنشأ أيضا احمد ذا جفنة مكللة لحما، مدفقة ثردا تطفح بالطعام، لايوصد دونه كل من ألم بالقرية من الوفود ، وذا سياسة مرنة ، لم يزل يترقى فيها حتى بدت للناس بما مازجها من مخالقات زائدة ، ومراعاة لكل واحد فى وجهه ، افضل مـن سياسة أبيه الصريحة المسنونة الحد ، فكان هذا الادب الذى يقابل به كل الطبقات ، ولايمكن أن يجبه معه أى انسان فى وجهه ـ والعين تنظر فى العين ـ كما كـان يفعله والده ـ وهذا الكرم الذى يقابل به كل وارد ، ويتلقى به كل ضيف ، على حين انه يومىء الى الكوماء :

(نـحـرتنى الاعـداء ان لـم تنـحـرى) (٢)

ماجعل له هالة تستدير به بين المجامع التى يغشاها نيابة عن أبيه ، اذ كان

---

١) اعيدت القصيدة هنا للاحتياج اليها والا فقد تقدمت فى اوائل الكتاب

٢) قال اعرابى فى كريم

يلقى الرماح بصدره وبوجهـــه	ويقيم هامتـه مقام المغـفـر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا	عقرتنى الاعداء ان لم تعقـر
وإذا تأمل شخص ضيف مقبل	متسربل اثواب عيش اغبـر
او ما الى الكوماء هذا طارق	نحرتنى الاعـداء ان لم تنـحـرى

لايزال في الحياة ، ثم ازداد في ذلك بعده ، وقد رأيت في ترجمة الاخ أحمد انه أحد الذين اختيروا بين كبار الناس ، ليعقدوا مايعقدون مع الحاج التهامي ورجال الحكومة في الزحف الكبير سنة ١٣٣٥هـ وكثيرا مايعالج المشاكل بهذه الطريقة ، ويجعل المصادمة اخر الدواء ، ولذلك قلت مصادماته مع جيرانه ولم يدرك والده في ذلك ، وقد قامت مشادة لم يطل أمرها بينه وبين السملاليين على الحدود ، وذلك في نحو سنة : ١٣٤٩هـ ولكن أمر ذلك كله قريب ، وكثيرا ما يواخذ اضداده من ورائهم وهم لايشعرون ، على حين أنه يتبسم في وجوههم فكان لذلك خير خلف لابيه في المدافعة عن حوزة قبيلته ، وعن الالغيين اجمعين وكانت للمجاطيين والقبائل في عصره الجولات المشهورة في الكفاح ضد الاحتلال ، فكان دائما معهم في كل تلك المصادمات مع الحكومة ، او في الحروب بين القبائل ، وهو ممن يشار اليه في المجامع ، وهو الذي وصل الاسلاك بين حمو الكنسوسي وبين القائد المدني في القضية التي حكيناها في ترجمة الاخ أحمدرحمه الله كما سنفصلها في ترجمة حمو في (القسم الخامس) ، وكان حاله مع مرابطينا حال والده معهم ، وزاد عليه بأنه صاهرهم ، لان زوجته بنت للاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الالغي ، كما اصهر أيضا بينتيه الى أخينا الاكبر سيدي محمد، واحدة بعد الاخرى المتوفاة ، وكان الشيخ الالغي يجعله كولده ، ويكرمه دائما زائد الاكرام ، وله آدب معه على عادته مع من هم اكبر منه ، ويحضر مع أقرانه في مواسم الشيخ ، فيرجعون بخيرات حسان ، قال : كنا مرة عنده يوم الاربعاء الذي يختتم فيه الموسم ، وقد انفض الناس فوجدنا في بيت زيوفا كثيرة ، فيها كسى مختلفة : جبابا وسلاهم واردية وغيرها ، مما ياتي به الواردون الى الشيخ ، فناولنا الشيخ زيفا لكل واحد منا من غير ان يحله ، فعند وصولنا للطريق ، وقفنا ننظر ما هو المتيسر لكل واحد منا ، فاذا بالهاشم جاء في حظه شقة تامة من الكتان الرقيق الذي تصنع منه العمائم قال فضحكنا عليه .

قلت هكذا عمل الشيخ بغالب مايرد عليه من الوافدين ، فانه يبرهم ويعطيهم مما وجدوا أمامهم ، فقد اخبرني فقير ، قال أتينا مرة من عند تاجر (فقير) من السويرة ، بمراكش وتحف نفيسة ، كنا اخترناها للشيخ فوضعناها أمامه ، فلم يفتحها ولاأعارها نظرا ، فاذا بالاستاذ سيدي علي بن عبدالله دخل فمكنه ذلك من غير أن يعرف مافيه ، وحكى لي حاك ان صاحب الترجمة مكث يوما في داره بعد وفاة الشيخ الالغي ، فصاروا يذكرون الاولياء الكمال ، وفي المجلس سيدي الحاج احمد اليزيدي ـ وكان لسان صدق عند المترجم ـ فقال هذا اين أنتم ممن تعرفونه وتتحققونه ، فقالوا من هو ؟ فقال انه الشيخ سيدي الحاج علي ، فقال له أحمد : او هو من الكمال ؟ قال بل هو ممن يشاهدون النبي صلى الله عليه وسلم دائما ، وممن كان على قدم فلان وفلان فعدد لهم

كبارا من مشهورى الاولياء عند الناس ، فقال له صاحب الترجمة غررتنا ياسيدى الحاج احمد ، أما كنت ترانا دائما نقع فيه وفى أصحابه الدرقاويين امامك ، وأنت ساكت ، فقال ما ذا أقول لكم ، فهل أنتم عمى • أتظنون أن الآلاف الذين يتقاطرون عليه من البلاد النائية كلهم مغفلون ، أغرار جهال؟ فمن ذلك اليوم طوى أحمد بن ابراهيم لسانه عن الشيخ • وحكى لى ءاخر :انه قال له : وا أسفا فاتنا الشيخ سيدى الحاج علي ، فقد كنا فى حياته شبانا أغرارا ، وما كنا نذهب اليه الا لما يمنحنا اياه ، وماكنا عرفناله المنزلة التى له

أقول انني احكى هذه الحكايات بلسان اصحابها ، لان ذلك أدل على المراد ، ولنعرف كيف ينظر بعضهم الى بعض ، فقد صار الجميع اليوم الى رحمة الله ، فالله يلحقنا بهم مسلمين غير مفتونين

من أخلاق صاحب الترجمة اذا كان مع اخدانه ، وخلص اصدقائه ، ان يتجاروا فى المرح ، وان يسترسلوا الى كل وجهة ، وأن يطلقوا لهجاتهم أريحية ، ولكنه اذا جلس الى غيرهم كان كالطود وقارا كانه لايتحرك ، وقد رأيت ما وصفء به الاخ أحمد فى ترجمته •

وقد كانت له يد طولى فى الدفاع عن دارنا ، وعن الاخ سيدى محمدزوج بنته ، فى قضية اتهامه بقتل احمدابن الفقيه سيدى علي بن عبد الله، فقد وقف حتىانحلت العقدة بين الجانبين على يد الرئيس احمد الامازرى ، ثم على يد مولاى احمد الهيبة ، وقد فصلت أخبار هذه القضية فى محل ءاخر ، ومما يتعلق به أنهكان يعرف كيف يتحدث الى كل واحد بما يوافقه ، فقد استحضرت انه كان يحادثنى بأمور فى دارنا ، وهو يسألنى عن والدتى ، اما ينقصها شيء اظهارا لاهتمامه الخاص بنا ونحن صغار ، وقد افضى الى بعدما شببت بمساع له خاصة فى الدفاع عن دارنا فى تلك القضية ، بما سمعه باذنه من بعض كبار الالغيين ، تعبر عما ينوى فى كذا وفى كذا ، وأنا لااريد أن أتحمل كتابة ذلك للتاريخ ، لان اقبار مثل ذلك اولى من احيائه ، ونطلب الله ان يسامح الجميع وان يلطف بالجميع •

وقد كان مرة فى موسم تازوالت ، فاخرج جرابا مملوءا بالريالات من حمل بغلته ، فى محضر رؤساء رسموكيين ، فقال لهم : اننا نستعين بما ناخذ من شجر اللوز على الزمان بثمنه ، فقال لهرسموكى : بل انما تستعين بماتاخذه من ظهور المساكين من قبيلتك التى تعركها عركا (جواب مزاح) ولكنه يقصد به الحق ، وكم كلمة مزاح قيل فيها الحق الصراح

وقد تلقن الطريقة الاحمدية عن شيخها فى هذه الجهة ، شيخنا سيدى الطاهر ، فثابر عليها وعلى الصلاة فى الصف فى ثوى الاضياف ، ولايفارقه

علماء دائما مدة حياته ، كسيدى الحاج احمد اليزيدى ، وسيدى محمد بابه وغيرهما ، وقد كان لسيدى الطاهر لذلك فى قلبه منزلة كبيرة جدا جدا وكان يتحفه ويسرب اليه الهدايا والطرف فى كل حين ، بيد سخية ، ورجاء متين ولايغب زيارته فى كل فرصة ، ويحرث له بعض السنين فى حقل ازاء قرية (ايكلى) ، ينسب الى الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى جد سيدى الطاهر ، وناهيك انه حين أحس فى مرض موته أن أجله قدقرب ، والى اليه الرسل يستقدمه ليغمض عينيه ، وهو اذذاك فى عزبته فى (الفانتيقى) يحرث - كما أظن - فكان كلما استفاق من غشيته ، يسأل هل جاء سيدى الطاهر ؟ وكذلك شيخنا يخلص له المحبة ، ويبادله هذا الوداد ، ويحنو عليه ، وله فى جانبه قصائد ، نسوق ما وقفنا عليه منها ، ثم نتبعها بقطع وقفنا عليها ، جرت من السنة الادباء اليه ، ونحن نأسف لاننا لم نتوصل بذلك وهو كثير تحت يد غير يدنا •

ورد سيدى الطاهر الافرانى فى وفد يوما الى دار المترجم ، فقال يرحب بهم عنده

يامرحبا بجموع سادات سمـــا ... بهم الفخار الى السها فتسنما
فى دار احمد قطب افلاك النـدى ... بحر الجدى فى الموج منه يرتمـى

وقال سيدى البشير بن المدنى الناصرى الافرانى

يا احمد الجود ابقاك الالـه لـنـا ... فخر اللدات وملجا للمساكين
واصلح الولد والدنيا ومتعـكـم ... فى حفظ بارى الورى بحق جبرين
وبارك الله فيكم والبنين ومـن ... يحف مجلسكم بجاه ياسيـن

فى يوم الخميس (٨) ربيع الاول سنة : ١٣٢٩هـ وفد صاحب الترجمة على شيخنا سيدى الطاهر بتانكرت بافران ، فرحب به بهذه القصيدة التى ذيلها ولده :

قد زارنا الحب المبارك احـمـد ... بدرا به ليل الهمـوم مبدد
وافى وسر السعد فى اسراره ... باد ونور اليمن فيه مردد
اهلا بـه اهـلا بـه فوروده ... واللـه للقلب الصدى المـورد (١)
فلقد اتـى متفضلا والفضل والا ... فضال شيمته معـا والسؤدد
ابن كريم محسن جم الندى ... عذب الموارد والمصادر سيد
ندب همام ما جـد متبـاعـد ... عـمـا يدنس عرضه ويسود
متواضع لا لى المعالى والتقى ... سيف على هام الطغاة مجرد
يتضاءل القمر المنير لوجهه ... اذ كان فى جنح الليالى يسجــد
ذو همة لاترتضى الا العـلا ... وعزيمة تسمو الى ما يحمد
خلق لطيف كالنسيم اذا سرى ... وهنا بروض ورقـــه تتغـرد

١) الصدى بتشديد للوزن وان كان فيه ما فيه

وصفاء ود كالزلال لو انـه | لا يعتريه ترنق وتجمـد
قل للذى باراه جهلا اين مـــن | حل السما ممن حوته الاوهد
اعيت مناقبه البليغ وهل يرى | لنجوم افلاك السماء تـعـدد
سبحان من اولاه كل فضيلة | ونشور صيت فى الورى لا يجحد
اما الندى فيمـيــنه وشمالـه | غيث يسح ندى وبحر يزبد
يلقى العفاة ببشره ويرى اذا | قبلوا العطايا انهم قد ارفدوا
يامن بمقدمه المبارك شرفـت | ارجاؤنا فسرورها يتـجـدد
اهلا بطلعتك السعيدة ما بها | يطفا ضرام للتشوق مـوقـد
فالله يجزيك الرضا ويقيك مـــا | كاد العداة الماكرون وحسد
ورضا ابى اسحاق والدك الـــذى | اس المكارم فاغتديت تشيـد
وبريك فى الاولاد والاخوان مـا | يرضيك من خير يـلـوح ويشهد
والعلم والدين المتين وطاعـة | ترضى الاله فما سواه المقصد
ويديم حفظك امنا من كل مـــا | تخشى ، فيكبت حاسد بل يطـرد
ويفيض وابل فضله ثجا عـلى | علياك ما لاح السها والفرقد
بالمصطفى المختار احمد من لـــه | عند الاله مقام صدق يشهد
فعليه من رب الورى صلواتـــه | وعلى الصحاب وكل عبد يشهد

وقول الشاعر (اذ كان فى جنح الليالى يسجد) هو خلق من الاخـلاق التى سمعتها من كثيرين عنه ، وقد اخبرنى من اثق به أنه بات عنده فى داره ليلة فى رمضان ، قال فكان فى غرفة فوقى ، فاسمعه يتنفل غالب الليل،واذا سجديهتز السقف ، لانه رحمه الله فىشبابه وكهولته بادن

نبهت على ذلك لئلا يظن القارىء ان ذلك من الاوصاف التى يالف الشعراء وصفها فى مقام المدح

وزار مع صاحبه الهاشم الذى لايفارقه دائما الشيخ الافرانى هذا قبل هذا الحين أواخر صفر سنة ١٣٢٧هـ ، ولم يذهب معهم الاستاذ سيدى العربى الساموكنى المشارط اذذاك فى المدرسة الايغشانية ، فكتب معهما الاستاذاليه:

هذا يعد المجد من اعـذاره | فى ترك صحبتهم لبلدة داره
ان كان ذاك لعلة او قـلـة | فالبدر قد يخفى بيوم سراره
او زلة من ذى المروءة فلتـة | فالطرف ربتما كبا بعـثـاره
فلنا خذن بك احمدا او هاشما | فالمرء ماخوذ بزلة جـاره
فلنعم بدرا سودد كل جرى | ملء الاعنة فى مدى مضماره
فالله ينجح سعى كل منهما | بالربح مقرونا بنجح مـزاره
وينيله فوق الرضا ويديم مـــا | اولاه مرفوعا عـلى مقـداره
ويجله بسعادة الدارين مـــو | صول الهنا ويفيض من اسراره

ويريه في نفس وأولاد لـه كل المنى ويحط من اوزاره
وكذاك احباب لنا طرا ومن اصفى السوداد بسره وجهاره
باجـل خلق الله مـن لا يستمـــ ـــد الكون الا من سنا انواره
خير الورى سر الوجود أجل مـن يؤوى الفقير المحتمى بجواره
صلى عليه الله ما هبت صبا وعلى الائمة صحـبـه انصاره

وللادباء الصحراويين الذين يفدون عليه قطع وقصائد فيه ، وليس بايدينا منها الا قطعة لسيدى محمد بابه الشهير . قال فيها

جازى المهيمن مدمن الاحسان عنا اخـانـا احمد الغسانـي
وانا له مولاه مما يشتهـــــي ما لم ينله سواه مـن انسان
واسي مواساة المحـقـق نيله من ربـه الاحسان بالاحسان

ويمم داره مرة وفد من الادباء ، فحين وصلوا (باردا) ــ وهو بسيط في شمالي الغ ــ جرت بينهم هذه المساجلة ، وذلك في سنة : ١٣٤٢هـ :

قال شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى

يممت ياركب دار الفضل والجـود من حل فيها يفـز بخير مقصود

فقال شيخنا مولاى عبد الرحمن البوزاكارنى ــ نزيل الرباط الان ١٣٨٠هـ ــ

ربع رسا الفضل والعلياء فيه كمـا رست سفينة نوح من علا الجودى

ثم قال الاديب سيدى محمد بابه الصحراوى

حمدا لاحمد لازالت محامـده مصونة بالتقى والعدل والـجـود

ثم قال ايضا ابن الطاهر

فطب بها واسترح وادع لمالكـهـا

ثم قال الاديب بابه أيضا :

غدا بظل من الجنات ممدود

ثم قال شيخنا سيدى عبد الله بن محمد :

لازال تكلأ مجده عناية لطـــــ ـــف الله ناعم بال خير مـجـدود

ثم قال الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى

ودام بالعز محفوف الجوانب مـــا قام بـرب السماء كل مـوجـود

ثم عرضوها على شيخ الجماعة سيدى على بن عبد الله فقال :

لاغرو ان نبغت لهى الوفود بمـــا يعجز ، ان اللها مقواد مجهود (١)

١) اللهى بالفتح جمع لهاة الحلق يقصد اقوال الوفود ، واللها بالضم جمع لهية العطية وذلك مثل ، وكأن البيت يشير الى قول ابن وهبون الاندلسى
لئن جاد شعر ابـن الحسين فانما تجيد العطايا (واللهاتفتح اللهى)

طال العمر بصاحب الترجمة الى زمن الاحتلال ، فادى ايضا لهذا الطور ما عليه فيمثل بين يدى الحكومة ، فى مركز (تافراوت) بين يدى المراقبين المدنيين من الفرنسيين ، فسار ماشاء الله أحسن سير محمود فى النظام ، ثم ضعف عن الخدمة او استنكف منها فطلب من الحكومة ان تقبل ولده عليا فى رياسة القبيلة ، ثم لم يلبث مرض عضال كان ألم به منذ سنوات ان الح عليه الان ، فألحقه برمسه ، بعد ان ترك ثلاثة اولاده ، أكبرهم سيدى محمد والرئيس على ـ وستقرأ عنهما ـ وابراهيم ، وقد عين لكل واحد حظه من المال ودارا فيها كل شىء ، واغمض عينيه مرتاحا من هذه الناحية ، فكان اخر تلك الطبقة ، فرحمه الله رحمة واسعة ، واوسع عليه فى اخراه ، فما كان الاحسن الرجاء فى الله فيما نعلم

وقد لاقى عنتا فى أيامه الاخيرة باطنا ، لانه لايعرف كيف المعاملة مع الفرنسيين ، ولاكيف يستدرك اصلاح ماكان افسده ، لانه كان يألف ان يرأب الشقوق ، ويشعب الصدوع على كيفية خاصة ، وحين اتصل بهؤلاء ، والطباع مختلفة • والاوضاع انقلبت راسا على عقب ، وقع فى حيرة عظيمة ، فقد اخبرت أنه يريد يوما ان يتقرب الى المراقب فملأ بغلته تمرا فوقفها أمام مركز (تافراوت) فقدمها الى من فيه ، فامر أمرا جازما ان يرد ذلك الى داره ، فان الحكومة قائمة بنفسها ، فلم يستطع ان يبتلع ما احس به من الاهانة حين لم يقبل منه ذلك ـ على مايألف ـ ولهذا وامثاله استعجل الاستعفاء فاعفى ثم لم ينشب ان لحق بربه

هذا جزاء امرء اقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل

بيني و بينه

كان رحمه الله يختلى معى أحيانا ـ على صغرى ـ فيسألنى ويلحف فى السؤال عن والدتى فكنت اجيبه بعزوف اننا بكل خير ، لانتوقف على أى شىء ولعله ـ وقد انكف عن ذلك ـ ادرك اننى ازرف عليه ، فلم يعد الى ذلك، ثم لما التحقت بالمدن صرت أزوره كل ما زرت البلد ، فيلاقينى بمثل مايلاقى به العلماء ، ويحكى للناس انه سمع من والدى بشارة علمية عنى ، وقد باسطنى يوما فقال لى انكم ساموكنيون فدافعته عن ذلك ـ كما يفعله كل مرابطى منا متى لمز بذلك ـ فقام فاتانى بطبقات الحضيكى فسكت ، ثم كان ذلك اول ما ابتدأت بحثى فى الموضوع حتى بلغت فيه الى مايجده القارئى فى ترجمة الجد الاعلى سيدى عبدالله بن سعيد فى (الفصل الاول) من (القسم الاول)

وقد كنت عنده يوما حين كان استاذنا مولاى عبد الرحمن البوزاكارنى ثاويا عنده ، وقد كان ثوى عنده حقبة من الدهر ، وأخال ذلك حوالى ١٣٤١هـ فاذا به استدعانا فوجدنا عنده رجلا من قبيلته ، فعدله أمامنا ٢٢ مائة ريال

حسنى ، مقابلة املاكه ، فاستشهدنا على ان اعطاه ذلك ، وكان حازما فى كل اموره ، فلا يتعامل الا باشهاد او بكتابة ـ عادة أهل تلك البلاد كلهم ـ وهكذا رحمه الله كان ينظر الى امثالى من الطلبة احتراما واجلالا واكرامـا ، فطالمـا اكرمنى اكراما خاصا ، ولذلك قلت فيه بعد وفاته رحمه الله بديهة :

مامت بل ماتت مئاثر فـى الندى	ما مد فـى امثالها كـعـب يـدا
ما كنت الا بحر اكـرام طما	او سيف (أمر) لايـزال مجردا
صنت القديم مع الحديث مكارما	شتى الشعاب طريفها والمتلدا

الى ءاخرها ، وهى اكثر من هذا الا ان مثل هذا النوع من النظم لاينبغى ان يسودبه قرطاس الا لعائدة خاصة ـ كما نفعله كثيرا فى امثالـه للعوائد التى لاتخفى عن الليب ـ ٠



سيــدي

المحفوظ بن الهاشم الايغشانى

نحو ١٣١٤ هـ = حــى

نسبــه :

المحفوظ بن الهاشم بن محمد الاشكر بن أحمد بن محمد بن عبدالمومن ابن أحمد ابن القاضى عبد المومن بن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

أحد الظاهرين الان فى هذه الاسرة الماجدة ، وان كان ظهوره فى ميدان المعارف قليلا ، أخذ القرءان عن سيدى ابراهيم ابن الحاج بلقاسم الكرسيفى حتى ختم عليه ختمة ، ثم عن شيخ الديانيين أجمعين سيدى على بن هـمـو الايكدمانى ، فبهذا تخرج ، وفى رمضان ١٣٢٨هـ التحق بالمدرسة (الالغية) فذهب بلوحته عند الاستاذ سيدى على بن عبد الله بداره ، ليفتح له ـ وكانت العادة أن لايفتح لاحدسواه بيده تبركا ، وان كان سيدى بلقاسم التاجارمونتى قيم المدرسة ـ فوجد هناك الشيخ الالغى ، فأمره الاستاذ ان يبدأ له بيده ، ثم قال له الشيخ الحقنى فى الدار ، لاناولك كتبا ابتدائية ، ثم لازم المـدرسة وقد نجب، ودخل فى اصحاب الدور الثالث على العادة ، فلم تات سنة : ١٣٣٥هـ حتى صار يجول فى المتون الكبرى اعادة ، بعدما ختمها اولا ، ثم التحق بعدهذه السنة بالاستاذ التاجارمونتى ، حين انتقل الى المدرسة الايغشانية فحكى الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى انه كان اذذاك ممن يعيد الدروس لطبقته ، ويواخذهم بتحصيلها ـ ولايتصدر لمثل هذا عندنا الا من جود وحصل ـ ثـم أنه بعد ١٣٤٠هـ أقبل على بعض التجارة اقبالا ما فى أوقات جنى اللوز ، فعرف بذلك ، والرجل من يصلح لكل مقام ، ثم لازم داره ، ولم يقدر له ان يشارط فى المدارس ، ولا ان يشتغل بترويج معلوماته ، ولوكان قدر له ذلك ، لكان كبير المقام ٠ لاننى رأيته فى مجالس فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ ذا قريحة وذكـاء واستحضار لجل ما كان اخذه ، يشارك فى المباحثة ، ولم يات ما هو فيه مـن اهمال مزاولة معلوماته على كل ما حصله ، ثم اقترن ببنت الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم ، فله معها ما يمتد به نسبه ان شاء الله من الاولاد

كنت جالسته مرات ، فاستفدت منه عن اسرته استفادات كثيرة ، ولــو تيسر له ان يوصل الى كل ما تحت يده ، لتمت هذه الفوائد ، وقد كنت حثثته

على ان يوصل الى بعض ءاثار له ، رأيتها او سمعت بها قبل ، فكانت في مستوى ءاثار أقرانه ، ولو كانت عندنا اليوم لعرف القارىء مقدرته في ذلك

انشدني يوما وقد جالسته امام الزاوية

هموم رجال في أمور كثيرة   وهمي من الدنيا صديق مساعـــد

ولو كنت تنبهت الى جمع نبذة من انشاداته لعرفنا منها كيف اختيـــاره ، وقد وقفت على قطعة ميمية كتبها اليه الاستاذ سيدي احمد بن محمد اليزيدي ولعل ذلك حين كان مشارطا في المدرسة (الايغشانية) بعدما غادرها سيدي بلقاسم التاجارمونتي ـ يلومه على انه لايلازم تلاوة كتب الادب يوم الخميس على ماهو العادة المتبعة عند الالغيين حين يمضون العطل اما في التلاوة للكتب الادبية واما في النساخة ـ

اخي الصفا المحفوظ مالك لم تزل   عن الغي والاعمار اضيق من سم
وانت سليل الامجد ابن محمد   نهجت طريقا لم تلق بذوي العلم
فان الخميس للكتابة او لسر   د كتب تزيل الهم عن قلب ذي هم
من الخبر الماثور والادب الذي   ينيلان في العلياء اوفر ما سهـــم
عليك سلام مثل روض يجوده   فيضحكه الولي ويعقبه الوسمي

ثم وقفت له أيضا على هذه الرسالة ، وهي عادية ، ولكنها على كل حال نوع من ترسله ـ وما في الرسالة مفصل في مواضع متعددة في هذا الكتاب ـ

«أخانا الاديب ، اللوذعي الحسيب ، والصديق الاود ، ومن منه المستمد· أبا الحسن · صاحب الخلق الحسن · امن الله روعك · ووقاك ممن يريـــد صدعك · وسلام عليكم وعلى من بكم من الاحبة والاعوان ، والاوداء والاخوان وسلام الله وتحياته ، ورحمته وبركاته · هذا ولازائد سوى ما يسر المسلمين ويقر أعين المومنين ، من اعلاء كلمة الله العليا · والحمد للـــه الـــذي انعش الامل واحيا · وقد ورد رسول من عند التيبيوتي ، وتركه في حزن عظيم · وكرب جسيم · وقد ملأ اداوزكري ، وايدوسكا ، واما جيش المسلمين ، فانـــه في قبيلة أيت عبلا · ولاتسل عن كثرة الناس ، فأملن (٤٠٠) وايت ايسى ٣٠٠ واداكنضيف (٥٠٠) وءال امانوز بنصف رماتهم ، وخيل المسلمين تزيد عـــلى (١٠٠٠) فرس ، وقد جاء ءايت بعمران ، وبنو رخاوة وسيبيتون هذه الليلة في تيزلمي ، والفقيه سيدي على بن عبد الله ، قد نادى بالنفير العام ، ولاعذر لمن تخلف · وبنو رسموكة سيذهبون أيضا في الاربعاء الاتي ، وقـــد حلف الناس ان لايرجعوا الابهدم دار الزكري ، وهذا ماصح عندنا ، والسلام، كتبه عن عجل المحفوظ الدياني»

والغريب أنه نسي هذه الرسالة مع انني نقلتها من خطه ، وقد وقع لي بنفسي مرارا مثل هذا ، نسيت ما كتبته بقلمي حتى في القوافي ، وسبحان من لاينسى ، وهذا مايصدق ما يقوله المحدثون حين يقولون : حدثني فلان عن نفسي

ثم ان سيدي المحفوظ بدا له حينا أن يغادر سوس فشارط في محل ماشاء الله ثم غادره فرجع الى أهله ، ثم لايـزال يختلف الى الحواضر بـعـد الاستقلال ، وقد توفيت زوجته الاولى ، وتزوج اخرى ، وهي بنت سيدي عمر ابن الحاج عبد الله الصالحي ، وقد رزق منها ولدا ءاخر ، ولا ازال أتاسـف عليه لان أمثاله يعمرون المدارس ، ولكن الدنيا احاظ وقسم

الحق هذا في جمادى الثانية سنة ١٣٨٠ هـ



سيدي

محمد بن أحمد بن الحاج ابراهيم

١٣١٦ هـ = حـي

...ooo...

نسـبـه :

محمد بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن عبد المومن بن محمدبن علي بن محمد بن عبد المومن •

ان أنس لا انس تلك الايام الاولى ، التي بسمت لى فيها الحياة البسمة الاولى فى المدرسة الايغشانية ، حين كنت مع آترابلى هناك ، نجرى وراء المنى فنصطادها ، ونتبين من بعيد الرياض الاريضة من الامال الحلوة فنرتادها وأنا كما تملصت اذذاك من قبضة معلم القرءان ـ وما ادراك ما قبضات معلمى القرءان اذذاك ـ فاجتلى وجه الحياة مستبشرا ، بعدما كان لعيني قبل ذلك مستبسرا •

فى صباح يوم من سنة ١٣٢٩هـ نزلت بتلك المدرسة انا واخى احمد ، فمثلت بين جماعة من الولدان كما جاءوا أيضا الى المدرسة ، منهم الاديب سيدى أحمد البنائى الايغشانى ، وصاحب الترجمة فى نحو عشرة ، كما افتتح الجميع الاجرومية ، فكان شيخنا سيدى عبد الله بن محمد بنا معتنيا ، فكثيرا مانحفظ مافى الواحنا من المتون أمام ذلك الهرى الموجود اعلى الدرج الصاعدة من باب المصلى ، ونحن نرتجف من صوت الاستاذ ، فضلا عن سوطه ، جزاه الله خيرا فطرق الجد غير طرق المزاح ، ثم اذا تملصنا من هناك فما شئت من قفزات وجمزات ، كالغزلة المقمرة ، فنتجارى الى (بئر النجمة) حيث نستقى مانريده من الماء فى القلل على كواهلنا او الى (حوض الخميس) حيث نغسل ثيابنا اوالى ملعب الكرة ازاء المدرسة ، اوالى (مسبح بئر بو الرمان) حيث نستدير فى وسط الماء حلقة متصلة ، فنسبح سبحة القعود ، ونحن ندور متواجهين فويل لمن أعيا

هذه من ذكريات الصبا التى لاازال اتمثلها الآن سنة ١٣٥٨هـ وبيني وبينها ربع قرن فكأنها وقعت أمس ، فيا لسرعة دورة الدهر ، وياسرعان ما نفضت عنا الكهولة رشاقة الصبا ، ونضرته وخفته وطيشه ، فلولا الطيش ما احلولى التصابى •

بين هذه القفزات والجولات ، استطاع استاذنا بضغطاته ان يسرب الى

ذاكرتنا شيئا من المعلومات ، فقطعنا الدور الاول الى الثاني وكان لصاحب الترجمة بما يواخذه به خاله استاذنا من لـزات وغطات ، ولكمات متواليات ـ لانه دائما في يمينه ، وهو رئيس فرقتنا ـ شفوف علينا ، ولاازال اذكر ان الطلبة كلهم اجتمعوا يوما على شرب الاتاي في ليلة ـ على عادتهم فينة بعد فينةـ والاستاذ غائب ، فجلسنا في ذلك البيت المتسع الجديد الذى بنى على مربط بغلة الاستاذ ، فجعل الاستاذ عبد الله بن ابراهيم ابن العم ، يمتحن طبقتنافي ارجوزة (الزواوى) ونحن كما اتممناها ، فكان المترجم سيدى محمد بن احمد هو الفائز بيننا بالخصل ، فمال الاستاذ ابن العم على بالتانيب حتى بت كل تلك الليلة في بكاء حار ، لانني لااحب ان اتاخر ، ولكنني مع ذلك كسول

في نحو مختتم ١٣٣١هـ افترقنا ، فزرت بونعمان سنة : ١٣٣٢هـ وفي اخرها ثويت بالمدرسة التانكرتية ، ثم التحق بي صاحبي هذا ، فرجعنا ديدننا في كل ماذكرناه ، فقام الملعب الذى في شمالى تلك المدرسة مقام ملعب المدرسة (الايغشانية) ، ومسبح (بويزكرن) المتدفق مياها ثجاجة ، مقام مسبح بئر (بو الرمان) ، فكان لنا من سيدى على الاعضياوى رحمه الله ، ومن الاديب سيدى الحسن الكوسالى ، ومن الاخ سيدى احمد ابن سيدى الحاج الحسين الافراني خير اعوان مونسين ، وقد وجدنا من سهولة استاذنا سيدى محمد بن الطاهر حفظه الله ، ماينشطنا على مسلكنا هذا ، ولذلك نتساهل في الدروس جميعا ، الاماكان من الكوسالى ، فانه يمثل بين ما يشتغل به معنا وبين دروسه قول الملك الاديب :

وللملك مني جانب لا اضيعه وللهو مني والخلاعة جانب

وأما نحن أنا وصاحب الترجمة ، فما كنا نشتغل بعد خروجنا من الدروس عند الاستاذ الا بما ذكر ، أو بمزاولة كتب ادبيات كنت اتلو منها على الاديب البوزاكارني حفظه الله فكنا معا نقرض الابيات ، ويخاطب بعضنا بعضا ، وقد وجدت في أوراق أتاني بها الاخ الكوسالى ، بعض ابيات لى خاطبت بها صاحبي هذا اذذاك ، فلنسقها كنموذج لما اروج فيه سنوات : ١٣٣٦هـ :

أدر بدا من نحر خود خرائد	ام الجوهر المنضود ضمن العقائد
بلى نظم خل حاز كل العلاء بل	وكل العلوم بل وكل المحامد
خليل اريب عالم متأدب	له في فنون العلم خير القصائد
وقد شهدت عنه العلوم بانه	على رتبة والعلم افضل شاهد
قريض حوى من الفصاحة كل ما	يسليك عن سحبان او كل قاصد(1)
فلله فكر حاك ذا النظم انه	لحسنه قد أزرى بنظم القلائد
مدحت بنظمك البديع سليل من	يقضي مدى الازمان حاجة قاصد

---

(1) اى قائل القصيدة

عنيت ابا العباس احمد من حوى | مجادة اجداد وعرفان والـد
وقد نلتما كل المعالـي وكنتمـا | بدور سماء العلـم رغـمـا لحاسد
وبعد الا ادعوا لعبدكما دعا | يرجي به النجاة يوم الشدائـــد
وازكى السلام مـن ضعيف اليكما | وأطيبه يا ابنى كرام اماجـــد

هذه هي القطعة ، تركناها بـ (عقائدها) وكل ما قدر لها ان تصاغ به من مختار ذلك العصر ، عليه من مختر هذا العصر ـ عصر النفي والمواخذة ـ الف سلام وسلام

وهذه أيضا قطعة كتبها اليه استاذنا في الادب : البوزاكارني جوابا عن قريض قرضه اذذاك ، لم اتوصل به اليوم :

قريضك هذا ام بدت انجم الافـق | ونظمك ام در تناسق فى الطـوق
أتاني وقلبى قد تسلى عـن الهوى | فعاوده داء الصبابة والشوق
وذكرني ما مر من زمن الصبا | وحملني ما ليس يحمله طوقـــي
فيالك شعرا قد حوى رقة بهـــا | اقرت له كل القصائد بالرق
الا كل شعر بعد شعرك زائـف | فسائل بذا يخبر به سالم الذوق
كذاك يكون الشعر اولا فليس بي | ـــن در البحور والحجارة من فرق
محمد نجل الاكرمين الالى بـدوا | بغشان فاختالت على الغرب والشرق
يحاول مني الجواب وانه | وحق العلا ما ليس يحسنه نطقى
يكلفني ما لا اطيـق وان ذا | اذا سمته فكرى دليل على حمقى
فكيف اجيب والفحول تضافروا | جميعا على احرازه قصب السبـق
على انني استفرغت وسعى جاهدا | وان كنت ما وفيته واجب الحـق
فعذرا على ما قصرت فكرتى عـــلى | مداك فلا أمضى سراعا من البـرق

وخاطبه ايضا اذذاك شيخنا سيدى محمد بن الطاهر بهذه القطعة يوصيه بالاجتهاد

محمد كن فيما يهمـك ساعيا | ولا تتكاسل فى اكتساب المحامد
فشمر ذراع الحزم للمجد والعلا | تفز بقذى عين العدو وحاسد
وما الفخر الا بالمعارف والتقـــي | وليس بشيء عاجل الفوت نافـــد
فكن ذا اهتمام حافظا متيقظا | سئولا عقولا طالبا للـفـوائـــد
ولازلت تسعى للسيادة والـعـلا | الى ان ترى فوق السها والفرائد

مكثنا هناك في ارغد عيش ، وفي دراسة تمشي الهويني وذلك منا لا مـن استاذنا سيدى محمد بن الطاهر ، وفي تعاطي اداب عنـد امثال الاديـــب البوزاكارني ، ولكننا انما نتمشى بمقدار فتر (١) أنا وصاحبي هذا وقد كان

١) الفتر بالفتح مابين الابهام والسبابة اذا فتحهما

في امكاننا ان نخطو خطوات واسعة ، لولا ماغرقنا فيه ـ وياضيعة ذلك الوقت ـ ولم يقبل على الدراسة الجدية الاالكوسالى ، وسيدىاحمد بن عبدالله الاساكى فكان شيخنا يحثنا احيانا كما رأيته فى الابيات المتقدمة ، ولكن النفوس لاتكبح بمثل هذه الوصاة اللينة ، ثم لم نزل سادرين حتى جرى بين صاحب الترجمة وعلى الاعضياوى ماكان كنتيجة لهذه الحالة

كان بعض الطلبة يلقب هذا السيد الاعضياوى بلقب ينبزه به ـ وقد اخترنا أن لانذكره ـ فسمع الاعضياوى مرة صاحب الترجمة يذكره بذلك اللقب وكان بينهما فى تلك الايام شنآن ـ فبعد صلاة العشاء توجهنا لنتعشى فى القصعة التى تصنع باسم الاستاذ من مطبخ المدرسة ، ونحن جماعة خاصة نأكل منها ، وأما غيرنا فياكل من القصعة التى تاتى بها القبيلة بالمناوبة فجلسنا ازاء تلك الثقبة المفتوحة الى المطبخ ، ونحن على شفا السطح المطل على موقعالباب الخارجى للمطبخ ، وكان هذان مستعدين فقد تقلدا معا بخنجريهما ، غير ان الاعضياوى اظهر سلاحه ، وتقلده علىقميص صوف متهيئا للملازة ، وللاخذ بالتلابيب ، ولذلك ازال قميص كتان كان عليه ، وأما الاخر ، فقد تقلد خنجره تحت قميص كتان وقد اخفاه ، فلما جلسنا ، قال السيد الاعضياوى لصاحب الترجمة ، لماذا ياابن كذا وكذا (سبا وشتما) تقع فى بلسانك ، فقال لهالاخر: انني فعلت ذلك عمدا على عينك وسأفعله على رغم انفك ياكذا (فلقبه بذلك اللقب المشؤوم) فثارا معا ، فتماسكا باليدين ، وكان من لطف الله بنا نحن الذين هناك : انهما ترديان أمام باب المطبخ ، بمجرد ماتلازا بينهما ، فجرينا لندور من أحد بابى المدرسة ، اذا بنا لقينا صاحب الترجمة وقد دخل منالباب الاسفل للمدرسة ، وهو مجروح بطعنة قريبة تحت احد اضلاعه ، واذا بالاخر جثة هامدة لاحراك بها ، هذا كله فى دقيقتين او أقل ، فاخبر هذا ان صاحبه الاعضياوى هوالذى بادأه بتلك الطعنة ، فسل اذذاك الخنجر من غمده ، فتهيأ له مطعن الاخر من ظهره ، وقد انحنى أمامه لشىء فادغم خنجره بين كتفيه فسقط فى الحين

طلعشيخنا سيدىمحمد بن الطاهر الىالمدرسة ، فرأى مارأى ، فما عدا ان امر بالميت فسجى فى الهرى الاعلى الذى يوالى سطح المصلى ، وبابه مفتوح الىالسطح وبالجريح فنقل الى الدار عنده محمولا فى رداء ، وقد صادف ان كانت جدته مريم زوجة الاستاذ سيدى على بن عبد الله اذذاك فى بيت استاذنا عند بنتها زوجة سيدى محمد بن الطاهر ، فكانت هذه المصيبة على الجميع ، مصيبة لها وقع سيىء ومن تلك الليلة نفرت من ذلك الوسط ، فلم تمض الا أيام حتى جمعت متاعى الى الغ وقد ودعنى الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى بالمدرسة الايغشانية على نية ان انقطع اليه ، ولكن ساقتنى الاقدار فالتحقت بالساعدات بالحوز ، وذلك نحو شعبان ١٣٣٦ هـ

حمل صاحب الترجمة الجريح ليلا على أيدى أصحاب ابيه الذين أرسلهم بسرعة فسلكوا به طريق (أداى) الى الغ ، خوف ان يكمن لهم السملاليون فى الطريق وقد كان بين الاعضاويين والايفشانيين صحبة اكيدة ، فجاءت هذه الفعلة فقطعتها ، وقد تكررت امثال هذه المناطحات بين طلبة المدارس اذذاك فقد قتل واحد في ادوز وشيكا ٠

بهذا انقطع سيدى محمد بن احمد عن اتمام دراسته ، فحاول ابوه بعدان برىء ان يستدرك له على يد الاستاذ سيدى على بن صالح الاوفقيرى ما فاته فشارطه له فى داره ، ولكن اليد الواحدة لاتصفق فيما يقول الناس ، فرده والده الى معاونته فى أشغاله ، ثم استبد بمزاولة كل اشغاله بعد ان سوى القضية مع الاعضياويين ، فوجدمنهووالده اميناهينا لينا وقد كان لسعة اخلاقه مثلا مضروبا بيننا فى المدرسة ، فلايكاد يغضب من أى غامز ، ويحكى لى أنه لايزال كذلك الى الان

فى جمادى الاولى فى السنة الفارطة ١٣٥٦هـ وقد رزئنا باخينا احمد رحمه الله ، جاءمع اخويه : الرئيس على وابراهيم ، فعزونا فيه ، فرايت صاحبى الذى فرقت بينناالايام منذ عشرين سنة ٠ فقال لى ــ وقد قلت له الىمتىتلزم دارك ؟ وقد اخبرت انه لايخرج الا لغرض ــ هذا زمان السكوت ولزومالبيوت والرضا بالقوت ، الىأنتموت ، فاعجبتنى منههذه الحكمة البالغة التى ايدها بالفعل ، وله الان اولاد مع بنت شيخناسيدى عبدالله بن محمد ، ومما ءاسف له : اننى أخبرت عنه انه لايطالع فى كل هذه السنوات ، فلاشك انماكان حصله من (المختصر) والالفية ، والدراسة العليا ، سيتقلص ظله وان كانت فائدته باقية ، فهو لايزال مستحضرا لادبيات ولحكم وامثالها مما درسه ، شاهدت منه ذلك فى تلك الجلسة ، وهو دين خير ملازم للسكينة ٠ حلس بيته ما لم يضطر الى ادارة اشغاله ، وقد تخلى عن الرياسة لاخيه الصغير على باذن من ابيهما لان اخلاقه الوديعة قلما تتمشى مع الامور التى تحتاج الى صلابة غير قليلة ، والى مراوغة ومداجاة لايحسنها ، ولا هو من أهلها ٠

وقد زار الاديب الكوسالى سيدى الحسن مرة : (أكنى اديان) اثر مسامحته من دم الاعضياوى ، فكتب اليه من الباب

من مبلغ نجل الكريم الاديب	اللوذعى الالمعى الاريب
بحر الندى بدر الهدى خير من	حلت وفود فى فناه الرحيب
بان عبدكم اتى واقفا	ببابك العالى وقوف الغريب
قد قادنى الشوق المبرح بى	اليكم والشوق شىء عجيب
غبتم فلا كتب ولا خبر	يبل بعض ما التظى من لهيب
ان غبتم عنا بحكم النوى	فودكم فى القلب ليس يغيب
او جف غصن الوصل ما بيننا	حاشا ففى الاحشاء غصن رطيب

فليهنا العـلـيا معافاتكـم وليهنها التسريـح عما قريـب
عليكم مـنـى سلام رضا ما حن مشتاق للقيا الحبيـب

مقصوده بالمعافاة معافاته من ذلك الجرح ، وبالتسريح كون الاعضياوين سرحوه من المطالبة ، وقد قبلوا الدية

وهناك أيضا مقطعات ذكر لى ان الاديبين البوزاكارنى وسيدى على الاوفقيرى خاطباه بها ، ولكننا لم نتصل بها

فحياك الله وبياك ياصاحب صباى ، فلئن فرقت بيننا الكهولة ، فقد جمعتنا تلك الاحلام التى كنا فيها زمن صبانا ، ثم نتمثلها وعليها اغصان الشبـاب تميد ـ كما يقول الاديب الشاعر ـ فها اندا لمؤانسك ، وليت شعرى كيف انت اليوم نحوى ، وقد تزوج بنت خاله (نفيسة) بنت سيدى عبدالله بن محمد وله معها من الذكور عدة

(ولايزال حيا الان فى رمضان ١٣٨٠هـ وقد ماتت هذه السيدة ، ثم تزوج اختها ، ثم فارقها ، فتزوج اخرى • وقد كبر اولاده ، فصار شبه غريب بينهم وقد شاب الان وان كان لايزال ذا قوة ، وهو محافظ على دينه وعلى اذكـاره كـاد ينسى معلوماته كانه ليس بذلك النجيب ، وهذه عاقبة من اعرض عن التعهد:

اذا هجر العلم يوما هجر وزال فلم يبق منه اثـر
كماء ترقرق فوق الصفا اذا انقطع الماء جـف الحجر

وقد انقطع اليوم فى مسجد القرية اماما فيه ، ففه يظل ويبيت ، وقـد طابت له الوحدة ، واشتغل بربه •

فاز من خلى الشواغل ولمولاه توجه

الرئيس على بن احمد الايغشانى

١٣٢١ هـ = ١٣٧٧ هـ

نسبـه :

على بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن عبد المومن بن احمد بن محمد ابن القاضى عبد المومن بن محمد بن على بن محمد بن عبد المومن

هذا صنو المتقدم الذكر ، اخترنا ان نجعلهما متصلين فى التاريخ كما كانا متصلين فى نسبهما ، وقدمنا هذا على من ياتون ، مع أنهم اكبـر منه، لهذا الذى ذكرنا •

ذكرنا ان والده كان اعتنى بأولاده ، ونصب كل واحد فى داره على حدة وكان يرشح عليا من صغره من بينهم ليخلفه فـى منصبه منذ رشح سيدى محمدا المتقدم ليكون عالما فقيها ، وعهدى به حين كنا فى المدرسة (التانكرتية) يجول على صهوة طرف ابلق ، كأنه فلقة من الفجر الساطع، وفى يده (رباعية) صغيرة، يصمى برصاصاتها كل ماعن له فى الطرق من القنص ، وقد ارخـى له والده العنان ، وتركه ليخالط ويتربى كما يريد ، لاكما يراد منه ، وتلك طريقة مثلى تجدى احيانا فى تربية الاولاد ، فيقف الوالد مشيرا من بعيد ، لامسيطرا من قريب ، وفى ءاخر عمره صار ينيبه عنه فى المهمات ، فعرف بذلك كيف توكل الكتف ، فتأتى له بذلك ان يرث بعض خصال والده المتقدمة فتراه عند المجالسة يشبه ان يكون أباه ، وكذلك حكى لى ان معاملاتـه كلها كادت تقتبس من معاملات والده رحمه الله ، فبذلك استطاع اليوم ان يتمشى فى عهد الاحتلال ، وأن يتربى فيه تربية جديدة ، تليق به وهاهوذا فى ذلـك على سيرة خاصة فى أموره كلها وفق ما يقتضيه العصر ، الاأنه بعدما امتدزمن رياسته ، اغتر ببعض المراقبين الفرنسيين ، فصاروا يجرون له الرسن• فلم ينشب ان ظهر منه ما ظهر مما يراه كل احد مما لايوافق مجد اسرتـه ومروءتها وحبها لمعالى الامور ـ وذلك شىء مقدر عليه من الازل ـ وقد اجمع على مااشرنا اليه كل عارفيه من التمليين والامانوزيين والالغيين قاطبة، ولذلك صار يقدم على جميع رؤساء مركز (تافراوت) وقد نفس على من هم اكبر منه مركزهم السامى فلم يزل يتزلف الى المراقبين ، حتى بما انزه قلمى عـن ذكره حتى استطاع ان يزلزل بعضهم عن داره الى بعيد • والمعاصرة تمنع المناصرة • ثم لما صفا من منافسيه الجو ، تعين قائدا وان لم يسم به رسميا ، ثم ابتدأت الازمة التى كانت فى

عهد(جوان) فاعلن أنه فرنسي على أعين الناس ، ولم يعلن ذلك سواه في هذه الجهات فنال شفوفا بذلك ، فحضر وحده في بيعة ابن عرفة بعد نفي الملك ثم لما انقلب الفلك وجاء الاستقلال دب اليه مادب الى امثاله من المواخذة ٠ فاستلت منه أولا أموال ، ثم ذهب بسيارته ٠ ثم ذهب به ، فجمع مع امثاله رؤساء الجنوب ، وبعد شهور ابعدوا او اهلكوا في الصحراء في صبيحة يوم ، اظنه في مفتتح : ١٣٧٧هـ ، هذه قصته ، سلك الله بنا سبل النجاة ، وحفظنا من كل ما يمس ديننا وعرضنا وكل ما الينا بفضله وكرمه ٠ وجعل ما وقع لـه سبب مغفرة ذنوبه فاننا كلنا مذنبون ٠ ونطلب الله ان لايواخذنا

وقد كان أفادني في جلسات له مع الاخ أحمد تغمده الله برحمته ببعض مايتعلق بآله ، وأرسل لي بعض الكتب تتعلق بذلك ، استفدت منها ، فكان بذلك مشكور السعي ، محمود الوصلة

وقد كان اقترن ببنت عمه الهاشم ، كما تزوج اخرى من (ايكلي) ، وله معهما اولاد احياء ، ذكورا واناثا ، واخوه الثالث هو ابراهيم ، تزوج مـن الاعضياويين بنت سيدي احمد بن الحسين الذي تزوج بنت الاستاذ علي بن عبد الله ، فهي اذن بنت خالته ، وام هؤلاء : فاطمة بنت الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله من فضليات النساء ، وكان الشيخ معنيا باكرامها في وفاداتها اليه وهو خالها ، وذلك في صغرنا (ولاتزال الى الان ١٣٨٠هـ حية) وقد دب اليها الهرم ، وقد بربها ولدها ابراهيم المذكور غاية البر وقد تجرعت علاقم ولدها علي ، حياة ومماتا ، ختم الله علينا وعليها بالايمان والاسلام ٠ وابراهيم هذا من الافاضل

وصاحب الترجمة هو احد الرؤساء الرسميين المتعاصرين بالغ ، وقد رأيت الاخ سيدي محمدا منهم ، والرئيس ابراهيم الوفقاوي وهذا هو الثالث وسترى الرابع بلقاسم الازربيبي بعد ان شاء الله ، وقد كان المترجم من اثرياء الغ ، ومن ذوي الاملاك الموروثة ، ومما زاده بنفسه ، وذكر لي الاخ أحمد ان أملاكه في (ايشت) وحدها لها أثمان كبيرة جدا ، وقد قدر ذلك ، وهذه الثروة في بلادنا قليل أربابها في سنة : ١٣٥٦ هـ

ومن اخباره أنه وجد له ـ بعد هلاكه ـ كناش كتب فيه بخط يده ديونا له على الناس كثيرة ، فاتصل به بعض من لهم الامر ، فصار ياخذها من أربابها فحلف كثيرون ان ذلك لاأصل له ، وبعضهم اداها له ، فصار هؤلاء يدعون عليه ثانيا بعدما استثار بعض رقة من بعض القلوب حين لاقى تلك الفعلة

وهكذا قدر للمترجم ان يعيش وان يموت ٠ وقد كان في لائحة الخونة وهو الوحيد في دائرة مركز (تافراوت) فحكمت عليه لجنة البحث بنصف ماله مصادرة ، كما حكم على امثاله المهلكين في المغرب جميعه ٠ احسن الله عاقبتنا في الامور كلها ٠ واجارنا من خزي الدنيا وعذاب الاخرة

اقول اننا في هذا الكتاب مؤرخون ، ولابد من ذكر مثل ماذكرنا من اجل التاريخ للعبرة ، وكم تعلق بي وراسلني بعد الاستقلال ، ولكن اجيبه وهو لايزال في داره في أوائل الاستقلال ، بان يحسن التوبة الى ربه ، لان ذلك هو الباب الباقي ، وليكن عبده مستسلما مفوضا . رحمه الله وغفر لنا وله. وقد كان يذكر الورد الاحمدى عن شيخنا سيدى الطاهر الافراني ، وفي جانب الله لايستقل شيء (وولده الطاهر شب الان فصار ينفع اسرته)

هذا وقد جرى ذكر المترجم بين ما في رسالة (نجوى الصديقين) المطبوعة مع الرحلة الاولى من كتاب (خلال جزولة) وترى هناك كيف كان يحترم شيخه سيدى الطاهر . وياليته يحترم اذذاك علماء قريته من اخوانه وابناء عمومته ، ومن أهل قبيلته . فانهم جميعا عنده من المحتقرين ، فلم يستطيعوا ان يتنفسوا الا بعد زوال رياسته . سامحه الله بفضله . وانا لأتعجب ممن يتدخل بين الله وبين عباده . فانما للناس ان يحكموا بالظواهر والله وحده هو الذى يتولى السرائر . فاللهم اغفر لجميع المذنبين . لعلنا يغفر لنا بينهم امين .



سيـدي

احمد بن الحسن الايغشانى

١٠ - ١٣١٧ هـ = حـــى

نسبـه :

أحمد بن الحسن بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن احمد ابن يحيا ·

أخبرنى الرجل الصالح والد صاحب الترجمة انه سمع من الحاج ابراهيم ان عبد الصمد الذى كان الجد الاعلى لكل الديانيين ، له ثلاثة اولاد أحدهمجد ءال عبد المومن ، وأيت على بن الحسن ، الذين لـم يبق منهم اليوم الارجل واحد يسمى يوسف ، والثانى جد أيت همو بنعلى ، والثالث جد أيت أوعمى · والبنائيين هؤلاء ، وحكى عنه أنه رأى ذلك من مخطوط قديم، وسيدى الحسن هذا من أصحاب الشيخ الالغى ، وممن أقبلوا على شأنهم ، وقد وضع اللهالبركة فى يده فاشتهر بالرقى والتمائم ، وسترى من حالة اسرته مايدل على تاثره بصحبةالشيخ ، حتى كانت له مكانة صوفية · وهو من عباد الله الصالحين ، كان الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم يتبرك به فى ءاخر حياته خصوصا فى مرضه الاخير

سيدى أحمد البنائى أحد ادباء الغ الممتازين اليوم ، واحد علمائه الذين اذا حضروا فى مجلس أحسنوا ألاستماع ، وأحسنوا الجواب ، واذا باحثوا أروك كيف الذكاء والفهم ، واذا بوحثوا ، ثروا بافانين من كل علم علم
جالسته فى السنة الماضية ١٣٥٦ﻫ فأعجبتبه ، فحمدت الله على أن صار صاحبى فى صباى ، أفضل من أتحلى بمعرفته فى كهولتى ، وقليل أمثاله من أقراننا ، ولاينبئك مثل خبير

مثاخـذ٧

أخذ القرءان عن شيخ الديانيين سيدى على بن همو الايكدمانى ، ثـم التقينا معافى الميدان الابتدائى فى المدرسة (الايغشانية) ، فكان بينى وبينه اذذاك صحبة اكيدة ، وذكر أننا كنا معا نحفظ (بانت سعاد) فى الموضعالذى يكون فيه حطب المدرسة اذذاك فـى جنوبيها ، فكنا نتنافس أينا يسبق الى

اتمامها ، ثم لما افترقنا ءاخر سنة ١٣٣١هـ انتقل الى المدرسة (الاكفيئية) عند الاستاذين سيدى عمر ، وابن أخيه عبد الله ، فافتتح هناك الالفية حيث كنا وقفنا فيايغشان (خير ابح قسم بأو وابهم) فأخذ هناك من النحو والفقه والفرائض والحساب . وكان لذينك الاستاذين يد في اتقان هذين العلمين الاخيرين ، يرحل اليهما من أجل ذلك ، ثم في سنة ١٣٣٤ هـ انتقل الىالمدرسة (السعيدية) بالاخصاص عند شيخناسيدى عبدالله بن محمد ، قال فصادفت هنا الاديب سيدى البشير بن المدنى الناصرى ، فافتتح لى بيده المختصر ، ولم أكن ابتدأته بعد ، ثم في أول سنة ١٣٣٥ هـ انتقل الى المدرسة (الالغية) والتاجارمونتى لايزال فيها ، فافتتح باب الاستحقاق ، مع انه لايزال في مباديء المختصر ، وذلك باذنهذا الاستاذ الذى لم ينشب ان فارق المدرسة. فبقى فيها صاحبنا ياخذ الدروس عن الاستاذ على بن عبدالله ، وعن الاستاذ سيدى أحمد اليزيدى الذى شارطه اذذاك ، ثم التحق بالتاجارمونتى في (الايغشانية) ، وبعد حين انتقل الى مدرسة (تاهالا) عندالاستاذ سيدى الحاج احمد الصوابى أقاريض ، ثم راجع المدرسة (الالغية) ثم التحق سنة ١٣٤٠هـ بالمدرسة (التانكرتية) حيث تعتقت خمره عند الاستاذين سيدى الطاهر ، وسيدى محمد ولده ، فهناك ترقى فى الادب ترقيا كبيرا ، وفي سنة ١٣٤٥هـ ودعهاستاذاه وداعا مجيدا ، وقد حصل وشارك وتثقف ، وزاحم اقرانه في استحضار كل ماأخذه ، وقد وفقه الله الى الاكباب على المطالعة ، والمباحثة متى لاقى منيباحث ، ومجاذبة الادباء ، فاستطاع بذلك ان يحافظ على ما حصل بل ازداد كثيرا ، وقد استعار منى السنة الماضية : طبقات السبكى ، وناهيك بها ، فكانت هى وامثالها مما يقبل على مطالعته بشغف ، وقد يمر على بعض الكتب الست الحديثية وأخاله أخذ البخارى مرات كثيرة ، لانه منه على بال ، وكذلك طالع بنفسه صحيح مسلم ، والم بغيرهما ، ولسانه ويراعه متفوقان بالعربية ، وسترى من ءاثاره ما يدل على ذلك ان شاء الله . وقد كون لنفسه خزانه واسعة ، على قدر طاقته .

مشارطاته

لسان حال هذا العالم الاديب ينشد بملء فيه :

تقلدتني الليالى وهـى مدبرة كالسيف منصلتا فى كف مهزوم

فان أمثاله من المحصلين يستحقون ان يتصدروا فى المدارس وينتصبوا للتدريس ، لماله من التحصيل فيما أخذه ، ولكن ذلك لما يتيسر له ، الىالان ١٣٥٨هـ فلم يتجاوز غالبا الا المساجد ، فكان فى مسجد (واكشرير) ثلاث سنوات ، اثر خروجه من المدرسة وفى مفتتح : ١٣٤٩هـ وقف له شيخنا سيدى الطاهر حتى شارط فى مسجد (اداى) الذى أبى ان يستحيل به مدرسة

يوءمها الطلبة ، كما كان فى أيام شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ، ثـم بعد الاحتلال ، شارط سنة ١٣٥٣هـ فى مسجد (تارصواط) قـريـة الاستاذ الحضيكى التى مات فيها العلم وأهله اليوم فلا عريب ولاديار ، الا من اناس قليلين مثل سيدى الحاج المحفوظ وفى السنة الماضية ١٣٥٦هـ فشارط فى مسجد (تيليوا) بمجاط ، حيث لايزال الى اليوم ١٣٥٧ هـ

آثاره

ربما كان صاحب الترجمةهو الوحيد الذى اعانني بكثير جدا من أدبيات هذه البلاد ، وبما صدر عنه هو ، حتي كانت مجموعة كـل ماقال فىزمـن الدراسة عندى من يده ، فاودعت كل ذلك فى كتابنا : (جوف الفرا) وقد كان معتنيا بنسخ كل ما تصل اليه يده ، وذلك مما يدل عـلى همته المشكورة ، فلنخترمما نراه الان مكدسا بين أيدينا ما حلا فى الذوق ، وحلى فى العين، قال يعاتب بعض اخوانه من قصيدة

عجبا لمن نادمـتـه بصفاء ... ويسر حسو الارتغاء ازائـــى
اسقيه من كأس تزحزح مابـه ... فأراه يجزينى ببعض الـداء
لو اننى عاملته بفعالـــه ... لقطعت ايديه بصنع جزاء

وقال يخاطب شيخنا الافرانى ، وأظنه فى بعض وفاداته الى بلدتهم

بارق أل (١) شطر(غشان) فاشـ ... ـدت بمرآه لوعتى وغرامـى
فابان الجوى واوقد نار الشـ ... ـوق فالقلب بالجوى فىاحتدام
لم أمل سادرا لظبية قصر ... اولشمس الضحى وشدو الحمام
لا ولكن لحضرة الصدر هادىالنـ ... ـاس من علمه اصح قوام
استنارت ببرقه الطرق فى البلـ ... ـدان من سوسنا لاقصى الشام
دأبه البث والسماحة فى العلـ ... ـم وفى ماله ممر الدوام
من اذا ما أتاه يوما بليد ... عاد عضب اللسان كالصمصام
شيخنا منبع الهداية بحر ... مزبد يرتمى بدر الكـلام
ملجأ للجهول منجى لمـن خـا ... ف وشمس ضاءت بدون غمام
شيخنا الطاهر الخلائق والاء ... ـراق عذب لكل صديان ظامى

الى اخرها

وقال يجيب الاديب سيدى الحسن الكوسالى عـن قصيدة خاطبه بها وصاحبا له :

تبدت فرمنا وصلها فتمنعـت ... فلا عدة منها الى ولا وصل

---

١) أل البرق أومض والبارق السحاب فيه برق

وتلحظنا شزرا بسيف مهنـد — سليلة فكر زانها الحسن والدل
جلاها المجلى فى الميادين كلها — اديب اذا ماقال فهو الرضا العدل
هو العالم الارضى الكسالى محتدا — حليف العلا من دابه البر والبذل
سليل الاصول الطيبات يشيدما — بنوا من أمور الدين تاه به الاصل
ففيهم رسا المجد الصميم وفلكه — فيافعهم افق المجادة والكهـل
فقل للذى يبغى الفصاحة يممن — فناء الكسالى تظفرن ولك الفضل
وقصوى ثناه لايـرام وذا بـه — اقر جهارا وهو لى قولى الفصل
امد عليه الله ضافى حفظـه — ولافاته من ربه السيب والنيل
ولاطرقت مدى الدهور كمالـه — مصائب منه لاالخطوب ولاالهول

* * *

ايا سيدى هل ذاق ريفك امسنا — بروق ام الزهر الذى زاره الطل؟
فمن حسن صدق الظن منك زففتها — لتزرى عـار اصابهما الـكـل
جزاك اله العرش مـولاى جنة — تفوز بها والام والاب والاهـل

الى ءاخرها .

وقال يخاطب شيخنا سيدى الطاهر الافرانى ، وقد رجع من سفر الى وطنه:

أهلا بمقدم شيخنا الامام ومـن — عاد السرور به اذ عاد للوطـن
قرت بك البلدة الغرا وساكنها — لاغرو أنت لها كالروح للبدن
فادع لنا بنجاح القصد انت لنا — باب النجاح وهادينا الى السنن
على مقامك يامولاى نفح سـلا — م الله ما غنت الورقا على الغصن

وكتب الى قرينه بالمدرسة الاديب الكوسالى المذكور

ايا بدر تم حل برج المفاخر — ليهنك فاستبشر بوفد العواشر

فأجابه هذا الاديب

أيامن غدا انسان عين المفاخر — وروح المعالى من شأى كل فاخر
شأوت بميدان العلا كل سابق — وبرزت فلتصدع فهل من مفاخر؟
تأخرت ميلادا تقدمـت سؤددا — فاحرزت ما للاولـيـن والاخر
تفضلت والافضال منك سجيـة — على العبد اذ هناتـه بالعواشر

وقال أيضا يخاطب بعض طلبة المدرسة (التانكرتية) وقد وجدهم يسبحون فى مسبح (بويركين) يوما فيه قر ، يؤنبهم على فعلهم :

اتسبحون كما الصبيان تفعلـه — والناس بينكم واليوم مقـرور

فاجابه الاديب الكوسالى

انا ذووالستر عند السبحمثلكم والسبح بالستر ليس فيهمنكور
طاب الزمان وطاب النهرفاعتدلا والسبح مما به فى الشرعمامور

وقال يصف ليلة طاب فيها الانس ، وابتهجت فيها النفس :

لله ليلتنا كانها اقتطفت وحق ربى من ليلات جنات
جمع كما اتسق الدرالمنظمفى سلك النضار على لبات غادات
ناد كما افتر زهر جاد ساحته صوب الحيا سحرابوسطروضات
لاغروفالقطبشمس الدينحل به من حازدون الورى كلالمجادات

الى ءاخرها

وكتب الى أخيه سيدى محمد ـ فتحا ـ بن الحسن الاتى ذكره ، يستحثه بالرجوع منالبلد بما يؤدى به دينا :

اخىطر بجناح الشوق وائتبما يفكنى منوثاق الدين والضيق
قد هد ركنى مالاقيته من اليـ م الدينحتى دنا عرضىلتمزيق

وقال للطلبة وقد اظلت العواشر

الا يابدور التم منى اليكم سلام كما مر النسيم علىالزهر
وبعدفقد تاقت ضمائرنا الى الـ عواشر اعيتنا الدفاتر والسهر

وكان الاديب سيدى محمد ابن الحاج احمد اليزيدى انتقل الىالمدرسة (الادوزية) من (الالغية) ثم رجع اليها ، فقال قصيدة سينية يعتذر بهااللاستاذ على بن عبد الله ، فأجابه هذا بمثلها ، فقال صاحب الترجمة ، يقرظما اجاب به الاستاذ

اذى قلائد عقيان ام الدرر امذىالدرارى اضاءت قمةالحسن١
بلذى عقائلقد اوفى بها عجلا نور الهداية شيخنا ابو الحسن
عليه من ربنا المامول نائله
سحب الرضا ما الورى اشتاقوا الىالحسن

فاجابه الاستاذ ارتجالا

احسنت يامن له كلالمحاسن فى تجنيسك الحسنالمرفوع كالحسن
اتيت فيه بمعنى حسن بسن زريت صنع ابن هانىء بهالحسن

١) اسم جبل

لاشك أنك أنت اليوم اشعر من ... بقطرنا الاخذ الانشاء بالرسن

وولد للاستاذ سيدى محمد بن الطاهر ولد فهنأه بقوله

الحمد لله سعد الدين قد ولدا ... فلتهناى يادنى فالدين قدسعدا
بدر بدافبدا رشد الورى وعلت ... هداية الله من ضل ومن رشدا
مجد تـولد والعلياء تـرضعـه ... والعز يكفله • لله من ولدا
وافت ولادته وفـق ولادة مـن ... بنوره يستضيء كل مـن وجدا
ياخير من أم باب السعد منفتحا ... له وكان بحـق اعظم السعدا
يهنيك ياسيدى الابن المقربه ... كل البرية من دنا ومـن بعدا
فالله يكلاه بمنه من أذى ... صرف الزمان ومن مكر الذى حسدا

وقال يجيب الكوسالى حين خاطبه بالقطعة التى مطلعها

انعم بليلك يا أبا العباس ... وامزج بخمر الظرف خمر الكاس

يقول

يحوى العلا من بين ما اجناس ... من فاق اقداما جمـيـع الناس
بحر المكارم من اذا يحبو تخط ... ـى الحد لاياوى الى مقياس
ممس بافق المجد حبى سيدى الحـ ... ـسن الخلائق ذو العلاء الراسى
نال العلا والمجد عفوا دون مـا ... كد ودون الشد لـلامراس
ياخير اخوان الصفا يـامفـردا ... ما ان يرى ند له فـى الناس
اطريت عبدا لم يكن اهلاللما ... ـدح الفريد الطيـب الانفاس
هناتنى بالشرب من ناد حـوى ... ظرفا يلائـم خمرة الجـلاس
هنئت أيضا سيدى منهـمـه ... درس وتدريس وشرب الكاس

وخاطبه صاحبه مبارك التوما نارى بقطعة مطلعها :

لئن سفرت عن البدر الخراد ... او ان صرمت مواصلتـى سعاد

فاجابه بقصيدة منها

رب ليل مبارك جاد فيه ... طالع السعد بالمنى والمراد
هكذا يوم الاربعا فاركضوا فى ... حضر آدابكم بخيل اطراد

يقول فيها :

كنت اهديت لى عروسا جلاها ... ليدى طبع فكرك الـوقاد
شرفت قدرذى خمول غزير الذ ... نب قد مال عن طريق السداد
لم اكن كفؤها ولكن رفعت الـ ... ـعبد حتى علا بحس اعتـقـاد
سيدى قل بالله شعرك ذاام ... عقد در على نحور الخراد

الى ءاخرها

وقال يخاطب قطعة خاطبه بها بعضهم

ارسلت منك فكرة غادة ضمـ ـت لفرط الحياء حسن الدلال
هذب الطبع سبكها يالها مـن غادة توجت بكل جـمـال
سحرت كل ذى حصاة بماضمـ ـنه من رقة وسحر حلال
سيدى ما الذى اراه بطى الطـ ـرس ما قلـت ام نفيس لئال
انت من سادة ابى الله الا ان يفوقوا الورى على كـل حال

فتلك نماذج من اقواله الكثيرة وهى غالبا قطع صغار يخاطب بها اصحابه اذذاك • وبعضها أبيات مفردة • واما القصائد فقليلة فيما تحت يـدى مما يقوله فى ذلك الطور ، وقد ترقى شعره بعد ذلك بكثير ، ولايزال يقول بكثرة الىالان ، وقد حشرنا ماتوصلنا اليه فى (جوف الفرا) والبعض فى (الالفيات) لمن أراد التوسع لغرض من اغراضه ، على أنه تغلب عليه العلوم والخوض فيها حفظه الله

زوجه والده وأخاه الاتى بعده ، فعكف الوالد على تعليم زوجيهما فـى الدار ، وقد حجبهما ، فيقضى هو بيده ضروريات الخارج ، حتى ان أمـلاكـه أعطاها لمنيحرثها مشاركة حين لم يالف هو أن يعمل فيها بنفسه ، ولا ان يترك أولاده وبناته لذلك ، وقد دفع بولديه الفقيهين الى المشارطة ، فهكـذا تلك الاسرة اليوم ، وقد حفظت الزوجتان القرءان كله اوبعضه تحت يده ، وهذبهما وعلمهما الديانة ، فصار بذلك غريب الاحوال عند الناس ، خصوصا بين (الديانيين) ، وأما هو فلا يبالى باحد ، لانه أدى ماعليه ، ونفذ ماأمـلاه عليه ضميره ودينه • وجعل القناعة سياجا وراء ذلك ، وقد نشأ ولداه وزوجهما تحت صيانته ، فرسخت فى الجميع الاخلاق المتوجة بالعلم والدين ، فلتحى القناعة ، وليحى العلم وليحى الدين والاخلاق والمروءة ولتحى امثال هذه الاسر وببركة كل هذا بقيت دار هذه الاسرة هى المصونة علما ودينا ودنيا فى تلك القرية الان ، بعدماكان وكان • ولصاحب الترجمة الان نسل اقر الله بهعينه

أخبـار عنه أخرى

كانت هذه الترجمة المتقدمة مكتوبة سنة ١٣٥٦هـ اومابعدها بقليل ثم هانحن اولاء الان فى سنة ١٣٨٠هـ فقد تطور الحال بالمترجم وعلا شأنه وتصدرفى المدارس ، فقد كان فى مدرسة (افيلال) بايسى ، ثم فـى (ايمور) حيثهو الان ، وقد ادى فريضته بالحج منذ سنتين ، وقد تكونت حوله هالة علمية وتلاميذ ، باكبابه على التدريس اكباب المجدين ، وقد توفى والده نحو ١٣٦٠هـ فقام بنفسه ، وبعد ان كان هو وأهله منالذين لايؤبه بهم فى قريتهم ازاءاولئك الرؤساء الكبار اذا بالزمان انقلب ، فصاروا هم المغبوطين كفاية وعزا وحرمة ببركة العلم الذى اشتغلوا به ، فداره ودار أخيه ، هما المصونتان المكفيتان الانفى القرية ، بما يتوصلان به من اعمالهما ، ولاأرى الا أن بركة والدهما الرجل الصالح ، هى التى عادت عليهما ، ومن كان لله كان له •

سيدى محمد بن الحسن البنائى

نحو ١٣١٨ هـ = حـــى

نسبه

محمد ـ فتحا ـ بن الحسن بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بناحمد بن يحيا .

هذا أخو الاديب المتقدم ، وتلوه فى المعلومات ، وان كان دونه بمراحل بل لاتكاد معلوماته تذكر ازاء معلوماته

أخذ القرءان عن سيدى على بن همو الايكدمانى ، ثم عن والده سيدى الحسن فى بعض مشارطاته،ثم افتتح عند الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فى المدرسة (الايغشانية) ثم انتقل الى المدرسة (الالغية) فاخذ فيها عن سيدى أحمد بن محمد اليزيدى ، ثم بعد حقبة اتصل بصنوه فى المدرسة (التانكرتية) فحرص صنوه على تهذيبه ، فترقى بذلك ترقيا حسنا ، وبين اشعار أخيه مخاطبات كثيرة يخاطبه بها ، وقد بقى هناك بعد اخيه سنوات اخرى الى سنة ١٣٥٢هـ فذهب الى هشتوكة ، فشارط فى أيت عميرة فى مسجد احدى قراها ثم رجع الى بلده ، فشارط أيضا فى مسجد (ايكلى) بالغ ، ثم فى جمادى الاولى من سنة ١٣٥٦هـ شارط فى (القصبة) بتامانارت ، باشارة شيخنا سيدى الطاهر الافرانى

وقدره من المعلومات لاباس به ، وان لم يتسع ، فقد أهله ما عنده ان يشارك أحيانا فى الميادين ، وقد أتى على كل الفنون ، وانما خانته كما أظن ذاكرته ، وهو على كل حال من المتوسطين فى التحصيل ، وله أدبيات جال فيها مع أخيه ومع غيره

صاحب مرة الاديب سيدى الطاهر بن على الالغى فى سفر ، فقال له سيدى الطاهر :

محمد الخلق يامن وده فرضا   جد المسير فان الليل قد عرضا

فاجابه صاحب الترجمة :

ياسيدى انت لى بدر فلست أرى   مادمت لى ظلمة كلا ولا غرضا

وقال له أخوه مرة يمرنه

اجز ولا بد ياصنوى الشقيق ويا   من مجده لاينى زينا واشراقا

فاجابه :

اعذر فقد عاقني ياسيدى حصر يمنعني القول ان اكثرت اطراقا

وقال يخاطب صنوه وقد غاب عنه كثيرا

سيدى مونسي شقيقي عمادى مامني ملجئي وموضع سرى
هذه غربة تطول على العبـ ـد فما ان سواكم ضمن صدرى
غبت عني فغاب نومي وعقلي ومضى من يشد لى كل ازرى
أبشرع الاخاء يحسن هذا أم بشرع الوداد ذلك يجرى
أقبلن لى ليقبل السعد والصفـ ـو وعيش يفتر عن خير ثغر
ان يك العبد قد جنى ما جناه فاخوه اولى بأجمل صبر

وقال يخاطب الاديب الاستاذ سيدى داود الرسموكي الشهير ، وذلك في : ١٠ ـ ١٢ ـ ١٣٥٢هـ حين كان مشارطا في (أيت عميرة) كما تقدم

ابرق تجاه الرقمتين بدا لنا فصارت قلوب العاشقين تواجد
ام الوجه من ليل انار ضياؤه فنارت به ارجا الحمى والمعاهد
خليلى لاشوق لهيفاء بضة ولا كان فيما شادن لى مقاصد
نعم كانلى شوق الىعالم الهدى وبحرالندى منفيالورىهوماجد
فريد الورى علماوفخرا وسؤددا وجودا على رغم الذى هوحاسد
هوالسيد الندب الكريمالمبجلال جناب ، فياسعدى له وهوواحد
فهذا الذى شوقي اليه كأنه لظى في ضلوعيمن نمتهالاماجد
سمى نبى الله داود من لـه مقام على طول المدى يتصاعد
عليه سلام الله منى ورحمة معطرة ما فاز عنده قاصد

فاجابه الاستاذ :

اتى فاتي فورا سرور مجدد ولذ الهوى لذى الهوى والتودد
قريض بديع صاغه فكر سيد له عادة الاحسان عفوا وسؤدد
قريض تعالى عن قريض حبيبهم وحل له الحبا الكميت واحمد
اتى يوم عيد وهو عيد بنفسه وبينهما سرورنا يتردد
أياسيدا أهدى محاسن شعره فهاجت من الاشواق نارا توقد
لك الله من ندب تواتر فضله وطبق آفاقا ثناه المخلد
ولا زلت يارب البلاغة مفردا ووافاك دائما سرور مجدد

ولو كان سيدى محمد بن الحسن مقتديا باخيه ، في الاكباب اليوم ـ ومستقبله لايزال بيده ـ لنجب ، لان له الفكرة الديانية التى نعلمها من اخيه ومن بنى عمومته

أخبار عنه أخرى

التحق ككاتب عند الرئيس علي بن احمد ماشاء الله ، فتحمل منه ما تحمل سنين ، وقدصادفناه هناك يوما مع شيخنا سيدى الطاهر الافرانى فشارك في قواف في الترحيب بشيخنا على العادة الالفية ، فسمعت من أهله الذين لايحترمون طلبتهم لانهم عوام تهانفا (١) يغمزونه بانه ليس هناك ففرت على الرجل ، وانكنت لم أقل لهم شيئا :

ومنزلة السفيه من الفقيه كمنزلة الفقيه من السفيه

وقد كان هذا الامتهان نفسه يصل أخاه العلامة الجليل من تلك البيئة، فكان لايكاد يلم بالقرية الا خلسا ، ثم لم يستطع المترجم ان يتمادى على هذا الامتهان فطلق البلد ، فمربى في مراكش ، وقد رجعت اليه نحو (١٣٦٨هـ)ولاأزال استحضر أنه دخل علي ، فلم استحضر بعد محياه • فسألته من هو ؟ فاستحييت حين أخبرني من هو ــ وكثيرا ما انسى ملامح الوجوه حتى يقع لي مثل ذلك وطالما اصابني خجل عظيم مما يقع لي ، حتى ليظن بعض من لايعرفون مني هذا ان ذلك تكبر مني ــ ومن هو المختار حتى يتكبر ؟ وهل التكبر سهل ؟

ثم أنه سافر برا الى مصر ، ثم حج ، فمربى ثانيا ، ففاز بها حجةمبرورة ثمتعين استاذا في مدرسة القرية يعلم العربية ، ولايزال على استاذيته الى الان ١٣٧٨هـ وفقه الله وحفظه •

وهناك تم الذين يستحقون الذكر من الديانيين الايغشانيين ، وقد مناهم على غيرهم لشرفهم امس واليوم بالعلم ، ثم بالرياسة ، ولنذكر الان من يستحقون الذكر من الايكليين (ءال باها) الذين كانوا رؤساء قبيلة ايغشان قبل الديانيين ، والله يسدد خطانا ، ويعصمنا من خطا الفكر ، وخطل القول بمنه ءامين •

---

١) التهانف ضحك في فتور كضحك المستهزىء ، وهوخاص بالنساءقال:

فتهانفن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود

امغار باها الايكليمي الايغشاني

قبل ١٢٣٠ هـ = نحو ١٢٨٦ هـ

ليس عندى عن هذه الاسرة اخبار تظهرها فى المكانة التى كانت لهاطوال القرن الثالث عشر ، وربما كانت لها ايضا فى اواخر القرن الذى قبله ولـم يخبرنى كلمن أسائلهم عنها الا بنتف ضئيلة ، لاتسمن ولاتغنى من جوع ، حتى ان سلسلة نسبها لم اتوصل الان بها ، ولكن نلقى ماعندنا عنها فهـو سداد منعوز •

سمعت انها من الحربيليين ، وأنها تقطن (ايكلى) منذ ثلاثة قرون ، هذا مازعمه من ذكره أنه رأى رسومهم ، ثم أنهم تولوا الرياسة بعدما فتك بامغار أوبركا الايكدمانى ـ وستسمع فيما ياتىانشاء الله ماعندنا عنه وعن عصره ـ ثم تتابع فيهم الرؤساء ، الى ان وصلت النوبة الى هذا المترجم ، فظهر منه ومناولاد له عفاريت جبروت على القبيلة ، حتى ليحكى ان لهم وظيفة تـؤدى صباح كليوم قبل الشروق ، وذلك انهم يكلفون سكان وراء (تيزىاوزرو) ان يبكروا بالخضر والفواكه فى أوقاتها الى دارهم بايكلى ، وكل من تاخر فى يومه حتىتطلع الشمس على مايحمله على بهيمته ، فانه يبطش به ، وكان سيدى احمد بنمحمد بن عبد المومن اذذاك ، قد ظهر فى الميدان ، ولاندرى كيفكانت صلة ءال (ايكلى) مع آبائه ، حتى يمكن لنا ان نجد منه مالعله هو الحافـز لهذا السيد ، حتى برز الى ميدان ماعرف لآبائه قبل ، ولكن اذا اردنا انناخذ بالاشباه والنظائر ، فاننا لانكاد نشك ان العلاقات بين الديأنيين والايكليين كانت فسدت قبل سيدى أحمد ، ولعل ذلك فى أيام والده ، وربما كان الحسد الذىيحمله الرؤساء العوام لاهل العلم دائما اذا رأوهم فى جاه عظيم ، لـم يدركوا بسياستهم عشره ، هو الذى صدر من (ءالباها) لهذا الفقيه ، ثم أنه يتغاضى فى حياته ، ولكنه لما جاء ولده احمد ابى الا ان يجاذب الحبال ، وان يوفى الكيل صاع بصاع

فتك أحمد ابن صاحب الترجمة ، واحمد بن باها الديانى ، بسيدى احمد ابن محمد ، كماذكرناه ، فقام محمد الاشكر والحاج ابراهـيـم يتربصان وينتظران الفرص ، ليضحوا بابى هذه الاسرة الايكلية ، كما ضحت هى برئيس الاسرة الديانية ، وكان لامغارباها دار اخرى فى (تافراوت) من اداوعاصم كبيرة ، فيها زوجة له اخرى ، وقد بنى فيها طاحونة كبيرة ، من النوع الـذى يداربالبهائم • وذلك يدل على عظم مقامه ، لانه لايصنع ذلك فى هذه البلاد الا

الكبارالعظام ، ففى يوم تاسع ذى الحجة ، من سنة لعلها ١٢٨٦هـ والناس يتهياون لعيد الاضحى ، كان فى داره هذه ، وفى وسط النهار خرج وحده يقصد داره فى (ايكلى) وبينهما ثنية وبسيط لاباس به ، وفى يده زق مملوء اداما ، ذهب به من هذه الدار الى تلك ، فمشى وحده ، وهو ءامن مايكون ولاسلاح في يده • فجلس له بين صخرتين معلومتين هناك فى الثنية التى تسمى (تيزكى) شرقى قرية (توكال) محمد الاشكر ورفيقه محمد بن عدى ، فلما سامتهما اطلقا فيه فجندلاه ، فهلك في الحين ، فصاح محمد الاشكر فوق الثنية فاسمع من فى اسفل (توكال) يقول لهم : انكفوا واحرسوا أنفسكم من الايكليين ، فانا قتلنا امغار باها ، فهكذا ذهب فداء لسيدى احمد بن الطالب ثم لم يبؤ بشسع نعله ، سامح الله الجميع •

هذا ما عندى عنه ، وهو اذذاك شيخ كبير ، ولذلك رمزنا لولادته بماقبل ١٢٣٠هـ واما سنة قتله ، فالغالب الذى ظهر لى فى حكايات اناس أنها ١٢٨٦هـ والله أعلم

ثم بعد ما حررت ما حررت مما تقدم ، وقفت على هذه البطاقة :

«فى يوم الخميس : ٢٣ ـ ٢ ـ ١١٢٤هـ نزل القائد عبد الكريم ، قائد مولانا اسماعيل نصره الله بايكلى ، ببنى عاصم : بلاد الغ بغسمانة ، بعشرين الفا من الخيل والرماة ، وقبض الشيخ محمد بن عبد الله الحاج ، وتسعة رجال من أعمامه، ومع رجلين من الاحرار ؟ (١) وربطهم فى الحديد دون الشيخ لم يربطه ، وأدوا لخبواته لايكلى ، وفساد زرعهم فى الفدادين ، وما فى ديارهم من المتروكات والزرع • وقبضهم بخمسمائة مثقال ، واحصنتهم وبغلاتهم انتهى كماوجد ، بلا ولا ، وبه يحيا بن محمد بن على التاوييتى الغسانى وفقه الله»

والغالب ان هذا الرئيس الذى القى عليه القبض ، من اسلاف أمغار باها وان الرياسة قديمة فى لاسرة

---

١) كـذا

امغار يوسف بن باها الايكليمي

الايغشـانى

قبل ١٢٥٠ هـ = ١٢٩٦ هـ

كان لامغار باها من الاولاد المذكورين في هذه المجاذبات ستة : (١)محمد (٢) أحمد (٣) مسعود (٤) عدى (٥) حمو (٦) يوسف وهو صاحب الترجمة وكأنه اكبرهم ، لانه هو الذى أسمعه يذكر بامغار من بين هؤلاء بعد ابيهم فأما الثانى فهو الذى باشر قتل سيدى احمد نطالب ، وقد مات قبل سنة : ١٢٩٩هـ ولادرى احتف انفه ام قتلا ، وكذلك مسعود مات قبلها ، وفي بالى اننى أخبرت ان بنتهھى التى تزوج بها الحاج ابراهيم وهـى ام الرئيس أحمد الشهير ، وأما الاول محمد ، فان اخوته قتلوه قبل ان يقع بهم ماوقع‌سنة ١٢٩٩هـ بحجة انه يميل للديانيين ، وكذلك ولده حمو بن محمد ، قتلوه أيضا بهذه‌الحجة ، فهرب الى الديانيين‌اخوه ابراهيم بن محمد ، محتميا بهم ، لئلا يقع به ما وقع بابيه واخيه حمو

وأما يوسف ، فانه كان مال الى مسالمة الاشكر فى كل أيامه ، وكان‌رخو العزيمة ، وربما كان الاقلال الذى طاف به ءاخر عمره مما اذله ، فقد حكى لى‌مجاطى انه‌رءاه سنة : ١٢٩٥ هـ جاء الى‌مجاط يتكفف اصحابا له هناك ٠فصار الناس ينظرون اليه ، ويتعجبون مما ءال اليه امره ، ولم ينشب ان مـــات ٠

وخلف ولديه احمد وعبد الله ، وكانا مغوارين ، فهما وبعض اعمامهما من وقعت عليهم الواقعة حين تطلبوا الفتك بالديانيين ، وذلك أنه بعد ان مات أمغاريوسف ، مال هؤلاء الى اجتثاث الديانيين ، فبدأوا بمن مال اليهم مـن اخوتهم ، ففتكوا بمحمد أخيهم ٠ ثم بولده حمو بن محمد ، فهرب ابراهيـم ابن محمدأخو حمو ، فالتحقت العداوة بهذا ٠ فصار كل فريق ينتظر الفرصة فصار هؤلاء يفاوضون انسانا ديانيا يسمى سيدى مسعودا ، حتى اتفق معهم على أن‌يريحهم الى داره ليلا ، فبمجرد ما يخرج غرماؤهم عند الفجر ، ينقضون عليهم‌فى حقول يشتغلون بها تلك الايام فى افنية ديارهم فجاء هذا الجاسوس نفسه، فبلغ‌سيدى‌مسعود نفسه لجيرانه الديانيين فأمره‌الاشكر أن‌يتمشى‌فى‌ذلك حتى‌يريحهم‌عنده فى‌ليلة‌معينة، ثم‌انهم‌سيقضون عليهم عنده ، ووعدوه على ذلك بماوعدوه ، ففى الليلة المعينة ، بينما الايكليون ينسلون الى دار ذلك الجاسوس اذا بهؤلاء الديانيين الاشكر والحاج ابراهيم فى رجال من المغاوير‌ينسلون ايضا فيسلكون طريقهم الى دار الايكليين ، فوجدوها بلاحارس ، وهى منتبذة عن القرية ، فحاول احدهم القفل حتى فتحه بلطافة ، فتوسطوا حلقة الدار فتحرك

الدجاج ، فخرجت زوجة احمد بن يوسف ، وكانت مع زوجها فى الفراش وقد حسبت ان بعض الضوارى البرية انسل الى الدجاج من بعض اسراب الجدار فخرجت لتطرده ، فاذا هى بالرجال ، فصاحت بزوجها ، فانتفض الى بندقيته وهى معه فى البيت • ولكنه محاصر بهؤلاء ، وقد اوقدوا النار عليه أمام البيت حتى خنقه الدخان ، فخرج مرغما فأردوه فى الحين ، كما أهلكوا فيما سمعت كل من وجدوهم فى الدار فتمكنوا ، وجلسوا ينتظرون رجوع غرمائهم الاخرين وكانت فى الدار بقرة ، فذبحوها فنصبوها لتنضج ، وكان العام عام مسغبة

هذا مايصنعه هؤلاء ، وأما من اختبأوا فى دار ذلك الجاسوس فانهم صاروا ينتظرون ليتموا مرادهم فى جيرانه ، كما صار رب الدار ينتظر ان ياتوا حسب الاتفاق ، حتى كاد النهار يصبح ، فخاف الجاسوس على نفسه من جيرانه ، ولم يدر ما الذى أخرهم • فأوعز الى من عنده ان الفرصة لم تمكن الليلة ، فرجعوا قبل ان يفضحهم النهار ، فوصلوا أمام دارهم فى ايكلى فى الغلس ، فتركهم من فى الدار حتى وقفوا أمام الباب ، فمالوا اليهم ، فلم يتركوا ممن حضر احدا • وممن سقط هناك عبلا بن يوسف ، فاصبح النهار وقد عرف أهل القرية ماعرفوا من الهيعة التى سمعوها ، وقد ملكت الدار، وقتل اصحابها ، وقضى الامر فهرب من (ءال باها) من كان لايزال حيا، كعدى بن باها ، وحمو بن باها ، ثم ان الديانيين خربوا الدار تخريبا ، حتى لم يدعوا فيها حجرا على حجر ، ونقلوا سقوفها وكل مافيها الى دارهم ، وتولوا أملاك ءال باها الذين دخلوا منذ ذلك الوقت فى خبر كان

هؤلاء ءال باها الايكليون ، وهذا ما وصلنى عنهم ، وانا هنا فى منعزلى الذى ارغمنى عليه الدهر (١) ، والحمد لله على كل حال

الآن وقد ذكرنا الايغشانيين الالغيين ، نذكر تبعا من عرفناه مشهورا بالعلم اوبالرياسة ، أو مذكورا فى التاريخ - فيما علمنا - من الايغشانيين الاخرين ، وأذكر بعض الاحياء اليوم ، اومن كانوا فى عصر ما ودرجوا ، ولايمكن لنا الاستقصاء فى كل الايغشانيين فيما وراء تيزى ، ولكن نذكر من تيسر الآن والله الموفق وسنبدأ بمن فى (تاوييت) ، ثم بمن فى (اكنى ايكدمان) ثم بمن فى (أيت أوبلخير) والله المستعان •

---

١) لاينسين القارىء ان هذا الكتاب كتب فى هذا المنفى الذى منع فيه جامعه من أن يتصل بأحد فكانت داره التى هى مسقط رأسه سجنه وكانت قريته التى منها درج هى منفاه فكانت الغ مجمع همومه ، افلا تكون أيضا مجال يراعه ؟

الفقيه احمد بن ابراهيم التاويتى

قبل : ١٠٥٥ هـ = بعد ١٠٩١ هـ

= * =

نسبـــه

احمد بن ابراهيم بن علي بن محمد (كما وجد في رسم)

قد كنت رأيت في الوثيقة الكبرى المارة تحت رقم (٥) في ترجمة جدنا الاعلى ، سيدى عبدالله بن سعيد في مفتتح (الفصل الاول) من (القسم الاول) ان الذى تولى تحرير أصلها هو هذا الفقيه ، ثم رأيت في ترجمة الفقيه سيدى سليمان بن محمد أول فقيه من فقهاء مرابطينا • ان جده للام هو الحسن ابن علي، وهو من أهل هذا الفقيه ، وهناك الى الآن بيت على قبر يزار ينسب الى ابن اعلي • والحسن بن علي قد وصف في عقد نكاح حفيده المذكور سيدى سليمان بالطالب الحسن ، والغالب انه ليس بفقيه ، وان كان يذكر بصلاح كثير، وعبادة وخير الى الان ، وقد سالت بعض طلبة الايفشانيين عما يعرفه من علمائهم القدماء، فذكر لى من بينهم فقيها سماه ابراهيم بن علي ، يسكن في قريـة (اكنى ايكدمان) وقال أنه من أهل القرن الحادى عشر ، ويشبه ان يكون اخذ من (تامكروت) قال : انني رأيت رسائل كثيرة للتامكروتيين اليه ، هذا ماقال هذا الفاضل ، وربما كان من بنى أعمام صاحب الترجمة ، لقرب مابيـــن القريتين ، ويبعد ان يكون هو جده لان هذا الجد ممن يكون اقدم من الشيخ سيدى محمد بن ناصر المتوفى في سنة : ١٠٨٥هـ ولان هذا الحاكي ، قال أيضا: ان ابراهيم بن علي هذا هو الذى كان فقيه تلك الجهة ، ثم ورثه اليعقوبيون الآتون بعد ، واليعقوبيون انما عاشوا في اوائل القرن الثانى عشر وفي اواسطه كما سياتي بعد انشاءالله ، ولهذا يتراءى لى انه ربما يكون من ابناء اعمام هذا الذى ترجمنا له ، وقد يختلج في ذهني ان الذى قال لى ماقال ، ربما راى تلك الآثار لصاحب الترجمة بعينه ، ثم انقلب النسيان عليه ، وكل من لم يعتن بناحية ، فكثيرا ماتنقلب عليه اسماء أصحابها • ولذلك اخترنا ان نذكر هذا في ترجمة هذا الفقيه ، ولابد ان تكون هناك آثار مخبوءة له ، ان لم يكن من بينها ماذكره هذا الفاضل ، ولكنني الى الان لم اتصل بها ، وكيف اتصل بها وانني الان بهذه العزلة الجبرية في وسط صندوق ؟

نعم غادرت ذلك الصندوق فصرت حرا ، ولكن الحواضر التهمتني ، حيث ابتعد الان : ١٣٧٨هـ عن مجالات تلك الابحاث ، ولم اكن راجعـت قط هذه التراجم ، منذ كتبت فيها ماكتبت نحو سنة ١٣٥٧هـ الا الان ، ولذلك يجب على المطالع ان يقنع بما تيسر •

يحيا بن محمد بن علي التاويتي

قبل ١١٤٠ هـ = بعد ١١٩١ هـ

= ★ =

وقفنا على اسمه في البطاقة التي تقدمت في ترجمة امغار باها الايكليبي ويظهر ان له توسعا في المعارف ، ومن تلك البطاقة التي نقلها يظهر اعتناؤه وهل يعتني بالتقاييد التي لادرهم وراءها الا ارباب الهمم العليا والغالب انه من اسرة ءال علي أخوال الفقيه سيدي سليمان الالغي ، وهي اسرة علمية نابهة وحدثت أن هناك محررات فقهية بيده ٠

ولاريب ان عرق هؤلاء العلماء ، هو الذي اندس في شرايين أول فقيه من ءال عبدالله بن سعيد ، سيدي سليمان المتوفي : ١١٩٩هـ فنزعه العرق فكان ممن يحملون الراية العلمية ، فكان يجب علينا ان نطيل البحث عن رجالاتهم ، ولكن حال الجريض دون القريض ، فما لايمكن كله ، لايترك جله

(هذا وقد كتب الى سيدي المحفوظ بانه رأى رسوما متعددة ارخ بعضها بسنة ١١٩١هـ بخط يحيا بن محمد بن علي ، كمارأى رسما ءاخر بخط محمد بن سعيد بن محمد بن علي مؤرخا بسنة ١١٠١هـ وءاخر بخط محمد بن علي بن محمد ابن ابراهيم التاوييتي اخراز مؤرخا ١١٥٩هـ وءاخر بخط محمد - فتحا - بن محمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم اخراز مؤرخا بسنة ١١٠٥هـ وءاخر بخط علي بن احمد بن محمد بن محمد مؤرخا بسنة ١١٦٦هـ والحسن بن محمد بن عبد الله مؤرخا بسنة ١١٠٠هـ وءاخر بخط عبد الله بن محمد بن عبد الله التاوييتي وءاخر بخط محمد - فتحا - بن محمد بن محمد - فتحا - بن عبدالله ٠وهذان غيرمؤرخين ٠ وقد وصف كل واحد من هؤلاء بانه فقيه تاوييتي وبذلك تعلم ماكان في تلك القرية من العلوم في القرن الحادي عشر والثاني عشر ٠ وحين لم نقف لهؤلاء على مايبين ماهيتهم ولاوصفا من اوصافهم اعرضنا عن ذكرهم بعد ماعرضنا اسماءهم لمن عسى ان يبحث عنهم)

سيـــدي

سعيد بن عبد المومن التاويتي

قبل ١٢٨٥ هـ = بعد : ١٣٢٠هـ

= * =

شيخ الجماعة فى تعليم كتاب الله ، فقداخذ عنه اجلاء ، فى مقدمتهم شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ، وأخواه : احمد وعبـد الرحمن ، والاديبـان سيدى البشير الناصرى وأخوه الطاهر ، والاستاذ سيدى أحمد اليزيدى ، هذا العلامة الذى يرفع راية التدريس اليوم فى المدرسة (الوفقاوية) ، وفى غيرها قبل اليوم ، وسيدى محمد بن مبارك النوازلى الوفقاوي ، وكثيرون ءاخرون وكان ممن أخذ عن سيدى محمد بن عبد الله الالغى فى مبادئه ، فحصل بعض معلومات لاباس بها ، وكان دينا خيرا ، لم استحضر الان من هو شيخه فـى القرءان ، لان الناس انما يعتنون باساتذة العلوم ، ويرمون الاعتناء بأساتذة القرءان ظهريا ، وهذا لعمرى غمط لحق عاملين عظماء ، تحملوا اعظم امانة، فادوها كما تحملوها . وكان ينبغى ان يفسح لهم فى الصدور ، وأن يرعى لهم من المقام وفى الحديث خيركم من تعلم القرءان ثم علمه

شارط فى مسجد الزاوية ماشاء الله ، وفى مساجد اخرى حوالى الغ وفى مسجدقريته (تاوييت) وفى ذلك امضى عمره ، وقد كان يحترم عند كافة الالغيين ، فكان الشيخ الالغى والاستاذ علي بن عبد الله يحترمانه متى لقياه او زارهما ، وكثيرا مايزورهما ، وكذلك الرؤساء الديانيون يجلونه ، ولايتركون احدا يمسه بسوء . وقد خلف ولدا يسمى محمدا ، كان احد لداتنا ، وفردا من الذين افتتحنا معهم الاجرومية سنة ١٣٢٩ هـ فى المدرسة (الايغشانية) ثم لم يستتم دراسته ، ثم توفى من غير علم كثير .

* * *

سيـدي

احمد بن بوهوش التاويتى

قبل ١٣٠٥ هـ = حـــى

= ★ =

أحمد بن بوهوش بن سعيد بن عبد المومن

أخذ القرآن عن جده المذكور ، ثم القى مراسيه في المدرسة (الالغيـة) فجال في العلوم ، ومختلف الفنون ، وقد اخذ عن التاجارمونتي وابى الحسن كما اخذ في بدايته عن سيدى موسى بن الطيب الالغى ، وكذلك اخذ فيالمدرسة (الايغشانية) عن سيدى العربى الساموكنى ، واخبرت انهمتوسط فيمعلوماته ولم يكن بذلك المتمكن ، ولكنه مال الى اخلاق اضفت عليه بهاء ورونقا ونهضت بمعلوماته على ضؤولتها ، فاخرجته من عالم الخمول الى عالم الظهور ، وهاهو ذا اليوم فيالقبيلة البعمرانية ، قد أتاه الشرف من وراء نقلته من بين أهله وكم انسان محتقر بين أهله ، يشرف ان غادرهم :

لايدرك المرء في اوطانه شرفا حتى يكيل تراب الارض بالقـدم

ولم أعرفه ، وانما تلقفت بعض أخباره ، وهو هناك اليوم مقدم للطريقة الاحمدية يروج بها ، وفقه الله ، ولم أقف على مايستحق الذكر من ءاثاره ، معأن له ــ فيما أظن ــ مايستحق الذكر ، وقد كان معنا عمه سيدى محمدبن سعيد ياخذ في المدرسة (الايغشانية) كما تقدم ، وهو اذذاك اكبر منا ، وان كان من المنخرطين في طبقتنا ، وقد فارقناه اذذاك ، وله من اسس المبادىء المتينة ما كان يبنى عليه لو سار قدما ، حتـى يكون كابـن اخيه هـذا ، ولكنـه لم يكد يفارقنا هناك حتى فـارق تلك السبيل ، وولى وجهـتـه الى أذناب البقر •

(ثم انني سألت عنالمترجمبعد، فلمازدد عنهعلىما تقدم شيئا ، وهذا الذى وقعلهوقع لاثنين ءاخرين من تلك القرية سيدى بلقاسم ، وسيدى مسعود وقد انقلبا على عقبهما ، واندمجا فى غير الطلبة ، ولايـزالان حيين الى الان وهما طالبان خيران ، لايزال سلامهما يصلني الى الان ، وياليتهما صابرا ورابطا حتى يستتما ، ويالمصيبة المغرب على اعراض شبيبته عن المعارف التى لاحياة الابها وخصوصا فى هذا العصر •

النجيب

سيدي محمد بن مبارك التاويتي

نحو : ١٣٠٨ هـ = نحو : ١٣٣٩ هـ

= ★ =

طالب نجيب تقى مائل بكليته الى الخير ، بهذا وصفه الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم ، وذكر انه اخذ عن الاستاذ سيدى محمد ابن عبو بالمدرسة المحمدية الهشتوكية الشهيرة ، ثم التحق بالمدرسة (الالغية) فسدك (١) بها عشر سنين ، فحصل النحو والفقه وحفظ المتون ، وجل (الرسالة) و (المختصر) وتفوق بين اقرانه ، وصلح لسانه ، وجاد فهمه وجمعت مشاركته بين اطراف الفنون التى أخذها ، ثم فارق المدرسة بعد ١٣٣٠هـ

ومما اشتهر انه عاكف على خدمة استاذه ابن عبد الله فى كل ناحية لايسبقه اليها أحد ، فعادت عليه بركة ذلك ، فبعد ان تخرج التحق بالزاوية الرسموكية بأقا ، حيث بقى سنتين ٠ ثم شارط فى مدرسة (تاكنزا) الى ان مات وهو مشارط فيها ، هذا ما أملاه على ابن العم حفظه الله ، وأماأنا فلم أعرفه ولاوقفت له على اثر ادبى ، أورسالة ، او مايستحق الذكر ، وهكذا كتب له مع هذه النجابة الكبيرة التى ذكره بها ابن العم ، ان لايخلف فينا الا هذه الترجمة التى تنقصها المدعمات مما يطمئن به قلب المطالع ، وكم لنجباء الشباب الذين ماتوا فى غضارة الشبيبة من مثيل



---

١) سدك به كفرح لزمه

سيـدي

الحسن بن مبارك التاويتى

نحو ١٣٢١ هـ = حـى

= ★ =

هذا هو صنو المتقدم واصغر منه بكثير ، وقد اتصل ايضا بالمدرسة (الالغية) بعد ١٣٤٢هـ ، وهو من الرعيل الاخير الذى كان فيها ءاخر حياة استاذها على بن عبدالله ، فاكب وحصل واجتهد ، وشارك فى الفنون كلها مشاركة متوسطة ، لم يدرك فيها صنوه المتقدم ، بهذا وصفه لى عبدالله ابن العم ، والاستاذ سيدى الطاهر بن على • ولكن ابن العم زاد على هذا أنه بعد أن فارق المدرسة التى مكث فيها نحو ست سنوات ، وهو كما تبجبج فى وسط الدور الثالث أعرض عن تنمية معلوماته ، وعن اتمام دراسته ، فآل ماحصله الى الضئولة ، والاعراض آفة العلم ، وكل من لاينفق مما علمه فانذره بأنه بعد حين سيكون منه افرغ من جوف الحمار ، كما يقولون

ولم أعرف أنا هذا السيد ، ولاوقفت له على اثر ، والمنة لابن العم الذى أفادنا ترجمته ، وهو ماهو فى نظراته الى الرجال ، لايرفع أحدا فوق مقامه وذكر أنه اليوم فى بلده ، وقلما يشارط ، وله أيضا اخ آخر ، أخذ من المدرسة (الالغية) لاباس بما اخذه • ولكنه لم يتعال حتى يصل الدرجة التى تعتبر بها من مروا بتلك المدرسة

فهؤلاء من يستحقون الذكر من التاويتيين ، ولنذكر من الايكدمانيين امثالهم •

سيدي محمد بن عبد الله بن علي

الايكدماني

من أهل اواسط القرن الثاني عشر

= ★ =

وجدت بين أوراق قديمة مخاطبة بينه وبين شيخه الحضيكي ، يطلب منه هذا انيكتب اليه مايعتمد عليه في طاعون وقع اذذاك ، ولعله طاعون : ١١٦٠هـ اوالذى وقع بعده ايضا بسنوات قليلة ، فلم اعرفه الا من هذه الرسالة لاغير ، وهذه الرسالة وجوابها مخطوطة بخط انسان لم نعرفه ، سمى نفسه: أحمد بنعبدالقادر السملالي ، وقال انه نقلها من خط الفقيه سيدى بلقاسم العباسي الشهير ، الذى لوحنا اليه في ترجمة الفقيه سيدى سعيد بن صالح الدياني .

ونص رسالة صاحب الترجمة

«الى شيخنا الفاضل ، سيدى محمد بن أحمد الحضيكي ، السلام عليك مع الرحمة والبركة ، تعم جميع أحوالكم المرضية ، فان سألتم فنحن في صحة وأمان ، لله الحمد وله الشكر . والحمد لله الذى نشر علينا هذه الرحمة الواقعة في البلاد .

أما بعد ياسيدى ، فغاية مايحتاج عندك : ان تكتب لنا شيئا من الاخبار الواردة فيهذا الامر ، فهل نحن نمكث في ديارنا ؟ أردنا من الله ومن كمال فضلكمان يختم علينا وعليكم بخاتمة السعادة ، مع كافة احبابنا ، وثانيا ياسيدى ، نريد أيضا من الله ثم منك ان تقيد لنا بعض الاخبار الواردة فيه لمنصبر في بلده ، هل يكون شهيدا ام لا ، أوحصلت له الشهادة ، ولو فر منهذا الامر لاحواز بلده ، أجبنا ياسيدى جوابا بينا فنحن نتعلق بشيء من العامة ، أردنا من الله ثم منك ان تكتب لنا أيضا مايحتاج فيه الى التنبيه ، وبهتلميذك ، مرتجي غفران مولاه : عبد ربه محمد بن عبد الله بن علي ، من (هوتايكدمان) الغشاني وفقه الله»

جواب الحضيكي

«وعليكم السلام والرحمة والبركة ، اما بعد : اكرمنا الله واياكم بما فيه رضاه ، وكفانا واياكم شر نفوسنا ، وهم الدارين ، وختم لناجميعا بما ختمبه للشهداء . بجاه سيد الشهداء والانبياء صلىالله عليه وسلم وعليهم اجمعين ، فهنيئا لمن اتبع اوامر ربه ، وخالف هواه ، وقد نهى الشارع صلى

اللهعليه وسلم عن الفرار من الوباء ، ولايتقرب الى الله ورسوله بالمنهى عنه وكل من أمر بالفرار ، فقد أمر بمخالفة الشرع ، واعان الشيطان ، فى ضلاله واضلاله • وليعلم العبد ان الجزع لايفيد • بل يؤدى الى الهلاك ، باخلال صاحبه بالواجب عليه ، وتضييع العمر فيما لايجدى من الاوهام التى هى كالهباء ، وانما عليه القيام بتكاليفه ، والسعى فيما يخلصه من ذنوبه ، قبل ان يوخذبها مستعدا للرحلة والقدوم على ربه ، وقد قدر الله الحركات والسكنات ، والاجل والارزاق والانفاس ، ولن تموت نفس حتى تستكمل اجلها ورزقها ، (ولن يوخر الله نفسا اذا جاء أجلها) ، ولاملجأ ولامنجى الا الى الله ، ولاينجو منه هارب ومن أحب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، والرضا بقضاء الله واجب ، والايمان بالقدر واجب ، خيره وشره ، وهو الطاعة وبهاامر اللهبه مثل الصبر عند نزول الوباء ، وقد دعابه صلى الله عليه وسلم لامته ، وهوأعلم بمصالحهم الدنيوية والاخروية (النبىء اولى بالمومنين من أنفسهم) وهو ارحم بهم من انفسهم ، وفى الحديث ، قال شرحبيل بن حسنة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الطاعون رحمة بكم ورحمة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ولاتتفرقوا عنه ، وأشار الى ماجاء فى الحديث اللهم اجعل فناء امتى بالطعن والطاعون ، فرغب الشارع فيه ، وحض عليه فلذلك فناءأمته بالطعن والطاعون ، وانه موت الصالحين ، ودعا صحابة ان يموتوا به فماتوابه ، قال معاذ بن جبل • لما قاموا بالانكار على عمرو بن العاص اللهم اذكر معاذا فيمن ذكرت فى هذه الرحمة ، وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم قال انه شفاء ورحمة للمومنين ، ودعا به لهم ، ورغبهم فى اغتنام الشهادة ، ونهاهم ان يفروا • وذلك أيضا تسلية لاهل موضع الوباء ، ولاشك أن الاجر على قدر الصبر ، والقيام بالوظائف الواجبة لاتنحصر ولاتعد ، وناهيك بالشهادة التى لايعدلها شيء من الاجور ، وفضائلها كثيرة ، منها انهم احياء عند ربهم يرزقون ياكلون ويشربون فى الجنة • وانهم يغفر لهم كل ما اذنبوا الاماهوحق ، وقد روى أن الله عز وجل يحمل عن الشهداء مظالم العباد ، ويجازيهم عنه ، وان يشفع فى سبعين من أقاربه ، ويتزوج مثل ذلك من الحور وانهلايفتن فى قبره ، الى غير ذلك مما لايحصى ، اللهم اختم لنا بما ختمت بهللشهداء ، واجعلنا منهم ياارحم الراحمين ، وحصولها بشروط مذكورة فى الحديث ، وهو قوله صلى الله عليهوسلم : فليس من رجل يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا ، يعلم انه لايصيبه الا ماكتب الله له ، الاكان لهاجر شهيد ، بشرط ان لايخرج من البلد ، وأن يكون قاصدا فى اقامته ثواب الله تعالى ، راجيا صدق موعده ، وان يعرف ان ما أصابه فهو بقدر الله ، وان صرف عنهفهو بقدر الله وان يعتمد على ربه فى حالة محنته ومرضه ، غير متضجر به ، اى غ يرساخط لقضاء الله ، فمن اتصف بهذه الاوصاف • فمات

فهو شهيد، وان لم يمت فله مثل اجر شهيد ، وأما الفرار من الوباء على ماهو المفعول في هذه البلاد من التفر ق في الشعاب ، وتضييع الماموزات في المرضى والموتى ، فحرام بالاجماع ، لايحل ، ولايقول احد من المسلمين باباحته • وأما الاجر الموضوع فيه للصابر الماكث ، العارف أن مايصيبه لايخطئه ، وما يخطئه لايصيبه، معتمدا على الله تعالى في حالة الصحة والمرض ، فكثير لايحصى ، منها: أنه لايسأل في القبر • ويامن من الفزع الاكبر ، وياكل ويشرب عاجلا في الجنة ويتزوج اثنتين وسبعين حوراء ويشفع في مثل ذلك من اقاربه، الى غير ذلك ممالايعد ، والسلام ، والله الموفق للصواب ، ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم فحسبنا الله ونعم الوكيل»

هذا هو الخطاب وجوابه ، ولولا هذه المخاطبة لما عرفنا تلميذ الحضيكى هذا ، ويظهر ان له شهرة في بلده ، وقد رايت ان هناك اناسا يقتدون به ، ولاأخاله الافقيها من الفقهاء الكثرين الذين اخذوا عن الحضيكى ، ثم اعتنقوا طريقته ، وهو من قدماء تلاميذه ، ان صح ان هذا الوباء الذى سئل بسببه• هو ماوقع سنة ١١٦٠هـ اوفي سنة : ١١٦٤هـ لانه وقع في هاتين السنتين معا ، ويظهر من عبارته انه وسط في ملكته العربية ، وهو على كل حال ، لـم تبلغ شهرته ـ ان تجاوزت بلده ـ اذن الاستاذ عبد الرحمان الجشتيـمـى، الذى لم يذكره في الذين ذكرهم من اصحاب الحضيكى ، ثم ان لم يكف من فائدة ذكره الا اظهار هذه الاثر لكفى ، فانه مما يدل على بعض ما للحضيكى علامة ذلك العصر ، وصالحه والمتبوع فيه • من الورع والتضحية بنفسه في اتباع السنة رحمه الله ورضى عنه

أمغـــــار

اوبركا الايكدماني الايغشاني

من اهل القرن الثاني عشر

= ★ =

كانت رياسة القبيلة الايغشانية قبل ان تنتقل الى الجدود الاخيرين لباها الايكليبيي المتقدم ، في قرية (اكني ايكدمان) وكان المعروف منهاصاحب الترجمة الذي لانعرف عنه الا بعض نتف مما يتداول عند الناس في اسمارهم .

قالوا ان أمغار اوبركا كان مغوارا مسعر حرب ، جمع قبضة كله على هذه القبيلة بعد اليعقوبيين ، ثم ثارت بينه وبين القبيلة عداوة متمكنة ، ادت الى أن مال عليه أناس منهم ، يوم عيد الاضحى اوفطر ، وقد اجتمع اهل القرية في المصلى ، فاختلف هؤلاء الناس الى ديارهم ، ثم بواسطتها تمكنوا من امغاراوبركا وثلاثة من اولاده وبنت من بناته ، فذبحوا الجميع ، فالتهموا داره وديار أصحابه أجمعين ، قالوا : فمن ذلك اليوم جرت العادة من الايكدمانيين انهم في كل يومي اضحى وفطر ينقسمون فرقتين : فرقة الى المصلى ، وفرقة في اثناء الديار تبقى حارسة ، ثم دامت هذه العادة من ذلك القرن ، الى زمن الاحتلال ءاخر سنة : ١٣٥٢هـ هذا ما سمعته من أناس ، وذلك كله مجمل كما ترى

ذكر لي بعضهم ان دار امغار اوبركا لاتزال ، وان غلقا لبيت له مشهور لايزال محافظا عليه الى اليوم ، محافظة اصحاب المتاحف على ما فيها من الاثار وأخبرني أيضا بعض من يعتني بالاخبار من طلبة تلك القبيلة انه يحزر أنه قتل في أوائل العقد السابع ، من القرن الثاني عشر ، والله أعلم

الاستاذ سيدى على بن همو الايكدمانى

قبل : ١٢٩٠ هـ = بعد : ١٣٦٥ هـ

= ★ =

هذا هواستاذ سيدى المحفوظ ، وسيدى محمد بن احمد والاديب سيدى أحمد بن‌الحسن الديانيين ، وكذلك اخذ عنه الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى المتقدم ، كما اخذ عنه كثيرون غيرهم ، وهو استاذ مجدفى‌تعليم كتاب الله ، فكان بذلك خير الناس ٠ وفى حديث : (خيركم من‌تعلم القرءان وعلمه) ولايزال حيا الى الان ١٣٥٨هـ وانما ذكرناه من بين كثيرين من الاساتذة القرءانيين الايغشانيين ، لانه‌استاذ من اساتذة الالغيين فكان بذلك على شرطنا لانناالتزمنا ان‌نذكر كبارهم بقدر الامكان

ولما ولد احمد نجل ولد للمترجم اسمه محمد فى : ١٨ ـ ٥ ـ ١٣٦٠هـ خاطبه‌الاديب تلميذه احمد البنائى بقوله :

هل الهلال فطاب القلب وانشرح‌الـ ـصدر وعم الهنا من‌كان فى‌الحضر
ذاك الوليد النجيب البر من‌زهرت بنور طلعتـه سرائر البشر
ياشيخ ياسيدى ليهنك الولد الـ ـبر الرضا احمد المبارك الاثـر
ذاك وليد نجيب نجل سيدنا محمد من بعظم السر منك حرى
يدب فى المجد والعلياء تكفله والسعد يخدم فى الاصال والبكر
ممتعا منعما بالوالدين وبالـــ ـجد النبيه الشهير شهرة القمر

الى ان قال

ياشيخ يا سيدى على يا ندسا لولاه كنت رهين العى والحصر
ربيت ادبت علمت فكم منن قلدتها بل وكم اسديت من درر

الى ان قال

الله يجزيك افضل الجزا وحبا ك الخير من عنده يا حلة الفخر
ثم السلام على علياك ما لمست ريح الصبا سحرا كمائم الزهر
وما تبلج صبح من سناك ومـــا تلألأ النور من شمس ومـن قمر

عبد الله بن محمد الايكدماني الايغشاني

نحـــو ١٣١٠ هـ = حـــي

= ★ =

نسبـــه :

عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن محمد ـ فتحافيهما ـ وينتهـي النسب الىسيد يسمى الحبيب عليه مشهد يزار في القرية

هذاأحد العلماء الافذاذ تحصيلا وورعا وعبادة ومنشئا طيبا مصونا • يذكر منذ صغره بالتصون والعفاف الى الان • وهو يدب الى السبعين • وقد كنتجمعت له ترجمة بقلمي • ثم كتبت اليه ليوافيني بكل ما امكن عن أهله وعننفسه فكان من فضل الله علي ان اعتنى برسالتي فاجاب غاية الجواب • ومما كتبته اليه في اول الرسالة :

سلاما كنفح الورد منخضل الروض	يطيب به جـو السماوات والارض
ارى لك ما بيني وبينك وحدة	صفائية فـاشتنا قبعض الى بعض
فياليت شعرى هل يحم لقينا	وشيكا فيفضي كل قلب بمايفضي
عسى رحمة من فضل ربك ينقضي	بها البين عن صب يكاد به يقضي

فاتاني الجواب هكذا

سلام يجوب الكون طولا على عرض	يقضي تحيات النوافل والـفـرض
على السيد المختار مخـتـار عصره	بما اختار من شان الصيانة للعرض
صدود عزوف عنقذاريفتتقي(١)	يصد ويخشى دائما محن العرض
تملك اشتات المعالي وراثـة	تملك مولى بالعصوبة والفرض
فداه بنو الاداب مما يشينه	وفداهم جما غفيرا بـنــو الارض

سيدي ومــولاي ، وفخار دهري وانس محياي ، أمدك الله بامدادالتوفيق وسلكبنا وبك مسلك أهل التحقيق • وتولى جنابك بحسن عنايته ورعايته • وكفالته وحياطته ، ان كتابك الكريم • وخطابك الشهي السليم • وصلني فجدد الافراح ، وأزاح الاتراح ، واشتمل على مطالب • فلم يسعني الامتثال امره والمسارعة فياثره ، لكن منعني من تلك العجلة ما اوجب بطئا في الجواب • من اعذار يعلمها الكريم الوهاب • منها صداع ملازم يمنعني غالبا من جل اشتغالي

---

١) القذروف كزنبور العيب

فاما وفاة الوالد والجد بالضبط • فالوالد توفى فى ثالث ربيع النبوى عام ١٣٤٣هـ بعدصلاة ظهر ذلك اليوم • وكان يوم الجمعة قيدته فى ذلك العام بيدى

واخبرنى اخى الثقة الفقير احمد أنه مرض قبل ذلك مرضا مخوفا فأوصاه بمافى نفسه • وقال له ارى ان وفاتى فى هذا المرض • فان سنى اليوم على سن والدى • وكان والدى يعنى سيدى عليا عاش اربعاوثمانين عاما• وقد استكملتهااليوم • ثم تأخرت وفاة والدى عن هذا المرض والوصية عاما وافيا • فيكون عمره ٨٥ عاما فاقتضى هذا ان تكون ولادته فى السابع والخمسين بعد المائتين والالف • وكان رحمه الله محبا لتلاوة القرءان يقطع مابين الظهروالاصفرار فى تلاوة القرءان فى المصحف • ويقوم فى الثلث الاخيرمن الليل ، يصلى ويتاوالقرءان ١٠الى ان يصلى الصبح • فان كان له شغل مهم قام اليه • وان لم يكن بقى فى محله الى الضحى • هذه حالته منذ عقلت• وكنت قرأت عليه الحروف والهجاء والاربعة الاحزاب (سبح) وما بعده • ثم ردنى الى امام المسجد سيدى على بن همو المخرج زهاء خمسين كلهم اتقنوا القرءان بقراءة نافع ، فلازمته حتى ختمت سبع ختمات والحمد لله • وكان الوالد رحمه الله سالم الحواس كلها حتى قبض • وكان يصوم مع الوالدة شهرى رجب وشوال حتى قبضا ، وكان باعه فى الفقه اطول منه فى غيره من الفنون، يذكر لى انه حفظ مجموع الشيخ الاميرفى (فم اكشتيم) وترك نسخة منه قررها بيده تقريرا يضاح ، لابحث ولازيادة ولاعزو ، ولاتزال ، ولماكنت فى (تامصلوحت) بالشرط والسكنى ارسل الى مصحفه الذى يقرا فيه مع ذلك الديوان • وسفرا ءاخر مع رسالة يقول فيهاهذه هديتى اليك • وقد رضيت عنك رضى الله عنك حين اشتغلت بتعليم ماعلمك الله • فأوصيك ان لاتترك التعليم ما استطعت ، جعلك الله عينا يستقى بك الخاص والعام • مع وصايا أخرى • فأدهشتنى تلك الوصايا وفزعت الى زيارته فكنت عنده ٢٢ يوما• ففرح بذلك ، ولما خرجت من الدار للسفر الى (تامصلوحت) شيعنى الى خارج البلد وودعنى • وقال أعييت أعييت • وعند الاعياء يقبض الانسان • فلما وصلت (تامصلوحت) وصلنى نعيه ، فرجعت الى بلدى • وكان يقول لى عليك بالفقه ولو رفعت المجرور • فبالفقه يعبد الرحمن ، وبه يعرف الحلال والحرام • وكان يقول لى أوصانى والدى بقوله ان الفواحش ما بينها وبين الانسان الا درجة واحدة • متى رفع رجله اليه لم يبال بعدها بأى عظمة •

واما الجد سيدى على بن محمد ـ فتحا ـ فقد أرخ الوالد موته • فقال توفى والدى السيد على بن محمد وقت الظهر من يوم الجمعة الخامس عشر من ذى الحجة الحرام عام ١٣٠٢ هـ وكانت وفاة الجد وهو يخدم فى أرض له فجاة ، وكان تعتاده ذات الجنب ، وهى السبب فى موته وموت الوالد رحمة

الله عليهما وكان الوالد يقول هـذا المرض هو السبب فى مـوت ابـى ، وفى موت أخى سيدى عبلا بن على • وهو ايضا سببى • فكان الامر كما قال• غير أن والدى بدأ فيه ذلك المغص والانحصار يوم الاربعاء فلم يبل ولم يتنفس الى أن صلى الظهر بايماء • والجد سيدى على رايت له ببلدنا حكمين أبرمهما، أحدهما فى ابطال صدقة بعدم حيازة المتصدق عليه • والثانى فى منع أخى الام من الميراث ، مستدلا فيهما بكلام ابن ابى زيد فى الرسالة • ووثائقهمـا كثيرة جدا فى البلد •

أما الجد سيدى محمد بن محمد ـ فتحا منهما ـ فكان الشيوخ الطاعنون فى السن ببلدنا يذكرون أنه كان يهرب من المكتب • ويوثقه والـده حتى يرده الى الكتاب • فسمع يوما معلم الصبيان • يملى عـلى بعضهم (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) فأوقف ولده وحل الوثاق من يديه • فقال له سر فى حال سبيلك • لا أراك أبدا • وبعد حين جاءه ولده بفلوس • وقال له ما هذا ؟ فقال هذه ستون مثقالا • فقال له والده انك لا تغوينى بستين مثقالا• فلو آتيتنى بستين حزبـا لقبلتها • فذهب عنه فلم يعلم احـد بخبره حتى رجع حافظا للقرآن •

ورايت بخط الجد سيدى محمد بن محمد تقييد موتى الوباءين الاول والثانى على هذه الكيفية فى يوم الاحد مات فلان او فلانة او الفلانى ، ثمفلان ثم فلان ، وفى ليلة الاثنين فلان الفلانى ثم فلانة • الى ءاخر من ماتوا فارخ ابتداءالمرض وفتوره وانقطاعه يوما فيوما فى كاغد كبير • هذا ماحضرنى عنهما والناسيعرفون فخذنا بأولاد سيدى همو من (اكنىايكدمان)• اما ابتداءى أنا الى انتهـاءى فانى تعلمت الهجاء فى حجر والدى ، ثم بعد الاربعـة الاحزاب الاولى دفعنى الى ابن ولد عمى سيدى على بن محمد ـ فتحا ـ بناحمدبنمحمد ـ فتحا ـ التقى معه فى محمد هذا ، وعلمنى القراءة والخط ، واتقنت عليه القرءانبقراءة نافع • ثم دفعنى الوالد الى سيدى العربى الساموكنى • وذلك أولعام ١٣٢٤ هـ فى مدرسة (غشانة) رحمهما الله • فوكلنى الى سيدى محمد ابن على الفقيه الالغى • فاقرانى الاجرومية والجمل والزواوى ولامية الافعـال والمرشد المعين • ثم افتتحت الرسالة فى باب الصيام الى ءاخرها والالفية منأولها الىنون التوكيد عند السيد العربى الاستاذ نفسه • ثم انتقلت الى (أداى) عند العلامة سيدى عبد الله بن محمد الالغى ، فقرأت عليه المختصرمن أوله الىالزكاة مع حفظ أوله الى فرائض الصلاة • ومقصورة ابن دريد تفهما وحفظا • والفية الجيانى ، من النائب عن الفاعل الى التوكيد • والثلاث المقامات الاولىمع الخطبة ، وفارقته من غير وداع لامر اقتفى ذلك • ثم لقينى بعد عام فىموسم سيدى احمد بن موسى فرحب بى ، ودعالى ، وسامحنى ونصحنى وودعنىلله بعدما سألنى عن حالى فاخبرته بانى عند سيدى عبلا بـن أحمد

السملالى فى (ميرغت) نعم كنت فى (ميرغت) عند هذا السيد ، وقرات ارجوزة الزواوى ومبنيات ابارغ والالفية ، والرسالة ، ولامية الافعال ، والمختصر الى الانكحة • وبعض الميراث ، وبعض الحساب ، وقرأت عليه بردة المديح مع الهمزية •

ثم انتقلت عنه الى سيدى مزال بن هارون فى (ايت ايلوكان) عند سيدى على بن‌عبدالله الكوسالى تلميذ سيدى محمد بن عبو ، فقرأت عليه جل‌المختصر من‌الجمعة الى السلم والبردة والهمزية والالفية كلها ، وبعض السلم، وبعض ارجوزة ابن‌عاصم • ثم انتقلت عنه بعد رجوع مولاى احمد الهيبة من مراكش الى (تاكوشت) وفيها العلامة أبو العباس الاقاريفى • فلما دخلت على استاذها الكبير ومدرسها الشهير • وجدته اوحد زمانه حفظا وحلما وزهدا وعزما ولطفا بالمتعلمين ، وصبرا على‌مكابدة التعليم وتجملا لجفاء الخلق • كان يجلس فى مصلاة الغداة الى طلوع الشمس • فيدخل لمجلس التدريس • فيدور عليه ١١ أو ١٢ درسا اولها التفسير وءاخرها جمع الجوامع مع الاصفرار

ولما دخلت عليه نظر الى نظرة اختطفت لبى • واثرت الهيبة فى قلبى فلايزايلنى بعدذلك جلاله • ولايغيب عنى جماله • فسألنى عـن مرادى • فذكرت القراءة • ثم سألنى عن اسمى وبلدى فشرحت له ذلك • وعن سابق قراءتى فاعامته • فقال لا يليق بك الا الثبـات والرسوخ • ان اردت لنفسك النجاح • فكنت عنده ثلاث سنين • وختمت عنده الالفية مرتين • والمختصر الى الاجازة• والمقامات والمرشد المعين • ولامية الافعال ، وبانت سعاد والدالية لليوسى ولامية ابن‌الوردى والميراث والحساب ، والحمدونية فى العروض والقوافى ، والسلم ، والتلخيص الى الحقيقة والمجاز • والتسهيل الى الموصول والبردة والهمزية ومقصورة ابن دريد وارجوزة ابن‌كيران فى المجاز والاستعارات وفى العام الثالث فضلت له ساعة يفرغ فيها قبل الظهر فى الايام الطوال فأمرنى أن أتعلم عليه سرد الحديث لاتمرن عليه ، فسردت عليه ربع البخارى فى نحو شهرين ، فدار الزمان متنكرا واصبح كل ما من معنا لشانـه متفكرا واستولى المحل على‌البلاد ، ونفد النشب والتلاد • فراودت الشيخ على تزويدى بالدعاء ، فتثاقل اياما حتى قلت له انى ساخرج بلا وداع ، فودعنى فخرجنا من‌عنده ونحن اربعة نحمل زادنا على عواتقنا الى مراكش • ولانجد ماناكل من غيرزادنا • وقد أخذنا رسالة الى سيدى محمد بن الحاج الافرانى وهو اذذاك فقيه الشيخ التيبيوتى فرحب بنا وأدخلنا الى محله وسقانا الاتاى‌وحده وقال ان‌الشيخ لايطعم‌الطعام • ولانزيد على شرح تلك الازمة التى ازعجتنا ونحتناعن ذلك الشيخ ، ونلقى الرفاق يكتالون من مراكش ، لاينقطع الطريق من الصباح‌الى المساء ، وكنا نسألهم عن سوم الشعير • فيقولون مائة مثقال• فلما دخلنا مراكش وجدنا الشعير انتقل الى مائتى مثقال للخروبة المراكشية

ولمادخلنا مراكش كنت في دكان التجارة اشهرا • ثم بدالي فدخلت المدرسة اليوسفية • فوجدت الطلبة اذ ذاك أقل من خمسين • والخبزة سبعون خبزة • فقرأت على سيدى أبي شعيب الشاوى الالفية من المفعول المطلق الى أفعل التفضيل والمختصر من الزكاة الى الجهاد • وعلى سيدى احمد بن المحجوب بعض الخلاصة ، فعدا على افلاسي • وقلة المواسي • فخرجت الى دكالة في بلد بني يخلف ، فشارطت على اولاد الفقيه ابن الصحراوى بـ ١٦ ريالة حسنية اقرىء القرءان لثلاثة اولاد لهم • فوجدت طلبة دكالة يحفظون المختصر ، ويقرءونه كما نقرأ سور القرءان ، فتصاغرت الى نفسي كيف لا احفظ مثل حفظ هؤلاء ، فكنت آخذ النسخة المطبوعة الفاسية فأقرأ فيهاوجها وجها ، حتى أحفظه في يوم او يومين ، فلم يدر على الحول حتى حفظت نصف المختصر ، واقرأه ليلا ونهارا • وحين خروجي للرياضة خارج المسجد • فلما اتممت العام ، ودعت اولئك الناس • ورجعت لصلة رحمي في البلد • لانني اشتاق الى أهلي • فلما وصلت ذلك الشيخ الصوابي • وكان في (تاهالا) في طريقي الى دارى ، دخلت عليه فرحب بي وفرح وقال (وحبيب آتي بلا ميعاد) وبت عنده ، فلما أصبحت ودعني الى دارى ، وقال لاتبق في الدار ازيد من أسبوع وجيء لقراءتك • فامتثلت ورجعت اليه • فوجدتهم في باب الاجارة من المختصر ، وبقيت حتى ختمناه • ومع ذلك الخلاصة والمقامات والجوهر المكنون والحمدونية في العروض والقوافي ، ولامية سيدى احمد بن سليمان الرسموكي في العروض والحكم لابن عطاء الله والتفسير • ولما دخل رمضان ولم يكن عنده من يرضاه لسرد الحديث ترك تلك الانصبة كلها واقبل على بكليته يمرنني على الحديث فقرأت عليه البخارى ومسلما والموطا بالتمام • ولايكلم أحدا ، ولايجيب سائلا • ولايذكر وردا فيما أعلم • الا ان يكون وقت نومي واذا سألته عن معنى لفظة فسرها بكلمة او كلمتين • وهكذا حتى فرغ رمضان • ونحن على تلك الحال • وأهل (تاهالا) وغيرهم يهابونه ، ولا يجرؤون على مراجعته اذا رأوه مقبلا على ثم بعد سابع العيد عيد رمضان رجعت الى تلك (المدرسة) فتذللت الشيخ وشكوت اليه خصاصتي وقلة ذات يدى • ليسرحني الى مراكش • فكان لايجيبني بشيء ، وفي كل يوم ادخل عليه فاسأل منه الدعاء فيمد لي نسخة الشفاء وياخذ في يده شرحا للشفاء الفه بعض العلماء الجشتيميين • بخط متين صحيح ، ويقول اقرأ حتى اكملناها فدعالي • ولما قبلت يده مودعا • قال لي ياهذا انماأرسلتك للقراءة • فلاتحدث نفسك بغيرها ماحييت ، فدخلت مراكش ووجدت الفقيه السيد المدني الاكلاوى مضى على موته شهر او شهران ، فبقيت في مراكش ادور نحو شهر ، ثم دخلت المدرسة اليوسفية ثانيا ، بنية الاستقرار أيضا للاخذ فقرأت على المرحوم بالله سيدى الحاج العربي الرحماني المختصر من الجهاد الى البيوع • وكنت أجلس وراء الصف لان الصف استدار وانغلق قبل التحاقي به (والعادة ان كل من

سبق الى محل من أول يوم فانه يستحقه دائما) فاعجبني تحقيقه وايضاحه ٠ وقلت فيه أبياتا ذهبت عن حفظي ٠ الا نحو ٥ ستاتي فمكنتها له ٠ فلما اصبح في الغد ورجع الى مجلسه ، وجدني في محل وراء الصف ٠ وكان جل اهل الصف مراكشيين ، فقال لهم وسعوا للفقيه السوسي وعظموه ، فانه فقيه مشارك وكان دائما يلحظني بعدها ٠ ولم يكن في الصف من يكلمه الا انا وذات يوم ونحن في الانكحة سمعته يقول مرارا صدقات بفتح الدال وانا الاأملك ولو المصباح فضلا عن غيره ٠ فقلت له نعم ياسيدي (وءاتوا النساء صدقاتهن نحلة) فضحك الي وقال الله يرضى عنك يا فقيه ، قال في القاموس صداق كسماء وصداق ككتاب وصداق كغراب وصدق كفلس وصدقة كسجدة ، وصدقة كقصبة فعلى هذا قل صدقات ولا عليك ٠ وفي يوم اخر اكثر يكرر كسوة بالضم فقلت (وكسوتهم) بالكسر في القرءان فقال نص في القاموس على ان الكسوة بالضم والكسر مايلبس فعلى هذا الضم هو الافصح (أقول ان مثل الحظوة يجوز فيه تثليث الفاء) وقرأت على الفقيه ابن الحسن الصغير الدباغ متن جوهرة اللقاني ٠ في التوحيد وعلى سيدي الحاج احمد الزعراوي منظومة السلم في المنطق ٠ وعلى مولاي احمد العلمي جمع الجوامع الى الكتاب الرابع منه غير أنه فاتني شيء قليل من اوله ٠ وقرات التلخيص الى (الفصل والوصل) على الفقيه ابن الحسن الكبير وهو القاضي ٠ امشي الى المسجد في (أزبزض) قرب داره فيخرج الينا ونحن خمسة ٠ وعلى الموقت موقت ضريح الشيخ سيدي ابي العباس الفقيه ابن شقرون منظومة المقنع مع جل (روضة الازهار) وقليلا من رسالة المارديني في التوقيت ٠ ولم استكمل العام في المدرسة ٠ فخرجت الى بلد (مسفيوة) فشارطت في مسجد يسمى مدشرة (اغريس) فاقمت فيه عاما ثم دخلت مراكش ٠ فتزوجت فكنت اخيط الكتان ٠ وبعد حين ورد علي كتاب من الشيخ الصوابي يوصيني ان لااتزوج الا بعد مشاورة الوالدين ٠ لينجح الارب ، ولم اكن أرسل اليه ولا الى الوالدين لاستيلاء الغفلة علي ، ثم بعده وصلني خبر الوالد ٠ وقد اخبر خبري يزجرني على تركي للتعليم ٠ ففي اليوم الذي قبضت فيه رسالة الوالد ذهبت الى القاضي مولاي احمد السوسي مخاطبا له شعرا لم يبق في خاطري منه شيء ٠ وضمنت تلك الرقعة سؤاله ان يوجهني الى مدرسة (تامصلوحت) فلما قراها ضحك حتى سالت دموعه وحمد الله وقال أتدري مم ضحكي ؟ انما هو من شانك وشان أهل (تامصلوحت) ٠ فهذه ستة اشهر وهم يطالبونني بطالب يعمر مدرسة مولاي عبلا بن حسين ، فلم اجد من يوافقهم ، فالان أنت توافقهم ٠ لانهم سماويون وانت ارضي وكتب لي اليهم ٠ فلما وصلت مدرستهم استعجلوني للقراءة ولم يمهلوني ولو ليلة واحدة وأرى ذلك لخبث نية فيهم ٠ فشرعت في القراءة تلك الليلة الاولى بعد قراءة حزب المغرب ٠ وغالب الحاضرين أميون ، فذكرت أحكام البسملة بعضها وبعض فضائلها ٠ وما قيل من أنها من الفاتحة ومن كل سورة الى ءاخر مايقال

عادة فى ذلك ثم لما ختمنا المجلس نادى اولئك الشيوخ الاميون الله يرحم من أقرأك ، فاستبشر الشرفاء يقولون كذا من فقيه أقرأ فى هذا المجلس ولم يكن فيهم من ذكر البسملة ، ولا بعض مافيها ٠ ثم لما وصلنا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض فضائل اهل البيت ، فامتلأ اولئك الملأ الشرفاء سرورا ٠ وكادوا يطيرون حبورا ٠ فقرأنا عندهم ابن عاشر ولما دخل ربيع النبوى شرعنا نشرح الهمزية ، ولايحضرنى فيها الا ماطالعت فى شرح بنيس فلما كنافى محفل التعييد فى بعض الدور ٠ تكلم طالب من وسط الناس وقال يحق عليك ان تكمل الهمزية على هذا الشرح ، فان حد سماعنا منها فى كل عام (واذا سخر الالاه اناسا) ففعلت واتممناها بفضل الله (اذا أراد ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك) ثم أتممنا المرشد المعين ، وشرعنا فى رسالة القيروانى نقرأ فيهاماتيسر ، ثم مع تمام السنة وصلنى رجال من غسانة برسالة من الوالد مع الديوان اليوسفى (١) ٠ وسفر اخر ومصحفه الذى فيه القرءان وفى الرسالة التى أرسلها وصايا افزعتنى وازعجتنى الى زيارته منها انه قال فيها أوصيك متى توفانى الله فلاتبع شيئا مما اورثك الله منى ٠ ولاتهبه ولا تتصدق به ، ولاتفوته بوجه من التفويت ، فتكون من العاقين ٠ وقد ورد ان العاق لايراح ريح الجنة ٠ وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام ٠ فانزعجت فاسترضيت امين المدرسة القائم بها ، ليوافق على صلة الرحم فرضى فذهبت فوجدت الوالد بخير ٠ وكنت عنده ازيد من ٢٠ يوما ، فسالته ان يودعنى فشيعنى الى خارج البلد ٠ وقال أعييت أعييت وعند الاعياء يقبض الانسان فلما وصلت (تامصلوحت) وصلنى نعيه ٠ فكررت راجعا ٠ وسرحت تلك المرأة وكان لى معها ولد وبنت استاثر الله بهما ٠ فاقمت فى البلدة كأنى فيها غريب لولا ان الوالدة رحمها الله تونسنى وتمنينى وقد اقمت فيها سنة ٠ وبعدها ، وكنت فى مسجد ٥ سنين اعلم الصبيان وفى تلك السنين لااكتب لاحد وثيقة الرهن ، ولابيع أوراق البنك بالنسيئة ، فقضى لى ان خرجت من ذلك المسجد ، ولازمت دارى لااجد شرطا يوافقنى ، لان الناس لايقبلون طالبا يتمنع من كتب مايريدون فبقيت فى دارى نحو عام ٠ ثم أرسل الى الشيخ الصوابى فوصلته فراودنى ان أقيم عنده ، حتى ياتى الله بما يرضى لنا من شرط بعض المساجد او المدارس ٠ فاقمت عنده عاما ءاكل واشرب ٠ واكرر للطلبة دروسهم فقرات عليه تحفة ابن عاصم والمنهج ، وتكميل المنهج ولمادار رمضان قطع الانصبة كما هو عادته ، فاقبل بى على سرد الحديث (البخارى) نهارا و(الموطا) ليلا ٠ حين نشرب الاتاى ٠ ففرغنا منهما لعشرين ليلة ٠ ثم شرعنا فى (مسلم) ففرغنا منه وأتبعناه بـ (الشفاء) واتممناه فى ليلة العيد ٠

---

١) يعنى ديوان ابن الاحمر المطبوع اخيرا فى تطوان فمن عند هذا الاستاذ اكتشف

واعطاني قميصه الذي يلبسه ، وقال هكذا فعل بي سيدي الحاج احمد الجشتيمي ولما خرج رمضان والعواشر أتاه كتاب من فقيه (مدرسة ابي مروان) سيدي محمد كودرار يطلب منه ان يوجهني اليه فاراني الكتاب وقال أرى ان تصبر حتى تكون مدرسة تستقل فيها بنفسك ، ولاارى لك ان تكون تحت يد الغير فأجبته بأن كوني تحت يد الغير احب الى من الاستبداد لاني لاأعرف مكايد العوام • ولاأقوى على مداراتهم فضحك وقال نعم هذا السيد يكفيك كل عناء دنيوي • وأنت أقبل على التعليم ، فلما دخلت المدرسة (المروانية) وجدتها لايقام فيها الصف • ولايتلى فيها الحزب الا في المغرب • فكنت فيها ٢٤ عاما والحمدلله على ستره الجميل وفضله الشامل • ولما رجعنا من ملاقاة مولانا الملك نصره الله بدا لي أن أبقى في داري • فلم يتفق لي • ولم يرد الله ذلك ، فشارطت في (مدرسة ايغشان) الان

هذا منتهى ترجمتي ، اما اجازات الاشياخ فلم اتحل منها بحلية • ولا كانت نفسي قط تتوق الى تلك المنية وما كنت ارفع رأسا ان أكون عالما ولافقيها ولامدرسا ، ولشأن نفسي اصغر عندي من ذلك • ولولا الالتجاء مادرست درسا واحدا • ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا • ومن أدرك وعرف اولئك العلماء لايحدث نفسه ان يلتحق بنجوم السماء • ولما كنت في المدرسة المروانية كنت احمل الطلبة على سرد البخاري واكماله في رمضان ، فكل من سمع بنا يطعن فينا • ويقول لافائدة في هذا السرد • وينهى الى الطلبة مقالات اولئك الطاعنين • فأتاح الله الى طالبا سملاليا يجول • وفي يده رحلة ابن بطوطة ، ولم أرها قبل ذلك • فأخذت الكتاب وفتحته • فنظرت في وسطه ترجمة جامع دمشق أوغيره من الجوامع، يقول مؤلف الرحلة قرأت صحيح البخاري كله على شيخ ذلك الجامع في أربعة عشر مجلسا ، فحمدت الله وترحمت على ذلك الشيخ وعلى شيخي الصوابي ، وكلما دخلت على شيخي الصوابي للزيارة يسألني عن قراءتنا فاشرح قضيتها وكثيرا مايقول لي

قليل منك يكفيني ولكن ... قليلك لايقال له قليل

أما شعري فما كنت أبيض له أبدا • وما أراه الا نفثات مصدور ، غير أنه علق بقلبي منه أبيات في أول قصيدة قلتها في مراكش مدحا للسيد الحاج محمد النظيفي رحمه الله

الاطف بكعبة المعالي وسلم ... وركن الهدى جزما هنالك يمم
واحرم بميقات الفنا واخلع المرا ... فليس سوى الاخلاص يرضى لمحرم
وقف بعد ذاك للوداع وغلسن ... ركاب المنى نحوا لمنار المعظم
امام له في المكرمات معالم ... متى ما يسمها الوهم يخسأ ويسأم
معالم لو تكسى النجوم سناءها ... لما اعتاد نهج الغي راى منجم
ولو نال من ذاك السنا مااختفى السها ... أو البدر لم يمنح محاقا ويغمم

فذلك مولانا النظيفى من له ... براهين مجد افحمت كل مخصم

ومنها

سل الخافقين ان نبا عن كماله ... بنات الدجى فالحق ابلج مبهم

اذا نكبة جنت جلاها بهمة ... كما كشف الاصباح اذيال مظلم

ومما علق بخاطرى مما قلت فى السيد الحاج العربى الرحمانى

روح المشوق برا ح الشوق سكران ... والقلب مهما صحا فالوجد ندمان

مازال يسقى رحيق الشوق وهو على ... مافيه من شغف ريان ظمئان

الى ان قلت

ابو المواهب للرحمان نسبته ... فى رمزها للعلا قد قام برهان

وبعد أبيات

يارب حورا عن الافكار تحجبها ... من الخفاء جلا بيت وتيجان

سما اليها وسامها ممنعة ... كشف الحجاب واضنى القوم هجران

خاتمتها

تذاد عن سوحك الاتراح دائرة ... عليك من قهوة الافراح كيزان

وهى تنيف على العشرين بيتا

ولما أتممنا عنده الربع الثانى من المختصر استدعى الطلبة لمحله ليكرمهم ونهاهم أن يتكلفوا شيئا قلت ٨ أبيات أولها :

اليك تناهى المجد وانتسب الفخر ... وفيك انطوت كل المئاثر يابدر

وفيك معان لايكاد لوصفها ... اذا لم ينل من سرها يهتدى الفكر

الى ان قلت

كفاك من العلياء اثواب سودد ... سما بك منها بعد طيتها النشر

وكنت خاطبت شيخى الصوابى بأربعة أبيات نسيتها فاملى على خمسة تلقيتها هذا مابقى فى حفظى منها .

طائر اليمن عن دوام السجال ... دمت فى نعمة بحسن المئال

نجم سعدك طالع فى بروج ... من كمال مشيدة بمعال

صانه الله من محاق ومحو ... لنمو الى بلوغ كمال

وزارنى فى المدرسة (المروانية) سيدى عبد الله بن مسعود التيبيوتى الالغى فخاطبنى بهؤلاء الابيات

على السيد الفقيه نجل محمد ... حبيب قلوب الناس ازكى سلام

وبعد فاني ذو اشتياق اليكم فزرناكم رضا بحكم غرام
أيا سيدا قد حاز علما وسوددا وجودا ومجدا ثم عز تمام
ادامكم الرحمان ياخير سيد دوام الحيا في طي كل غمام
بجاه رسول الله افضل مرسل الى الناس طرا كان خير ختام

وكتبت الى طلبة (تارسواط) الذين يقرءون بفاس أيقاظا لهممهم وتفريجا لغممهم وذلك اثناء الحرب الكبرى الثانية

سلام كريم كوصل الحبيب بعيد الصدود لمضنى كئيب
على سادة شاوهم في العلا يقصر دونه هم الاريب
سما بهم المجد فوق السها وساموا الفخار برأى مصيب
أهانوا النفوس لحفظ الطرو س بين الدروس لمعنى عجيب
وعافوا الرقاد وعانوا السها د لغنم الرشاد ونعم النصيب
وطاروا اشتياقا فطابوا اعتناقا لحور المعانى برغم الرقيب
أجابوا ارتياحا نداء الهدى على حين نادى فقل المجيب
هم السادة الغر في قطرنا فحسبك من كل خرق حسيب
بنوا لشم من كل محتسب وكل عفيف عيوف نسيب
بدور الدجا وشموس الهدى خلوف بفاس حموا من مغيب

وكنا يوما مع طلبة العلم من سملالة في مجمع ، فاقترحوا ان يقول كل على قدر وسعه في ذلك ، ونحن في دار الشيخ رشيد العروسى • فتهيأ لى ان قلت:

طوبى لهم خلع الكمال جماله عفوا عليهم والجمال كماله
خلعوا الخلاعة ماارتضوها حلية وكساهم الدين المتين جلاله
ضحك الزمان اليهم فترشفوا لاغاض من صفو الهناء زلاله
طوبى لهم ءال الرشد حباهم خلق الرشيد طباعه وخلاله
ماشيئت من بشر يروقومن ندى ينسيك شهرة حاتم ونواله
وعفاف نفس للفضائل انشئت ووقار حلم لايزايل حاله
ومناقب أرغمن كل معاند اذ فاتهم من حرها ما ناله

وكتبت في صدر رسالة لبعض طلبة أملن وهو الاديب محمد بن اسحق:

كتاب سلام الحب جاءت به الرسل فحيا واحيا ما أتتنا به الرسل
كتاب حوى معنى البلاغة والهوى على حال ذانتنا المودة والفضل
لئن كان سلوان فللهجر والنوى فبعد انصرام الهجر لاكان من يسلو
أ أسلو ومن أهوى من الناس فضله صحيح فلا يعروه قطع ولاعضل
همام على هام الكواكب رفعة على الطوع للعليا منازله تعلو
لئن كان من اسحق وهو محمد فقد طاب من ذا الفضل ذيالك الاصل

وكتب الى بعض تلامذتى ابياتا لم تبق في يدى ولاحفظى ، يستعير منى

(ريحانة الالباء) فجاد الخاطر الكليل بما هذا نصه

وافت تناغي نجيا بالتحيات واصفت الود من تلك الاشارات
ناشئة انشئت من فكرة جمعت ءاى النجاح فكانت خير ءايات
أراحت الفكر من هم ومن كدر اهلا بها انها احدى المريحات
وافت تحاول فى دل وفى خفر ريحانة سحرها اشهى مناجاة
حقت شفاعتها لاخاب ذو ادب مستنجع اربا يوما بابيات

وانشأت لمن استعار منى سفرا من الد سوقى

يا نخبة الاخوان والا بناء من ابنا الزمان
أنت المجلى والمفـ ـدى بين فرسان الرهان
هاك الكتاب فوازن الا فكار فيه مع الجنان
نعم الكتاب لمن يغو ص على جواهره الحسان
ابدا يريك محاسنا حتى تشاهد بالعيان

ولما رجع مولانا الملك من غيبته قلت بالفرح قصيدة فى مدحه ، فلما رايت قصائد أدبائنا وأحبتنا استبردت قصيدتى فلم أرها لاحد ، حتى خطر سيدى عبلا الكرسيفى لزيارتى في المدرسة (المروانية) فتذاكرنا قصائد مدح سيدنا ومولانا الملك فاريته تلك القصيدة المخبوءة المضنون بها• لعطلها من حلى البيان فلما قرأتها عليه ، قال لى لم يمدح سيدنا بمثل هذه الا ماكان من قصيدةسيدى محمدالكثيرى • فهى اعلى • واخذها منى واخرجها للطلبة فنسخوها ، ولولا ذلكلاستولى عليها الضياع ، وهى

ابى الله والاسلام الا محمدا ابى الحق الاذا الحسام المهندا
أبى الدهر اذعانا لاى كريمة فلما استوى المولى عنا وتقيدا
أبى الدين والدنيا امانة مفرد سوى من تحلى بالكمالات مفردا
أمام له فى المكرمات معالم متى ما يسمها الفكر يوما تبلدا
امام على هام الزمان جلاله وهمته من دونها الشهب مرصدا
امام أرى شمل الفضائل والهنا به انضم والبين المبين تبددا
أمين به جور الزمان مقلص كما العدل والاقبال حقا تجددا
أمين على دين الهدى فحياتنا نرىخيرها فى ضمن ماقدتعمدا
أمينعلى الدنيا فلا دردر من طوى دونه كشحا واب ليحمدا
شهوده يمن والمغيب نباهة اجل أنه الميمون غيبا وشهدا
يرينا يقينا من شمائل جده وفاء واقداما وحلما وسؤددا
تبدد ديجور الخطوب برأيه كديجور ليل بالنهار تبددا
وعلما يرينا الحق حقا وعزة سرت فى نفوسالمخلصين توددا
اولئك حزب الله لاريب انهم أهانوا نفوسا كىيعزذو والهدى

اثيبوا بما قالوا سنا وسعادة		وفازوا برضوان المهيمن سرمدا
وخلقا كما ماس النسيم لطافة		وصفحا يناغى المجرم المتمردا
وعدلا به تهوى النفوس حياتها		وجود ايريك البحر كفه مزيدا
الى غير هذا من خصائص لم تزل		تراغم أنف من تمارى والحسدا
امام هو الغيث العميم فان يكن		كفور يكن اعمى البصيرة ارمدا
اذا ماجرى ذكر الملوك تضاءلت		لمقداره اقدارهم فتوحدا
وان ذكروا الاحساب للفخر بذهم		باحساب انساب بها قد تفردا
رأيت ابن يوسف الكريم ثناؤه		على صفحة الايام يتلى مخلدا
كداب الالى سادوا وشادوا فاصبحوا		على الجيد جيد الدهر عقدا منضدا
بني يوسف الغيث المريع فيوسف ال		كريم أبو الابطال ذو الحلم والجدى
ومن قبلهم من كل اروع همه ال		معالى متى ما فوق السهم اقصدا

شموس الهدى أهل الندى غصص العدا
سهام الردى ، فى نحر من جار واعتدا

واشبال مولانا الميامين بوركوا		مظاهر أسرار الجدود ولا ددا
وقاية ربى لاتزال دروعهم		اذا أدرع الاعدا الحديد المسردا
يبارى جميل الذكر طيب ثنائهم		مباراة انفاس الرياض الى مدى

انتهى ما أسارته خلس النسيان ، واغفلته فرص الاحيان ، على انى لم أكن من المكثرين فى هذا الشأن • ولو جمعت منه انفاسى ، لم تبلغ ثلاثمائة بيت• وكيف والدواعى اليه اغراض لاتقوم بنفسها • واشكاله العقيمة لاتفى بنفسها وما أصدق قول المعرى فى خطبته فى سقط الزند (رغبة عن متاع معظم جيده كذب وصادقه ردىء) ومن رجوعى من مراكش الى بلدى بقيت أزيد من سبعة أعوام لم يتهيأ لى ان أقول بيتا واحدا لغلبة الكدر على القلوب

محن الزمان كثيرة لاتنقضى		وسروره ياتيك كالاعياد

وءاخر ما قلت فى هذه الثلاث سنين

أهل الهدى دين الهدى مهجور		ماذا السكوت وذو الهدى مأجور
أيحل ام يحلو السكوت وديننا		دين النبى محارب موتور
لعبت به الغوغاء دون مدافع		انى الدفاع وهم هم الجمهور
شردوا على الدين القويم وشردوا		بغيا وعدوا خزيهم منشور

أما نسبى فهذا ماوجدته مفرقا فى نحو ١٥ لوحا امثال الاكف تكتب فيها ولادات الذكور فقط • وأما الاناث فكانوا لا يرفعون أنسابهن • وانما يكتبون يوم الولادة مؤرخا فحسب ، والصبيان الذكور يرفعونهم الى عبد المومن ابن موسى فهو

(عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن عبدالله بن محمد ابن أحمد بن أيوب بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مالك بن حبيب بن محمد ابن اسحاق بن عمر بن عبدالمومن بن موسى الهوتي الفشاني)

ثم أن أيوب بن عبدالرحمن ترجم له الحضيكي وذكر انه من فقراء سيدى أحمد بن موسى ، وأنه تزوج بنت سيدى أحمد بن موسى • وأما حبيب بن محمد فقبره عندنا في القرية مشهور ، يزار ويذبح فيه ذبيحة • ويعمل عليه ذلك المعروف المشهور في بلدنا ، وهذا مبلغ علمي في هذا ، واعذرني ياأخي في ابطاء بالجواب فاني انتظر من يوصل الامانة كما ينبغي

تذيل

قرأت ماكتب الاستاذ عن نفسه وعن أهله • وازيد أنا على ذلك انوالده كان مشهورا بالبركة ويقصد بالتطبب الروحاني • فيكتب التمائم ويرقي• فياتي الله بالشفاء على يده ويلقب بالاخفش • لضعف من عينيه • وله من الاملاك مايتعيش به • وقد يلاقي من الناس مالا يوافق حالته • فقد حدث بعضهم انه وجده محصورا في بيت عند الرئيس الحاج ابراهيم الايغشاني فقال له • انظر هذا الرجل لماذا حصرني هنا • وأي جريمة اقترفت • فقال له الرئيس لاذنب الا أنه انقطع احسانه الي • فقال سيدى محمد بن علي • الامر اذذاك سهل • فوعد بخير فاطلقه ، وقد شاركت الاسرة في الحرب التى دارت في القرية يوم حوصر هناك الحاج ابراهيم • كما بينا ذلك في ترجمة هذا

ومما يتعلق بسيدى عبد الله ان الاستاذ سيدى علي بن همو ضربه مرة بمغرف الحديد الذى يغرف به ماء الوضوء من المسجد ، فجرحه جرحا بليغا• فقامت أمه وقعدت • فقام أبوه الى الاستاذ ، فقال له وهو يلومه انما نريد الولد للحياة لاللقتل • والا فما فائدة معاناة حفظه للقرءان ، ومما يتعلق به انه لماضاق به الفقر في مراكش ، نوى ان يسافر الى فرنسة كعامل، فصادف صالحا فرجع عن السفر ببركة كلام سمعه منه عن نيته • وكان يلازم الصلاة في زاوية النظيفي دائما واتخذ له الة للخياطة أمام الزاوية • فكنت اقعد اليه هناك في بعض العشايا وكان شابا مصونا عفيفا ، لطيف المعاشرة تلاء لكتاب الله صواما متهجدا خاشعا • وقد شارط في (تاوييت) السفلي • وفي (أسيف مقورن) فاثر هناك كثيرا في بدنه • وكان دخوله في (بومروان) نحو ١٣٥٠هـ فأصبح هناك في تفريط حتى كان الجوع يوثر فيه ، فهم بمفارقة المدرسة • ولكن الرئيس الرشيد العروسي عرف ذلك ، فتحيل له باعانة سرية دائمة من المدرسة على حدة • وقد قام بالتدريس نحو ١٥ سنة تحت يد (كدرار) وفي نحو ١٣٦٥هـ استقل بالمدرسة ، فاستعان حينا بالاستاذ الحسن الكوسالي

ثم بالاستاذ ابراهيم التملى من (ايت امزيل) من نجباء تلاميذه • وهو الذى خلفه فى المدرسة يوم غادرها ١٣٧٧هـ

والاستاذ المترجم قائم بالمدرسة (الايغشمانية) من ١٣٧٨ هـ الى الآن ١٣٨٠ هـ

تلاميذه

١) سيدى عبد الله بن عبد الرحمان الكرسيفى المتخرج من فاس والاستاذ فى المعهد
٢) سيدى ابراهيم بن محمد الامزيلى التملى مدرس بومروان بعد استاذه
٣) سيدى محمد بن محمد الرسموكى لايزال حيا
٤) سيدى احمد بن على بن همو الايكدمانى • وهو الان فى مسجد (ايمور)
٥) سيدى محمد ـ فتحا ـ بن احمد السملالى كاتب الضبط فى (تانالت)
٦) مبارك بن أحمد الوفقاوى الموجود الان فى المحكمة الشرعية فى أملـن
٧) سيدى محمد بن صالح الزعنونى لايزال حيا الان
٨) سيدى محمد ابيضار المجاطى الموسوى • لايزال حيا
٩) سيدى يحيا الرسموكى المشارط الان فى المدرسة (المولودية)الرسموكية
١٠) سيدى بلقاسم التارسواطى المتوفى فى فاس ١٣٦٦هـ وهو مجاور لاتمام قراءته
١١) سيدى احمد بن الحاج المحفوظ الاهمدينى المتخرج من فاس ١٣٧٨هـ
١٢) سيدى ابراهيم بن الحسن الاخصاصى • المتحول الى التجارة
١٣) سيدى محمد بن على البعقيلى الايغير موسى المتوفى ١٣٧٧هـ



الشيـخ

سيدى علي بن يونس الانامري

من أوائل القرن التاسع

= ★ =

نسبـه

علي بن يونس بن عبد الله بن مبارك بن محمد بن مبارك بن علي بن زيان بن عبد الله بن محمد الشيخ الشبكي ، بن علي الشبالي بن يعلى بن عمر بن بورش ، بن لويا بن يعزب ، بن ايلا ، بن عفير ؛ بن حسن بن عباس ؛ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب •

هذا هو النسب الذي وجدته في يد بعض أولاده، ووجدت معه في الورقة التي أرانيها : ان الحضيكي ، قال فيه : رجل صالح فاضل مفضل ومات رحمه الله في (أكني ايكلمان) ، وترك أولاده في موضع (أنامر) ، هذا ما نقلته عن ورقة ذلك الانسان ، وهي ورقة حديثة الكتابة ، مملوءة بالتصحيف والتحريف ، فنقلنا ما كان كما وجدناه •

هذا الاسم علي بن يونس ينطق به بعض الناس هكذا ، وبعضهم ذكر - وهو أحد طلبة ايغشان من أولاده - أنه علي أبو يونس ، ولا استحضر الآن ما هو الاصح •

صاحب الترجمة ممن نسجت حوله حكاية طويلة ، اتخذها الشعراء الشلحيون مسرحا لملحمة معجبة ، وملخصها

ان أصل علي بن يونس من (تامدولت) بأقا ، وأنه كان عابدا صالحا مسكينا ، له بستان يأوى اليه ، وليس له من الاولاد الا بنات ، كن يختلفن اليه بغدائه وعشائه وكان أهل (تامدولت) اذذاك قد عتوا وطغوا وتجبروا ومدوا أيديهم الى الضعفة • وكان علي بن يونس منهم ، فكان شبانهم المماريح المفاكيه الذين يسدرون بعد في غلواء الشبيبة ، يجلسون في باب المدينة الخارجي فكانت بنات هذا السيد كلما مررن بالباب ، يتطلبون منهن ان يقفن وان يحططن مايحملن ، فيظللن في رقص أمامهم ، حتى يتمتعوا كما يريدون، ثم يذهبن وفي يوم أبين ذلك واستنكفن • فأبوا كذلك ان يتركوهن ليذهبن بالطعام الى ابيهن ، فكلما اتت واحدة منهن بطعام اكلوه ، وفي مرة ملات احداهن قفتها بنخالة ، فخبات بينها خبزة • فلما أطلوا في القفة ، ولم يروا الا النخالة تركوها فدخلت على أبيها في البستان ، فقال لها : مالكن يابنات تركتن والدكن يطويه

السفب وينشره ، ثم اطل على القفة ، فقال أواه • أوانا يابنيتى كلب حتى يوتى لى بنخالة ؟ فقصت عليه القصة ، وهى تستخرج له الخبزة فاجفل من ذلك الهوان ، فقام فى الحين ، فذهب الى قائد مشهور فى ذلك العصر ، يسمى محمدبن حموالمنصاكى وقريته التى يسكنها فى (ادبنران) بمجاط لاتزال معروفة الى الان ، ويقال أنه من الحربيليين الذين عمروا (تيزلمى) قبل المجاطيين هؤلاء ، قالوا فوصل داره ، فصادف عنده عقيقة • وهو يطعم الناس واخيرانادى مناديه هل هناك من بقى بلا أكل ؟ فخرجت خادم له ، فرأت رجلاممتدا فى منحدر أمام الدار ، ورأسه الى صبب ، فاستنهضته الى الطعام فقال : لاحاجة لى فى الطعام • حتى يقضى لى المرام ، فاخبرت سيدها بالرجل فخرج اليه فاستخبره ، فقال له انني بك مستجير ، ولن أذوق طعامك الااذا كنت على قضاء حاجتى الذى جئت من أجلها من القائمين ، ثم اخبره بماوقع له ، فقال له محمد بن حمو اطعم ، ثم اذهب الى بلدك وانتظرنى على رأس العام ، ولكن ضع علامة على دارك لئلا يصيبها مايصيب غيرها •

يرفرف علم أبيض على دار سيدى على بن يونس صبيحة اليوم الذى كان رأس العام ، ولم يتوسط النهار حتى اجتاحت خيل المنصاكى (تامدولت) ثم جعلت عاليها سافلها ، وكان ذلك سبب خرابها الشهير ، فتفرق سكانها شذر مذر •

هذه هى القصة التى تهدمت بسببها (تامدولت) فى أقا ، وفى الجانب الجنوبى لالغ ، محل يسمى الى الان (سمون ايسان) اى مجمع الخيل ، يقال أن هناك مجمع الخيل المنصاكية ، التى فعلت هذه الفعلة ، بل يزيدون انه لايزال هناك مذود فرسه معروفا الى الان

أول ماسمعت هذه الاقصوصة عن الاخ أحمد رحمه الله ، وذكر لى أن فلانا يحفظ القصيدة التى قيلت فيها ، ثم استنشدت ذلك الانسان ، فأملى على قصيدة شلحية رائعة خلابة ، وقد أطنب فيها الشاعر ، وجعلها ملحمة صغيرة وكنت هممت ان اكتبها ، ولم يتيسر ذلك الى الان •

ومحمد بن حمو المذكور ، لاشك أنه قائد كبير من قواد العصر المرينى ، ولكن لاندرى اكان فى أول القرن التاسع ، ام فى ءاخر القرن الثامن ، ولااخاله يتجاوز ذلك ، ولايزال الحربيليون يقولون انه منهم ، ويفتخرون بعظمته الى الان

وواقعة (تامدولت) هذه مشهورة كل الشهرة ، ولايزال كثيرون ينسبون اليها اجدادهم الراحلين منها ، وقد تقدم فى ترجمة جدنا سيدى عبد الله بن سعيد ، ماهو الصحيح عند اهالينا ، من أنه ممن جلا عنها • وكثير من الايلالنيين يقولون أيضا ذلك (وقد تاسست هذه المدينة على يد عبدالله بن ادريس نحو ٢٢٠ هـ)

ثم ان علي بن يونس قالوا انه أيضا فارق مدينة (تامدولت) لماتفرق عنها الناس ، فكان أولا فى (ايشمت) ثم (اكاديرنتبسيت) ثم الى (تاوييت) و (تزى اوزرو) بايغشان ، ثم الى (ايمولا) ، ثم الى (ايغيرنفلوس) وكلاهما من ايغشان ، ثم الى(أنامر) حيث اقبر ، هذا ماحكى لى احد المسنين من اولاده غير طالب والقارىء يدرك من كثرة هذه التنقلات أمرا غيرعادى ، لابد انه متخلل اما باكذوبات ، واما بغلطات ، او بتنقلات غير عادية

وترجمته على الحقيقة ، ووقته مجهول فى مجهول الاحزرا الا أننا نحبان نستانس بما يذكره ، ولايخلو ذلك من فائدة ، وقد اخبرنى بعض الطلبة من أولادهانترجمته الحقيقية فى كتاب تاريخ ، الفه الاستاذ الشهير سيدى احمد ابن عبد الرحمن التيزركينى المتوفى سنة : ٩٥٨هولكننى لمارقط هذا الكتاب بل لماسمعبه الا مرة او مرتين

والعجيب : أن غالب الذين انتقلوا من (تامدولت) ينتسبون الى الجعفريين وقد رأيتذلك عن جدنا سيدى عبدالله بن سعيد ـ فيما يقال ـ وهاانتذا رأيت أيضا علىبنيونس هذا ، ولكن هذا على الاقل ، وجدنا له هذا النسب وأما جدنا، فلم نجد له اى نسب مرفوع • وفى افخاذ كثيرة من قبيلة ايلالن انتسابالى الجعفرية ، وعندهم بذلك ظهائر ، وهم يقولون أيضا انهم انتقلوا من (تامدولت) فى أقا والله أعلم

وابن خلدون ينكر أن يدخل الجعفريون المغرب ، ولكن نرى كثيرين يحملون هذه النسبة ، كعلماء ءال محمد بن مبارك الاقاويين ، وكعلماء أ(ساكا) بافران الجعفريين فيما يقولون ، كما فى ماسة وغيرها وكذلك ءال الوزير على المسفيوى الشهير معمولاى الحسن ، وكذلك كثيرون ، والله اعلم بحقائق الامور ، وقد حاول المؤرخ ابن خالد الناصرى ان يثبت ان الجعفرية موجودةفى المغرب ، فى كتابه (طلعة المشترى) وان ذلك صحيح للناصريين ، واسمع بعض أقتاله فى التاريخ يؤيدون ابن خلدون ، ونحن لاندرك ان نتكلم حول ذلكالا بما بدالنا من ان بعض الجعفريين دخلوا من الصحراء حقيقة كئالمحمد ابن مبارك الاقاويين

ثم أن علي صاحب الترجمة قبة دفن معه فيها بعض اناس سنذكرهمبعد

الصــالــح

سيدي يعقوب الايكدماني

قبل ٩٥٠ هـ = نحو ١٠٢٥ هـ

= ★ =

نسبــه

يعقوب بن ابراهيم بن يوسف ، بن عبد الله بن علي بـن يونس المتقدم
قال فيه الرسموكي في وفياته
«سيدي يعقوب الغشاني صهر سيدي احمد بن موسى على بنته ، وهـو في (ايكدمان) منع الصبا من زيارته ولقائه ، روى عنه بسند صحيح : أنه سمع الصالح سيدي أحمد بن موسى رضي الله عنه يقول : كل من رءانا ورأى من رءانا الى سبعة ، لايخاف شيئا او كما قال»
ثم ساق الحضيكي هذا الكلام مختصرا ، ونسبه الى الرسموكي ، وزاد فيما نقله عنه أنه أيضا خادم الشيخ ، وليست هذه (اللفظة) في نسختنا من (الوفيات) وبنت الشيخ التي تزوج بها هي المدفونة في وسط المدرسة الايغشانية وحدثني بعضهم ان اسمها (مماس) كما حدثت ان لها اختين بنتي الشيخ ، احداهما تسمى فاطمة ، مدفونة في مقبرة (تيدلي) تزوج بها رجل من ايت داود وذكر أن قبرها مشهور في الشرق الجنوبي من تلك المقبرة ، والاخرى تسمى كلثوم ، ومقبرتها مشهورة أسفل قرية أيت عضيا ، هذا ماحدثني به ذلك الفاضل ـ وهو سيدي مبارك بن مومادين الانامري الآتي الذكر ـ والعهدة عليه وقد تقدم في ترجمة سيدي عبد الله الاخفش ان أحد اجداده كان أيضا متزوجا باحداهن .
ولصاحب الترجمة شهرة بالصلاح في عصره ، شهرة وصلت ءال تاغاتين العلماء ـ ان كان مؤلف الوفيات منهم ـ حتى تأسف ذلك المؤلف منهم على ان منعه الصبا من زيارته ولقائه ، وهو معمر كما يظهر ، لانه اذا كان بلغ مبلغ من يخدم في حياة الشيخ ابن موسى المتوفى في ذي الحجة سنة ٩٧١هـ ثـم امتد عمره الى نحو سنة ١٠٢٥هـ المظنونة أنها توافق صبا الرسموكـي ، فذلك مالايقل عن نحو مائة ، وانما قدرنا ولادته بما قبل ٩٥٠هـ لمراعـاة زمن الخدمة الذي يمكن به ان يبلغ بين أهله ، ثم يمضي له زمن يتأهل فيه ان يسمى خادم الشيخ ، أما قبر سيدي يعقوب ، فقد اخبرني بعضهم انه لايزال مشهورا هناك في قبة جده سيدي علي بن يونس

الرئيس

على بن يعقوب الايكدمانى

قبل ١٠١٠ هـ = نحو ١٠٨٠ هـ

= ★ =

نسبـــه :

على بن يعقوب بن ابراهيم بن يوسف بن عبدالله بن على بن يونس

هذاولد المتقدم ، ولم نعلم له سواه ، وهو سبط الشيخ ابن موسى ،وقد صادف زمانه رياسة اخواله المشهورة ، فكانوا رؤساء القبيلة الايغشانية ، وهناك اطلال في شرقي المدرسة (الايغشانية) ازاء ذلك المكان المسمى (الخميس) ذكرلى أنها اطلال ديار اليعقوبيين هؤلاء فى عصر رياستهم ، وكانت سوق يوم الخميس تعمر هناك ، فبقى الاسم مسترسلا على المكان الى الان ، وذكر لى بعضهم أنه رأى مخاطبات لابناء يعقوب من أخوالهم ، هذا ماعرفته عن على الرئيس ، والعجيب منه ، أنه أورث اولاده العلم • فحفظهم بظله بعد انزالت الرياسة ، وقدرأيت فى رمزنا للولادة اننا انما أخذنا ذلك من معاصرته لعلى أبى دميعة ، الذى استمر من سنوات : ١٠٢٢هـ الى ان مات نحو سنة : ١٠٧٠هـ ثم خلفه ولده محمد بن على الى أن احتلت (ايليغ) بالجيش الرشيدى فى ربيع الاول سنة ١٠٨١هـ ويمكن أن يعيش بعد أبى دميعة الى عصر ولده ، ويمكن أن يموت قبل ، ويقوم مقامه احد أولاده ، ولكن ذلك ليس عليه اثارة من علم عندنا ، والله وحده أعلم • وقد وصف عليا هذا بعض من حدثنى بانه أيضا عالم كاولاده الذين سترى بعضهم بعد ان شاء الله •

(ثم كتب الى سيدى المحفوظ الديانى بانه رأى مخطوطا لاخيه سعيد بن يعقوب مؤرخا بسنة ١١١٠هـ ومخطوطا اخر لاخيه احمد بن يعقوب مؤرخا بسنة ١١٠٥هـ فعرفنا أن لابناء يعقوب يدا فى المعارف ، وليس عندنا عنهم الاهذا)

الفقيه سيدي

محمد بن علي اليعقوبي الايغشانى

قبل ١٠٨٠ ه = بعد ١١٥٦ ه

= ★ =

نسبـــه

محمد بن علي بن يعقوب بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الله بن علي

هذاابرز فقهاء هذه الجهة في اول القرن الثاني عشر الى اواسطه ولـه شهرةكبيرة ومخطوطات يده لم تزل تطفح بها سلات الرسوم التي تختلط فيهاأحكام الفقهاء في النوازل برسوم الاملاك ، وهي التي يملأونها بالنصوص الفقهية ، وتظهر فيها مقدرتهم اكبر ظهور ، وقد رايت بعضها مـوقعا باسمه ومؤرخا بسنة ١١٤٤ه

وله أخ اسمه سعيد بن علي ، فهو الذى نقل الرسم الذى كتبناه تحت رقم (٩) في ترجمة الجد ، مع صاحب له ، ثم تلاهما صاحب الترجمة ، فوقع كما يوقع القضاةفي هذه الجهة ، ولاأعرف مرتبة أخيه سعيد هذا ، الا انني سمعت أنهم كانوا أربعةأخوة ، كلهم علماء ٠ ولست في ذلك على علم ولم اعرف مـن هؤلاء الاخوة ، الا صاحب الترجمة وسعيدا ، وفي عصر اليعقوبيين هؤلاء بنيت المدرسة (الايغشانية) على مشهد امهم بناها هؤلاء فدرسوا فيها العلوم فـي عهدهم ، ولكنها صغيرة ، ولم يوسعها الا الحا ج ابراهيم رحمه الله في سنوات: ١٣٢٩ه ولم أقف على من هم أساتذة صاحب الترجمة واخوته الذين كانوا علماء مثله ، فقد تقادم الزمان ، وذهب خبر هذه الاسرة المجيدة ، بل حدثني بعض الايغشانيين الانامريين ان فخذ اليعقوبيين قد انقرض اليوم ، كـمـا اخبرني ايضا سيدى مبارك بن مومادين ان وفاة هذا المترجم ، كانت في ءاخر العقد السادس من ذلك القرن ، وهو مظنة معرفة ذلك لحذقه ونباهـتـه ، ولاعتنائه بهذا الشان بعض اعتناء ، ولانه يمت اليهم بنسب

ثم وقفت على فتيا له فوق عقد نكاح سيدى سليمان الالغي المكتوب في سنة ١١٥٦ه فيتأيد قول المذكور ، وربما هلك في وباء ١١٦٠ه

وأما ولادته فقد رمزنا لها بما قبل ١٠٨٠ه لما رأيتـه مما قلناه في ترجمة والده ، والله أعلم بالحقائق

الصالح سيدى يونس الايغشاني

قبل ١٠٣٠ هـ = ٢ - ١٠٧٣ هـ

= * =

قال فيه الرسموكى فى وفياته

سيدى يونس الايغشانى المرابط الصالح ، الناسك الفاضل ، توفى رحمه الله ببلدته مريضا باوائل صفر ، عام : ١٠٧٣هـ وهو من الفضلاء المتضلعين بالمسكنة والديانة ، والمواظبة على ما يعنيه

ثم نقل الحضيكى معنى هذه الترجمة ، فسبكها سبكا ءاخر ، ولم يزد عليها شيئا ، بل نقص ان وفاته فى صفر ، ولم يات الا بالسنة

سيدى يونس هذا من أحفاد الشيخ سيدى على بن يونس المتقدم الذكر وابن عم سيدى يعقوب المتقدم قريبا ، وأولاده لايزالون مشهورين الى اليوم فى (أنامر) وفى (تاكانزا) مع أولاد اعمامهم الذين يلتقون معهم جميعا فى الجد الاعلى : على بن يونس ، وهم أيت يبورك ، وايت حمو • وأيت محمد • وايت يونس وهؤلاء كلهم يطلق عليهم أيت على اويوسف ، وبعض الاسر من ءال على بن يونس تسكن اليوم فى قرية (تاكانزا) ومنهم سيدى الحسين بن صالح الذى سترى ان شاء الله ترجمته فيما ياتى • ومنهم اليعقوبيون المتقدمون الذين ذكرنا أنهم انقرضوا كما انقرض هناك أيضا فخذ تسمى أيت حسين ، وأخال أيضا أنهم من أخوتهم ، ولا استحضر كيف حدثنى عنهم من القى الى هذه التفاصيل

وهذه الاسرة اليونسية من الاسر العلمية الا أن أخبار علمائها ضاعت فيما ضاع •



الشجاع علي الايبوركي

الايغشاني الشهير

قبل ١٢٤٠ هـ = نحو اوائل ١٢٩١ هـ

ينتهي نسبه الذي لانستحضره الى ءال يونس ، كما ذكرناه قريبا .

في أوائل القرن الماضي كان في (انامر) من (ايغشان) رجل باسل عداء قوي النفس ، تضرب به الامثال ، كان يخوض المعارك ، وجرح في بعضها وله جولة مشهورة في معركة وقعت بين أيت علي ، وأيت موسى في (تالات نداوا) بمجاط

قال علي ندبوهوش المجاطي ان عليا الايبوركي ، والحسن البنراني يعني القائد الحسن الشهير ، كنا دائما نعدهما مع الخيالة ، وان كانا راجلين لعدوهما الذي يسابقان به الخيالة ، وكان تزوج بنتا لسيدي احمد بن الطالب المدياني ، فكان بذلك من شيعته في تلك الهزاهز التي كان يجاذب فيها الايكليين ثم لما قتلوه غدرا ، قام أيضا مع ولديه محمد الاشكر والحاج ابراهيم ، وكان من شيعتهما وانصارهما حتى فتكا بامغار باها ، كما تقدم ثم لما امتدت أيدي بعض الايغشانيين الى السملاليين سنة : ١٢٨٨هـ كان هو ممن يقاوم السملاليين مقاومة عنيفة ، ثم ثارت الحرب بين الفريقين ، ففي اثنائها سقط يوما في المعركة ، فقد حمل يوما على خندق من خنادق السملاليين بجرأته الشهيرة المعروفة ، فتركه من بالخندق حتى اكثبهم واطل عليهم فاطلقوا عليه فسقط وذلك أما في اواخر ١٢٩٠هـ واما في أوائل التي بعدها

حدثني ابن اخ له انه اذذاك كما ابتدأ فيه الشيب ، فكان سقوطه هكذا كمثل تلقيح للحرب ، فبقيت بعده عامين ءاخرين ، بعدما كانت بين يديه عامين سابقين ، لانها استمرت أربع سنين ، وقد ذكرناها في ترجمة الاشكر

كانت له شهرة واسعة ، كانما ضربت بها الطبول في هذه الجهة لاخلاقه وبسالته ، رحمه الله ، وقد خلفه في داره ابن أخيه ابراهيم بن موح ، الى أن جاءت الحكومة . فتقدم أخوه يبورك بن موح ، فكان هو الان رئيس الاسرة بل رئيس القرية كلها رسميا ، وبعض أبناء الايبوركيين ، تقدموا اليوم في العلوم اتم الله عليهم . (توفي ابراهيم في صفر ١٣٧٩هـ ، فبقي أخوه يبورك شيخاهما الى الان ١٣٨٠هـ)

سيـــدي

مبارك بن مومادين الانامري

الايغشـــاني

١٢٩٩ هـ = ١٣٧٩ هـ

مبارك بن مومادين (محمد) بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بـن أحمد بن ابراهيم بن علي بن يوسف

وعلى بن يوسف هذا هو الجد الاعلى لتلك الافخاذ المذكورة ءانفا ، ولكننا لم نجد الان انسابها اليه ، كما وجدنا انساب ءال مومادين اليوم .

أخذ القرءان باديء ذي بدء ، عن سيدى محمد المرواني الى سورة(عبس) ثم عن سيدى محمد بن بلقاسم الكوسالى ، فعليه ختم الختمة الاولى ، ثم الثانية الى(المص) وهذا كله في مسجد (انامر) قريته ، ثم انتقل الى (اكنى اديان) فاخذ عن شيخ الديانيين سيدى على بن همو المتقدم الذكر ، فبه تخرج وجود ، ووافق ذلك سنة ١٣١٦هـ ثم افتتح في المدرسة (الايغشانية) عند الاستاذ سيدى العربى الساموكنى ، ثم لما غادر الاستاذ المدرسة قرب ذلك الحين ، خلفـه فيها الاستاذ سيدى محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن محمد ـ فتحا ـ بن ابراهيم المانانى ، ولد الاستاذ الكبير الشهير ، فبقى فــى تلك المدرسة الى ١٣٢٠هـ فشارط فيها شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالغى ، وفى سنة ١٣٢١هـ عاودها الساموكنى الى ١٣٢٨هـ فراجعها شيخنا الى سنة : ١٣٣١هـ ذلك كله وصاحبنا هذا مرابط فى المدرسة ، فتقدم وحسن اخذه ، وان لم يكن كاخذ الالغيين المتازين ، فقد كنت أراه وأنا مجاور هنالك أعوام ١٣٢٩هـ فــى الرعيل الاول ، وهو مكب بعد الدروس على كتب قديمة مخطوطة ، ثم بعد ان عقلت ، عرفت أنه مولع بعلم الهيأة ، وتعاطى التطبـب فيستحضر اسمـاء الاعشاب العربية والشلحية ، وله يدجواله فى التطبب ، وعين مدركة لمواقع النجوم فى السماء ، وقد زارنى فى السنة الماضية : ١٣٥٦هـ فى جمادى الاولى بعدما رزئنا بأخينا أحمد ، فرأيت منه ما اعجبنى فى المذاكرة ، انشادا للابيات واستحضارا للآيات فى مواطن تلاوتها ، ولاحاديث ، ملما بعلم الطب وعلم النجوم ، على النمط القديم . فاخبرنى أن للفقيه سيدى سعيد بن سليمان الكرامى ، تأليفا فى هذا العلم يعرفه وله نباهة ادركها من وراء العلوم التى

زاولها ، وقد وجدت عنده من أخبار أهله وتقلبات الأحوال بالايغشانيين مالم أجد عند غيره ، مع قوله في بعض ما أساله عنه لاادري ، وذلك مايدل على تثبته ، وله اخلاق وامتاع بالمجالسة ، وقد كنا نهرب ونحن صغار كلما راينا أحد الكبار اشرف علينا ونحن في العابنا في وسط المدرسة ، حين كنا هناك مجاورين ، ولكنه هو نجرؤ عليه للطافة أخلاقه ، كما نجرؤ على سيدى البشير ابن الطيب اذذاك رحمه الله •

ولصاحب الترجمة يد في العلوم لاباس بها ، اهلته لمجالسة العلماء ان صادفهم ولكن شهرته انما هي بالتطبب ، وبعلم يلم بسر الحرف ، كمايحكى عنه وبالرقى وكتب التمائم ومااليذلك وهو من أخص أودائنا ، داوم على مابيننا ، ولم يفصمه بهذا التباعد ، كما فصمه كثيرون ، ووالده الىالان لايزال حيا • وأخاله يناهز الثمانين من سنه أو أكثر ، ولصاحبنا اخ كذلك الـم بمعلومات لاباس بها ، يسمى سيدى محمدا ، أخذ عنسيدى سعيد بنالطيب الاكمارى ، وعنغيره كالتاجارمونتي • فيما أحسب

وقد شارط المترجم في (تافراوت) من أيت كرمون سنة : ١٣٣٧هـ الى ١٣٤٤هـ ثم لازم داره الى سنة : ١٣٥٥هـ فشارط في (اساكاووزان) حيث لايزال الى الان ، وهو رقيق البنية ، نحيف الى الغاية ، حفظه الله ووفقه لما يحبه ويرضاه • ثم أنه أصيب بكريمتيه ، ولايزال حيا الان سنة ١٣٧٨هـ (ثم بلغتنا وفاته اخيرا في سنة ١٣٧٩هـ)



الفقيه

سيدى احمد بن ابراهيم الانامري

قبل ١١٦٠ هـ = ١٢٠٧ هـ

ذكره لى سيدى مبارك الانامرى المتقدم ، وقال انه أبو أم جده ، وكان ذاشهرة كبيرة فى عصره ، وهو الذى خلف بعلمه سيدى محمد بن على اليعقوبى المتقدم وآله بعد أن توفوا ، ومخطوطاته فى أحكامه وفتاويه موجودة ، وهومن فخذ انقرضت بوباء ١٢١٤هـ كما انقرضت معهم ، أفخاذاخرى من الانامريين قال ووفاته فى الوباء الاول الواقع فى سنة ١٢٠٧هـ هذا ماحكاه لى ،وهو من أهله ، وهو مظنة معرفة ذلك ، لانه يزاول رسوم تلك الجهة ، وأماأنا فلم أسمعه من غيره • ولكن فى الحقيقة لم ألق أحدا من تلك الجهة له اعتناء كسيدى مبارك بن ومادين حفظه الله ، وأطال عمره ، وهو أحد المقبورين فى قبة سيدى على بن يونس ، وقد عين لى هذا السيد تلك القبور ، فقال : القبر الغربى لامرأة كرسيفية ، توفيت سنة ١٢٩٩هـ وهى زوجة الفقيه سيدى محمد من ءايل ئعالم • قال وهو ابن عم سيدى عبد الله بن محمد بن عبدالله هذا الفقيه الحى الان ، الذى ابطأ كثيرا فى المدرسة (الوفقاوية) وكان سيدى محمد زوجها ذلك مشارطا حينئذ فى المدرسة (الايغشانية) فتوفيت هناك قرينته ، ثم قال ان زوجها هذا ، توفى فى بلده (اكرسيف) سنة ١٣١٧هـ والقبر الثانى ،قبر الشيخ سيدى على بن يونس ، والقبر الثالث ، لسيدى يعقوب • والرابع لمؤذن من أيت حسين ، وكان صالحا توثر عنه كرامات ، والخامس الذى يلى الشرقى ، هوالفقيه سيدى أحمد بن ابراهيم ، وهو الذى ذكرناه الان

سيـــدي

الحسين بن صالح التاكانزى

نحـو ١٣٢٥ هـ = حـــى

نسبـــه :

الحسين بن صالح بن عبد الله ، بن ابراهيم بن محمد بن أحمدوينتهى نسبهالى على بن يونس

قريتا (تاكانزا) من عداد الايغشانيين ، وهناك اسرة يونسية ، وصاحب الترجمة من هذه الاسرة ، فان نسبه يتصل بذلك الشيخ ، وان كان مجهولا عند منيحدثنى الان بعض افراد من الاجداد بهم تتصل السلسلة بين المترجم وبين جده

أخذ المترجم القرءان عن الاستاذ سيدى عبد الله بن أحمد بن عبدالله السملالى ، ولايزال هذا الاستاذ حيا الىالان ، وهو مشارط فـى مسجـد (ايشوكاك) باكادير ايزرى ، وكان حين ياخذ عنه مشارطا فى قريته ، ثمعن الاستاذ الحاج الحسين الايزليتنى المجاطى ، ثم عن سيدى عبدالله ابن الحاج الساموكنى ، وبهذا تخرج سنة : ١٣٤٥هـ ثم التحق بالمدرسة (الالغية) ففتح له الاستاذ على بن عبد الله بيده ، واناطهبسيدى أحمد بن محـمـد التاهالى المتقدم الذكر ، ثم بسيدى محمد بيشوارين الساحلى ، ثم لازم دروس الاستاذ سيدى المدنىالى سنة : ١٣٥٠هـ وقد كان اتصل بالاستاذ سيدى أحمد بنمحمد اليزيدى فى المدرسة (المولودية) الى سنة ١٣٥٤هـ ثم راجع أيضا المدرسة (الالغية) الىأواخر سنة ١٣٥٥ هـ فالتحق بما وراء الحمراء ، فشارط فـــى (الشاوية) دون سنة ، وفى شعبان : ١٣٥٦هـ رجع الى بلده

ختم الالفية مرات ، وأتى على غالب المختصر تحصيلا ، وعلى الرسالة والمقامات ، وعلى كل ما الى ذلك ٠ وهو الان مشارك حسن الفهم ، ثاقب الذهن لايزالمتطلعا الى استتمام دراسته ، وقد استعد لهذا الطور أتم الاستعداد ولعلهيوفق الى تمام امنيته ، فيكون لنا عالما كبيرا من (تاكانزا) وماذلك على همته ببعيد ٠

وسمته حسن ، لطيف المعاشرة ، دمث الاخلاق ، هين لين ٠ فيما ظهر لىمنه وقد جالسته بالحمراء وفى (الغ) مجالس ، وهو الى الان عزب (ولا يزال حيا ١٣٨٠هـ وقدحج وتزوج كما حدثت به)

القــاريء

محمد بن احمد الاوكافى الانامري

قبل ١٢٤٠ هـ = بـعـد ١٢٩٥ هـ

نسبــه :

محمد بن أحمد بن بلقاسم الاوكافى الانامرى

هذا ممن اشتهر في قرية (انامر) ، في ءاخر القرن الماضى ، في تعليم كتاب الله بالجد والاجتهاد ، وله يد في القراءات المختلفة ، كما له من ديانته وعدالته ، وتقوى الله التى لازمها ، ما جعل السنة عارفيه رطبة بالثناء عليه الى الان

وكان ملما ببعض معلومات أهلته لقسمة التركات وامثالها ، وقد صحح لى بعضهم أنه توفى سنة : ١٣٠٠هـ وهذا ما أعرفه عنه ، ذكرته لشهرته ءاخر القرن الماضى ، شهرة ينبغي للمؤرخ ان يقتبس منها ، مع الصلاح الذى دعمها وذكر لى بعض من رءاه سنة : ١٢٩٥هـ انه اذذاك ينيف على (٨٠) سنة ، رحمه الله وقدكانت صحبته بسيدى الحاج عبلا بن صالح وابنه الفقيه سيدى محمد بن عبد الله متصلة حتى توفى .



القاريء المعلم سيدي

مسعود افولوس التاكانزي

قبل : ١٢٤٠ هـ = بعد : ١٢٨٦ هـ

قرات معي في ترجمة الفقيه سيدي صالح الاوفقيري ، ان أستاذه الذي أخذعنه القرءان ، هو سيدي مسعود افولوس التاكانزي ، في بلاد بعمرانـة في (اداوساكم) وقد كان هاجر اليها ، فاجتهد هناك في تعليم كتاب اللـه اجتهادا كبيرا ، وليس عندي تفاصيل عـن حياته ، الاماسمعته عـن الاستاذ سيدي علي بن صالح لاغير ، ولايتجاوز هذه السطور . ولماكان شرطنا الـذي نتمشى عليه أن نذكر أساتذة الالغيين والمرابطين من العلماء ، والمقرئـيـن المسهورين ، كان سيدي مسعود هذا على شرطنا ، فذكرنا عنه هنا ما نعرفه ومن جاد بما عنده فما عليه من ملام ، وكان الوقت الذي ياخذ عنه سيدي صالح الاوفقيري اول العقد التاسع من القرن الماضي ، ولذلك رمزنا لوفاته بما بعد ذلك ، كمارمزنا لولادته بما قبل ١٢٥٠هـ لانه اذذاك لايقل عن ٤٥ سنة وليس في امكاننا الا هذا ، والله أعلم

ثم حدثني محدث أن له ولدا يسمى محمدا ، أتقن حرف البصري عند سيدي محمد بن مولود ، في مدرسة (الجمعة) فعدا عليه عاد من الطلبة فقتله، في العقد الثاني من هذا القرن ، وأن له أخا يسمى الحاج الطيفور كان لايزال حيا اذذاك ، ولكنه التحق بحاحة ، بعد ماشارط كثيرا بمسجد (ادعيسى) من أيت عبلا ، فتخرج به كثيرون

ثم لاباس هنا ان ننبه القاريء لئلا يغتر بان هناك رجلا صالحا قديما يقال له أيضا سيدي مسعود أفولوس شريف في اداكنيضيف ، لان هذا من الوكاكيين ، وسنذكره بينهم ان شاء الله ، كما أن هناك ءاخر يسمى أيضا مسعودا أفولوس قريب العهد من أحفاد المتقدم ، وسيذكر بين أهله أيضا في (القسم الرابع) ان شاء الله

سيدى احمد الفقير التاكانزي

ثم الاكرضي

قبل : ١٠٥٥ هـ = بعد ١١٠٥ هـ

نسبه :

أحمد بن داود بن يوسف

الى هذا تنسب القرية المشهورة باكرض اوفقير ، وأصله من فخذ يسمى أوشان من (تاكانزا) سكن أول أمره هناك، ثم عدا عليه عاد فسامه خسفا. فجلاعن (تاكانزا) الى القرية المذكورة ، فنسبت اليه ، بعد ان كانت تضاف الى (أغيول) - اى الحمار - فبعد ان كان الناس يقولون (اكرض اوغيول) صاروا يقولون (أكرض أوفقير) وفى الرسوم القديمة ، توجد بتلك الاضافة القديمة

كان رجلا صالحا مذكورا بالخير ، يوثر عنه مايوثر عن امثاله ، ممانتكب عنه ، لعدم ثبوته كما ينبغى ، وله ولد واحد يسمى داود ، له خمس بنات باحداهن تزوج الرجل الصالح سيدى ابراهيم بن بلقاسم المتقدم الترجمة. بين المرابطين السعيديين فى (الفصل الاول) من القسم (الاول) وقد ادركت بماحدثنى به الاستاذ سيدى على بن صالح المتقدم أنه عاش فى النصف الاخير من القرن الحادى عشر ، وان وفاته بعد ان مضت سنوات من القرن الثانى عشر ، ومدفنه عند مسجد الخروب فى المقبرة القديمة ، فى (تافكاغت) من القرى الوفقاوية بالغ ، وولده داود رجل مذكور أيضا بخير ، مزور القبر الى اليوم ، فوق (ادراركمتو) كما يسمى من (اكرض اوفقير)

ولم نعرف عنه مايستدعى ان نفرده بترجمة على حدة ، وقد انقطع نسل صاحب الترجمة من داود هذا ، ولم يعقب الا من بنات داود، وكان أحمد الفقير يسمى الشيخ ، والنطفيات المسماة نطفيات الشيخ فى (اكرض اوفقير) منسوبة له وتقام له حفلة سنوية ، كذكرى الى الان

الصـــالـــح

سيدي سعيد جد الاوبلخيري

في أوائـل القرن الحادى عشر

سيد مشهور بالصلاح والخير فى عصره ، ويقال انه من البكريين المنتشرين فى نواحى سوس ، فهناك الجشتيميون وءال الشيخ التامانارتيون ، وءال الطالب ابراهيم الوفقاويون ، وءال الفقيه سيدى ناصر التونينى الالغـى ، هؤلاء كلهم يقال أن لهم اتصالا بالنسبة البكرية ، كما يذكر ذلك أيضا عنءال (أيتيعزىوهدى) المنبثين أيضا فى نواحى الجنوب ، ولكننى لم ار من انساب هؤلاء المتصلة الا نسب التامانارتيين ، ونسب (أيت يعزى وهدى) ، وأمـا الاخرون فلم يتيسر لى رويتها ، وقدرأيت فىأخبار (تارودانت) فى حدود القرن الثامن أن فيها أسرة رئيسة ، تسمى ءال يدر ، وهمكذلك بكريون ، وذلككله ممكنوانما ينقصنا أن نرى الانساب المتصلة على الاقل ، كما رأيناها للاخرين

هذا السيد لم أعرف فى أى زمان هو ، وقد ذكر لى بعض اولاده أنه مذكور فى(طبقات الحضيكى) ولكننى راجعت تراجم المسمين سعيدا ، فلم أجد فيمنهناك ذكرا يؤذن انه هو هذا ، وزعم ان مشجر نسبهم موجود تحت أيدى سملاليين ، وقد كنت وصيته ان يتوصل به ، ولكن الله لم ييسر ذلك ، ونحن اذاتاملنا سلسلات انساب من سنذكرهم من احفاده ، فانه على الغالب فى القرن الحادى عشر ، والله أعلم

هذا وقد سمعت من بعض طلبة القبيلة الايغشانية ما يدل على انكارهذه النسبة ، ولكنه أنكار لايؤسس على متين ، كما ان دعوى النسب كـذلـك ـ مادمنا لم نقف على النسب الثابت ـ لاتؤسس أيضا على متين على انهقديكتفى بمايوجد عند الاحفاد عن الاجداد مما يتلقونه خلفا عن سلف ٠ والله أعلم

الفقيه سيدي

احمد بن محمد الاوبولخيرى

نحو ١٢٥٥ هـ = نحو ١٣٢٧ هـ

نسبـــه :

احمد بن محمد بن موسى بن على بن احمد بن سعيد بن احمد بن سعيد

هكذا وجدهذا النسب بخط الاستاذ سيدى العربى الساموكنى رحمه الله ٠

كان سيدى أحمد ممن جود حفظ كتاب الله ، واتقن حرف المكى ، ثم ألم بالعلوم الماما حسنا ، عن بعض اساتذة لايستحضرهم من حكى لى ، وكان مداخلا لعلماء وقته ، صناع اليد فى كل الحرف ، كلبناء والصياغة والنجارة والخرازة ، حتى الحجامة ٠ وكان فى عنفوان شبابه ملازما للمشارطة فى قبيلة ءايت برابيم فى ازغار ، حتى تجمدله من شرطه مال له بال فراجع قريته ، فصار يعلم القرءان مجانا فى مسجد القرية ، وكان عزوفا ربانيا ، ملازما للاءذان متى حضر ، وكان فى وقت ءاخر مشارطا فى مسجد (تاجكالت) أعواما ، وقد مات عن سن تناهز الثمانين

هذا ما ألقاه الى ذلك الانسان ، وهو على كل حال يدل على انه ممن الم بالعلوم ، وحصل تحصيلا وسطا ، ثم لخموله ولعزوفه وقناعته ، انزوى على تعليم كتاب الله ٠ فلهذا لم تكن له شهرة فى ميادين اخرى



الفقير سيدى محمد بن احمد الاوبلخيرى

المدونة

نحو ١٢٧٥ هـ = ١٣٥١ هـ

نسبه :

محمد بن أحمد بن محمد ـ فتحا ـ بن علي بن أحمد بن سعيد بن احمد بن سعيد (مكررا)

ذكرناه لامور ثلاثة اولها : لانه من اساتذة بعض الالغيين المشهورين في القرءان وثانيها لانه من أفضل اتباع الشيخ الالغي حسن سمت وصفاء سريرة ، واستقامة سيرة ، وثالثها لانه ممن اخذ عن الالغيين علما ضئيلا وهو في الحقيقة لولم يتصف الابه ، ولولم يدخل تحت شروط أخرى اشترطناها لمن نذكرهم لما عرجنا عليه ، لانه ضعيف المعلومات ، وليس من الذين نعتبرهم من هذه الجهة

اتصل بعدما حفظ القرءان سنة ١٢٩٦هـ بالشيخ الالغي في المدرسة (الفوكرضية) ثم انتقل معه الى (البومروانية) ثم لازم (الالغية) عند الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله ماشاء الله ، واذذاك لقبه الطلبة بالمدونة ، لانه قال مرة للاستاذ هذه المدونة التى تذكرها دائما في الدروس من أين هي ؟فقال له الاستاذ مباسطا ، انها ايغشانية النسبة ، فضحك الطلبة من بلهه ، فلقبوه بذلك اللقب من ذلك اليوم ، وكان من أحسن الناس اعتقادا في الشيخ الالغي من بادىء امره ، وقد ذهب اليه في القبيلة الوفقاوية لما خرق فيها العادة ـ كما ذكرنا ذلك في ترجمته ـ سنة ١٢٩٨هـ فطلب منه الدعاء ، فقال له الشيخ وهو يتباله لاأربحك الله ، وكانت كلمة تستر بها :

ادعو عليه وقلبي يقول يارب لا لا

ثم بعد ان برز الشيخ للتربية ، كان من الملازمين لزاويته لاينقطع عنها فينة بعدفينة ، حتى شرب كاس التصوف الى ثمالتها ، وكان عجيبا في الاقبال على شانه ، وكانه من الذين قيل فيهم : ـ والله اعلم ـ رب اشعث اغبر لايوبه به ، لواقسم على الله لابره ، وقد ساح مرارا مع الفقراء وتهذب

ثم تزوج واقبل على المشارطات ، في (تارغنا) وفي (دوتمنروت) وفي (الغ) وهناك اخذ عنه بعض المرابطين منا ، وفي مسجد قريته • وكان هو السبب حتى اعتنق الابولخيريون الطريقة الالغية ، ثم انه تاخرت وفاته الى السنوات الاخيرة ، بعدما أسن • وكان رحمه الله مشهورا بالرقية ذا بركة وصلاح • فكل من مسته يده يبرا باذن الله ، مع سقوط الدعوى والاقبال على ربه ، ولعله من اهل الجنة البله

الفقيه

سيدى محمد بن احمد الاوبلخيرى

نحو ١٢٩٥ هـ = ١٣٥١ هـ

نسبـه :

محمد ـ فتحا ـ بن أحمد بن محمد ـ فتحا ـ بن علي بن احمد بن سعيد ابن أحمد بن سعيد (مكررا)

هذا أخو المتقدم وأصغر منه ، وان كان أكبر منه بعلمه ، اذا التفت عليهما المحافل ، اخذ القرءان عن عمه سعيد بن محمد ، وهو ممن يشارط في مساجد الغ حينا ، فهو استاذه الوحيد في القرءان ، ثم اتصل بالاستاذ سيدى محمد ابن ءبو الهشتوكي الشهير ، فلازمه ماشاء الله • ثم انتقل الى (مدرسة تيبيوت) برأس الوادى ، عند الاستاذ سيدى أحمد المشهور بـ (أمزاركو) فاخذ عنه ثم الى مدرسة (تاهالا) عند الاستاذ سيدى علي الاسكارى ، فرابط هناك نحو عشر سنين ، فامتلأ وطبه لبنا صافيا وءاب بعلم جم ، وقد اتقن الفنون التى أخذها احسن أخذ • وان كانت يده في الفقهيات اعلى واطول ، ثم انه بعد مارجع لم تلاحظه السعادة ، ولا تهيأله ان يجول في مجالات الافتاء او التحكيم في النوازل اوفي التدريس ، وباحدى هذه يظهر علم العالم عندنا في هذه البلاد ، وقد حداه الى ذلك خمول جبل عليه ، وانزواء لايرتاح الاله ، والمعالى لاتزف الالمن خطبها والمجد ضنين بنفسه الالمن سخافيه بنفسه ، فكل من قنع بالكسرة ، ورضى بالشملة ، وتبلغ باللفا (١) فاجدر به ان يبقى نكرة ، وان يعيش في جحر ضب خرب طوال حياته

اندمج في المساجد ، فكان في مسجد قريته وفي (واوزرت) وفي (تاوييت) هذا ماحكاه لى ابن العم الاستاذ سيدى بلقاسم السليماني الذى منه عرفته ، فندبته ليستقى لى تاريخه من عند أهله ، فرجع الى بما رسمناه للقارىء • وذكر هو أنه كان يعرفه اتم معرفة ، وكان يزور أحيانا الاستاذ التاجارمونتى في المدرسة (الايغشانية) حين كان الحاكى ياخذ هناك في أعوام ١٣٤٠هـ قال وكان يمتحننا كثيرا كلما جاء ، ويلقانا بعويصات يستفهمنا عنها وربما حدثهم بمغربات في نظرهم فحكى لهم مرة أنه لاقى يهوديا، فسأله مالفظة التوحيد فقلت له لاادرى ، لاننى لااعرف اولا مقصوده • فقال هى مصدر وحد الله

---

١) اللفا بالفتح الشيء التافه القليل

توحيدا ، وكان ذلك عجبا ، اقول : لان اهالينا لم يعهدوا من الاسرائيليين الاعتناء بأمثال هذه العلوم العربية • بل حتى من غير المسلمين ايا كانوا •

أقول : قد وقع لي مثل ذلك مرتين ، وأنا كما فارقت هذا الوسط السوسي الى الحواضر ، وذلك انني جئت لاركب الى السويرة في جامع الفناء بمراكش في سنوات : ١٣٣٨هـ فاهوى انسان بهياة اوروبية ، ليركب ازائي في السيارة فافرجت لشمطاء اسرائيلية أهلية، أفضلها عليه ، ثم لما وقفت بنا السيارة في (شيشاوة) قال لي ذلك الانسان ، وقد نزلنا نتمشى حول الطريق : لم ابيت أيها السيد أن أركب ازاءك ، هكذا بلفظ عربي مبين ، فشدهت فقلت له أرومي ويعرف اللغة العربية ، فقال لا والله • لست برومي ، وانما أنا من أبناء يعرب • ثم استرسلنا في الكلام ، فاذا به الشاعر الكبير رشيد مصوبع اللبناني الشهير ، وماكنت أسمع به قبل ذلك اليوم ، وقد عرفني بنفسه ، وقد كنت اذذاك أجهل الناس بالعالم وتقلباته ، وما بلغته العربية انتشارا ، فضلا ان أعرف أن هناك من يسمى (رشيد مصوبع) ثم أنه صار في الحال ينشدني من قصائده ، فمما انشدني داليته الفخرية التي مطلعها

(هجمت ولم اخش الحسام المهندا)

وهي التي يقول فيها :

اذا شئت أمرا كان بحرا ركوبه   جعلت العدا جسرا فسرت على العدا
اذا شئت أمرا لم أكن مترددا   واقبح ما في المرء ان يترددا

وهذا مااستحضر منها وقد انشدنيها كلها ، فسمعت من البلاغة والفصاحة مابهرني ، فكان هذا من أول الدروس التي اميطت بها جهالتي بالعالم •

ووقع لي أيضا أخرى مثلها في ذلك الحين ، وذلك انني اتصلت بجزء من (التمدن الاسلامي) لجرجي زيدان الشهير ، وقد كان لي قبل ذلك المام بالتاريخ ، فشدهت مما رأيت من كلامه حول العباسيين من النقول ، فقلت في نفسي نصراني ويعرف كل هذا ، واذكر انني منذ ذلك الحين كنت اخذته عند ذكره الخلاف المشهور حول خلق القرءان حين فسر (الخلق) بالاختلاق ، فيكون المعنى ان المسلمين اذذاك اختلفوا ، فمنهم من قال أن القرءان مختلق اى مفترى مكذوب ، ومنهم من قال لا ، وهذا افساد للتاريخ ، لان ذلك الاختلاف ليس على هذا المعنى الذى حور اليه الكلام • ولا أخاله ممن يخفى عنه ذلك، ومافعل ذلك الا عن قصد ، هذا ماكنت رأيته ، ثم بعد ذلك وقفت على تاليف لنعمان شبلي الهندى • يبين مافي كتابه المذكور • فاذا به ذكر ماقلناه منتقدا

اعتراني ذلك الدهش ، كما اعترى هؤلاء الطلبة لما سمعوا ان يهوديا

يعرف التصريف ، ولايزال كثيرون من طلبة بلادنا وعلمائها على هذا ، الى الان ١٣٥٨هـ فيجب على من يتحدث اليهم ان يعذرهم ، وأن لايلقي اليهم من عجائب هذا العصر الابمقدار • والحمد لله الذي ازال عنا هذه الغشاوة حتى عرفناما في العالم اليوم •

(كنت كتبت هذا سنة : ١٣٥٨هـ وانا الان اراجعه سنة : ١٣٧٨هـ فاقول: ان علماء سوس تفتحت اعين غالبهم في هذه العشرين سنة ، فعرفوا ما يجرى في العالم بعد ان انقشعت الغشاوة عن ابصارهم)

ورشيد مصوبع اشهر من نار على علم في الحواضر ، وكان شعره سجية ولاالمام له بالقواعد اصلا ، وكان دنيء الهمة الى الغاية ، فكان ذلك سبب سقوطه ، فقدمدح كبارا من المغاربة كالحا ج التهامي وابن عمه القائد عمر بن المدني ، ولكن مايجيزونه به لايلبث ان يذهب بين الكاس والطاس ، وكانت هيأته دائما كانه (كرصون) السيارة وسخا وما الى ذلك ، وقد مات في الدار البيضاء بعد ١٣٤٠ هـ



الصـالـح

سيدى ابراهيم بن على الايغشانى

من أهل القرن التاسع

= ★ =

هو اليوم مشهور فى قرية (ايمولا) ــ الظلال ــ قال فيه الرسموكي:
المرابط سيدى ابراهيم بن على الايغشانى المدفون بظلال غشانة شيخ الولى الصالح سيدىأحمد بن موسى ٠ وله معه قصة شهيرة ، كانت سبب رجوعه للطريقة يتحدث بهاالناس ، ويكتبونها

وقال الحضيكى ابراهيم بن على الغشانى دفين ظلال غشانة كان رضى الله عنه منأكابر مشايخ وقته ، وافاضلهم ، مشهور البركة والكرامات وهو أول شيوخالقطب سيدى احمد بن موسى ، وأول مندله على الطريقــة والخير فاهتدى على يده ، وله معه قصة مشهورة ، يجرى ذكرها على الالسنة والاقلام

هذا ماقاله مؤرخانا ، والقصة المشهورة التى لوحا اليها ، هى انسيدى أحمد بنموسى ، كان شابا نشطا ٠ عند مراهقته ٠ جريئا لايستحيى ، عــلى عادة بعضالشبان ، وقد اشتهر بذلك عند لداته فاتفق يوما أنهم يلعبون أما بالكرة واما بأمثالها ، أسفل عقبة مشهورة هناك الى الان ، وفيها طريق يتسلق فيها صعدا ، فجاء يوما صاحب الترجمة ، وعلى رأسه قفة تين ، وهو شيخ كبيرهم هرم ، فوصل أسفل العقبة ، وقد أعيا فوجــد هناك اصحاب سيدى احمد بنموسى ، فقال لهم من منكم يطلع لىبهذه القفة فى هذه العقبة ياأولادى جزاكم الله خيرا ، فتضاحكوا على الشيخ ، فقالواله مهلاحتىيجىء أحمد بنموسى ، وقصدهم ان يميل بالقفة فيشتت مافيها ليضحكوا ، وكانوا يعتادون منه مثلذلك ، ثم لماجاء طلب منه سيدى ابراهيم بن على طلبته ، فتناول القفةووضعها على رأسه ، وأصحابه ينتظرون ان يصنع بالقفة مــا يحسبونه يصنعه بها ، ولكنه ساربها ، والشيخ وراءه ، حتى أنزلها له فوق صخرة ٠ على رأس العقبة لاتزال معلومة الى الان ، فمال سيدى ابراهيم على صاحبه بدعوة حارة ، وافقت الاستجابة ، فكان ذلك سبب ان انقطع سيدى أحمد بن موسىعما يعتاد منه فاقبل على شأنه ، ثم التحق بسيدى محمدالوجانى ثم بالتباع ، فاندمج فيما عرفبه ، كما سيذكر انشاء الله بين تراجم أهله فى (القسمالرابع)

هكذا تحكى هذه القصة ، فكانت كرامة خالدة للشيخ سيدى ابراهيم ابن على رحمه الله

وبعضهم يرى أنه وقع ذلك مع سيدى محمد الوجانى ، وقد ذكر القصة فى (الطبقات) فى ترجمة ابن موسى

وأما الوجانى هذا فقال فيه الحضيكى

(سيدى محمد الوجانى دفين ذراع الكبش بمشمس وادى سملالة، كان منأشياخ القطب سيدى احمد بنموسى ، وأول منفتح الله على يده ، بدعائه لهلما رفع عنه قفة تين لداره ــ كما فىرواية اخرى للحكاية ــ وقيل انماجرت لههذه القضية مع سيدى ابراهيم بن على المدفون ببلد غشانة

هؤلاء من تيسر الان ذكرهم من الايغشانيين ، ولابد اننا جهلنا فى تلك الجهة بعض منيستحقون الذكر ، ولكننا لم نكن بصدد الاستقصاء الا فى الالغيين ، وماذكرنا هؤلاء الا تبعا .



الفصل الخامس

في الامانوزيين

ذكر فيه من المترجمين

الصالح سيدى عيسى بن صالح الكرسيفى

الرئيس الشيخ بلقاسم بن الحسين الايزربيبى

الفقيه سيدى ناصر التونينى

سيدى محمد بن الطيب التونينى

الفقيه سيدى محمد بن بومليك الايزربيبى

الفقيه سيدى على بن أحمد الايزربيبى

الفقيه سيدى الحاج المحفوظ الاهماديبى التارسواطى

العلامة الاديب سيدى محمد المانوزى الشهير

الصالح سيدي

عيسى بن صالح الايزربيي

من القرن الثامن

= ★ =

نسبه :

عيسى بن صالح بن موسى بن يوسف ، بن عبدالعزيز بن عمرو .
قال فيه الحضيكي بعد ان ساق هذا النسب
كان من اولياء الله الصالحين المشهورين بالخير والبركة ، من أهل القرن الثامن انتهى .

هذا كل ماقاله الحضيكي ، ونحن ايضا ليس عندنا مانزيده عليه ، غير ان عليهمشهدا يقامفيه موسم صغير في شهر غوشت ، بعد أسبوع من موسم تازروالت يوم الخميس ، يحضره الاقارب . ويحتفل ءال ايزربي لضيافة الواردين والطلبة يردون من المدارس القريبة ، فيبيتون على القراءة المساة في اصطلاحهم بـ : (تاحزابت) على العادة الى الصباح ، وقد حدثني من كان فيه السنةالفارطة ١٣٥٦هـ باعجوبة ، وهي ان اللحم اذا طبخ يحمل بالقفاف ، هذه هي العادةالمستعملة ، فيكدس على سطح المسجد ، اكداسا على الجص من غير صحون ، فياكلمنه الناس . هذا ما حدثني به ، ولاادري أصدق أم كان من المفترين .

ثم المشهور انهذا السيد قيل لاعقب له ، وينكركثير من الناس على بعض الايزربيين الاحياء الذين ينتسبون اليه ، وهذا ماأسمعه ، ولاادري اهذا صحيح املا لانايزربي وان كان في صلب الغ من شرقيه ، فانني ماوطئته بقدم ولاخالطت أهله (على ان الثابت ان له عقبا ستراه بعد)

هذا ما عندي الان عن هذا السيد الذي ربما كان من اقدم صلحاء الغ ولكن بكل أسف ، لمنعرف عن حياته شيئا ، بل ولاعرفت اهنالكمشجر نسب له ، كما هو المعتاد لامثاله املا ، فهكذا تذهب حياة الرجال ولايبقى الاقبورهم المبيضة . وليتشعري ماذا تقضي القبور البيضاء اذا كنا جهلنا حياة أصحابها وكانت بالجهل بها سوداء ، ولكن اكثر الناس لايعلمون

* * *

ثم اننى بعدما كتبتماتقدم ، وقفت على جلية بعض الخبر مما يتعلق بالمترجم فىمشجر بعض احفاده فتبين أنه من الكرسيفيين الافاضل ٠ ونص سلسلة النسب الذى وقفت عليه محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بنالحسن (لعل) بن عبد الله بنمحمد (لعله) بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بنموسى بن الحسن بن على بن داود بن موسىبنعيسى بن صالح ابن عبدالعزيزبن عمرو بن نعمان بنفطاسين بنكلدوان بن فلول بن تاصموت ابن عبدالله بن مرفود بنعمر بنابراهيم بناسحاق بن عبد الملك بن عثمان بنعفان ٠ ثم رفع النسب المعلوم الى عدنان ، ثم قال : انتهى كما وجد،وماسكه المذكورأعلاه من قرية فجة (أمانوز)فىسوسالاقصى ، وقدوقفت على تقييدأنسابه والتقى (فى النسب)معاولاد الشيخسيدى أبىيحياالكائنين بزاوية (اكرسيف) قوى الله حرمها ونورهابالعلم والاولياء والصالحين فى جده الخ - الىانقال- نقلته مقابلة بالاصل بلا ولا ، بتاريخ ذى القعدة ١٢٤٣هـ ٠٠٠٠ بنعبدالله ابنأحمد من (عنقالرمال) الايسى ، ثم ذكر ان الاصلبخط محمد بن أحمدبن بلقاسم الكرسيفى ، وهذا بخط احمد بن عبد الله بن احمد الكرسيفى ، ثم أيدهما فىذلك محمدبن عبدالله بن عبد الرحمن الكرسيفى ، ثم محمد بن عبد الله الحضيكى ، ثم ءاخران لم تظهر توقيعاتهما ، ثم عبد الله بن ابراهيم التيواضويى ، ثم عبد الله ابن محمد التملى الدويملالنى ، ثم أحمد بن عبدالله وقد ساقاكلاما حول هذا النسب ، للفقيه عبد الله بن محمد الاوزليتى ا هـ

وينبغى مقابلة هذا النسب مع نسب الكرسيفيين (المعلوم) كما رأيت مخالفة فىءاباء عيسى الادنين ، بين ماهنا وبين ما عند الحضيكى ، ولعل ماهنا هوالمتقدم

فبهذا عرفنا اليوم ان عيسى من الكرسيفيين الاوائل ، وأن كثيرين من الامانوزيين من اولاده ، ولا عبرة بمن ينكر هذا بعدما ثبت كما رأيت، ورياسة امانوزفيهم منذ أجيال ، ويكونون الان نحو ٥٠٠ كانون ، والفضل فى كل هذاالذى عرفناه ، يرجع لاحد فضلائهم ٠ جزاه الله خيرا ، والكلام على العلماء الكرسيفيين اجمعين ، سنلم به ان شاء الله فى (الفصل الثانى) من (القسم الرابع)

الرئيس

بلقاسم بن الحسين الايزربيدي

١٣١٩ هـ = حـــي

= * =

نســبه :

بلقاسم بن الحسين بن محمد بن محمد ، ويتصل نسبه بسيدى عيسى ابن صالح المذكور قبله

هذا هو الرئيس الرسمى الرابع من رؤساء الغ اليوم ١٣٥٨هـ الاربعة وقد مربك الثلاثة ، ووالده سيدى الحسين من حفظة القرءان ، وكان منقطعا على رأس القرن الماضى ، الى المدرستين (البومروانية) و (الالغية) عند الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الالغى رحمه الله ، وكان ربما ياخذ شيئا ، ولكنه خادم له على الحقيقة ، فعاد على اسرته من بركة خدمته مافاته مما اخذه ، وكان حسن الظن فى الشيخ الالغى أيضا ، ويحكى عنه ويقول : ان عنده شعرات مما حلقه مرة من رأسه يتبرك بها ، وقد كان الدهر القى عليه كلاكله ، حتى ادركه أولاده فى العقدين الاخيرين ، فالتحقوا بالبيضاء ، فساعدهم الدهر فتمولوا وهو اليوم اغنى من بالغ كله ، بسبب التجارة التى اشتغلوا بها هناك، ولايزالون على ذلك الى الان ، (ووالدهم لايزال حيا ١٣٧٧هـ) وبذلك أصبحوا اليوم فـى الامانوزيين الالغيين بمنزلة الهامة من الجسد ، وهم أخوة متعددون ، لكـن أمرهم مجتمع فتظافروا فنالوا ما نالوا

بلقاسم هذا هو رئيس فرقة من قبيلة امانوز ، وهو وديع لطيـف ، عالى الهمة ، يظهر ذلك فى بزته ، وفى داره ، فقد شاد بناء حسنا • واثثه بفرش عالية ، واعتد ءانية لماعة بيضاء من ءاخر طراز ، وهو مع ذلك كريم النفس• كريم اليد ، كما يقول الناس (ثم شاهدت منه بعض ذلك يوما زرته فيه) وقـد برهن هو واخوته عن نفوس طيبة ، وليسوا ككثيرين ممن تحدث عندهم النعمة فيشمخون بالانوف • ثم يحيطون بها سياجا متينا من البخل ، وسوء الاخلاق

لقيته مرارا فاعجبنى بحسن سمته ، وبادبه عند المحادثة • وقد بقيت فيه بقية من حسن الظن بالعلماء والمرابطين ، فزانه ذلك ، وقد جالسته: فى السنة الماضية (١٩ ــ ٣ ــ ١٣٥٦هـ) تحت شجرة فى ذلـك البسيط بمركز (نافراوت) ، أنا واخى أحمد ، فاعجبنى غاية الاعجاب ، وهو أمى • ولكنه ممن

يحسب انه مر بالمكتب . وقد انتفع بانقطاعه سنوات الى الحاضرة ، فتحضر وقد أخبرني آن أهله محسوبون من بوفتاس ، من فخذايت علي ، وقد زار هو وأخوته يوما الغاثر نزولي فيه أول ١٣٥٦هـ فجاءوا بسيارة لهم جديدة ، في ثياب حضرية انيقة ، فرأيتهم حين جالوا فيها يتالقون في الوان البستهم . فتخيلتهم روضة انفا تفتحت فيها الزهور المختلفة الالوان ، فيتركون بنعمتهم الجديدة هذه من كانوا يعرفونهم في ادقاعهم القديم على جمرات الحسد يتقلبون ، فرحم الله التهامي اذ قال :

نظروا صنيع الله بي فعيونهم   في جنة وقلوبهم في نار

أتم الله عليهم نعمته ، ووفقهم لما يحبه ويرضاه ، انه سميع مجيب. وبالاجابة جدير .

(ثم ان أخاه عليا الحاج سنة ١٣٦٥هـ في قافلتنا كان من الذين قضي عليهم الفدائيون في البيضاء في الازمة ، ثم عزل المترجم ، فلزم داره الى الان : ١٣٧٨هـ وقد توفي والدهم السيد الحسين بعد ولده علي ، وقد كانت بيني وبينه مودة كانت جذورها من محبته لوالدي ويحكي أنه كان سمع مرة تبشيرا بما ستصير اليه داره من التفوق ، فقد حدث أنه كان معه في ثوبه الجميل (الكائزة) وهي مؤثثة تاثيثا عجيبا في نظره ، فرءاه يتتبع مافيها بعينيه ، فقال له انك ستدرك كل هذا ان شاء الله ياسيدي الحسين فصدق الله قول الشيخ فنال اكثر ممارأى على أيدي اولاده التجار ، وكان يحكي عن الشيخ حكايات مثلها . فرحم الله الجميع)



الفقيــه

الورع سيدى ناصر التونينى

نحو ١٢٩٠ هـ = ٦ - ١٣٥٦ هـ

= ★ =

نسبــه :

ناصربن عابد بن ابراهيم المؤذن هذا أحد من تزدان بهم الغ فى هذه السنوات الاخيرة ، والقائم بالتدريس فى مختلف الفنــون فــى المــدرسة (التيمكيدشتية) عقودا من السنين ، واحد افذاذ الورعين ، تسمع أخبارهم فتدهش السامم ، ويقول اولايزال أمثال هؤلاء يجود بهم الدهر ، وهو من أسرة يقول أهلها : أن نسبها متصل بابى بكر الصديق ، والناس مصدقون فى أنسابهم

أخذ الاستاذ عن عمه سيدى الحسن بن المؤذن ، فــى قرية (اكجكال) وفى (تيبيوت) ، وغيرهما ، مما يعتادها بالمشارطة ، والمؤذن المذكور كان رجلا خيرا لازم الاذان فى مسجد قرية (تونين) فسمى بذلك ، ثم التحق صاحب الترجمة بالفقيه سيدى محمد بن أحمد الاسكاورى انكرسيفى فى مسجد تازكا من قبيلة (أملن) فجود عليه القرءان ، وفتح عليه الامهات ، وبعد حين أرسله الى (تيمكيدشت) فأخذ هناك عن علمائها ، وكان المشهورون -فيما أعلم- هناك اذذاك بعدالشيخ سيدى الحسن بن أحمد الفقيهين سيدى محمد البعقيلى ، وسيدى موسى الاوكى ، وصاحب الزاوية سيدى الهاشم صاحب الاحوال الغريبة ، فعنهم أخذ ، ولازم حتى حصل تحصيلا عاليا فى كل ماأخذه نحوا وفقها وفرائض ، وألم بالحديث • ويجميع العلوم التــى تروج هناك وكانت تصاحبه منذ الصغر - على مايظهر - حالته هذه الحسنة التى انتجت ورعه المشهوربه ، وكان فى حاله مسكينا ، متواضعا فى زيه وفى اقواله ،وفى أفعاله • فمنذ تولى الدراسة فى المدرسة ، والطلبة كثيرون لم ينقصوا قط عن الستين ، لازم الدراسة وأكب عليها ، ولكنه تجافى عن مظاهر الفقهاء حتى أنه هناك لايدعى الابالامام ، لانه امام الصلوات الخمس ايضا ، وهو تحت يد صاحب الزاوية ، فقنع واحتسب ، يدرس بلا اجارة فيما سمعت الا مايصله به سيدى الهاشم رحمه الله ، ولم يعتن بتاثيل المال ، ولاان يتخــذ وراء دراسته معاشا وكان فى بعض السنين يخرج مع طلبة المدرسة ، فيدورون على القبائل وهم

فيدراستهم على العادة التي كان الشيخ سيدي احمد بن محمد وولده الشيخ سيدي الحسن بن أحمد ، وكان حسن الظن جدا باشياخ (تبمكيدشت) فجوزي عن ذلك بالمنزلة التي تهيأت له مما تعطرت به الالسنة وتناقلته الركبان

حدثني من حدثه بعض الطلبة النجباء أنه حضره مرة هناك يقرر درس الالفية ، في (كان واخواتها) قال فاحسن تقريره ، ولكنه عند الاعراب صار يعرب هو بنفسه (على عادة اهل المدن) ولا يواخذ طلبته بالاعراب (على عادة الالغيين) وذكر عنه أن به لكنة تمنعه من الافصاح كل الافصاح بسهولة عما في ضميره ، ولكنه مع ذلك يجتهد ليستوعب مراده ، وكان تزوج اخيرا امرأة ، ولم يولد له معها فمات عن غير عقب ، كما سمعت • ومما تحدث به عنه الناس بعد موته ، أنـــه ماتناول قط لقمة في زاوية (تيمكيدشت) بعدما حدث فيها ماحدث على يـد سيدي محمد بن الهاشم ، وادخل فيها اموالا اجنبية عن مالها ، فكان ياتي بمزادة عن داره مملوءة بدقيق يتبلغ به ، وقد انقطع أيضا عن مجلس سيدي محمد ، وكان ربما أرسل اليه لينظر في بعض قضايا النوازل بعد ان وقعت هذه الواقعة ، فيجيبه بانه عزم ان لايتداخل في شيء بعد ، ثم اذا الح عليه يقول له : ان اعجبكم ان أبقى كما أنا فذاك والا فوداعا ، ولازم هذه الحالة التي لايلازمها الامن يراقب الله حتى التحق بربه ، وقد أرسل صاحب الزاوية سيدي محمد ابن الهاشم بعد ان مات الى داره ، فاسترجع فيها كيس سكر ، كان سيدي محمد أرسله اليه حين أعرس في هذه السنوات الاخيرة بهذه الزوجة ، فحين احتضر أرسل الى سيدي محمد أن يسترجع كيسه ، فانه بعقدته لم يمسه ، فكان هذا والله ممارفع منزلته ، واتبعه ذكرا جميلا ، ووفاته في (تيمكيدشت) ولم اقع له على اثر ، وله تلاميذ منتشرون لعلنا نتصل بهم او ببعضهم لنعرفهـم ولكن ذلك في فرصة اخرى ان شاء الله ، رحمه الله ، ونفعنا به وبامثاله

(ثم لم نتصل من اسماء تلاميذه بما نريد • والامر لله وحده)



سيـدي

محمد بن الطيب التونيني

نحو ١٢٩٩ هـ = نحو ١٣٦١ هـ

= ★ =

نسبه :

محمد بن الحاج بن بلقاسم بن محمد

هو ابن‌عم الفقيه سيدى ناصر المذكور قبله • وهو من الملازمين لزاوية (تيمكيدشت) من صغره الى كبره • بل‌لازمها الى مماته • فانه بعد ماأخذ ما قدرله من‌العلوم صار قيما لمخازن الزاوية فى عهد الفقيه سيدى الهاشم وهو الذى يكون بريده فى مهماته وهو الذى كان يتصل بالفقيه الاستاذ سيدى‌على ابن‌عبدالله الالغى يوم قامت قيامته حول املاكه المغصوبة منه فـى (ايشمت) فقد ذكر لى من حضر يوما فى‌دار الاستاذ وقد أتى المترجم بمال من عند سيدى الهاشم‌الى الفقيه الالغى ثمن املاكه • وقد رضى أن‌يأخذ ماكان دفعه فيها • الا أن الذى أتى به هذاالرسول ناقص قليلا عن‌القدر المتفق عليه • ولذلك‌لم يقبله الفقيه • فكان فى ذلك كل خ برلانه بسبب عدم قبض ذلك المال بقيت‌الاملاك لاولاده‌فاسترجعوها بعده لما سنحت الفرصة • وقد رأيت ذكرا للمترجم يوم‌كان سيدى محمد المانوزى فى مدرسة (تيمكيدشت) وذكره بأنه مقرىء الزاوية • وقريته تسمى (اكاديروايو)

هذا كل ما اعرفه عن المترجم الان رحمه الله • وأبوه الحاج الطيـب كان من الافاضل المذكورين بالخير • بل يقولون عنه أنه حكيم • وقد أسن لما توفى سنة ١٣٣٩هـ



سيدي محمد بن بومليك الازربيي

١٣٠١ هـ = بعد ١٣٦٠ هـ

= ★ =

نسبـــه :

محمد بن بومليك بن محمد

هكذا ذكر لى عن ءابائه ، ثم لم أعرف اعلى من هؤلاء ، اخذ القرءان عن أساتذة ءاخرهم سيدى أحمد بن عبد الله استاذ المدرسة (الفهمية) الشهير، وبه تخرج ، ثم اتصل بالمدرسة (الالغية) ولم يتجاوزها حتى حصل ما حصل ذكر الاستاذ سيدى عبداله بن ابراهيم العم انه من الرعيل المتوسط ممن أخذوا بألغ أعوام ١٣١٨هـ وذكر عنه أنه اجتهد وجال فى مجالات النجباء ، يكب على مايدرس أكبابا ، وفى اخلاقه مايقضى عليه ان لايخالط الطلبة كثيرا ، لانــه لايداجي ولايداهن ، ولايقبل على مهارشة احد فنفعه ذلك فى الاقبال على ماهو بصدده ، وفى اخلاقه حزونة غير قليلة ، لكنه سليم الطوية وبعد عقد من السنين ، فارق المدرسة بادراك حسن وتحصيل عال عن الوسط قليلا ، ثم ربض بداره مقبلا على اوراد وعبادة اشتهر بها • فنقص بسبب اهماله للمذاكرة مقياس مااخذه ، هذا ماوصفه لى ابن العم حفظه الله ، وقد سألت عنه اناسا ءاخرين ، فذكروا لى نحو هذا • وأيدوا لى تلك الحزونة • حتى ان بعضهم ذكر أنه بينما كان يتكلم معه فى شأن اذ انقبض فجأة ، وانتفض يضرب بيديـــه لخطرة خطرت بباله ، وكذلك انزواؤه واقباله على ربه ، قد اشتهر عنه الى الان ، وقد اعتاد ان يؤوى اليه طلبة المدرسة (الالغية) متى جـاءوا الى موسم سيدى عيسى بن صالح ، فيكرمهم فى داره • ولايزال على هذه العادة ماامكن له وكان قليل ذات اليد ، وحكى لى انسان أنه ممن استناروا بالاقبال عـلى الله فهنيئا له ، وانما ينكر عليه هذا القبوع الذى بسببه تدلت معلوماته ، وذلك مالم يحفز اليه الانسان بدافع جبرى مما لايجوز للرجال ، لان منفعة الخلق والخير كله ، لايتمان الا بالمخالطة ، وقد قال بعض الالغيين ارتجالا فى ذلك شبه أبيات

هل الخير الا فى الانام ؟ وبينهـم	**يرى المرء كل ما يحب من الخير**
فهل يستطيل الذيب الا على التى	**تقاصت عن المرعى فى وسط القفر؟**
فصاحب تر الاسرار جمعاء فى الالى	**تصاحبهم امـا اجتنبت ذوى الشر**

فلا تحسبن الانزواء فضيلـة تحليك عند الله فى السر والجهر
فما تلك الا خدعة خلقيـة فتودع قبرا قبل كونك فـى قبر
فصاحب وخالط فى الجماعة تمترى بكفيك ضرعـا ليس يبخل بالـدر
فلست ترى رشدا ولست ترى هدى ولست ترى نورا اذا كنت فى قعر
فها أنذا ـ والله يعلم ـ ناصـح نصيحة خريت لدى الطرق ذى خبر
فمن شاء ان يحيا ويحسب فى الورى يصاحب، ومن يابى الورى فالى القبر

على أن الناس طباع ، ومن أراد ان يجعل الناس كلهم سواء ، فليس لعقله دواء كما يقولون فى أمثالهم ، وفقنا الله وصاحـب الترجمة لما يحبه ويرضاه

هذا ولم اقف له على اثر ، مع أنه ذو قلم لاباس به كما حكى لى ، وكيف لايكون ذاقلم ، وقد مر بالمدرسة (الالغية) التى تعلم الادب قبل ان تعلم العلم كما يذكر عن كتب الجاحظ .



الحاج المحفوظ الاهماديسي

التارسواطي

نحـــو : ١٣٠٣ هـ = حـــي

= ★ =

نسبـــه :

المحفوظ بن أحمد بن محمد بن محمد بن مسعود

قرية (تارسواط) هذه من القرى التي تحظى في كل جيل برجال مبرزين أما في العلم والصلاح معا واما في احداهما • فقد كان النجوم الثواقب مـن العلامة الحضيكى الشهير في ءاخر القرن الثاني عشر • ومن جده الشهيرفي ءاخر القرن الحادى عشر ومن اولاد العلامة الحضيكى في القرن الثالث عشر من تحات بهمقرية (تارسواط) طوال هذه الاجيال • ثمكان والد صاحـب الترجمة الرجل الصالح أحمد بن محمد من أصحاب الشيخ الالغى ممنتجلبب أردية الصلاح ، وممن رحمهم الله بالخمول ، وقد كنت رأيته وانا صغير حوالى ١٣٢٧هـ ورد نهارا الى الزاوية على نية ان يسيح مع الشيخ ، فصادفه قد خرج قبل وروده • وقد كان رحمه الله من الفقراء الصادقين الذين ذاقوا ماذاقوا في لباب الطريقة من الاخلاص في العمل • والفناء في كل ما يجلـب مرضاة اللهتعلى • فبهذا يصفه عارفوه • وهي امي يستغرق اوقاته في طاعة ربه •

وأما ولده هذا المترجم فقد جمع بين العلم والعمل• وهو اليوم زينةتلك القرية وقطبها • وبه تذكر الان • وهو الذى يقصد فيها ضيافة وعلما وارشادا وهوسبط الحضيكيين • وقد نزعه عرقهم فكان أحد العلماء مثلهم

متعلمــه

أخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن أحمد الصوابى الغرمى • وهو وحده من ذكر اخ له أنه جود عليه القرءان

وأما العلوم فقد مثل بين يدى علماء كثيرين كانوا جميعا ممن جلوا في حلبات التدريس في اول هذا القرن • وتلك منة من الله بها عليه • فأولهم الرجلالصالح والفقيه ذو الباع في النوازل والفروع سيدى على بن أحـمـد الاسكارى في مدرسة (تاهالا) ، وثانيهم علامة هشتوكة البارع سيدى محمد اوعابو مدرس مدرسة ادا اومحمد نحو عشرين سنة • وثالثهم عميد الغ ومناره

الذى به يهتدى عند مشتبه السبل على بن عبدالله فى المدرسة (الالغية) ورابعهم أبوالقاسم التاجارمونتي الذى يقوم بغالب الدروس فى هذه المدرسة وكان المترجم هناك فى سنة ١٣٢٨هـ وصادف ان أسنت الالغيون فى تلك السنة الشهباء • كما اسنت كل من فى نواحى سوس • فأرسل الاستاذ على بن عبد الله الى طلبة المدرسة المكتظة ان يستهموا فيما بينهم • فمن قال سهمه فليوسع على اخوانه حتى تنجاب هذه السنة العجفاء ، فكان صاحب الترجمة حين ساهم من المدحضين الذين غادروا المدرسة ، فبسبب ذلك التحق بحوز الحمراء • فجاور فى مدرسة (اخليج) عند الاستاذ الكبير الحاج على المسفيوى الذى امضى عمره فى تلك المدرسة • وهو الاستاذ الخامس لصاحب الترجمة فرابط هناك هو ورفيقه الحسن الاخصاصى السملالى • أستاذ (مدرسة للاتعزى) اليوم ١٣٦٤هـ فمكث هناك ماشاء الله ، فاذذاك زار أستاذنا شيخ الاسلام أبو شعيب الدكالى مدرسة (اخليج) فألقى على طلبتها درسا فى حديث (انما الاعمال بالنيأت) بهرهم فيه بما شاهدوه من علم فياض • وجوب بين المذاهب وخوض فى العلوم مع استحضار للمتون التى يحفظونها من المختصر فمادونـه • فكان اولئك الطلبة ثناء على ثناء الى الان • وألسنتهم بذلك رطبة فى كل مجلس ، وفى بالى أنه مرأيضا بـ (مدرسة مزوضة) عند الاستاذ سيدى الحنفى

ثم أن صاحبه الحسن الاخصاصى شارط عند الفقيه سيدى محمد بـن مبارك الغيغاءى الحوزى من زاوية (ازرو) فكان معه صاحب الترجمة ، وقد درسا عليه هناك وبعض طلبة ءاخرين علوما من بينها علم الفرائض • فكان الحسن الاخصاصى فريدا فيها كما ترى ذلك فى ترجمته فى (الفصل الاول) من (القسم الرابع)

هؤلاء هم أساتذة صاحبنا وبهم تخرج• وعلمه يميل الى التفوق • كما يحكى لى • وأنا لاأعرفه الى الان • ولكن العلم أية كانت مرتبته • فانه اذاكلل بالانجياش الى الخير وبالكرم • وبالاخلاق • وبالثروة • وبالنسب الطيب وبالحسب الخالص ، يجول به صاحبه فى مراتب الشفوف ، ويذر الافواه تتعطر بذكره • والمسامع تتفتح لأنبائه فى كل محفل ، وصاحبنا ممن كانت لهم هذه الخصال كلها فيما يحكيه الحاكون • والانسان قلما يفوز بمثل ذلك الا اذا أحسن غاية الاحسان • لان الناس اكيس من أن يرسلوا الامداح حتى يشاهدوا ذلك الاحسان كما يقوله الشاعر • وهل يقول الشعراء فى مثل هذه المقامات الا الحق ؟

نبذ أخرى عن المترجم

حج صاحبنا سنة ١٣٤٧ هـ ففاز بأداء فريضته ، وتوج بذلك الوصف

الذى يتحلى به اسمه المصون ، ويتجلى به سره المحفوظ ٠

وقلما ابصرت عيناك مـن رجل   الا ومعناه ان فتشـت فـى لقبـه

ثم أنه اتصل بسيدى الحاج الاحسن البعقيلي هذا الشيخ التجاني السيد الذى اشتهر اليوم بالبيضاء ، فتلقن منه الطريقة الاحمدية ٠ ومنحه الاذن فـى تلقين اذكارها فأسس لذلك زاوية فى داره ٠ فانتشر صيته بذلك ٠ مع ما دعم بهمقامه هذا من تلك الخلال التى ذكرناها ءانفا ٠ وكما كان لابيه فـى الطريقة الدرقاوية ذكر ٠ كان له أيضا فى الطريقة التيجانية ذكر (قـد علم كل أناس مشربهم)

خذن جنب هرشي اوقفاه فانه   كـلا جانبـى هرشي اليها طريـق

وقد نشأ له اولاد اعتنى بتثقيفهم صاحبه الاستاذ الحسن الاخصاصى فى مدرسة (للاتعزى) شاهدتهم عشية أربعاء ، ونحن فى سيارة ٠ ءابيـن من مركز الاربعاء ، فرأيت من جباههم المتلالئة ما يبشر لهم بمستقبل ٠ ان تمالاعتناء بهم حتى يستتموا الدراسة

ان الاصول اذا زكت ففروعها   تزكو كـذاك الشبل كالضرغام

ثم أن أحمد منهم استتم فى فاس بعدما أخذ عن سيدى علماء سوس وهو سيدى عبد الله الايكدمانى ٠ وهو الان عالم رسمى حسن التحصيل

اجتماعي معه

جئت أخيرا يوما من الغ الى مجاط ، اومن مجاط الى الغ ، فلقيت المترجم على بغلته ، فنزل الى الارض ٠ فتعرف بعضنا ببعض ٠ فرأيت منه ما أذكرنى بيت أحمد بن الحسين

واستكبر الاخبار قبل لقائـكـم   فلما التقينا صدق الخبر الخبـر

وهـو اليوم شيخ جليل ، حول شمسه المشرقة طفاوة واسعة ، تكبره الاعين ٠ وتتسابق الى الثناء عليه الالسن ٠ وقد زاده شرفا فى بيئته الى مـا عنده من المعارف والتقدم كامام متبوع فى الطريقة الاحمدية ، ماعند اسرتـه وحواشيها من ثروة ادرتها عليه أرباح تجارتهم المتسعة فى البيضاء ، وللثروة بريق يستحسنه دهماء الناس ٠ بل لايحسب حمقاهم المجد الا منها

الاستاذ محمد بن احمد المانوزى

١٥ ـ ٤ ـ ١٣٠٦ هـ = ٤ ـ ٥ ـ ١٣٦٥ هـ

= ★ =

نسبـــه

محمد بن أحمد بن على بنأحمد بنعلى بنبلقاسم بنعلى بـنيعزى بـن ابراهيم بنعبدالله بنمحمد بنيوسف بنعلى بنابراهيم

هذا أستاذ سوسى اشتهر فى الحواضر كما اشتهر في سوس ، وقد خالط كثيرا من الناس الاماثل حتى تكونت له شهرة ، ولكونه يجول فـــى الادب ، ويتعالى الى القمم الشماء فى كلمقام ، ولميله الىان يكون مجليا فىكل ميدان ، صار عارفوه ـ وماأكثرهم ـ يتجاذبون انباءه ، ومختلف أطوارحياته وحين كان يحاول أن يكتبحياته بقلمه ، ثم ساقت الينا السعادة ماكتبه ، وان لميذكر الأطوار حياته الاولى . احببت ان أسوق اولا مابض به قلمه السيال ثم بعدذلك أعقب عليه بماعسى ان يفوته

ايه : ان المنتسبين الى العلم فى قبيلة (أمانوز) غير قليلين قديما وحديثا ولكن لما كانمجال تاريخنا حول الغ لاغير ، وكان الامانوزيون الذين فـــى خارج الـغ اكثرواكثر ممـن هم فـى بسيط الغ ، وليسوا كالـوفقاوييـن والايغشانيين الذين يكثرون فى الغ ، لم نتعرض الا لذكر الامانوزيينالالغيين فقط ، ثملماكان لهذا الاستاذ الكبير المدل بنفسه مكانة مكينة بين أدباء الغ واتصال دائم بينه وبينهم ، حتى أنه لايكاد يغب زيارة الغ او المكث فيه منقطعا أخترت ان اسطره بين الالغيين ، لانه كواحد منهم ، وينبغى ان تحذف هذه الكاف فى هذا التشبيه كما يقول المتنبى

كفاتك ودخول الكاف منقصة كالشمس قلت وما للشمس أمثال

واليك ماكتبه عن حياته التى يتمطى بين أطوارها حتى يستطرد كـل ماسنح له بادنى فرصة ، ثم لايفلت ما يستطرده حتى يسهب فيه اسهابا ، ولما فى ذلك كله من الفوائد للمطالع ، ولمافيه من تسجيل للوقائع ، ومـن التنبيه على كثير من العادات التى تمثل الهيأة الاجتماعية ، أبقينا كل ماذكره على وجهه ، ونبهنا فى الحاشية على بعض أمور نرى أنه سها فيها ، والمقصود الافادة ، وقد ابتهجت كثيرا بهذا الذى كتبه جميعه ، ولعل القارىء سيبتهج به أيضا . خصوصا ان تذكر انه يكاد وحيدا ممن كتبوا حياتهم بأقلامهم

(تنبيه) على الرغم من ان المؤلف اثنى على المانوزى هنا فقد انتقده وانحى عليه بالادعاء والأنانية فى الجزء الثالث عشر اثناء تعرضه [illegible]

قال رحمه الله

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وجعله للارواح قوة وقوتا وفرجا ، ويسره لكل مدكر كما جعله للناس وعليهم حججا حمدا تتزايد به الآلاء مادامت معانيه تفوح ارجا ، وتتجدد مثل اليم زبدا ولججا ومن تخلق بها فله حياة طيبة لايخاف ضنكا ولاسمجا ، وصلوات الله وسلامه على من لم يرض بشيء من الدنيا يصطفيه ، وعلى ءاله وصحبه الذين اقتدوا به فى كل مايرتضيه ، الى أن خضعت لهم الرقاب فى كل قطر واقليم دانيه وقاصيه ، فجابوا البلاد ، وساسوا العباد ، وحكموا بالعدل والتسوية بين الاحرار والعبدان ٠ ولم يفرقوا فى تبليغ ما أمروا به مابين البيضان والسودان فرضى الله تعالى عنهم وعن تابعيهم وتابع تابعيهم مادام الملوان ، وازكى رحماته على أشياخنا الذين غلونا بلبان الفضل ، ولم يالوا جهدا فى تربيتنا ، تتجدد عليهم بلاتراخ ولاتوان ٠

وبعد فقد تسنى لى ان أذكر بعض ماعن لى فى احوال حياتى مما عرض لى من أول زمانى ، من فجر سنواتى الى ءاخرها ، مرارة وحلاوة ، وخشونة وطراوة ٠ ومساءة ومسرة ٠ ومنشئة وممبرة ٠ وفى تعلم وتعليم ٠ ومشيخة وحالة الصبا ٠ دون تحاش لصحيح وسقيم ٠ وكل قضية تعلقت به ٠سواء كانت من نوع المنتج والعقيم ٠ ليكون تذكرة بعدى للاولاد واولاد الاولاد واغنى لهم من طريف وتلاد ٠ وقد قيل قديما ان الدهر معلم اذا لم يتعلم منه عاقب ٠ واذا تعلم منه أدب وهذب ، ولم نر معلما احسن من الزمان ، ولامتعلما أسوأ تعلما من الانسان ، وكم أدبنى وقرع لى العصا ، وغش رائد الامل وعصى:

ومن يلق ما لاقيت فى كل مجتنى من الشوك يزهد فى الثمار الاطايب

الـــــولادة

كانت ولادتى كما جاء فى رسم ولاداتنا ، واخبرنى به الوالد والوالدة صب الله عليهما شئابيب الرحمات والرضوان ، وأباح لهما الفراديس يتبخترا فيها بين حور غنج يحف بهما الولـدان ، ليلة الخميس الخامس عشر من ثانى الربيعين ، الموافق من شهر غشت العجمى لاثنين وعشرين ، فى سنة ١٣٠٦هـ اواخر دولة ءاخر سلاطين السلف الصالح ، السلطان المولى الحسن بن محمد بن عبدالرحمان بن هشام بن محمد بن عبدالله ابن السلطان الاعظم المولى اسماعيل بن الشريف العلوى الحسنى ٠ أخبرنى والداى أننى ولدت فى يوم موسم الولى الصالح سيدى أحمد بن موسى دفين (تازروالت) ٠ والوالد ذاهب اليه مع عامة الناس ، كما هى العادة من الاحتفال اليه٠ والاعتناء بزيارته ، ووجدنى قد وضعتنى الوالدة فبلغ به مـن الفرح والسرور الى ان حشر الناس قبل السابع ، فذبح أنواع الذبائح وأطعم المساكين والفقراء

والطلبة والعلماء وغيرهم ، وسماني باشارة بعض أرباب القلوب ممن له خطوة وحظوة في الولاية ، باسمه صلى الله عليه وسلم محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن بلقاسم بن علي بن يعزى بن ابراهيم بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن علي بن ابراهيم الخ النسب الشريف ، أخبرني شيخنا الولي الصالح المرابط سيدي امحمد بن بلقاسم من تحت الرمال (تعريب اسم قرية دويملالن) التملي الركراكي أنه لما ولد له ولده صاحبنا وتلميذنا السيد محمد بن محمد (فتحا) بن بلقاسم ، جاء الى والدي السيد احمد بن علي يطلب منه العسل الشفاء ، كما هي العادة فيمن ولد بالسوس في ذلك العصر ، لكون الاجباح (جمع جبح اى خلية النحل) كثيرة عند الوالد ، فوجده تحت شجرة الزيتون التي بباب دارنا متظللا لشدة الحرارة ، فتصافحا وتبادلا من الفرح والسرور مالامزيد عليه ، فلما استقر بهما المجلس ، اخبره بأنه جاء للعسل لمولود ذكر زاد عنده ، فقال له الوالد حبا وكرامة ، فتجاذبا الحديث، والحديث شجون الى ان تنفس الوالد الصعداء ، وبدت على وجهه لوائح الاسف والشجون ، فقال له سيدي امحمد - فتحا - مالك قد تمعر وجهك ، وبدت عليه لوائح الاسف والتلهف في أقل من طرفة عين ؟ فقال لانك لما اخبرتني بزيادة الولد عندك ، تفكرت في حالي وتجددت أفكاري واوجالي ، من عدم ولد ذكر يعقبني ، يرثني ويرث من ءال احمد بن علي ، ولم يكن لي غير ابنتين الان وها أنذا في سن الاربعين ، وقد تمنيت ان يكون لي اولاد ذكور ، قال سيدي امحمد ، فقلت أمدد يدك ويدنا الى الله مع شدة الحضور ونهاية الاضطرار التي وردت عليك في هذا الحين ، فان شدة الاضطرار تؤثر في قضاء الحوائج • حتى قال بعض العلماء انه اسم الله العظيم الاعظم ، والله تعالى قال (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض) ، قال ففعلنا ودعونا الله بهذه الصفة ، فلما فرغنا من الدعاء بأن يرزقه الله الولد الذكر الصالح • دخلنا الى دار الضيافة ، فاكلنا وشربنا ، واتحفني بما جئت لاجله من العسل وغيره ، ثم قلت عند الوداع : اذا ولدتموه فسموه باسمه صلى الله عليه وسلم محمدا

(فان لي ذمة منه بتسميتي محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم)

• وأيضا فلا بد ان تذبحوا على الولي الصالح سيدي يعقوب الذي بجبل (تازرمامت) المطل على وادي (تيملت) كما هي العادة في ذلك العصر • من أن من لم يكن له أولاد ، ينذر الذبائح ، ويقربها له عند طلب قضاء الحاجة ، قال الوالد فمامكثت الوالدة الا أياما قلائل بعد هذا المقام الاضطراري فحملت بك ، وكان تمام المقصود على مايرام ، ولله تمام النعمة ، والحمد لله رب العالمين ، وسماني الوالد كما سماني السيد المذكور محمدا ، واحتفل يوم السابع ، وقرب القربات ، ونصب أعلام الضيافات ، وتصدر للاحتفاءات والاحتفالات ، وذبح الذبائح الكثيرة • واستدعى من قريب وبعيد أقطاب العلم والفضل ، للذكر

وقراءة القرءان ، فأقام الناس أمد الضيافة • فقطعوه بما يرضى الله ورسوله فاكرم وفادة الكل ، وسرحهم فرحين مسرورين ، داعيـن بحسن البقاء ، والهداية والتوفيق والهناء ، وقامت الوالدة بتربيتى احسن قيام ، وهى من الصالحات القانتات العابدات ، الصائمات القائمات اناء الليل وأطراف النهار المجتهدات فى طاعة الله ورسوله ، الحافظةلكتاب الله (١) رقية بنت العربى بن الحسن بنعلى بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن أحمد بن محمد ـ فتحا ـ بن عبدالله بن سعيد حفيد الولى الصالح سيدى عبدالله بن سعيد الجعفرى (٢) دفين (تيظاهارين) بمدشر (أيمور) وجدتنا سيدتنا خديجةبنت الفقيه العلامة المرابط الولى الصالح السيد الحسن بن محمد ـ فتحا ـ بنعبدالرحمان سلالة العلامة الكبير المتفنن البارع الشهير السيد على بنأحمد بـن سعيد الغازى الكرسيفى المانوزى قبيلة ، العثمانى نسبا ، المتزوجة عام ١٢٦٣هـ والمتوفاة عام ١٣٠٣هـ ، بأيمور قبل زوجها العربى ، وهو شقيق العلامة الشهير الحافظ الكبير خاتمة المحقيقين ، السيد الحاج محمد بن محمد بن عبد الرحـمـان المستوطن مصر حياته ، المتوفىفيها ، كما بلغنا ، عن بنات دون ذكور •

ولما بلغت رابعة السنوات فى عمرى اخذ الوالد بيدى الى المؤدب فـى المكتب بجامع البلد (أوالا) ، وهو يومئذ الفقيه البركة ، ذو الخط البارع• المرابط السيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمان بن أحمد بـن عبد العزيز بنالولى الحسن بن عبدالله وأحمد بن محمد هذا هو الامام ، مـن بنى عبدالرحمان البوزيدى الكرسيفى ، وسياتى ذكره عند التعرض ، لـذكر أشياخنا رحمهم الله ، ومع الوالد الحذاقة (٣) كما هـى العادة ، ابـتـدأت الحروف الهجائية ، وتعلمتها منه فى اسرع زمان ، فما لبث ان توفى رحمه اللهعام ١٣٠٩هـ ، وجاء ابن أخيه المرابط السيد محمد بن الحسن بن محمد ابنأحمد بن عبدالرحمان المتوفى عام ١٣٥٣هـ الى المكتب ، وتعلمت منه بقية الهجاء والخط الى ان وصلت الى حزب (عم) ، فخلفه المرابط السيد الطيب بن محمدبن بلقاسم من بنى الحاج الغازى الكرسيفى المتوفى عـام ١٣٥٧هـ • فاشتغلت عليه بالتعلم ، الى ان وصلت فى الحزب الثامن قوله تعالى : (أتواصوا به، بلهم قوم طاغون) • وكنت أكرره فى لوحى ، اذا برجل دخل على المؤدب بحضرة المقدس الوالد ، فأخبره بورود خبر وفـاة السلطان مـولاى الحسن •

---

١) لعله يقصد بعضه فـن بعض جيران المترجم انكر هـذا والحافظات المقرءان اذذاك مشهورات يتحدث بهن او لاندرى نحن فى الموضوع شيئا

٢) فقد أشبع الكلام حول هذه الجعفرية المنسوبة لهذا السيد فى ترجمته فى (القسم الاول) من هذا الكتاب

٣) يعنى مايقدم الى الاستاذ من والد تلميذ جديد عندما ياتى به الىالتعلم فانه ياتى اما بدراهم اوطعام او هدية أخرى

وقيام المولى عبد العزيز مقامه ، على صغر سنه ، فى ذى الحجة عام ١٣١١هـ فرأيت على وجه الوالد تغيرا كثيرا ، فقال له المؤدب مالى أراك متغيرا ، وليست لك علاقة بهؤلاء العلويين فقال له الوالد لاتقل ذلك ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من بات ولم يهمه امر المسلمين او ماهذا معناه ، فانى تغيرت لذهاب العلاج ومجيء الفساد لصغر الامير المنصوب ، وهو اصغر من ولدى هذا ، وأشار رحمه الله الى بيده ، ومازالت تلك الاشارة المقصودة على تلك الجلالة المرحومة نصب عينى ، نعم ، وقد زلزلت (١) الارض حتى تحركت الديار ، واندقت الابواب والطيقان ، قبل هذا بايام قليلة ، ثم جاءت الاخبار بوفاة السلطان المذكور فى ذلك اليوم الذى وقعت فيه الزلزلة ، وكنت وأنا صبى مميز بين أعمامى المرحومين تحت شجرة الخروب بالموضع المسمى بابى الفيزان (بويفردايين) وفيهم الوالد ، مع جماعة من أهل البلد ، والكل شاكى السلاح لشدة الخوف الاتى ذكره قريبا ، فاذا ببعض أهل الافاق ، خالط الجماعة ، فسألوه فأخبرهم بموت السلطان فى اليوم الفلاني ، فاسترجعت الجماعة لموته • وتوجعت له ، ثم اخبرهم بمبايعة ولده عبد العزيز المومأ اليه ءانفا ، وله من العمر ١٢ سنة ، وبويع والده المولى الحسن المذكور نحو عام ١٢٩٠هـ

ولنرجع الى مانحن بصدده ، ثم غادر الاستاذ المذكور المسجد ، فخلفه الولى الصالح المرابط السيد محمد ـ فتحا ـ بن بلقاسم الركراكى المذكور، المتوفى عام ١٣٥٩هـ المشير على الوالد بما تقدم من تقديم الذبيحة للولى سيدى يعقوب ، وتسميتى محمدا وغير ذلك ، فختمت عليه القرءان الختمة الاولى ، وحفظته عليه فيها حفظا جيدا • ولهذا الشيخ اعتناء عظيم بتربيتى وتعليمى بأنواع السياسة لطافة وحيلة وقهرا ، وغير ذلك مما يستدر به افهامى • وقاسى فى مقابلتى ليلا ونهارا ما هوسبب لرفعة قدرى ومقامى ، جزاه الله عنى أحسن الجزاء ، ومتعه بالامن والامان فى دار التهانى والهناء

ءامين ءامين لا ارضى بواحدة حتى أضيف اليها الف ءامينا

ولما ختمت القرءان العظيم بعث الوالد كما هى العادة عند أغنياء البلاد السوسية ، الى ذوى الفضل من أهل العلم والطلبة ، والمرابطين والفقراء والمساكين ، فذبح الذبائح • وأسبغ على الجميع ما غمرهم من أنواع الاكرام وسجال الانعام ، وختم الناس ختمات كثيرة لاشتغالهم بقراءة القرءان ليلا ونهارا فى ظرف ثلاثة أيام

وان كتاب الله أوثق شافع وأغنى غناء واهبا متفضلا
وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجملا

١) زلزلة الارض سنة ١٣١١ هـ

وشهد لى الوالد المقدس مع اخوتى الذكور بالوصية بثلث ماله ، حيثما كانعقارا وغيره ، على العلامة الصوفى المرابط السيد محمد بن على بن محمد من بنى الحاج الغازى الجرسيفى ، وعلى عمه شيخنا الفقيه السيد الطيب بن محمد الاتى اسمه ، وكتباها بخط يدهما بحضورهما هـذا المشهد العظيم ، رجاء منه رضى الله عنه ثواب كتاب الله الجزيل وبركته حقـق الله الرجاء وجعله فى سلك المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحيـن فانفض الناس وانصرفوا شاكرين ، فرحين مسرورين ماجورين ، وبكل خير دنيوى واخروى ءايبين غير خائبين

وأعلم أن من عوائد المغرب فيما ادركنا وشاهدنا خصوصا عادة سوسنا الاقصى أن الاعراس والختمات القرءانية فى الافراح والاحتفالات عندهم سواء ، بحيث يستعدون اذا بقى للتلميذ خمسة احزاب للختمة ، ومن كـل نوع من أنواع الخيرات ، وأسباب النشاط والفرح ، يستمدون ، ويراسلون أخوانهم واحبابهم • ومعاريفهم وارحامهم دانيها وقاصيها ، فى سهول بلادهم وصياصيها ، ليكونوا على استعداد تام ليوم انتمام والختام ، وذلك موعدهم وهو يوم الزينة ، وان يحشر الناس ضحى ، وعند وصوله ، وختامه تراهممن كلحدب ينسلون فرحا ومرحا •

تری الناس افواجا الىضواء ناره فمنهم قيام حـولها وقعود

مع استشعارهم واستحضارهم لتمام الخشوع والخضوع لكـلام رب العالمين ، واحتسابهم من خطواتهم التى خطوها من بعد الشقة وطـول المشقة وقطع الفدافد حرارة وبرودة ، شعثا غبرا ، أجرا وعملا صالحا ، ونعماجر العاملين • وتراهم يتساءلون فيما بينهم متى تمام الختام والانفضاض منتلك الحضرة القرءانية الختمية المباركة الربانية ، فيهنئون من حضرها بكل خير ويعتقدون له حصول الثواب والاجر ، كأنما رجع منحج مبرور ، كما أنهم يرنون الى عادم حضورها بحرمان كثير ، وانه فى غفلة ساه فى ترهات الغرور والسنتهم تتلوفيه قوله تعالى (ومن يعرض عن ذكر الرحمان نسلكه عذابا صعدا) وان الشيطان يلعب به ، ويدرس به مع البهائم حيث له فيه جرين• او يفترسهمثل الاسد الضارى فى فلوات له فيها عرين (ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيضله شيطانا فهو له قرين) ثم جعلت تلك النواميس القرءانية وتعظيمات الحرمات الشعائرية تنحط شيئا فشيئا من حين وفاة الملك المولى الحسن بنمحمد المذكور الى هلم جرا ، وصار التلميذ بعد ذلك يختم القرءان فى قبيلته ، ولايشعربه من هو معه فيها ، الى اعوام السلطان المولى عبدالحفيظ عام ١٣٢٥هـ فلايشعر به الامن فى البلدة التى هو فيها الى أعوام الثلاثين من هذاالقرن الرابع عشر أيامالسلطان المولى يوسف بن الحسن ، فعمت العوائد الخارجية أقطار سوس ، بعدما وقعت حروب كحروب البسوس ، فاستولت

العوائد الافرنجية بكثرة الامتزاجات والخلطة على أبناء سوس الذين انتشروا كما انتشرت تجارتهم فى المغارب الثلاثة ، بل الى اوربة واميريكة فاكتسبوا شتى العوائد ، فطمت على العوائد القديمة ، كالسيل الجارف ، فقضت على بقيتها • وانقضت أنواع التعظيمات وصارت شعائر الدين نسيا منسيا كسائر الاقاليم •

فكان ما كان مما لست أذكره   فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

(تنبيه) كان التلميذ فى ذلك العهد اذا ختم القرءان فـى المرة الاولى بالسوس الاقصى يلحظ بعين التعظيم فى جميع قبيله وغيره وسائر ابنـاء جنسه ، فيعلقون عليه ءامالا كثيرة • ويرجون مستقبله ، فتسرى فيه روح التعظيم ، فيتكلف أنواع الاخلاق الحميدة من لطف وتواضع وحياء وصمت عما لايعنى، وجدواجتهاد فى اكتساب المعارف والزيادة منها وفيها • وتدب فيه نخوة علمية يتعالى معها عن سفاسف الامور ، حتى تبلغ به تلك الاخلاق المحمودة الى ذروة المجد، وترنو اليه العامة باعين الكمال • فيعرف ذلك هو أيضا فـى نفسه ، وتتكيف منه الهمم العالية ، الى ان تـؤديه الى الاشتغال بالعـلـوم المتنوعة ، فيحصل فيها اوفر نصيب • ويضرب منها بسهم مصيب ، فعندئذ يحصل عندهم الشموخ ، لبلوغه لديهم درجة الرسوخ ، فيغمرهم من هيبته ما يحماهم على الخضوع له قلبا وقالبا ، غيبة وحضورا ، فلا يكاد احد منهم يتكلم فى ناديه الا باذنه ، اوفى محفله الا بأمره ، وصار مستشارا لايقطعون امرا دونه ، فيرجعون اليه فى جميع مهماتهم تبركا برايه واشارته ، فاذا نهاهم انتهوا ، واذاأمرهم ائتمروا • ومتى زجرهم انزجروا ، فلا يأنفون من كلامه ولايستنكفون من ملامه ، فاذا حضر فالخير كله لديهم حاضر ، ومتى رأوه ولو من بعيد قامواإجلالاله • كما تقوم للمؤدب المحاضر (١) واذا تسوق أسواقهم أوحضر مواسمهم صاروا يهتفون به ، ويتباشرون فيما بينهم • وتراهم من كل حدب ينسلون الى حضرته تحت ظلال بعض الاشجار ، او الديار المـجـاورة للموسم او السوق • لانه لايدخل مع العامة فى زحام ذلك ، محافظة على كرامته ونزاهة عن ضجتهم ولغوهم ، فترى الناس افواجا يذهبون لزيارته وللاقتباس منه ، ويتحاكمون اليه فيما شجر بينهم ، واذا حكم بين الخصمين نفذ حكمه فتلك الفتوى بمنزلة الحكم عندهم ، لان العوام بمجلسه كثيرون ، فاذا استفتى التفتوا اليه ،واذا نبست بنت شفتيه ولو بكلمة واحدة ، وقعت منهم موقعا عميقا فى القلوب ، فلايخالفها المحكوم عليه • ولولم يقل له سوى اذهب فليس لك حق ، فانه يسكت فلا يراجعه ، فاذا راجعه يعده الناس غير منقاد للشريعة المحمدية ، وربما ان الح فى ذلك يصدر له من جهتهم ما يسوؤه من ضرب اوجرح

---

١) اى التلاميذ على لسان السوسيين

أوانخالف فانه ربما ينكل به ، ولوقال لهم العالم المستفتى اقتلوه لفعلوا بلا توقف ، لانأمره عندهم ممتثل، لما وقر في أذهانهم من ان العلماء ورثـة الانبياء (١)

هكذا كانت نواميس العلماء من زمن بنى تاشفين فى القرن الخامس الى القرن الرابع عشر تقريبا ، فلا يبالون فى أحكام الله وأوامره لسلطـة سلطان ، ولاشوكة ظالم غاشم شيطان ، فاحرى من دونهم ، بل هم بالعلم أيمةالخاصة والعامة ، أرباب الاحكام والسيوف والاقلام ، وقـد سمعت مـن التاريخ وهو شاهد عدل ما ينبئك عنهم ، (ولا ينبئك مثل خبير) مما بلغ أعلى رتبة من نفوذهم ، ويكفيك الشيخ الامام العالم الولى سيدى عبد الله بن ياسين المعافرى (٢) التامانارتى السوسى رئيس دولة لمتونة ومؤسسها ومهديهـا . التى بلغت فى المغارب الثلاثة والاندلس الى اطراف باريز (٣) ما يشهد لما ذكرنا ، وكذلك محمد بن تومارت الهرغى السوسى ، مهدى دولة الموحدين. الناسخة للدولة المرابطية والتى بلغت أيضا ما بلغت أختها فى القرنين السادس والسابع ، وأصحاب الدولة السعدية الشريفة التى قامت بالجهاد لنفى رجس استعمار البرتغال فى المغرب فى القرن العاشر ، وغير ذلك من العلماء الذين يثورون خلال تلك العصور على تلك الدول ، بمالهم منالنفوذالعلمى ، وءاخرهم هو الشيخ احمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين ، الى انطم على نفوذهم عباب الاحتلال الفرنسى فى أواسط هذا القرن الرابع عشر ، فانقرض قريبا مـن الاحتلال الواقع فى جبال سوس عام ١٣٥٢هـ من أكابر دهاتهم علما وعملا ونفوذا ، ماينيف عنعشرين ممن تحدثه نفسه بالقيام بالامر لاستحقاقه ، لولاقوة الحماية الفرنسية التى أخذت بمخانق الارض فى الجو والوعر والسهل والبر والبحر ، على أنهم جالدوا عساكر الحماية ازيد من عشرين سنة الىأن ماتوا فى حدودالاربعين بعد الثلاثمائة وألف ، ومن دهاتهم علما وعملا ونفوذا الفقيه العلامة ، الصارم القاطع اللابس من الفضل والورع أفضل لامة ، سيدى علىبن عبدالله بنصالح الالغى ، فان نفوذه سار فى جميع القبائل السوسية من جبل (الكست) الى أيت باعمران الى طرفاية من جهة البحر ، الى أقة من جهة القبلة ، بحيث اذا راب ريب العدو المعاند ، ونادى مناديه فـى أسواق القبائلبالجهاد لايتخلف احد عن اغاثته ، ولايتقاعد قاعد ، او يتكاسل كسلان

١) هذا هو الغالب ، والا فهناك لائحة علماء فتك بهم المحكوم عليهم أو هددوهم بالقتل وعندنا فى هذا حكايات يجدها الانسان متفرقة فى هذا الكتاب كأحمد الايغيرى التامانارتى ومحمد بن الحسن الجشتيمى

٢) هذه النسبة فى عهدة المترجم والا فقد وقفت على نسب يلتحقبالسملاليين والله أعلم

٣) لوقال الى اطراف مدريد (مجريط) لقارب والا فاين باريز مما وصله اللمتونيون فى الاندلس

عن اجابته (١) ومنهم الفقيه العلامة المرابط الخير بل الشريف سيدي الحاج عابد (عبد الرحمان) بن عبدالله بن عمر التيفيراسيني القائم بمبايعة الشيخ أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين عام ١٣٣٠هـ فانه اكثرهم نفوذا في سهول هشتوكة وجبالها ، الى (حصن المنكب) (تعريب اكادير ايغير) الى حد هيلانة (ايلالن) من جهة القبلة ، ومن اعظم نفوذه انه اذا وقعت الفتنة بين قائدوقائد، اوبين قبيلة وجارتها ، لايجد كبير مشقة في اصلاح ذات بينهما ، بل يبعث مع بعض أصحابه بكتاب ، او يبعث بعض طلبته فقط ، فبمجرد قراءتهم له او بلوغ صاحبه ينكفون تخوفا من سطوته العلمية ، وهو رحمه الله كثيرالاصلاح لذات البين الى أن توفي رحمه اللهفي شوال عام ١٣٥٠هـ (٢) ومنهم العالم العلامة المنقولي المعقولي الاصولي أبو عبد الله السيد المحفوظ الادوزي ، فانه قائم بشئون الجبال الجزولية الى ان توفي فـي ذي الحجة عام ١٣٥١هـ (٣) وغيرهم ممن لم أذكرهم ممن لهم نفوذ فـي قبائل متعددة او قبيلة واحـدة ، وسأذكر الجميع في مؤلف خاص ان سامح الدهر الخئون بجمعه (٤)

ولنرجع الى مانحن ، ولما اتممت الختمة الاولى على المرابط السيد محمد ابن بلقاسم المذكور ، خلفه الفقيه المرابط السيد عبد الرحمان بن محمد من بني اكرام البوزيدي الاسكاوري المتوفى عام ١٣٣٢هـ غير أنه لم تطل مدتـه ولم يقم معي غير أشهر ، ثم خلفه الفقيه الاديب العاقل الاريب الصوفي التقي النقي المرابط أبو عبد الله سيدنا محمد بن أحمد بـن محمد اشتهر بابـن السلطان البوزيدي الاسكاوري المتوفى عام ١٣٢٣هـ فعليه تادبت وتخرجت ومنه اقتبست أفكارا شتى واخلاقا دمثة ، لكونه جال في الدنيا لاسيما الغرب فاخذ عنقرائه ، وله خبرة تامة بالقراءات ، وعلوم الرسم والخط والتجويد وقد قرأت عليه قراءة نافع ، مع رسومها وحدودهاوتجويدها واتقانها اتقانأ كلياالىالنهاية ، من حذف واثبات ، وامالة بنوعيها ، وتفخيم وترقيق ، وغنة وروم واشمام بحسب معرفتها الوقتية ، وادغام بنوعيه ، وكيفية مخارج الحروف وأنواعها وضوابطها نظما ونثرا ، وقرأت عليه قراءة قالون ختمة واحدة مفردة ، ثم قراءة عبدالله بن كثير كذلك ، مع نصوصها واختبارها وحفظت عليه غالـب المتون العلمية مثل ابـن عاشر ، والجرومية ومنظومـة الزواوي ولامية الافعال ولامية المجرادي ، ولامية الزقاق ، وتحفة الحكام لابن عاصم واكثر القصائد الادبية ، مثل لامية ابن الوردي ، ولامية الشنفري ولاميةالطغرائي ، ولامية السموأل وغير ذلك مما لم نذكره مـن القصائد

١) قد رأيت ذلك بتفصيل في ترجمته في (القسم الاول)
٢) سترى ترجمته الواسعة في (القسم الرابع) ان شاء الله
٣) سترى ترجمته مستوفاة في (القسم الثالث) ان شاء الله
٤) ها نحن اولاء نقوم عن المترجم بما لم يتيسر له ان يقوم به فهل يكون هنالك آخرون يستتمون أيضا ما ابتدأناه ولم يتيسر لنا اتمامه .

العربية

والحاصل أن لهذا الشيخ رحمه الله له بجانبي اعتناء كبير ، وللوالد المقدس به أيضا اعتناء عظيم فيما يعوزه من أمور ضرورياته ، اللازمة لداره وأولاده ، الى أن توفي الوالد عام ١٣٢٠هـ فارتحلت الى هشنوكة عام ١٣٢١هـ

وأعلم أنني لما وصلت الحزب الثامن (قال فما خطبكم) ابتدأت كماشرنا لذلك فيما تقدم على المرابط سيدي محمد بن بلقاسم المذكور ، وختمت عليه القرءان كله كما ذكرت ، حفظته كله حفظا جيدا لكثرة اعتنائه أيضا بنا . بخلاف من تقدم من ءال (كرسيفة) فانهم كعادتهم مع غيرهم من القبائل لايبالون ولايعتنون بالمتعلمين ، مخافة من نجاحهم ، ومزاحمتهم في الرئاسة القرءانية والعلمية ، لانهم يتواصون على تهميج غيرهم من القبائل ليستاثروا بأخذ الزكوات والاعشار ، والعدالة والقضاء . والمشارطة في المكاتب ، واستخدام العامة بأنواع الوسائل بالتدجيل والتلبيس عليهم ، وكم من قبيلة بالسوس الاقصى لاسيما جبال جزولة وحواليها موسومة بالشرف الصحيح لعمودها الواضح وضوح الغزالة في ضحاها ، فيعمدون الى زعامات معروفة من عندهم وتقولات اخترعوها ، وخرافات ابتدعوها ، فيضعون بها ذلك النسب الشريف ويزيلون بهاذلك الظل الوريف ، ليبقى لهم ناموسهم العثماني الاموي محفوظا وبعين الاجلال من العوام ملحوظا (٢) فكم من بطن من بطون قريش من بكري وعمري وعلوي ، وهم اكثر ، وجعفري وغيرهم ممن التجأ الى تلك الجبال هاربا ، وتوغل في قننها العالية عن حريته مدافعا ومحاربا . لاسيما أولاد المولى ادريس بن ادريس بن عبد الله لما تغلب عليهم بنو العافية من زناتة في القرن الرابع الهجري وتشتتوا في كل وجه ، منكرين لذلك النسب الشريف حقنا لدمائهم ، فتسرب جمهورهم الى جبال جزولة (ولتيتة) و (مانوزة) الى بلاد القبلة من جهة القبلة ، والى هيلانة ـ ايلالن ـ الى جبال درن من جهة الشمال، ومثلهم أيضا الاشراف السعديون اوائل القرن الحادي عشر ، وقد وقعت بينهم الفتنة فشتت بعضهم بعضا ، الى ان قضت على بقيتهم الباقية عاصفة الشبانات ، وهبت ريحها العاصف من عبد الكريم المسمى كروم على اولاد محمد الشيخ منهم ، فاستأصل بقيتهم ، وهرب باقيهم الى سوس ، لجهة صحرائها . واكثروا من التنقلات في تلك الرمال ، والانتجاعات الى تلك الجبال واكثرهم بنواحي درعة ، وانفصلت منهم طائفة قليلة الى (مانوزة) أيام المولى اسماعيل بن الشريف في حدود التسعين بعد الالف الهجري ، وهم

---

١) مراكش فما وراءها عند السوسيين

٢) قد يكون في السادة الكرسيفيين بعض يتصف بهذا ولكن الاكثر ـ وهو المعتبر ـ خال من هذا الوصف ، ولاتزر وازرة وزر أخرى

أشهر من (قفا) (١) وسنعرض لذكرهم ان شاء الله (٢) وممن التجا الى الناحية السوسية أيضا ، طائفة من العلويين أيام المولى اسماعيل وابنه عبد الله وابنه محمد الى هلم جرا ، فانهم مع ماهم عليه من الملك الحاضر يهرب بعضهم من بعض ، وينتجعون الى السوس أيضا من غير خوف ولافتنة بينهم ، وهم أيضا اشهر من نار على علم (٣) والله عليم بذات الصدور ، وقد تذكرت واناصغير في ابان حفظي للقرءان وفي لوحي انواع من النصوص الرسمية ان دخل على بعض الكرسيفيين المذكورين ممن يشار اليهم بالصلاح ، وهم ثلاثة فقال أحدهم ان هذا التلميذ سيصير عالما كبيرا ، فقال له الاخران ان هذا والله سيصير شوكة في طريقنا ، وقذى في احداقنا وغصة في حلوقنا ، فكنت بعد ذلك لهم كذلك ، الى ان انقرض ذلك الجيل معنا في الصدق والمحبة

ولنرجع الى مانحن بصدده ، فانه طال بنا في غيره الكلام ، وجمحت بنا في ميدان الاستطراد الاقلام ، فنقول : لما حفظت القرءان الكريم من أول مرة أمر الوالد المقدس رحمه الله المؤدب العظيم الفقيه السيد محمد بن أحمد المعروف بابن السلطان المذكور ، أن يقابلني بكليته ليل نهار في عرض القرءان وعين لي عرض عشرين حزبا ليلا ، ومثلها نهارا ، وربما عرضت عليه ختمة كاملة بين الليل والنهار ان لم يكن مانع اوعائق يعوقه ، اوالى بعض الضروريات سائق يسوقه ، فما أتممت الختمة الثانية حتى ارتسم القرءان كالنقش في الحجر في قلبي ، من غير مشقة ولا ضرب منه ، ولاكبير جفاء رحمه الله ، وان انصدر منه بعض ذلك فلاباس به كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه

تصبر على مر الجفا من معلم ... فان رسوخ العلم في جفواته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة ... تجرع كاس الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم حال شبابه ... فكبر عليه اربعا لوفاته
حياة الفتى ، والله بالعلم والتقى ... اذا لم يكونا لااعتبار لذاته

---

١) يريد بكلمة (قفا) معلقة امرىء القيس المعروفة ، يقولون اشهر من (قفا) لاشتهارها في الادب العربي حتى عند المبتدئين

٢) آلى هؤلاء السعديين الذين يذكر المؤلف انهم التجأوا الى (أمانوز) ينتسب والانسان أعرف بنسبه وكم سمعنا من أنكار لذلك وليس عندنا ما نقوله لا اثباتا ولا نفيا

٣) لاأعرف من العلويين الفلاليين في سوس الا الذين في (اووز) وهم السعيديون وبعض البلغيثيين في رودانة واقة والمحمديين فيهما أيضا وهم أخوة السعيديين والعبلاويين في أقة وقاضي مراكش مولاي احمد السعيدي وقاضي رودانة اليوم مولاي سعيد من السعيديين منهم

ولبعضهم

اراني انسى ما تعلـمـت في الكبر ... ولست بناس ما تعلمت في الصغر
ومـا العلم الا بالتعلم فـي الصغر ... ومـا الحلم الا بالتحلم فـي الكبر

* * *

(فصل) في ذكر الحوادث الملمة في البلد مسقط الرأس في تـلـك السنين من سنة ١٣٠٦هـ التي ولدنا فيها الى سنة ١٣٢٠هـ فنقول :

في سنة ١٣٠٦هـ وقعت الفتنة بين اهل البلد وبين جيرانهم أبناء ابراهيم ابن داود بعدما انطفأت نيرانها مدة ما ينيف على خمسين سنة ، وان كان خلال تلك السنين أيضا بعض المناوشات والمقاتلات التي يطول بنا استقصاؤهـا لمنافاتها لهذا المقام ، وسنعرض لها ان شاء الله في مجموع غير هذا ، الى ان تعدى ابناء ابراهيم بن داود المذكورون وطغوا ، وعلى أهل (ءاوالا) بغوا ، وقد أثروا وأكثروا واستطالوا حتى على أهل القبيلة مع اشتداد شوكتها ، وامتداد يدها على سائر القبائل المجاورة وبسطتها ، وهم في الاصل ليسوا بقدماء في قبيلة (ءامانوز) وانما هم دخلاء فيها في حدود العشرين بعد المائتين والالف أيام السلطان المولى سليمان العلوى ، ولدخولهم وكيفيته الى بلاد (تامدغرت) بلاد الشيوخ المطلق عليهم اسم (ايفولوسن) اى (الديوك) الذين يحكمون سائر تلك القبائل من القرن العاشر الى ءاخر القرن الثانـي عشر أخبار تطول ، وهؤلاء الدخلاء من عرب ذوى بلال (اداوبلال) انتجعوا بانعامهم ومواشيهم الى أن وصلوا ظاهر (تاسريرت) ولما تكاثروا تحالفوا مع أبناء عيسى بن ابراهيم ابن داود ، فسموا بهم ، وأطلق عليهم اسمهم ، وليسوا من اولاد عيسى كما هو معلوم . بل هم من أولاد (واعبلا) البلالي ، ثم لما كثروا نزلوا (تانغرت) بلاد الشيوخ المذكورين ، وخالطوهم بانواع الخدمة الى ان ضعفت شوكة الشيوخ لاسيما أيام وقوع وباء عام ١٢١٤ الذى اخلى البلاد من العباد ثم انعطف عليه وباء عام ١٢٢٠هـ فانقرض الشيوخ ولم يبق منهم غير عشرة بين رجال ونساء فاقل ، فثار عليهم هؤلاء الدخلاء فقتلوهم عن ءاخرهم ، ولم يفلت منهم غير قليل لقرابته من بعضهم ، وهربوا الى بني الطالب باياى بـوادى (تيملت) ولازالوا هناك ، ثم انتشر داؤهم ، وبطروا واستكثروا من الخيل ، وأنـواع السلاح فتحالفوا مع بني عيسى ، وبني الربع ، من صميم قبيلة (مانوزة) ليشدوا بهما أزرهم ، وافترقت القبيلة فرقتين : فرقتي بني موسى بن عيسى ، وهما أيت عبد المنعم وايت على وأيت مسعود ، وفرقتي أبناء الربع أهل (ءاوالا) وماوالاهم من بني الربع وأيت ابراهيم بن داود من أبناء عيسى ، ووقعت بينهم الفتـن الطويلة ، من أيام السلطان محمد بن عبدالله اوائل المائة الثالثة عشر الى عام ١٢٦٢هـ فوقعت الفتنة بين الارباع من بينهم أيضا ، وافترق أيت ابراهيم

ابن داود مع حلفائهم بني الربع فوقعت بينهم حروب وفتن فمات من الفريقين عدد لايستهان به ، وكانت العلماء والاشراف والمرابطون يتوسطون بينهم للصلح كثيرا ، فينقادون له تارة وتارة فلا الى عام ١٣٠٦هـ المشار اليها فتمألأ بنو (أوالا) على أهل (تالكانونت) من أبناء (واعبلا) أيت ابراهيم بن داود المذكورين في هذه السنة ، واستنفروا عليهم أبناء مسعود ورئيسهم (واعزيز) فقتلوا منهم من كبارهم محمدا بن كتوش واخاه الخطير وزوجته لكونها تدافع واسروا ولد الاول بلقاسم بن محمد ، واستنقذه منهم المقارس والدنا السيد أحمد بن علي ، بعد أن هددهم بالقتل ، فأطلقوه • فهجم أبناء (اوالا) ومن معهم على بلدهم المذكور (تالكانونت) ونهبوا مافيها ، فجالدهم عدوهم أيت داود في عدد كثير وفي شجاعة وبسالة ، فاختلطوا ورجعوا الى بلدهم بعدما احتلها بنو (اوالا) فلما دخلوا حصنوها ، وضربوا الحصار على بلد (اوالا) مثل النطاق سنة كاملة ، وهدموا ديار بومازير ، وديار بني سعيد ، وديار بني الرامي • وديار بني ابراهيم بن علي بأعلى (اوالا) حتى لم يبق غير البلد الكبير (اوالا) وانحشر اليه الناس المهدومة ديارهم المذكورون ، فانحصروا فيه يدافعون ، واستعان عليهم أيت داود أبناء (واعبلا) المذكورون بقبيلة (مانوزة) كتعاء وتهالة وغشانة فأقام الحصار مضروبا عليهم سنة كاملة ، ثم دخل العقلاء بينهم للصلح ، على أن تكون لهم (تالكانونت) اخوانهم ، ودام هذا الصلح على دخل ، لكونه هدنة على دخن • مع تخوف كل فريق من الاخر ، أما أبناء (اوالا) لقلتهم وبعد بلدانهم بعضهم من بعض ، فلايخرجون لقضاء اغراضهم الا في جوف ليل ، اوبخفارة بعض من له شوكة في القبيلة ، لكون حلفائهم أبناء الربع وهم اوكضيشت ووادى امزاور وامكنسن وتاغرارط • منتبذين عنهم لبعد الشقة ، وعدوهم أبناء داود معهم في واد واحد ، وبلد واحد ، بمركز واحد • وكثرة عددهم واجتماعهم بادنى صيحة ، ولولا مزيد جرأة وشجاعة وبسالة ، وصبر عظيم ، واتحاد الكلمة • والديانة المتينة في أبناء (اوالا) لانقصمت عراهم ، وغلبت عليهم أعداؤهم • والله ينصر من يشاء (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) ، وكثيرا مايتحفز العدو للوثبة على أبناء (اوالا) خلال هذه الهدنة ليستأصل جرثومتها ، لكونها قذى في عينه ، ولكن لملازمة أهلها حمايتها ، بحيث لايخرجون ولو الى الاسواق ، وقضاء المآرب والضروريات من بيع وشراء وحرث وحصاد وغير ذلك ، لم يجدوا اليها سبيلا

ولما كانت سنة ١٣١٢هـ بعد انسلاخ صفر منها ، ووفاة السلطان المولى الحسن بن محمد بنحو ثلاثة اشهر ، ثارت تلك الفتنة أيضا ، وسببها ان العدو أبناء (واعبلا) أيت داود المذكورون تمالأوا على قتل رؤساء (اوالا) فدس أيديهم من يقتل أولا الشجاع البطل المشهور عبدالله بن علي بالوش ، بهذا (اللقب) يعرف من بني ابن همو ، وذلك انه بعث اليه رئيس العدو ، وهو علي بن عدى من بني

الحاج يوسف للاجتماع به ، بجوار الولي الشيخ سيدى محمد بن بلقاسم بن ابراهيم الغرموزى بجانب كدية اورير فوق المرج للزيادة فى الصلح والهناء فذهب اليه بعدما نهاه من كان حاضرا من رجال البلد : الفقير بلقسم بن عبدالله من بنى الرامى وغيره ممن لم يذهب الى الحصاد ، اذ الوقت وقته ، وانتشر الناس فى جمع الزروع وضمها ، فلم يبق بالبلد الاحاميته ، فغلب وخالف أمر من نهاه ، فذهب منبعثا للاجتماع به فى الموضع المذكور ، فوجده جالسا محتبيا بالسلهام الاسود (الدائرة) (١) مستعدا بطلوع زناد بندقيته لضربه متى وصله ، وقد اخفى مكان الزناد ، فلما دنا اليه عبد الله المذكور ، وبينهما قيدقامتين • سلم عليه فرد عليه السلام ، ثم رأى عبدالله يبرز بندقيته ويستخرجها من غمدها ليحكها مما عسى ان يصيبها من الغبار ، على العادة فى ذلك الوقت ، فمن جلس بلا شغل يشتغل بتصقيلها ، فما استخرجها حتى وثب عليه ذلك الغادر على بن عدى ، وسدد نحوه بندقيته ، ليطلقها عليه ولكن على بن عبدالله لقوة جاشه وشجاعته وخفته ، وشدة بطشه أيضا ، تلقاه بوثبة أقوى وأخف من وثبته ، فتلقف البندقية من يديه ، فخرجت الرصاصة الى الارض ، فلم تصبه بادنى سوء • ورمى على بمكحلته هو على الارض ، وتصادما وتعانقا ، وتطاحنا وتصارعا دون أن يستعملا الخناجر (الكميات) (٢) لان كلا منهما متقلد بكميته (خنجره) ولكن لشدة المصارعة والملاحمة بالملازة لم يتمكن احد منهما من استلال خنجره للمقاتلة ، مخافة الاخر ، فداما على المصارعة من أول النهار فى الساعة الثامنة الى الساعة الثانية عشرة ، ومبدأ القتال كما ذكرنا كان فى الطريق الملتصقة بأورير ، الى أن وصلا الى الوادى ، وذلك مقدار مسافة كيلومترين ، فلم يرهما أحد ، ولم يطلع على مصادمتهما غير الله تبارك وتعالى ، وفى أثناء المصارعة اعترضهما سد عظيم عال ، فتهافتا فسأقطين عند انهياره بهما ، فما وصلا الى الارض تحته الا وعبد الله بن على تحت على ابن عدى الغادر ، لكون هذا طويلا طولا مفرطا ، ولكون عبدالله بن على رجلا وسطا ربعة ، ولكن لخفته كما ذكرنا تمكن من استلال خنجر عدوه وهو تحته فاغمده فى بطنه ، وأعاده ضربة بعد ضربة الى ان قتله وهو فوقه ، فانسل من تحته • وضربه فى جبهته ضربة اخرى ، فانكسر فيها الخنجر ، وتركه يتشحط فى دمه ، فتابع اثارهما • يتطلب بندقيته الى ان بلغ الموضع الذى بدأت منه المصارعة فتناول بندقيته دون بندقية صاحبه ، تورعا منه رحمه الله عن أخذ سلاح غيره ، كما هى عادة اعاظم الرجال فى ذلك الزمان ، كذلك رجع على الغادر غدره ، والباغى مصروع أبدا (ومن نكث فانما ينكث على نفسه) ، قال الامام على كرم الله وجهه : مابارزت أحدا الا غلبته ، فقيل له فى ذلك ، فقال

١) الدائرة تطلق عند السوسيين على سلهام الملف الضارب سواده الى الزرقة اوكان أسود غربيبا

٢) ينسب الخنجر الذى يتقلد به الى الكم لانه يكون تحت كم متقلده

لانهأول من يطلبني للبراز ، فاذا بدأني فهو الباغي والبادى أظلم ، اوماهذا معناه ، وله في ذلك رضى الله عنه حكايات وطالبه فارس العرب عمرو بن عبدود ، ومرحب الخيبرى ، وشيبة • وربيعة والوليد • فبارزهم فغلبهم وقتلهم وجدلهم ، وتركهم عبرة للعرب والعجم ، اذ ليس لهم نظراء في العرب قوة وشجاعة وبسالة ، فصاروا امام هذا الامامالعظيم اضحوكة لجورهم وطغيانهم

لله بين خلقه خاتم   تجرى المقادير على نقشه
اذا طغى الكبش بلحم الكلا   أدرج رأس الكبش في كرشه
اذا بغى المرء على جنسه   لابد ان ينكب في فرشه

ولما قضى عبد الله بن علي على غادره ، استبق الى ان طلع ذروة كدية تعرضت له تسمى (تيناورعم) (اى ذات الجمل)فاطلق منها طلقتين من بندقيته ، وتلك علامة اعتادتها قبائل سوس انذارا بالشر ، لياخذ الناس حذرهم من العدو ، وليجتمعوا لكونهم منتشرين كما تقدم في ضم الزروع ، فلما سمعالناس تلك الامارة المنذرة ، تسارع الناس مخفين الى البلد ، فانحشروا اليه بأجمعهم ، ملتفين على عبد الله المذكور يخبرهم بتفاصيل عمل الغادر • وكيفية المقاتلة لتمامها ، وأنا ممن حضر ، وكنت حينئذ عند المؤدب • فخرجت فيمن خرج للقاء القاتل ومقابلته ، وتلقى الخبر من فمه مشافهة ، فرأيت في جبهته عضة عضه بهاغريمه • لما أحس بالموت تحته ، فسال الدم على جميع ذاته ، كأنهشج فيها ، رحم الله الجميع ، فشاعت أخبار موته في جميعالقبائل المجاورة • لانه ممن ذاع فيها خبر بطشه ، وسرى فيها نفوذ سلطته بما لهمن العصبية القوية ، فهز قتله جميع نواحى سوس ، فطن في الآذان من الجميع موته ، واعترف الناس لقاتله بشجاعة عظيمة • وشهامة كبيرة • ولما شاعت الاخبار عند العدو ، انقضوا انقضاض البزاة على الارانب ، وتسارعوا لحصار البلد ، مستعينين بطوائفهم الظالمة ، من أيت (فم الحصن) وأيت مسعود وايت على وتاهالا   فاستنفروا الناس طوعا وكرها ، وجاءوا بقضهم وقضيضهم وخيلهم ورجلهم ، وأخذوا بمخنق البلد (ءاوالا) من جميع الجهات فلا يبدو على اسواره (١) كلب ولادجاج ولا بهيمة الا اطلقوا عليها الرصاص ، وحاصروا البلد سنة كاملة ، ولكن أوجوداهل الشجاعة واهل الابابة والبسالة فيالبلد غدا حصارهم هباء منثورا ، فلم يغن عنهم شيئا ، ولما اعيتهم الحيلة تمالأوا مع الحاج ابراهيم الايفشانى ، وكان له اذذاك نفوذ عظيم ، ووجاهة في جميع

١) يعنى جدران الديار لان البلد له سور فضلا عن أسوار و (أوالا)قرية فقط من قرى البادية الصغيرة

القبائل (١) السوسية ومن عظماء رجالها ، وجاء مع الفقيه العلامة المرابط سيدي علي بن عبدالله الالغي ، فتطارحوا على أهل البلد ان يبذلوا مقدارا من المال يأخذه العدو ، ويفرج عن البلد ، فامتنع أهل البلد ، وقالوا لهم والله لانبذل لهم دانقا واحدا • ويكون سبة وعارا ، ومذلة في حياتنا سائر الدهر فما زالوا بهم الى ان قبلوا ثمانين ريالا يأخذها الشيخ الحاج ابراهيم الايغشاني والفقيه السيد علي المذكورين ، دون العدو فانبرم الصلح وانفرج العدو عن البلد ، من غير ان يمسهم أدنى سوء سائر السنة ، الاما اصابهم من أول الحصار من ذهاب جميع غنمهم ، ونثار اللوز في ابانه ، وقد ذهب للوالد المقدس رحمه الله ، والمعم الفقيه السيد بلقاسم بن علي • والعم عبد الله بن علي وللعم محمد بن علي ، وللقاسم بن عبدالله من بني الرامي ، ولعبد الله بن علي بالوش القاتل المذكور من الغنم مايفوت الحصر ، لانه لما وقعت الواقعة وخاف الرعاة على أنفسهم ان اشتغلوا بسوقها الى البلد وهم يومئذ بالمرج المذكور ، وهم ينظرون الى المتقاتلين المذكورين عند المصارعة من بعيد ، ولكن لم يتفطنوا لذلك الشرير الى ان فرغ القاتل من صاحبه واطلق العيارين من بندقيته كما تقدم ، فعندئذ هرب الرعاة من غير التفات منهم الى الغنم ، ولما استاقها العدو وحازها بعثوا بعض المرابطين الى الوالد المقدس ، يقولون له ان أردت غنمك أنت وأشقاؤك نبعثها اليكم ، فامتنع الوالد ولم يرض الا رجوع جميع غنم أهل البلد ، تطييبا وارضاء لخاطر الجميع ، ولما يعلم ان العدو انما فعله مكيدة وخديعة ، وتفريقا بين أهل البلد رحمه الله ، بعدما راودته أنا على قبولها ، والاستعانة بها على الزمان والحصار ، او يقسمها على أهل البلد ، فذلك اولى من أن تذهب في منفعة العدو هباء منثورا ، فأبى وقال وازنت بين المصلحتين ، فترجح عندي تركها ، والسلامة من ألسنة اخواني أهل البلد قلبا وقالبا ، مع مافيها من رفع الهمة ، والنخوة على العدو • فرحم الله تلك الهمم العالية ، ثم قال لي أنت شاب لم تجرب الامور ، اذهب الى لوحك ومكتبك ان شئت ، فلا تتزبب قبل أن تتحصرم ، فسكتت عنه بعدما رأيت لوائح الغضب على وجهه ، وأما نثار اللوز فانهم قد نثروا في تلك السنة في أنحاء البلد ، لاسيما فوق (جنان القصب) (وتلعة عبد الكريم) الى منكب (ءاوالا) الى (تلعة القدور) الى أعلى (ءاوالا) ما يزيد على الف قنطار ، وقد نثروا للوالد المقدس خاصة ازيد من اربعمائة قنطار من الحلو دون المر (٢) واما التمر فقد جذوا منه ما يفوت الحصر (٢) لكون العام مخصبا ، وكان لجميع الاشجار ثمر ، واما الشعير فشيء يجل عن الحصر (٢)

---

١) يعني التي تجاوره فقط ، وقد تقدم في هذا الجزء نفسه ترجمة الحاج ابراهيم هذا

٢) كذا بخط المترجم في الجميع

أيضا لان الناس تركوه مكدسا خارج البلد ، الى جبل (اكر) من جهة القبلة والى (ايمور) وجهة الطويلة من جهة الجوف ، فأتى العدو على الجميع واستلبه

(تنبيه) اما اللوز المنهوب من جهة جوف البلد ، فقد استاثر بنهبهقبائل غشانة (ايغشان) لاسيما أهل الوادى الكبير ، باعلى جنان القصب ، وهم الذين نثروه دون غيرهم ، وما يلى (فمالحصن) و (حجرالعظم) من منكب (ءاوالا) الى (ءازاغار) فقد فاز بنهبه أهل البلدين المذكورين لانهما هما اللذان قاما بمئونة الجيش المحاصر للبلد فى تلك الجهة ، ولانهما العدو الكبير من قديم الزمان وأما مايلى القبلة فقد فازبه أبناء داود ومن معهم ، من أهل (تانسمت) وغيرهم والحاصل أنه لم تبق دار ولابلد بهذه القبائل الثلاثة المحاصرة ، وهم (مانوزة) و (غشانة) و (تاهالا) الا وفيها نصيب وقسمة من أموال بلدة (ءاوالا) لكون أهل البلد فىشدة الحصار ، والعدو يباكرهم ويغاديهم باسراب من الخيل والرجل ، ولم يبق فى هذه القبائل من تقاعد عن القتال ، ونهب الاموال ،الا أبناء باها بـ (مانوزة) فانهم لم يتدخلوا فى شىء من ذلك لافى نهب ولافـى قتال ، جزاهم الله خيرا

ولما افرجوا عن البلد بعد سنة كاملة من يوم الحصار ، في منتصف صفر عام١٣١٣ هـ انتشر أهل البلد كأنهم نشروا من قبورهم ، بعدما استوثق الناس منالعدو بالكفيل الضامن وهو الشيخ الفقيه (١) السيد الحاج ابراهيم منبنى الطالب الايغشانى والشيخ العلامة شيخ الجماعة المرابط السيد على ابنعبدالله بن صالح الالغى المذكورين ، وبشرط نفى القاتل عن البلد ، فانبرم الصلح علىذلك ، ولكن القاتل عبد الله بن على المذكور امتنع عن الخروج، فبقى الناس فىمراقبة عظيمة ، بعد رفع الحصار أزيد من سنة كاملة الى ءاخرالسنة الرابعة عشرة ، فبلغت أخبار جيوش السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن برئاسة القائد العظيم السيد الحاج سعيد الكيلولى الحاحى ، واخيه (٢)البطل الشهم الحاج احمد ، خالد بن الوليد زمانه ، قد بعثهما الوزير الاعظم الباشا أحمد بنموسى بن أحمد السوسى الاصل ، المكناسى المسكن لفتح بلاد السوس الاقصى ، وهزت تلك الاخبار هذه البلاد ، ووقع الناس فـى حيص بيص . وتوقع مغبة تلك العساكر الجرارة ، فاجتمع الناس ، وسائر الاقطارالسوسية واجمع أمرهم على مقاتلة حاحة ومن معهم ، والمدافعة عن البلاد ، وافتى العلماء بوجوب الدفاع ، لماتيقنوا من الظلم والفساد ، الغير المعتادين فـى الامـوال

---

١) كان هذا متقنا لقراءة حرف المكى ولايد له فى العلوم ، وانما أطلـق عليه الكاتب الفقيه تقليدا لاهل الحضر فى تفقيه كل ذى شارة مرموقة اذذاك والا فانه لافقيه عند السوسيين الا من كان متمكنا فى العلوم تمكنا بارزا

٢) ليس بأخيه وانما هو من أهله

والفروج من هذه العساكر ، فكانت هذه الحوادث كلها سببا فى الافراج عن هذا البلد المحترم ، فكان الامر كما قال أبو الطيب المتنبى (مصائب قوم عند قوم فوائد) (١) ، فنفر الناس خفافا وثقالا الى قتالهم ، فاشتغل العدو عن معاودة (اولا) بالقتال الى ١٣٢٠هـ حين انكسرت شوكة تلك الجيوش المخزنية

ذكر نزول العساكر العزيزية إلى سوس

ولاباس ان نتعرض لذكر هذه الحوادث ، لما لها من مناسبة أكيدة وعلاقة شديدة بحياتنا ، فنقول لما توفى السلطان المولى الحسن مرجعه من (تافيلالت) وحمل الى الى (الرباط) ودفن بها مع جدهالمولى محمد بن عبد الله اجتمع الناس على مبايعة ولده المولى عبد العزيز ، بعهد منه (على ماقيل) وهو صغير دون بلوغ تحت رعاية الفقيه الوزير الاعظم احمد بن موسى المذكور ، فلما استوثق له الامر واستبد كل قائد بناحيته المعينة لهأيام السلطان المولى الحسن ، لاسيما قواد حوز مراكش كالاكلاوى (٢) والكنتافى (٣) والعيادى (٤) والمتوكى والحاحى المذكور هذا ، طلب القائد سعيد الكيلولى الحاحى هذا غزو سوس ، واضافته لايالته حاحة ، وشرهت نفسه لالتهام تلك الناحية ، ظنا منه ان سوس غنيمة باردة ، ولقمة سائغة ، اذكثيرا ماكان يراود السلطان المولى الحسن على غزوه ، وامداده بالعساكر ، فيابى رحمه الله كراهة منه لتناطح المسلمين وتفانيهم فيما بينهم من غير نتيجة ، فلما استبد هو وقرناؤه المذكورون ، وصفا لهم الجو لضعف (٥) الوزير وسلطانه عن

---

١) ذلك شطر بيت للمتنبى وأوله
(كذا مضت الايام ما بين أهلها)

٢) لم يصل الاكلاويون الى الحوز الا فى العهد العزيزى ثم تمكنوا فى العهد الحفيظى

٣) لم يتجاوز الكنتافى اذذاك وادى نفيس

٤) لم يكن العيادى ظهور فى هذا الوقت ولم ينل القيادة الا فى العهد الحفيظى

٥) لم يكن الوزير احمد بن موسى بن احمد ضعيفا بل كان قويا مستبدا ولم يصب الضعف المملكة المغربية الا بعد موته عام ١٣١٨هـ وقد كان القواد يرتعدون منه فرقا وكأنه كان يستشعر هذا الضعف الذى أصاب المملكة بعده فكان يقول فى مجالسه الخاصة متى بلغه خبر وقوع اختلال فى بعض الاطراف ان هذه عورة نتولى سترها ونرجو ان يدعنا الناس وذلك وستنكشف لهمعندما نتركها

مقاومتهم ، ساعدهم على ما ارادوا من غزو سوس ، استئلافا لهم • فأمدوهم بمال ورجال منقبائل الحوز وغيره من قبائــل المغرب ، وتحركوا الى سوس بأمر السلطان المولى عبد العزيز ، ووزيره احمد بن موسى المذكور ، برئاسة القائد سعيد الكيلولى الحاحي المذكور ، ودخلوا (ردانة) (١) من غير كبير قتال ثم خرجوا الى (تيزنيت) بعساكر جرارة تفوتالحصر والحصى ، فاستعــان هشتوكة بالمرابط سيدى محمد بن الحسين الايليغى التازاروالتى ، فاستنفر جبال جزولة وسهولها ، ودخل بهم (تابوحنايكت) بأيت بو الطيب بهشتوكة فدس الجيش المخزنى بالمال الى رؤوس جيوش المرابط ، فانفضوا من حوله حتى لم يبق معه من هشتوكة بالعساكر المخزنية ، ثم دخل (تيزنبت) وبعث الى رؤوس سهول سوس ، وغمرهم بالاموال الجزيلة وشكروه واذعنوا لــه وهم اكثر من اربعين قائدا (٢) فطلب الاعانة بالجاه والرجال لغزو نواحــي سوس فساعدوه على ذلك ، وقسم عساكره الى ثلاثة أقسام ، قسم يقاتل مجاطة وباعمرانة الى مانوزة ، وقسم يقاتل ولتيتة وباعقيلة ورسموكة وسملالة الى وادى أملن ، وقسم يقاتل هيلانة الى جبال صوابة ، اما القسم الاول فقد تقدم الىان استولى على مجاطة ، واستولى عليها الى أيت وافقا بــدون قتال كبير لمساعدة علماء القطر له ولرؤسائه ، وممن ساعده من العلماء الفقيه العلامـة الشيخ الحسين بن بلقاسم السوقى الافرانى ، والفقيه السيد على بن عبد الله ابنصالح الالغى والمرابط الرئيس السيد محمد بن الحســيــن بــن هاشم التازاروالتى الايليغى المذكور ءانفا وغيرهم من علماء الجبل والسهل ،فافتوا بعدم اباحة قتالهم ، بمخالفة طاعة السلطان ، وشق عصى الاسلام ، فلما بلغ العسكرالحاحى الى أطراف (مانوزة) منعوه من الوصول ودافعوه فأفتى علماء البلد من (مانوزة) و (املن) وجبال ولتيتة بوجوب المدافعة بالقتال ، فانهال عليه الناس من كل حدب ينسلون ، وقاتلوه وهزموه (٣) وكذلك فعل بهأهل ولتيتة ، فانهم بيتوه بوجان ، وشعبة ادريس (تاساونتندريس) فهجموا عليه فاستولوا على معسكره واستاصلوه ، وقتلوا القائد الاعظم البطل الحاج احمد رئيس العساكر الحربية على الاطلاق ، فاخرجوه من جميع بلدان جــزولة ، ورجع القائد سعيد بعد قتل اخيه المذكور الى (تيزنيت) وضعفت شوكته ،

---

١) لم يدخل القائد سعيد ردانة التى كان فيها اذذاك الباشا حمو وانما جاء على كسيمة الى هشتوكة توا

٢) لم يتجاوز القواد المنضمون الى الكيلولى عشرين وقد عرفناهم كلهموسيرى القارىءذلك فىمؤلفخاص لنافى الرؤساء السوسيين الاخيرين متى خرجناه من مبيضته ان شاء الله

٣) لم تقع الحرب ازاء امانوز واملن وانما وقعت فى مجاطة ، وافران فغلبهم الكيلولى •

ورجع الى الاستكانة والملاطفة ، فاصطنع العلماء والرؤساء والان لهم الجناح وقلب للرعايا من جميع أنحاء سوس ظهر المجن ، فاشتغل بالنهب والسلب والسجن والقتل ، وهتك الاعراض من سنة ١٣١٤هـ الى عام ١٣١٧هـ وتوفى بتيزنيت رحمه‌الله وعفا عنه (١) وهذه الحروب التى يشيب لها الولدان ، والتى ماجت بين حاحة وسوس أربع سنين ، هى التى حصت من جناح حاحة وكسرت شوكتهم، واخمدت نيران سطوتهم ، بعد ان شمخت أنوفهم الى كيوان ولم ينظروا ماياتي به الملوان ، فقتلت صناديدهم واستؤصلت ابطالهم وعددهم وعديدهم ، لاسيما فى جهة ولتيتة فى (وجان) و (اماسين)و(تساونت نداريس) وغيرها من الوقائع التى تهتف بها صبيان سوس ونساؤها وشعراؤها الى هلم جرا .

أما واقعة (وجان) المذكورة فان العسكر الحاحى المخزنى لمااستولى على (وجان) وحصنه بعدد وعدد ، وشحنه بانواع القوات الحربية ، امتعضت (ولتيتة) لاحتلاله وتمالأوا على الهجوم بحيلة وخديعة ، وكانت الكلمة محصورة فى جبال (ولتيتة) فى ذلك العهد فى اناس قليلين لايزيدون على عشرة ، واكبرهم فى الرئاسة الرئيس الشيخ احمد الامازرى البعقيلى من وادى الجبل والرئيس الحاج يعزى الادائى الرسموكى ، وعليهم يدور امر جزولة ، وهم من أحيل خلق الله ، وأدهاهم واعرفهم بمكائد الحروب ، لانهم خاضواغمارها من قبل ، بل أنهم قطعوا أعمارهم فى مقارعة الحروب ، فأجمع أمرهم على تبييت العسكر الوجانى الحاحى واستئصاله ، فتركوا العسكر ، حتى فاتت من‌الليل هنيئة ، فتسللوا الى أسوار البلد وخنادقه ، وتسربوا بمخانقه الى ابراجه وفنادقه ، فوجدوا العسكر فى غفلة لاهين ، وهم مشتغلون باللعب بالدفوف ، ورؤساؤهم جالسون على الكراسي يتفرجون . كأنهم فى اعراس ولم يدروا مايرادبهم ، ولاعلموا أنهم فى قبضة اعدائهم واقعون ، فلمااستكمل العدو مارامه ، وأخذ من البلد انفه وانفاسه ، ورباه واعلامه ، انقضوا عليهم دفعة واحدة بعمارة واحدة (٢) فسقط من العسكر اكثر من نصفه ، وحصروا الباقي الى‌أن قبضوا عليه باليد فتتبعوه قتلا وسلبا ، غيرأنهم تواصوا فيمابينهم ان يتركوا من ليس بحاحى ، وأن يطلقوا سبيله بعد سلبه ، وان يقتلوا الحاحيين بعد سلبهم ، ولسان حالهم يتلو قول الله تعالى (انك ان‌تذرهم

---

١) بعد موت الوزير أحمد بن موسى وتوبية المنابهى رئاسة الحربية عزل الكيلولي ونصب فى محله عام ١٣١٨هـ انفلوس ولم يمت الكيلولي الا بعد ان حج . ومات فى داره بحاحة لافى تيزنيت ، وسترى فى (الفصل الثانى) من (القسم الرابع) كل مايتعلق بهؤلاء الكلوبيين بتفصيل وبذكر الحقائق الثابتة وان كان بعض تفصيل ذكر هنا أيضا

٢) المقصود طلقة واحدة اى اتحادهم فى الطلق بالرصاص من بنادقهم

يضملوا عبادك ولايلدوا الافاجرا كفارا) ولاقوة الا بالله ، وذلك لان العداوة قد رسخت بينهموبين حاحة من قديم ، وغيرهم مكره لابطل ، حتى ان بعضمن حضر الواقعة من العلماء صاح عليهم صيحة منكرة بان لايشتغلوا بالغنيمة والنهب ، الا بعد القضاء على حاحة ، وان لايقتلوا احدا ممن سواهم ، وانشدهم قول الشاعرالذى تمثل به المنصور العباسي حين قتل أبا مسلم الخراساني (١)

ان الاسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وكان عسكر حاحة معلما بلبس السلاهم السود (الدوائر) (٢) والسلاهم الرقاق ، مع أخذ الزينة بالعمائم وغيرها ، بخلاف غيرهم من القبائل فانهم متقشفون في اللباس وغيره ، معروفون بلوائح بلدانهم ، بادية عليهم ءاثار الكراهة (يعني الاشمئزاز) والحزن ، شأن المتغلب عليهم ، فكذلك أيضا يعرف بعض القبائل بعضا ، لمابينهم من الاختلاط في الاسواق والمواسم والمصاهرات وغيرذلك • فبذلك تعارفوا فلم يقتلوا منهم غير من تلبس او تشبه بحاحة والعسكر المخزني ، ومن فيه رائحة المخزن

وأما وقعة (واحسين) فلم تكن أيضا دون هذه الوقعة الوجانية في المكر والقتل •

وأما وقعة (تاساونت‌ندريس) فهي في موضع ضيق من بين السدين، فهي اعظم الوقائع الثلاثة ، لان العدو ترك المحلة (يعني الجيش) حتى توغلت بين الجبلين ، حيث لم يبق منها فارس ولاراجل ، فأطبقوا عليها وسدوا دونها المنافذ والشعاب ، والانقاب والطرقات ، ففتكوا بها وجعلوا يقتلون ويأسرون فوقعت الدهشة والتحير للعسكر ، ودبت فيه هيبة العدو ، واستولى على قلوبهم من الفزع والخوف والهلع ماعقل أيديهم عن الضرب ، وأخرس ألسنتهم من النطق فضلا عن التفكير في الحرب ، فأكثر الفرسان يسترون وجوههم واعينهم عند وثوب العدو عليهم ، لضربهم بالرصاص او السيف ، لئلايعاينوا عين الموت الاحمر ، فتتبع العدو رجال العسكر وفرسانه الى ان أتوا علىءاخره فكانت‌هذه خاتمة حروبه من هذا الوجه الولتيتي ، وفي هذه الوقعة الهائلة قتل القائد الاعظم الرئيس الاكبر البطل الذى لاترده مخافة الاوجال ، ولا تقلبات الاحوال ، الحاج أحمد الكيلولي المضروب بشجاعته الامثال ، وسبب قتله أنه لماقاد تلك‌العساكر الجرارة الى حتفها ، وتأخر وراءها يفرق عليها قرطاس (٣) البنادق الرومية الاوروبية الجديدة العصرية بالنسبة لذلك الوقت

---

١) البيت من بائية أبي تمام المشهورة (السيف اصدق أنباء من الكتب) وقد توفي أبو تمام عام ٢٣٢ وكان قتل ابي مسلم قبل ذلك في نحو عام ١٣٩ اىأن موت أبي مسلم سبق موت أبي تمام بـ ٩٤ عاما

٢) الدائرة السلهام من الملف الاسود او المائل الى الزرقة

٣) القرطاس ذخيرة البنادق في عرف المغاربة

وبالنسبة لبنادق بوشفر العتيقة التى كانت عند المغاربة) اذهم أول من قاتل بها بالسوس ، ومنهم اخذت ءاقتنيت بعد ذلك ، تفطن له بعض شياطين العدو فرصده فى بعض غابات الكرموس النصرانى (١) حول طريقه ، فرماه ولم يخطىء فؤاده ، فسقط من اعلى جواده (٢) فكان أول قتيل ، فبذلك وقع الفشل فى العسكرالمحاط به المنذعر ، وفت قتل هذا الفارس العظيم فى عضد الباشا الاعظم اخيه السيدالحاج سعيد الكيلولى

وأما العسكر الذى قاده الحاج احمد المقتول الىجهة هيلانة (ايلالن) فقد استولى عليها بعدحرب خفيفة ، لانرؤساءتلكالجهة قد اذعنواله ، لانهوعدهم ومناهم بالرئاسة ، فوفى لهم • ولم يناوشه القتال سوى (أيت مزال) ومن والاهم من الجبال ، فغلب على أيت (مزال) واستصفى حصون مخازنهم وهدم معاقلهم وصادر اغنياءهم فصفا له من (أيتمزال) فى جهة اليمين الى هيلانة (ايلالن) الى (مزداكن) الى جهة هوارة الى ردانة (٣) ولم يصل (اداكنيضيف) ولا (أيتعلى) ولا (أيت عبلا) ولا (ايسافن) (الوديان) (٤) من جهة القبلة

وأما العسكر الذىقاده الى مجاطة فقد تقدم انه استولى عليها بمداخلة علماء القطر من غير كبير قتال ، فأكرمهم وأجلهم ، وحصلت لهم بذلك حظوة عظيمة ، ولكن لم تدم لهم بعد • فقد قيد على مجاطة القائـد سعيد المجاطـى التاكجكالتى فجار وتعدى وظلم ، فياخذ كل منفيه رائحة كراهيته ، اوسمع منه ولوكلمة تمس برئاسته ، اوكان غنيا ، اومن الابطال ، فياتى به الى قنة جبليسمى جرف تاكجكالت فيرمى به فلايصل الى الارض الا وهو هباء منثور وتتبع رجال مجاطة وايت رخا الى ان أفناهم قتلا ورميا بالرصاص ، فكـان هذا الرجل حجاج زمانه ، ونقمة اوانه الى ان كان من امره ماكان ، والله يمهل الظالم حتى ياخذه ، فاذا اخذه لم يفلته ، (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) ولما استولت عساكر المخزن على مجاطة وجميع سهول الغ وايت واافقا ووصلت الى أطراف مانـوزة (امانوز) التى افتى علماؤهم هم وجيرانهم الى ولتيتـة

---

١) يعنى بالكرموس النصرانى شجر التين الشوكى المعروف فى الحواضر المغربيةبكرموس النصارى أوالهندية وبالشلحة اكنارى وبالزعبول فىسلا

٢) أخبر حاضر ان الحاج أحمد كان اذذاك على بغلة مسرجة ، ثم لم يمتالا بعدذاك النهار فى بعض دور وجان وقد بين ما وقع له فى ترجمةالقائد الناجم فى (القسم الخامس)

٣) تقدم فى حاشية اخرى انه لم يدخل ردانة وانها كان بها الباشاحمو اذذاك

٤) كانت هذه الحروب قبل دخول الكيلولى الى (تيزنيت) فصالحه بعد قتال قليل عنايلالن الرئيس الحاج محمد مازبابو المترجم فى (القسم الرابع)

بوجوب المدافعة والقتال ، وان كانوا من اولى الامر لمبالغتهم فى الجور والظلم والسيطرة التى تنافى الشريعة المحمدية والطاعة السلطانية استنفرت قبيلة مانوزة جيرانها وهم قبائل وادى املن ، الى ايت عبد الله ، الى ايكنان ايسى الى ايسافن قبلة ، والى سملالة وتاهالا جويا ، فدافعوهم وغلبوهم بعد ان بنوا لهم سدا عظيما تحت الحصنة يعنى (دوتكاديرت) وموضع (تيسكنين) لئلا تهجم عليهم الخيل ، كما فعل أهل سملالة وباعقيلة فى (تيغمى) و (تيفرميت) وغيرهما ، فقاتلوه قتالا عظيما ، فلما ءانس منهم القوة القوية استكان وانثنى راضيا بما وراءه ، مشتغلا بالدسائس ، والتضريب بين رؤساء القبائل التى لم يصلها ، ولكن لتمكن نفوذ العلماء وناموسهم فى قلوب الرعية ، لم تغن عنه حيلة ولادسائسه شيئا ، لخوف رؤساء الناس على أنفسهم ، فلما رأوا أنه لم تنجع فيهم الدسائس ولا تسرب المال اليهم ، فاوض بعض علماء القطر ، وهو شيخ الجماعة الفقيه العلامة الصوفى الولى الشهير فى الاصقاع المغربية ، السيد الحاج أحمد بن عبدالرحمان الجشتيمى انتيملى ، وكان له ناموس عظيم وصيت شهير عميم ، مقصودا بالزيارة والافادة ، من الاقطار السوسية فاشار له أن يقبض (١) من قبائل (تيملت) بعض الوجهاء من أهل الرأى والنفوذ ويوعدهم بالقتل ان لم يتقاعدوا عن اعانة قبائل مانوزة جيرانهم ، ففعل ، وأخذهم بتيزنيت بعدما بعث اليهم فى الصلح والهناء ، وممن اخذه السيد عبد الله (فارتات) به عرف الامسناتى وجماعة ممن ظاهرته من اقرانه ، فاوعدهم فبعثوا (٢) الى الفقيه المذكور يتوسط لهم عند المخزن ويضمن له ما أراد منهم فبعث الفقيه الى المخزن فسرحهم بشرط ان يتقاعدوا عن اعانة مانوزة بـ (تيسكنين) فلما وصلوا الى بلادهم وأفلتوا من مخلب المخزن ، ولسان حالهم ينشد ما قاله الاعرابى الذى ضربه الحجاج بن يوسف حين سلح فى ازقة طريق واسط

وكنا اذا جزنا مدينة واسط خرينا وبلنا لا نخاف عقابا

فنكث اكثرهم ، وهم أيت سمايون ومن والاهم ، بعدما كشف لهم الفقيه المذكور رحمه الله القناع عن عدم مقاتلة اولى الامر من أهل المخزن ، ولوظلموا أوجاروا ، وأن الصبر والسمع والطاعة ولو لعبدحبشى كأن رأسه زبيبة واجب ، فافترقت لكلامه قبائل وادى (تملت) وقعد المذكورون عن الحركة (توجه المقاتلين الى الحرب) لمانوزة ، فتهيأت قبائل مانوزة لمقاتلتهم واخضاعهم ، رغما على انوفهم فاستنفرت اليهم القبائل المجاورة من (تاهالا) و (ايغشان) و (تافراوت) و (وسيمة) وغيرهم واستنفروا هم أيضا أهل

---

١) بل انهم اعتقلوا بوجان بين معتقلين ءاخرين فى بستان ، هذا هوالثابت
٢) بل ذهب بنفسه فعظمه الكيلولى غاية التعظيم واطلق له المعتقلين بعد ان تعهدوا ان لايعادوا الحكومة

(تودما) و (أيت صواب) غيرهم من الجيران ، فوقع القتال فانهزم ايتسمايون ومن معهم ، فدخلت الحركة (المقاتلون) الدروع (تعريب ايغالن) ، وايت ايمكاس وتاهالوكت وأسكين ، ومنكبها • وغير ذلك • وبقي شفا الجبل من (المشمس) و (أنيل) و (تاكفميشت) لوعورة تلك البلدان على الخيل ، وانما غلبت مانوزة لمزيد شجاعتها على غيرها من أهل وادى (تيملت) ولكثرة خيلها لان فيها تقريبا الفى فارس (١) فى ظرف تلك السنين ، فلما احتلوا هذه البلدان اختلفت اغراضهم ، وتباينت انظارهم فى غنائمها ونهبها ، فأهل مانوزة وغيرهم منجزولة حملتهم الغيرة الجزولية على الشفقة على أهلها لانهم منجزولة أخوانهم فى العصبية ، وانما مرادهم بهم التأديب والردع لاغير ، وأما غيرهم ممن انتمى لحكات (تاحوكات) من (تاهالا) و (تافراوت) و (وسيمة) و(ايغشان) فمرادهم القضاء على أموالهم واولادهم وديارهم بالتلف والخراب (٢) فلما رأى المانوزيون ما هجس فى قلوبهم ، وعاينوا ما تمالئوا عليه وتجمعوا ، وءانسوا ماعليه اجمعوا ، وخافوا ان صرحوا لهم بالحيلولة بينهم وبين ما ارادوه ان يقع التنازع والفشل • وأن يقولوا لهم قد استنفرتمونا الى عدوكم وعدونا • ثم حلتم بيننا وبين الاجحاف به ، اوعزوا الى أهل (تودما) وغيرهم من جزولة ان يشدوا اعضد أيتسمايون برجال ذوى بلاء وصبر على الحرب ، ويحملوا حملة واحدة منكرة علىمانوزة ومن معهم بغتة عند القيلولة لكون الوقت حارا وكانت الحركة (المقاتلون) ضاربة باطنابها خيلها ورجلها ، فوق عيون (اسكين) و (تامالوكت) لشدة الحرارة ينتظرون رجوع برودة النهار لينهبوا البلاد المذكورة ، ففعلوا وحملوا عليهم حملة رجل واحد ، رافعين اصواتهم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (على عادتهم عند اشتداد الحروب) فلما سمعت أهل مانوزة ذلك ركبوا خيولهم مولين لديارهم ، ولسان حالهم يقول (هكذا هكذا والا فلا لا) وثبت غيرهم من التاحوكاتيين فى نحر العدو ، فسقط بينهم منالقتلى كثير ، ولم يقتل منمانوزة سوى رجل واحد،وهو الامين التيفشتالينى وكان مع الوالد المقدس ، وهو الذى حمله فى حومة الوغى ، وجرح فيهمحمد ابنعبدالله بالوش ، واسرعمنا الولى الصالح عبدالله بنعلى بناحمد لكونهما دخلا بعضديار (اسكين) استجار بهما صاحبها المعلم محمد (بوتوميت) لئلا تنهب داره اوتهدم ، فلما تمت الهزيمة ادركهما هناك رجال (تودما) فاسروهما واطلقوا سراحهما فى خبر طويل دون سلاحهما ، وقد دبر اهل ءامانوز هذه

١) قال مطلع ان هذا القدر فيه اغراق وغلو والعهدة عليه

٢) ابتلى الله سوس من قرون بنحلتين تاحكات (بتشديد الكاف المعقودة) وتاكوزولت (بكافمعقودة) فـفترقت عليهما جميع القبائل فتتناحران فيما بينهما بسبب وغير سبب وينصر كل فريق ابن نحلته ظالما او مظلوما • ولم ينقطع ذلك الا بالاحتلال وذلك من بركة الاحتلال انكانت بركة للاحتلال

الحيلة كما ترى ، فجاءت وجادت بما عاقبته خير ، وهو انه لما كان غد الهزيمة ورأى علماء القطر من الفتنة ما ساءهم ، خافوا أن يتسع الخرق على الراقع فاجمعوا أمرهم على ان يسكنوا هذه الفتنة ، فابرموا أمر الصلح ، وأمروا الناس بالانصراف الى بلادهم ، ورجوع أيت (سمايون) الى مداشرهم ، ودخولهم فيما دخل فيه الناس من امر العدو ، ومدافعة العسكر المخزني الحاحي فقبلوا وخضعوا واستكانوا ، وشكروا منوزة في تدبيرهم الذي حال دون تدميرهم وانصرف الناس الى حال سبيلهم ، بعدما كان أمر هذه الفتنة مايقرب الى شهرين ٠

(فائدة) ربما يسمع المعتقد او يطالع المنتقد من اثر هؤلاء العلماء ما يصدر منهم من الامر الى عوامهم ، وامتثال أوامرهم في الخوض في هذه الفتن وما يضاهيها ، فيثلم في اعراضهم ، وينسبهم الى رقة الديانة ، او وجود شيء من الخيانة كلا وحاشا فانهم رضي الله عنهم عن سنن الدين غير منحرفين لكونهم على تحقيق أصوله وفروعه مشرفين ، أما اختلافهم في مقاتلة المخزن ومدافعته فامر واضح ، للفرقتين معا ، فالفرقة الاولى التي لم تبح مقاتلته ترى أنه مادام مسلما متمسكا بالدين الاسلامي ، فان طاعته واجبة ، وان جار وظلم وطغى ، وتعدى وبغى ، ولانه أقوى شوكة ، واشد سطوة ٠ ومن قويت شوكته وجبت طاعته ٠ والفرقة الثانية المبيحة لقتاله ، ترى أنه اذا كان ظالما جائرا يقتضي اكثر من الزكوات والاعشار في الاموال ، ولاينهى عن هتك الاعراض وسفك الدماء في جميع الاحوال ، فطاعته غير واجبة ، على أنهم ءانسوا من القبائل قوة وشدة في رد شكيمته ، والكل على هدى من ربه ، وله دليل في الاصول والفروع ، ولانحتاج الى ايراد شيء منها ٠ بل يسلك بهم مسلك (الجمل) و (صفين) وغيرهما من وقائع المهتدين المهديين المتبصرين رضي الله عنهم ، مع ان علماء الفئتين كما اخبرني الوالد المقدس الخائض تلك الحروب كتعاء (١) يجتمعون كل جمعة فاقل او اكثر ، فيدبرون امور السكينة والهناء ، ويطفئون وقود نيران تلك الفتن حسب استطاعتهم الى ان انطفأت بعدما شبت من عام ١٣١٤هـ الى عام ١٣٢٠هـ ، سبع سنين ، لاسيما في السنين الاربعة الاولى أيام استخلاف القائد الاعظم السيد سعيد الكيلولي الحاحي ، ولما توفي (٢) بتيزنيت عام (١٣١٧) هـ استخلف من بعده الحاج احمد المسمى بوشفرين ، وأخوه القائد محمد النكنافي انفلوس الحاحي ، فانه وان كان أظلم من الاول ، الا انه رضي بما استولى عليه الاول ، دون محاربة غيره من البلدان الا نادرا ، ولقوة القبائل المعادية لهم واتحادها وسيرها على قدم واحدة

---

١) المعلوم ان كتعاء واخواتها لاتستعمل الا بعد جمعاء

٢) الذي مات في تيزنيت القائد التفلوسي الحاحي بعد هذا الحين واما الاخر الكيلولي فقد فارق تيزنيت ١٣١٨هـ فمات في داره بعد قليل

بل افضى الحال بالطائفة الحاحية الى الرضوخ للعدو بالاموال ، والاستمالة فى اكثر الاحوال مخافة الهجوم على ردانة (١) وتيزنيت وجميع مراكـزه ، بل افضى الامر الى سلب العسكر بباب تيزنيت وداخلها وغيرها من المراكز ، بمرأى ومسمع منه ، كراهية لنشوب الحرب ، الى ان ابتدأت الحرب النهائية عام ١٣٢١هـ لاحداث لاتفى بها هذه العجالة ، ومن أعظمها ان القائد احـمـد انفلوسى اعتقل الفقيه العلامة شيخ مشايخ سوس وعلامته ، شيخنا وشيـخ الجماعة ، أبا عبدالله سيدى محمد (ضما) بن آمحمد (فتحا) المدعو اوعبولتهمته بمداخلة العدو ، واتى به الى تيزنيت ، وشاور علماءه فى اباحة قتله ، واراقة دمه . لما تحقق عنده من ميله الى البغاة من العدو ، فأشاروا عليه بعدم اراقة دمه وبوجوب حقنه مراعاة للمصلحة الدنيوية والاخروية ، اذ لم يوجد بالسوس الاقصى نظيره فى العلوم العقلية والنقلية ، وغزارة الحفظ ، ونشر العلوم وبثها وادارة العلوم الشرعية على ما ينبغى ، وكماينبغى ، فاوعز العلماء الى طلبتــه وطلبة تلك الاقطار الفحصية ان يجتمعوا للذهاب للقائد المذكور ، للتشفع فى ذلك الاستاذ ، فذهبوا اليه فتركه وحقن دمه (٢) بعدما استصفى أمـوالـه العريضة ، وهدم دياره ، ونهب أثاثه وامتعته وكتبه وعبيده . شيئا يجل عن الحصر ، وثقفه بعد أن حقن دمه بتيزنيت . تخوفا من شره ، لما له من نفوذ عظيم فى الاقطار السوسية ، غير ان العلماء الحوا على القائد فى ان يخلى سبيله لان اكثرهم ان لم نقل كلهم من تلامذته (٣) ولما سرحه استبشر الناس بـــه فرحين مسرورين ، فذهب الفقيه المذكور الى مدرسة ايـت (يعزى) للتدريس بها ، تاركا مدرسته هو وهى مدرسة (اداوآمحمد) حيث وطنه ومسكنه ، واعرض عن قبيلة (اداوآمحمد) لان القائد صالح (٤) بن الحسين منهم قد تمالا مع جماعة منهم عليه مع المخزن ، وجعل يدرس فى مدرسة الفتائح اى (أيت يعزى) وانثالت عليه الطلبة من كل جانب ومكان ، وانتقل اليه طلبة مدرسة (ادا وآمـحـمد) فأصبحت هذه اقفر من وتد بقاع (٥) يصيح البوم فى جميع جوانبها ، بعدما

---

١) تقدم ان الكيلولى وانفلوسى لم يصلا الى ردانة

٢) الحقيقة هى ان الطلبة من هشتوكة ذهبوا يتشفعون فيه ولكنه لـــم يقبل شفاعتهم ثم اجتمع عنده جماعة من العلماء منهم سيدى المحفوظ الادوزى على قضية فطلب سيدى المحفوظ ان يحضر اوعبو لانه من ذوى المكانة فـى العلم فكان ذلك سبب تسريحه وكان ذلك مقصود سيدى المحفوظ بطلب حضوره واما نفوذه فلم يتجاوز هشتوكة بل بعضها

٣) كون اكثر العلماء اوكلهم أخذوا عنه فيه نظر لان تـلاميذه معدودون معروفون

٤) الذى نسمع به هو ان هذا شيخ لاقائد

٥) قال الشاعر وكنت أذل من وتد بقاع يشجج رأســه بالفهر واج

كانت محط العلوم (ومقر الفهوم) وجامع الازهر بسوس ، لاتتعدى رحلة طالب العلوم الى غيرها ، فلما رأى اداو ْمحمد ما وقع فيها من تحول تلك العلوم بتحول صاحبها ، ندموا على فعلهم ، وذهبوا اليه • وتطارحوا عليه بأنواع الذبائح مع قائدهم ، معتذرين له • فأبى من مساعدتهم ، ولم يرجع اليهم الابعد انزواء ظلال المخزن عن تلك القبائل السوسية ، بتدبيره على حاحة ، وذلك انه لما سرح رحمه الله ، اشتغل سرا بمكاتبة تلك القبائل الجبلية والسهلية ، وجعل يستميلهم ويحمسهم ، ويذكر لهم ان حاحة حادوا الله ورسوله ، واتخذوا شريعته وراء ظهريا ، فوجد منهم اذنا صاغية وقلوبا واعية ، فلم يكن غير بعيد حتى ضربهم بأول سوس وءاخره ، لكون الناس سئموا من استيلاء حاحة وقهرهم وعنفهم ، زيادة على مافعلوا بالناس من استلاب الاعراض والاموال ، فاجمع رأى الناس عامتهم وخاصتهم على رأى هذا العالم وغيره من العلماء ممن له معه رابطة وهم كثيرون ، فتألبوا على حاحة ومن معهم من العساكر المخزنية وضربوهم من كل وجه وقطر

اما فى جهة مجاطة فقد قاموا على خليفة حاحة ، القائد الحبيب باقا الذى غرق فى بحر مرسى اكلوا ومات فى تلك الايام (١) ثم أحاطت مجاطة بالقائد سعيد المجاطى بداره فى (تاكجكالت) الى ان هرب ليلا مع أهله وعياله ، بعدما اوقد النار على اثاثه وامتعته وجميع ماله ، حسدا وبغضا لمجاطة ، وكراهية من ان يغنموها، وتتبع فى مجاطة والاخصاص وايفران ومانوزة، وغيرهم من القبائل السوسية كل من فيه رائحة حاحة بالقتل والنفى والتخريب ، الى أن أفنوهم عن ءاخرهم ، ومن جملة من نهبوا داره الشيخ العلامة المقدم سيدى الحاج الحسين الافرانى ، فقد نهبوا بداره بسوق افران أموالا طائلة من جملتها ٤٠٠ كاس من البلور ، ومن الاثاث مالايحصى ، ونهبت خزانة كتبه التى تضرب بها الامثال بالسوس الاقصى ، الجامعة من المخطوطات والمؤلفات القديمة السوسية وغيرها مالم تجمعه (٢) مكتبة مغربية ، ومن العجائب انها رجعت كلها الى الفقيه المذكور بعد ، لانها لما تفرقت فى النواحى على يد من اشتروها من العلماء وطلبة العلم وغيرهم ، وفى كل كتاب منها خطه رضى الله عنه وتصفحه ووقفه على المسائل علموا أنها له ، وجعلوا يرجعونها اليه، ومامن طالب اوغيره الا واتى بما اشتراه اليه حياء منه رضى الله عنه ، ومن الله سبحانه وتعالى ، لانها منهوبة مغصوبة لاتباح مطالعتها حتى لم يبق منها الامابيع فى نواحى مراكش وماليه من بعيد وممن قام بأمر ارجاع الخزانة المذكورة الى ربها المذكور ، الفقيه سيدى محمد

---

١) ما غرق الحبيب باقا الا فى عام ١٣٣١هـ بعد الحماية

٢) ذكر مطلع ان عدد كتب هذه الخزانة ١٦٠٠ كتاب مطبوع فقط

أوعبو رئيس الثورة (١) رحمه الله والفقيه الحافظ سيدى محمد بن علي ايكيك (الرعد) المزوارى الرسموكي ، فانه تتبعها في الاحياء والقبائل الى ان جمع اكثرها ، لماله في الشيخ الحاج الحسين من المحبة والاعتقاد الكبير ، وكنت يومئذ بمدرسة الولى سيدى محمد الشوشاوى في أيت باكو بقبيلة هشتوكة قارئا على الفقيه الاستاذ الحافظ السيد ابراهيم بن الحاج محمد الرجراجي من ربوة البير (تعريب تاوريرت وانو) بقراءة رواية ابى عمرو البصرى ، فرأيت كتابا منها عند بعض الطلبة ، وقد نسيت اسمه ، مكتوبا في اوله بخط صاحبه المذكور مانصه : «لو وزن لى هذا الكتاب بعشرة امثاله ذهبا ما بعته» فقلت للمشترى هذا كتاب الشيخ الحاج الحسين الافرانى ، أفلا ترده اليه، والناس كلهم يردون كتبه ، فقال سبحان الله يردونها ، كالمستفهم لى ، فقلت نعم فقام فورا من وقته وأرسله على يد رجل ثقة الى الشيخ بتيزنيت ، انظر ايها الواقف • المطالع الى هذه الاخلاق السوسية، وتاملها مع مانحن فيه الان ، واعتبر تلك الرابطة القوية المتينة ، وكيف كان علماء سوس في ذلك الزمان وقبله ،وقد كانوا من الزهد والتحرى في أمور الرابطة والاخوة مما صيرهم بينهم كالرجل الواحد ، والجسد الواحد ، اذا تألم بعضه تألم الجميع :

هكذا هكذا والا فلا لا   طرق الجد غير طرق المزاح

وكذلك خزانة العلامة الرئيس اوعابو المذكور ، فانه لما اوقع القائد احمد النفلوسي المذكور به كماذكرنا آنفا ، استصفى أمواله ، وهدم دوره بمدشر (أيتولياض) باداومحمد واستولت الايدى النائية والقاصية عليها من (طرفاية) الى (مراكش) فما وقف احد ممن اشترى شيئا منها من العلماء والطلبة على خطه في كتبه اوعنده علم به الا واتى به اليه ، حتى لم يبق منها الاماتحت أيدى من لم يعرف أمرها اولم يعلم بها ، وقد اخبرنى رحمه الله عام ١٣٢٦هـ أيام الاخذ عليه بمدرسة (اداوّ محمد) انه بقى له باحواز مراكش ، ولعله بمزوضة ، كتب قيمة نفسية لاصبر له عنها ، وانه كتب اليهم بردها ، وقد طالعت كثيرا من خزانته ، مماسمح الزمان برده • واسترجاعه • فوجدت فيها خطوط الراجعين عند الوقوف على المسائل الغامضة التى تدل على اعتناء كبير منهم في تحرير عويص العلوم وشواردها ، وهكذا كان أدب العلماء بالسوس في تلك الازمنة وقبلها ، بحيث ان من نهبت مكتبته لجور اوظلم ، وسقطت الى عالم منهم فانه يردما عثر عليه فيها من جليل او حقير ، ويستنكف ان يقتنيها حياء من صاحبها فضلا عن الحياء من الله ، لانه لاخلاص طوايا العلماء بينهم ، يزور بعضهم بعضا كل عام مرة او مرتين ، فيتبرك بعضهم ببعض ، ويتكاتبون ويتراسلون ، فاذا علم المشترى للكتب مثلا بصاحبها • اوعلم صاحبها بموضعها ولم يردها تبدلت

١) قد يكون كذلك في هشتوكة فقط واما في خارج هشتوكة فلا على ان الحاحيين انما انكشفوا عن سوس لذهابهم الى محاربة بوحمارة مامورين لا انهم انهزموا

المحبة والاخاء بغضا وجفاء ، فيكون ساقطا فى نظر ذلك العالم المغصوب منه • زيادة على ماعسى ان يصدر من قبائل ذلك العالم المغصوب منه ، من التعصب الذى ينشأ عنه المواخذة بالجريمة من اسر وفتك ، وربما يفضى الى القتل ان أشار به العالم او صرخ أولوح بحسب تنسكه أوتهتكه ، والله يهدى مـن يشاء الى صراط مستقيم •

وممن اوقع به الثوار من قواد المخزن أيضا القائد بوهايا الاخصاصي وهدموا داره، واستصفو أمواله ، فلم يتركوا له خفا ولا حافرا ، ونصبوا بعده القائد المدنى الاخصاصي والفقيه السيد أحمد بن الطالب العبدلاوى معا الى ان غلب القائد المدنى على الثاني فقتله (١) واستصفى أمواله لامور يطول حصرها ، وتقيد على الاخصاص كلهم اكتعين ، وأيت عبدالله وغيرهم من المجاورين الى (ميرغت) وأيت براييم من سنة ١٣٢١هـ الى أن توفى فى رمضان سنة ١٣٥٢هـ راضيا مرضيا عند الخاصة والعامة من أهل سوس

وممن اوقع بهم الثوار أيضا ، أجواد سوس وابطالها ، وعقلاؤها وسمحاؤها وذوو مجدها الطارف والتالد ، ومن فخرهم راسخ فى القلوب خالد ، القائـد سعيد بن محمد البعقيلى وأولاده الافاضل الامجاد ، وقد حاصروهم ازيد من شهر الى ان غلبوا عليهم ، ودخلوا عليهم عنوة ، فأفلتوا ليلا راكبين خيولهم ، بعدما حفر الثوار تحت اساس دورهم ، وجعلوا فيها قناطير مقنطرة من ميناء البارود فانهدت به جدرانها ، وتطايرت الى السماء ، فانالله وانا اليه راجعون ، وأفلتوا خلال ذلك من بعض جوانب الدور التى لم يصلها أدنى سوء منه ، هاربين الـى (تيزنيت) ثم رجعوا واستجاروا ببعض العشائر ، الى أن كان من أمرهم ماكان من تولية وزارة الشريف المولى احمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين ، عند قيامه بالسوس عام ١٣٣٠ هـ فرجعوا الى وطنهم (كردوس) وقد بلغ هؤلاء من الشهرة فى الكرم والشجاعة والفروسية ومعرفة من اين توكل الكتف ، مالم يبلغـه غيرهم من رؤساء سوس ، ومن افراط كرمهم ان مواسم الولى سيدى احمد بن موسى الثلاثة فى كل سنة ، يجتمع عليهم فيها من الصادر والوارد ذهابا وايابا ما لايحصيه الاخالقه ، ويبيت عليهم ، ويسدلون على الجميع من الانعام والاكرام مايذكر أوينسى المهالبة من بنى صفرة ، أو البرامكة • اوبنى معن • وأخبارهم فى الجود والشجاعة واحياء مراسم المروءة ومجالستهم لاهل العلم ، وانقيادهم لهم ، ومخالطتهم لاهل الفضل والفقر مشهورة (٢) ومئاثرهم فى ذلك كـلـه

١) فى عهد القائد الكيلولى انقلب المركب بالقائد بوهيا واستولى القائد المدنى وأما سى أحمد بن الطالب فلم يكن قائدا الا فـى عهد الهيبة ثـم لـم يقتله المدنى الا نحو ١٣٤٠هـ

٢) يعنى الصوفية

مذكورة مسطورة ، وهم من ثقات اصحابنا ، وخيار احبابنا بالقطر الولتيتى لاسيما القائد سعيد والقائد (١) اليزيد منهم ، فانهما ممن ارتضعت معهما من ثدى المحبة والوداد لبنا صافيا ، حتى كان بعضنا لبعض لايخفى اسراره ولصفاء لبه وسرائره مصفيا مصافيا

وممن نكل به الثوار في ءاخر هزيمة النفلوسى من السنة المذكورة ، قواد الفحص ورؤساءه من أكلو وتيزنيت والمعدر وماسة وقبائل هشتوكة ، وقبائل هوارة ، وقبائل كسيمة • الى اكادير • لان الفقيه المذكور رحمه الله تتبع ءاثار شيعة حاحة ، ومن غرز غرزهم ممن فيه رائحتهم ، فوجد نشاطا عظيما فى القبائل الثائرة ، ولكن من لطف الله ان كثيرا من الرؤساء فى هشتوكةوالشيوخ أجارهم ووضع عليهم يده الحنينة ، ودفع عنهم أيدى الثوار العادية ، فلميصبهم ادنى سوء منهم ، فمنهم من افتدى منهم بالمال ، ومنهم من لا ، كراهيةمنهان يقضوا بالفتك والتخريب على جميع البيوتات الكبار ، لان غالبها مع المخزن ولماانسحب النفلوسى الحاحى والمخزن الشريف عن السوس الاقصى اكتع ، وصفا جوه للفقيه (٢) شيخنا ابن عابو المذكور وانصاره الثوار ، أسس أهل السوس قواعد وحتمواعتبارها ، وقوانين ايدوا أعمالها واقرارها ، ورتبوا جنايات الاموال (٣) فيمن تعرض لاحد ذهب لاسواقهم او مواسمهم او مدارسهم او حصونهم المخزون فيها مؤونتهم وامتعتهم ، او تعرض لفقيه او عالم وطالب علم ولو بسب اوشتم ، اوتعرض ليهودى فى ملاحه او فى طريقه ، او سرق اوجنى جروحا او سفك دما او غيرذلك ، وشددوا فى ذلك وعينوا النفاليس(٤) اعضاء الجمعية فى كل قبيلة تجتمع فى مدرستها عند وقوع تلك النوائب • ويكون الفقيه المدرس فى المدرسة هو الحاكم الاكبر المرجوع اليه فى الامور الشرعية ، وعلى هذا النمط بنيت احوال السوس الاقصى كلاء من أولهالى ءاخره كما خالطناها وتأدبنا بها ، ومارسناها بأنفسنا ، وتعاطيناها ، فانجبرت بعد ذلك أحوال سوس • وامتلات المدارس بأنواع العلوم والفنون ، وانحشر الطلبة من كل جانب ومكان ، من أقطار بعيدة الى سوس لاخذ العلوم ، والقراءاتالسبع وكثر الصادر والوارد ، والقريب والغريب ، ويردون من احواز مراكشودكالة وعبدة والشياظمة ، فضلا عن حاحة وغيرها ، لاسيما مدرسة الفقيه الرئيس

---

١) ليس اليزيد بالقائد

٢) لايسلس للفقيه ابن عبو الا بعض هشتوكة لاغير

٣) هذه الاعراف قديمة فى سوس من قرون عديدة ، وليست مما احدث فى هذا الحين المهم الاذا أحدث قليل منها فقط لان كل ماسيذكره قديم

٤) جمع انفلوس الرئيس من رؤساء القبيلة الذين تتكون منهم الجماعة التى لها الحل والعقد

المذكور وهي مدرسة (ادا و محمد) (١) ، فانها مثل الجامع الازهر بالنسبة لذلك القطر ، وقد اقمت فيها للتعاطي ازيد من ست سنين ، فما عرف البعض البعض لكثرة الاعتناء بالطلب ، وقلة المكالمة ، والمجالسة لامور التعارف والضحك فلاترى طالبا يقف او يكلم احدا او يضاحكه الا عند المجالسة للمطالعة او المناظرة او للسرد او لالقاء الاسئلة ، أو لغير ذلك ممافيه منفعة للجميع ووضع الناس الاولياء (٢) والمدارس مواسم يجتمع فيها الطلبة للقراءة كل سنة ثلاثة أيام لكل موسم ، من مواسم الجبال والسهول مثل (تاوعلات) بهيلانة ، وسيدى (بيبى) ، وموسم (تادارت) وموسم (علال) وموسم (ايت يعزى) وموسم (سيدى محمد الشوشاوى) وموسم (سيدى مزال) كلها بهشتوكة ، وكذلك كل جهة من أصقاع السوس فيما نأى او دنا ، فصارت تلك المواسم للطلبة مثل الامتحانات كل سنة في هذا العصر الحاضر

ولنذكر نبذة من أحوالهم في ذلك فنقول : اذا بقي لموسم (سيدى بيبى) مثلا أوغيره خمسة عشر يوما ، عمد الفقيه المدرس في المدرسة الى طلبته عند قراءتهم الحزب الراتب بكرة اوعشيا ، اذ هو عندهم من قبيل الواجب ، فلا يتخلف عنه احد لقوانين وضعت على المتخلف ، وهي صارمة ، فينبههم وينشطهم لذلك الموسم ، ويخبر جلهم المؤن والجرايات المتعلقة بثلاثة ايام الموسم ، في كل مايحتاجون اليه من خبز وادام وسكر ودراهم وفرش وغيرها ، مما يتأنقون به اليه ، ويندبهم للبس الثياب البيضاء ، وازالة الاوساخ ، واستعمال أفعال المروءة من الحياء • وعدم اللغط والصخب والفحش وغيرها مما ينافي وقارالعلم وهيبته ، اويورث مهانة ، فاذا حان يوم الذهاب للموسم ، وهو يوم الاربعاء للقريب • وقبله للبعيد • تهيأوا واستعدوا ، وتزينوا باحسن ماعندهم واجتمعوا فاذا استكملوا الاجتماع ذهبوا الى أستاذهم الفقيه لينظرهم ، ويعرضهم بين يديه ، ويوصى كل واحد منهم من كبير أو صغير بما تنبغي الوصاة به ، مما يليق بهم ، ويحضهم على التمسك بما ذكر انفا زيادة على تحسين القراءة وتجويدها في المجامع ، ثم يدعو لهم بالتوفيق والهداية والرشد ، فاذا وصلواالى الموسم ذهبوا الى محلهم المعين لهم ، للقراءة فيه بين صفوف القراء من أمثالهم فيتناوبون في القراءة ربع حزب (من القرءان) لكل حزب (اى جماعة منهم) (وكل حزب بمالديهم فرحون) ، فاذا وصلت النوبة الى احدمنهم ، جاء جميع الحاضرين ، ووقفوا عليهم يحصون عليهم الانفاس والفلتات ، فضلا عن الالفاظ

---

١) حقا كان لهذه المدرسة غالب ماذكره هذا الكاتب ولكن يوم كان فيها العلامة سيدى سعيد الشريف أما في عهد ابن عابو فهي كغيرها من المدارس كما أنه كغيره من المدرسين أقرانه

٢) يعني مشاهد الاولياء الصالحين المعتقدين عند عامة الناس

والاوقاف والمطوط والالفات ، فاذا مالوا ولو خطئا فى وقف او اشباع ، أوقصر أوتوسط اوغير ذلك ، من أنواع التجويد ، صفق لهم جميع الحاضرين منالطلبة تشهيرا للسامعين بعظم الزلة ، وربما سمع التصفيق العوام المشتغلون بأنواع الاتجار خارج المدرسة ، فيصفقون هم أيضا ، لما رسخ فى أذهانهم من فظاعة ذلك • وربما ينفى المخطئون مـن موضعهم ذلـك ، ويطردون منه بالكليـة ، فيصيرون.سبة الى العام القابل ، فيسقطون فى أعين الناس ، لاسيما فى عين شيخهم ، فانه يسخطعلىذلك الحال • ويتسلطعليهم بأنواعالسبوالثلب الىحين

وقد حضرت انا فى هذه المواسم فى حدود العشرين ثلاث سنين ، الاولى عام ١٣٢١هـ الى سنة ١٣٢٣هـ وكنت حذام طلبة تلك المواسم ، فرأيت وسمعت مالم يحط به القلم من أحوال الطلبة من جليل وحقير

ويتناوبون ايضا فى نصوص التجويد والقراءات واصولها ، من لامية الشيخ الشاطبى المسماة بحرز الامانى ، وارجوزة الخراز ، وابن برى والحصرى وغير ذلك ، مما كانوا يحفظونه ، ويعدونه لتلك الايام وغيرها ، مفخرة وتطاولا علىاخوانهم • وكل من حفظ هاته المؤلفات ، علاوة على حفظ القراءات السبع او العشر الصغيرة أو الكبيرة ، فانه عندهم فى غاية التعظيم ، مشار اليهبالاصابع ترمقه العيون بالاجلال ، عند الخاص والعام ، ذكورا واناثا ، فلذلك يكون لهم مزيد اعتناءبذلك ، لاسيما قبائل هشتوكة وهوارة وماسة وقبائل ايتباعمران فانهم يبذلونطارف الاعتناء وتالده فى تحصيل القراءات بأصولها ووجوهها على ما ينبغى ، واكثر مدارسهم لايقبلون فيها الا امام القراءات الموصوف عندهم بهذا الوصف

وذلك بخلاف البلاد الجبلية من السوس الى صحراء (شنكيط) وغيرها فانهم لايعتنون الا بالعلوم الشرعية الرسمية بانواعها مـن نحو وعربية ولغة وفقه على مذهب الامام مالك ، وحديث وتفسير وبيان ومنطق وهيئة مـن علوم فلكية ورياضية وحساب وفرائض (١) (وجداول واوفاق وطلاسم وعلومالسيمياء والكيمياء وانواع الازياج والاستخراجات والخدمات والاستنزالات والعزائـم والنيرنجات وتعاطى أسرار الحرف والاوضاع والتوفيقات الى ان تعدى اكثرهم الى تعاطى السحر بأنواعه والنفث والزناتى والرمل) بل غالبهم ادباء شعراء فحول لايشق لهم غبار ، مهرة فى فنون الادب وايام العرب (٢) ومنهم أيضا

---

١) كل ما ذكر بعد الفرائض لايعتنى به الا قليلون جدا كامثال الكاتبنفسه

٢)الاعتناء بالادب فى سوس لايوازى الاعتناء بالفقه ، بل دونه بمراحل ، الا فى بعض المدارس وفى كتاب (سوس العالمة) وفى هذا الكتاب نفسه مايشفى الغليل فى ذلك لمن تتبع كل ما فى الكتابين

من تميز فـي علوم الحكمة من الطبيعيات والخواص وعلم النار والعقاقير (١) والحاصل ان قطر السوس الاقصى متميز عن غيره من الاقطار بكثرة العـلـوم المتنوعة من لدن القرن الخامس (٢) الى هلم جرا ، كما أن اكثرهم منهمك على كتب القوم وطريقتهم واصطلاحاتهم ، الى ان فاقوا وبلغوا فيها درجة عزت على غيرهم من البلدان ، فان هؤلاء لايقبلون في مدارسهم في الغالب الا من اتصف بما ذكرنا ، لانهم أهل هذه الفنون ، وصاحبها معظم عندهم أيضا الى الغاية بـل تعظيمه أعم

هذه محاسن هؤلاء الطلبة ومساويهم في هذه المواسم • وقد ذكرنا كثيرا من محاسنهم في أوقات الاستعدادات لها من الاعتناء بها أدبيا وماديا ، حتى أن القبائل المجاورة لتلك المواسم تهتز لها ، وتتطلع تشوقا منها الى اسراب الطلبة عند ذهابهم للموسم ، وايابهم منه ، في حالة جميلة ، وشارة حسنة • فيكتسبون منها غبطة كبيرة • تؤديهم الى الاعتناء بأولادهم ، وتربيتهم صغارا على القراءة وحفظ القرءان ، وتغذيتهم بالعلوم الشرعية ، فلا يمر بسبب ذلك عام اوعامان الا وتلقى زيادة محسوسة في المكاتب الصغار والعظام ، من أنواع الصبيان • والتأنق بالتعلم والتعليم وتنمو بذلك روحانية العلوم الاسلامية ، وتستاصل به جرثومة الامية والهمجية ، فبذلك كله صار السوس الاقصى مشحونا بأهل العلم والدين ، وتعظيم الكل ، فلا تسمع زمنئذ الالفلان ولد نجيب ، ولفلان ولد حافظ للقرءان ولفلان ولدعالم ، فصار ذلك كله رائجا عندهم فبذلك زاد اغتباط الناس ، فتنافسوا في تقديم اولادهم الى المكاتب ، فانتشرت العلوم ، وعمت الاقطار • مابين عالم متفنن متضلع ، وبين قارئ حمـزاوي او عشري مجود للقراءات متشبع (٣) الى حدود الخمسة والثلاثين بعد الثلاثمائة والالف فجعلت شمس تلك الاعصار المضيئة تركض في مغرب افولها ، الى ان غابت أضواء تلك المطالع بالكلية في ظرف خمس سنين ، لاستيلاء ظلمات الرفاهية وأسبابها ، وتبدلت بالكلية (كأن لم تغن بالامس) تلـك الاخـلاق بانسداد أبوابها ، وطمت في بحور الاخلاق الجديدة العصرية الناشئة من تراكم الاحتلال الاوربي فانغمس الناس في أوحال المعايش ، لما اجتمع عليهم من تعاقب السنين المجدية ، وأنواع الملاذ المالوفة ، والتفنن في المئاكل والمشارب المستلزمة لترك الاخلاق القديمة ، والاخذ بالاخلاق الجديدة ، من التلون فـي الافكار من طور الى طور ، ومن اكبر القواطع انتشار الناس عامة وخاصة الى المـدن

---

١) هذه كذلك لانكاد نسمع من يعتني بها اليوم وربما كان ذلك قبل اليوم

٢) في كتاب (سوس العالمة) بيان مايعتني به السوسيون من العلوم بتفصيل شاف

٣) كل ماقاله المترجم من هذا الاعتناء العجيب ادركناه في اواخر عنفوانه وذلك كله صدق و(ما يوم حليمة بسر) وانما يواخذ المترجم بالاغراق

لتعاطي التجارات والتعليمات بأنواعها ، وظهرت فيالسوس الاقصى بلوالادنى من مراكش واحوازها ودرعة وتافيلالت وصحرائها الى فيكيك ءاثـار الخلاء والخراب المحسوسة ، ولولا تلافى الدولة الحامية بأنواع الاصلاحات فـى الادارات والطرقات ، وأسباب التمدن ، لاضمحلت بالكلية لانجلاء أهلها الى المدن بأولادهم ، لتيسر أسباب المعاش • وأنواع الملاذ فى الحواضر دونالبوادى فوقع اختلاط محسوس فى المدن بين العناصر والاجناسفى المناكحوالازدواجات وانقلبت الازمنة غير الازمنة ، فبذلك كله تاخرت فى السوس الاقصى وغيره من سائر الاقطار أنواع العلوم ، فاذا قبض عالم فلا يخلفه الا جاهل او تاجر ولله الامر من قبل ومن بعد ، واليه ترجع الامور

فصـــــــل

ولنعد الى مانحن بصدده ، ففى عام ١٣١٦ﻫ اشتغلت بالتعلم على شيخنا الفقيه البركة المحقق المرابط السيد محمد بناحمد بن محمد بن محمد بـــن بن بلقاسم بن الحسن بن عبدالله الكرسيفى اصلا التيملى وطـنـا الاسكاوى سكنا • فى مسجدنا بمدشر (ءاوالا) فقرأت عليه قراءة نافع وابن كثير مع تجويد القراءة وتحقيق الرسم ، وحفظ النصوص المتعلقة بالقراءات من ابنبرى والخراز والحصرى وحرز الامانى للشاطبـــى ، وغير ذلك مـــن المقطعات الرسمية ، فاقمت عنده الى عام ١٣٢٠ﻫ بعد وفاة الوالد بستة اشهر فارتحلت الى هشتوكة ، وأنا فى ابان البلوغ ، بمعيةصاحبنا وصاحبالوالدين المرابط السيد موسى بن ابراهيم من بنىعلى بناحـمـد الغازى الكرسيفى المانوزى ، وذهب بى الى أخيه الفقيه السيد ياسين بـن ابراهيم الساكـن بأيت صالح بقبيلة أولاد بلفاع بهشتوكة ، فذهبنا على طريق جبال صوابـة وبتنا بالظلال (تعريب كلمة ءامالو ، وكان ينبغي ان يقول الظل لانها مفرد فى الشلحة) ، ثم (ايمى أوغكمى) ولم نصل ، لتعلقنا بالبغال ، وتوتر تلـك الجبال • الا بعد ثلاث الى أيت صالح ، فلما وصلنا الىالسيد ياسين المذكور، وجدنا عنده من الطلبة مايزيد على الخمسين ، مع أنه فى جامع صغير ، وذهب بىرحمه الله بنفسه الى شيخنا الفقيه العلامة المقرىء المحقق النحوى الاصولى المرابط السيد ابراهيم (١) بن الحاج محمد الركراكى الساكن بـ (تاوريرت وانو) (اى ربوة البير) وزاوية سيدى اسحاق وغيرهما وقته ، المؤدب بمدرسة (أيت باكو) بهشتوكة ، فوصلنافى الساعة الثامنة من النهار يوم السبت فاتح صفر عام ١٣٢١ﻫ وفرح بنا غاية ، واوصاه بالوقوف معى والجد والاجتهاد فى

١) هذا السيد أستاذ يتقن قراءة البصرى ومامعه من النحو الا نبذة وهكذا وصفه لى من عرفوه واخذوا عنه ومن بينهم من كان هناك يومكان فيه المترجم وهو مترجم بين أهله فى (القسم الثالث)

أمر تعلمي بعدما اتحفناه بارطال من لوز بلادنا المقل ، احسانا ، فبلغ به من السرور ما لامزيد عليه ، لكونه ليس من شجر بلاد هشتوكة الانادرا ، فرجع الفقيه السيد ياسين المذكور الى مقره ، واقمت ثلاثا للاستراحة الى يوم الاربعاء ، فأمر لى بالابتداء فيه ، وقال لى انه يوم النور ، ينبغى ان يتحرى فيه الابتداء • فابتدأت بحزب (حمٓ ماخلقنا) الذى وقفت عليه فى بلادى بقراءة ابن كثير ، الى ان ختمت العشرة الباقية ، فندبنى لقراءة ابى عمرو ابن العلاء مفردة ، فختمت فيها ختمتين بغاية التحقيق والتجويد • من رسومها وأصولها ونصوصها ونصوص روادفها ، وفى خلال ذلك كله ، يندبنى لحفظ المتون النحوية والفقهية ، فحفظت الاجرومية والجمل لابن المجرادى ، وارجوزة البناء والصرف والمنع ولامية الافعال والمرشد المعين لابن عاشر والفية ابن مالك (١) وارجوزة ابن سليمان فى الحساب وارجوزة المقنع للمرغيتى ، ولامية ابن الوردى نصيحة الاخوان ولامية الشنفرى ولامية العجم للطغرائى ، ومنظومة التلخيص ، وأرجوزة السلم للاخضرى ، والاربعين حديثا للنووى وغير ذلك من القصائد الادبية والمقطعات ، وحفظت من ديوان ابن الفارض التائية واللامية والميمية والكافية ، وحفظت من الدواوين كثيرا مثل ديوان المتنبى والبحترى وابن سهل والحماسة والمعلقات السبع وغير ذلك ، وكان الحفظ اذذاك اسهل عندى من النفس ، لسيلان ذهنى ، وصفائه من شوائب ادران الدنيا ، وشوهد منى ذلك • وشهد لى به العدو والصديق (٢) وقد جلست مرة مع بعض طلبة العلم قبل تعاطيه ، وقبل حفظ ابن الفارض ، وعنده نسخة منه ، فقال لى يافلان بلغنا انك تحفظ فى قليل جميع ماراته عيناك ، ونحن نريد موسم (لالة تاواعلات) ولابد عند التقاء الطلبة هناك ان يديروا بينهم الاشعار العلمية ، والقصائد الادبية ثلاثة أيام ، كما هو المعروف من عادتهم ، ونخاف ان يعرض لنا عجز وقصور لقلة ماحضر عندنا من القصائد العلمية ، فنرغب من سيادتكم ان تحفظوا لامية ابن الفارض بعد حفظ تائيته قبل بلوغ الموسم بشهر ، لتكون لنا عونا وعدة فى يومه ، فقلت له هات النسخة فتسلمتها منه ، واشتغلت بحفظ التائية بمحضرهم ، وهم يتضاحكون على شرب الاتاى نحو ثلاث ساعات • فما استتموا شربه حتى حفظتها عن ظهر قلب ، من غير تعب ولا كلفة ، فقلت له خذ النسخة فقال دعها عندك حتى تحفظ منها ماذكرت لك فى هذا الشهر ، فقلت له إنى فرغت من حفظه الان ، فضحك كالمستهزىء ، فحلفت له ، فقال اعرضها عنى

---

١) كان سبق له ان ذكر انه حفظ بعض هذه المتون ، ولعله زادها الان حفظا

٢) اخبرنى الاديب سيدى احمد اليزيدى ان هذا السيد كان اسهل الناس حفظا وانه يحفظ قطعة شعرية بمجرد سماعها مرة واحدة ويكاد يتواتر عنه سرعة الحفظ ولكن فى اعتنائه بهذه القصائد الادبية التى لايفهما وهو لايزال فى حفظ القرءان ولم يلم بعد بالعربية موضع العجب

فعرضتها عليه كلها كتعاء • ولم يعزب عنى منها الاقليل ، فخرج وأعلمجميع طلبة المدرسة ، فجاءوا كلهم مستغربين ذلك ، فكررتها عليهم ثانيا ولم يعزب عنيمنهاحرف واحد ، ثم قالوا لم نسمع من انسى الله حفظ اكثر منسبعمائة بيتغيرك فى زماننا هذا فى ظرف نصف يوم ، وشهدوا لى بسرعة الحفظ ، وشاع أمرى فى ذلك بين طلبة الاقطار ، فاقمت نحو سنة ونصف بهذهالمدرسة الشوشاوية ، فى غاية الجد والاجتهاد ، وكنت وأنا اصغر القوم مع ولدهالفقيه السيد محمد بن ابراهيم فى بيت واحد ، ناكل ونشرب فى اناء واحد ، وكلفنا بتجويز ألواحأهل قراءة ابن كثير وابـن الـعـلاء بقصد التمرن ، ورسوخ القراءات فى اوعيتنا ، وكان عدد طلبة المدرسة نيفا وتسعين الى المائة (١) وكانت أعشار القبيلة لم تقم بكفايتهم فى تلك السنين لشدة القحط والجدب وكثرة الغلاء ، فمن تلك السنة ابتدأ الشعير بغلاء الثمن ، حتى وصل سعره ستة أرباع حسنية (٢) وهو امر لم يعهد مثله من قبل ، فسمى العام بعام ستة ارباع ، وذلك لمكيال فيه ثلاث ءاصع بصاع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكنا نذهب أيام الاستراحة الى البساتين لطلب الجزر واللفت والفول وغيرها من الخضر ، مما يقتات من المداشر المجاورة لمدرسة سيدى محمـد الشوشاوى مثل تونف وتوكيمت ، وأيت عياط وغيرها ، فيساعدنا أرباب البساتين رغبة فى الثواب بالاحسان الى حملة كتاب الله المهاجرين لاجله ، فانهم لهذا الرجاء يوثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ، فاذا وجدوا طالبا على هذاالحال دلوه على أماكن جنانهم وبساتينهم ، ويؤكدونه على الاخذ منها ، سواء فـى حضورهم او فى غيبتهم ، وكثيرا ماترى الطالب يدخل الى البستان اوالعرصة وربهاغائب • فياخذ ما أعجبه من الخضر والفواكه ، وربما يجده فى البستان اوفى خارجه فينظر الى ما معه فان وجده قليلا رده ، وحلف له ان يأخذشيئا لهبال ، هذا مما امتاز به أهل السوس الاقصى من تعظيم القرءان وحملته • ولاباس ان نذكر طرفا منذلك مما يدل على اعظامهم لاهل العلم واجلالهم لحملة كتاب الله ، ومن معاملتهم معهم بالمسامحة والمكارمة

فنقول زيادة على ما تقدم ان مدارس العلوم النقلية والعقلية ، ومدارس القراءات فى السوس الاقصى لاتعد ولاتحصى (٣) لان كل قبيلة لابد لها مـن

---

١) زعم من كان حاضرا هناك ان الطلبة هناك لم يبلغوا حتى نصف هـذا العدد ولعلذلك يختلف بحسب الاوقات

٢) المراد بالربع مايساوى درهمين شرعيين من الفضة وكان ايضا يسمى بسيطة مغربية ففى الريال خمسة ارباع ولاينبغى ان يفهم من لم يدركذلك أنالمراد بالربع ربع الريال لان هذا ربع اى بسيطة وقرش

٣) انما اراد الكثرة والا فان مجموع تلك المدارس القديمة لايتـجـاوز المائتين وعندنا مجموع ذكرناها فيه كلها

مدرسة، بل ان كانت القبيلة كبيرة تقدر على القيام باكثر ، فانها تزيد مدرستين اوثلاثا ، وكيفية القيام بها ان يلتزموا (١) على انفسهم لكل كانون ثلثذ كواتهم واعشارهم أوربعها أو أقل أو أكثر بحسب قلة القبيلة وكثرتها ، وقلة طلبتها وكثرتهم ، فيكتبون ذلك كله مع ضوابط المدرسة والاسواق والحصون في سجل خاص ، يسمونه (سجل الاعراف) لجمعه ضوابط وقوانين صارمة ، لايتسامح فيها عند حدوثها في الثلاثة المتقدمة ، فاذا فرغ الناس من جمع انادرهم وبيادرهم ، ءاخر دراسهم لحبوبهم ، اجتمع أشياخ القبيلة مثلا المسمون عندهم بالنفاليس (اينفلاس جمع انفلوس اى رؤساء القبيلة) لانهم ينصبون من كل مدشر أنفلوسا ، او لكل فخذ أو بطن او فصيلة ، فيحضر مع نفاليس القبيلة في جميع الامور ، فاذا لم يحضر تعينت عليه الخطيئة والعقوبة (٢) بمال معلوم عندهم ، عند رئيس المدرسة ، وفقيهها الذى هو رئيس تلك الجمعية فيحسبون كوانين القبيلة حتى يعرفوا مازاد منها ومانقص ، ويحاسبوا الجميع على مقدار ماعندهم من ارادب القمح (٣) والشعير من الاعشار ، فيعينون يوما معلوما للاتيان بها الى المدرسة ، ووضعها في مطاميرها او بيوتها او اهرائها ، فاذا وصل ذلك اليوم تسرب الناس أفواجا وأفرادا بأحمال الجمال والبغال والحمير منزعجين الى المدرسة ، لوضع تلك الاعشار ، فمن لم يات بها الى غروب شمس ذلك اليوم أوالى أجل معلوم عندهم ، فانه يعاقب بمقدار المال المكتوب في سجل القوانين المذكور ، وياتون معها بما يلتزمونه للفقيه ، مما يسمونه شرطا من زرع وادام ودراهم وصوف وغنم وغيرذلك ، مما في رسم السجل ، فاذا فرغوا من ذلك بعديومين أوثلاث مثلا ، تفقدوا طلبة المدرسة ، فمن كان غريبا عرفوه ومن كان أهلياعرفوه ، ومن ضرب اوشتم اوسب اوسرق أو فعل بطالب المدرسة او مدرسها (٤) ماينافى ما في السجل ، نكلوا به بقدر فعله ، بعقوبة مالية معينة في السجل ، أو من تعرض لمن ذهب اليها من رجل او امرأة بشيء من ذلك فانه يعاقب ، والعقوبة بالمال رعيا للمصلحة المرسلة جوزها علماء سوس بعد اصرارهم على منعها وبعد ملاقاتهم الصعوبات الكثيرة ، والعقوبات الشديدة في الشؤون الداخلية ، والمسائل القضائية ، فلما خافوا من اختلال أحوال أمور

---

١) كانت هذه العادة في سوس منذ ماقبل القرن العاشر وبذلك بقى العلم متسلسل الحلقات في سوس راجع (سوس العالمة)

٢) يعنى بالخطيئة الغرامة ، فما بعدها عطف تفسير عليها

٣) يندر كثيرا حرث القمح في سوس حتى لايحسب في مثل هذا، والغالب الشعير والتمر والذرة في محلاتهما القليلة، هذا في السهول • وأما في الجبال فلا يحرث القمح البتة

٤) المعتاد انه لايتكلم في طلبة المدرسة الا الاستاذ ، ولاسلطة للنفاليس عليهم ولعل المؤلف أراد كون النفاليس ينظرون في امر من مس أحدا من الطلبة بشيء من ذلك

مصالحهم الادبية والمادية ، أوعزوا الى عوامهم • وأعيان قبائلهم بالعقوبة بالمال ساكتين عن الجواز وعدمه ، بحيث لو قلت لعالم منهمان العقوبة بالمال جوزها البرزلي رحمه الله وغيره ، ولذلك أدلة شهيرة في الحديث وغيره وكلام الخليفة الصالح الاموى القائل (تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور) ، الى غير ذلك ، لما أجابك الا بمعارضة هذه الادلة بأدلة اخرى دالة على عدم تسويغه والاقذاع الشديد على من سوغه ، ورميه برقة الديانة ، وكثرة الخيانة ، هذا اذا كان من العلماء الاجلة ، وأما غيرهم فمهما سالتهم عن ذلك فمنهم من يسكت لا ساخطا ولا راضيا • ومنهم من يقول ان الزمان غير الزمان • وقد غلب الفساد وأهله ، ويستدل بقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله المتقدم وغيره ، فاذاوقع شيء مما يوجب العقوبة ، رايتهم نادبين لعوامهم الى تلك المسالك فلا يعدونها حينئذ من جملة المهالك ، وربما يرأسهم في ذلك العالم نفسه ، فهذا دليل على تسويغ اكثرهم لها ، الامن عصمه الله منهم ، وقليل ماهم • هذا كله في أول القرن الرابع عشر وقبله بازمنة ، وأما بعده فقد اجمعوا على اقراره ، والسكوت عنه راضين ، رعيا للمصالح العامة كما تقدم

(فصل) نلم فيه بمقدار عقوبة المال في الاقطار السوسية

أما مقداره في القرن العاشر ، وأول أيام الاسلاف الاشراف السعديين في حدود ٩٣٣هـ فانهم يكتبون في سجلات أعرافهم ، كما اطلعنا عليها ، مثقالا أو مثقالين لمن تعرض بسوء لعالم او طالب أو امرأة أو غريب أويهودي ، أو سارق في مواسم الحرمة أو الحصون المخزون فيها ، أوغير ذلك الى أيام السلطان المقدس المرحوم المولى أحمد المنصور الذهبي ، فزادوا زيادة محسوسة فصار قدرها عشرة مثاقيل ، ثم زادوا في أول الدولة العلوية زيادة ظاهرة في أول أيام المولى الرشيد عام ١٠٧٨هـ الى أيام المولى عبد الله بن اسماعيل فبلغت الزيادة اثنين وعشرين مثقالا ، ثم بلغت في أيام المولى سليمان بن محمد بن عبدالله خمسين مثقالا ، ثم استمرت على هذا الحال الى أيام السلطان المولى الحسن بن محمد ، فزادوا فيها ، وتفاقم أمرها في جبال جزولة (مانوزة) وما حولها من وادي (تيملت) وسملالة وتاهالة وايغشان وبعقيلة ورسموكة وغيرها الى اربعمائة مثقال ، وفي سهول سوس مثل أيت باعمران ، الى أيت جرار ، الى تيزنيت واحوازها • الى هشتوكة وهوارة وقبائل هيلانة ، الى ردانة الى سكتانة الى درعة ، أقروها على مائة مثقال زيادة ، الاناد را ، الى أيام المولى يوسف وأما جبال جزولة فقد زادوا فيها الى خمسمائة ريال ، الى ان هجم الاحتلال على

الجميع ، فاضمحلت هذه الاعراف وصارت نسيا منسيا (١) كما صار نفـوذ العلماء في خبر كان ، بعدما كان ماكان ، كما سمعت ورايت

وسبب وضعهم هذه البرامج المالية والعقوبة بها ، من القرن العاشر الى يومناهذا ، دون ماقبله منالقرون الاولى ، ان نفوذ سلاطين الوقت فـي البلاد السوسية قليل ولاتناله احكامهم الا في النادر (٢) فصارت كالفوضى لذلـك ولغلبة نفوذ العلماء عليها وكثيرا مايكون العامل المخزني بتارودانت او تيزنيت في أيامهم ، ولكن تحت نفوذهم وطوع ارادتهم ، مخافة ان يوعزوا فيه لعوامهم فيعاملونه بسوء من قتل أونهب

وسبب بسط نفوذهم ، ونفوذ اعيانهم ، دون مراعاة نفوذ السلاطين ، أننفوذ السلاطين لايبقى معه زكاة ولا عشر • ولاسيادة لهم في أوطانهم ، فتصير المدارس العلميةبذلك خرابا يبابا ، لان السلاطين عادتهم ان يجمعوا الزكوات والاعشار • فيضعونها فيصناديقهم ، ويجعلونها فيغير استحقاقها وغيرموضعها فينصرفون الى عواصمهم : مراكشهم وفاسهم او غيرهما ، ويصرفونها في الفروج والسروج لاغير (٣) واذا وقع ونزل بعض الاصلاحات منهم لبعض الشئون المادية أو الادبية ، فمحله في نظرهم تلك العواصم ، حيث يدورون هم وازواجـهـم وعبيدهم وخدمهم وحشمهم ، من غير التفات منهم الى مايهم سوسنا من الشئون الدينية والدنيوية ، فلايتعرضون لبناء جامع او مدرسة ولامكتب ولا زاويـة الا لغرض من أغراضهم ، من تشوف الى بعض ذوى الوجاهة من العلماء او غيرهم فبذلككله اجتهد علماء سوس المتقدمون والمتأخرون رضوان الله عليهم فيقطع ذلك النفوذ المؤدى الى الاجحاف بسيادتهم ومدارسهم وما يمس بكرامتهم ، حتى ءال الامر الى اصدار فتاو تكفر أو تزندق أو تفسق كل من اخذ منهم ومنعامتهم بأيدى منانتمى الى المخزن ، وافتاء بقتله اوهدم داره او نفيه عن وطنه (٤) حتى سرت في قلوبعامتهم هذه النحلة المتعة مدمنذ احقابطويلة ، فاذا طرقهم طارق من جانب السلطان منامير أو قائده اونائبه قاصدا لاخضاعهم بالقوة ، التفوا عليه يداواحدة ، معتقدين ان مدافعته اكبر مـن جهاد العدو الكافر ، فطال

---

١) نعم هذه الاعراف النافعة تضمحل والاعراف المصادمة للشرع الاسلامى يريد المحتل احياءها فتعجب

٢) هذه حقيقة تاريخية ، ولكن في جبال جزولة وامثالها ، حتى في عهدمولاى اسمعيل كانتهذه الجبال متمنعة فانظر (الجزء الثاني) من (كتاب ايليغ قديما وحديثا)

٣) كلمة نابية لانقر عليها المترجم رحمه الله لعله يريد تصوير الحالـة فجمح به القلم

٤) هذه الكلمة مثل المتقدمة

عليهم الامدعلى هذا الحال ، على أنهم كانوا يدعون لسلاطين الوقت على المنابر وينصرونهم فى المواسم والاندية ، ويعتقدون ان مخالفتهم شقاق ، ولكن متى قعدوا منهم (١) مزجر الكلب ، أو لم يطلبوا منهم قلامة ظفر ، والا فهم سلاطين جور ، يحل عندهم قتالهم • ومدافعتهم عن أوطانهم ، لاسيما الدولة العلوية فانهم معها دائما من أولها الى يوم الاحتلال فى هراش وشقاق ، فما سمعنا منهم من جاوز حكمه (ردانة) الى بسيط (تزنيت) ولم يتوغل احد منهم فى تلك الجبال الجزولية الى جهة القبلة المصمودية ، بل كان العلماء فى كل زمان، وفى كل قرن ، يثورون (٢) فى تلك الجبال ، وقد ثار فيها فى زمان السلطان المولى محمد ابن عبدالله الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله الشريف الكثيرى المعروف عندهم باسم (بوتكولا) وثار لذلك العهد ايضا الفقيه العلامة سيدى عبد الله ابن محمد من بنى الحسن بن عبدالله البوزيدى الجرسيفى المانــوزى المقتول برأس الوادى ، المضروبة عليه قبة هناك ، وثار لذلك أيضا الفقيه ابن عزوز وثارفيه من اولاد الشيخ سيدى احمد بن موسى على بن محمد وولــده وولــد ولده (٣) وثار فيه أيضا العالم العلامة السيد احمد الهيبة ابــن الشيخ مــاء العينين عام ١٣٣٠هـ ، وتلاه وتبعه اخوه المربيه ربه ابن الشيخ ماءالعينين وغيرهم ممن لم نذكرهم ، وسنلم بنبذ من أخبار ماحضرناه او سمعنا فى زماننا هذا(٤)

فصـــل

ولنرجع الى مانحن بصدده من امر اعتناء الناس بأمور الديــن وأهلــه وقد ذكرنا منها ما يتعلق بالمدارس ومدرسيها وطلبتها ، والقيام بتموين الجميع

١) كناية عن الابتعاد بذلك المقدار الذى هو معروف من العادة قال ابــن الزبعرى

ومازال مهرى مزجر الكلب منهم لدن غدوة حــتــى دنت لغروب

٢) عجبا من هذه الفكرة من المترجم حين يبتهج بالثورة على الحكومة المركزية وقد كانت له رحمه الله افكار شاذة لاتخفى من مطالعة كل ماسقناه عنه

٣) وفى هؤلاء جمع كتاب (ايليغ قديما وحديثا)

٤) هذا كله كلام يقف ازاءه من يعرفون الحقائق متعجبين ، فلعل هذاالكاتب لم يبلغه كيف انثال الناس على السلطان مولاى الحسن من السهول والجبال لما زارسوس عام ١٢٩٩هـ وعام ١٣٠٣هـ وكذلك ماقام به السوسيون ازاء احمد بن محرز وازاء محمد العالم وما قام به الناس من مجابهة الثائرين على الحكومة كابى احلاس عام ١٢٠٧هـ وما جابهوا به المكاوى والدربالى وامثالهما فأيــن معاداة الدولة العلوية فى سوس ياترى ؟

وأما ثوار سوس فانهم حقيقة كثيرون كما كثروا فى كل نواحى المغرب وقد كنت جمعتهم فى محاضرة القيتها ونحن فى معتقل الصحراء

ولنذكر غير المدارس من المكاتب العظام التى هى بمنزلة المدارس فى اتخاذها للتعلم والتدريس مثل المدارس ، ولكن ليس لها موارد من زكوات وأعشار فان المكتب اذا كان فى بلد أو مدشر كبير فيه مثلا اكثر مـن سبعين كانونا الى المائة ، يتخذ فيه بيوت سكنى الطلبة الغرباء وغيرهم فتشد الرحلة اليه أيضا كالمدرسة ، ولكن الطالب الغريب مثلا ينتقى رجلا او رجلين من أهل البلد، فيذهب بكرة وعشيا للاتيان بغدائه وعشائه من عنده ويسمون ذلك (الرتبية) (تعريب تارتبيت بالشلحة وان كان فيه معنى الرتوب بالعربية) فيقولون مثلا ان الطالب الفلانى أخذ الرتبية من فلان ، الى ان ءال أمر بعضهم الى تبنى بعض الغرباء فياخذونهم اذا أتموا تعلمهم فيؤوونهم الى بيوتهم ويزوجونهم احـدى بناتهم ويعطونهم مسكنا من مالهم ، وذلك ان كان لهم اولاد ذكور ، وان لم يكن لهم شيء من الذكور ، يملكونهم جميع أموالهم (١)

ولما اشتغلت بالقراءة فى هذه المدرسة (الشموشاوية) اخذت الرتبية من عند بعض أهل البلد اشهرا ، فرأيته هو وأهل داره يستميلوننى الى ذلك فزهدت فى رتبيتهم خوفا من عاقبة الامر ، لان والدتى المقدسة كثيرا ماتوصيننى على أمثال ذلك مخافة القواطع ، لانه كم من تلميذ غريب مقطوع عن والديه فى بلاد بعيدة يصير متأهلا مستوطنا ، لاسيما اولاد الفقراء ، ولما تخليت عن الرتبية جاءنى صاحبى هو وامرأته وبناته ، كأنى ولدهم • فقالوا لى مالك قد انقطعت عنا ؟ أولم يعجبك طعامنا ؟ او قطعك عنا غيرنا ممن هو افضل منا ؟ فقلت لهم لاذا ولا ذاك بل أنا من اولاد اغنياء بلدى ، وذوى الثروة العظيمة منهم ، وياتينى من أهـلى من أنواع المؤن والزاد من كل صادر ووارد شيء كثير ، فأخرجت لـهـم سمنا وعسلا (٢) كثيرا ولوزا ودراهم كثيرة ، مما لايحسبونه عند احد فاتحفتهم بشيء من ذلك وسألت منهم المسامحة عن الايام الخالية

وأما اولاد الفقراء فقليل منهم من يرجع الى بلاده ، عند اتمام تعلمه • لما ذكرنا • فتجد اكثر أهالى بسائط سوس من هوارة وراس الوادى وهشتوكة الى حاحة ليسوا بأصليين • بل من أهل النواحى الجبلية وغيرها ، ولتيسر اسباب القراءة فى السوس الاقصى صار غالبهم طلبة قراءات او طلبة علم ، والامية فى غالب اقطارهم قليلة لشدة ارتباط اهل الاقطار القريبة والبعيدة ، فيشتركون فى الموارد العرفانية ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

---

١) مثل هذا الاعتناء يكثر فى هشتوكة وقبائل ما حوالى تارودانت من اجيال الى ان انقضى ذلك الان

٢) كنت أنا والمرحوم سيدى عبد القادر المسفيوى عند ابن زيدان رحمه الله وعنده المترجم فصار ابن زيدان يلمزه بالفقر مداعبة فذهب مسرعا فاذا به أتى باناء طافح بالعسل فقال له اليس هذا دليل غناى ؟ ذكرت الان هـذه الحكاية بمناسبة ماذكره هنا تصديقا لما ذكره عن نفسه

فصل في ذكر بعض حوادث وقعت اثناء اقامتي بالمدرسة (الشوشاوية)

من ذلك ان طالبا خان الفقيه شيخنا المذكور، وسرق من صندوقه أمانات لاناس وضعوها عنده، على عادة القبائل فى وضعها عند فقهاء مدارسهم، مخافة اغارات العدو ونهب الديار، لاسيما عند استحكام السنين المحلة ذوات القحط والجوع، لكون المدارس وفقهائها فى غاية الاحترام، وذلك من ذهب وفضة ولبان ورسوم وانواع الامتعة، فوجد الفقيه الصندوق فارغا • وقد سرق منه نحو عشرة ءالاف ريال (سكة هذا التاريخ) فلما فرغ الناس من صلاة المغرب، واصطفوا على عادتهم لقراءة الحزب الليلى، ولم يتخلف من الطلبة احد، لانهم يرتبون العقوبة على المتخلفين عن الصلوات الخمس وقراءة الاحزاب (١) أخذ الفقيه يبكى بكاء شهيق ونحيب، فلم يعرف احد من الطلبة مادهاه، وهابوا ان يسألوه، فتجاسر بعض كبار الطلبة على سؤاله، فقال له مالك ياسيدنا أقر الله عينك، ولاأبكاك الا من خشيته؟ فقال له الفقيه ومالى لاابكى وبطن الارض أفضل لى من ظهرها؟ وقد انتهكت اعراضنا بسرقة أمانات الناس من حرزنا • فماذا أقول لاربابها • وماذا أقول لخالقى؟ ثم مد كفيه، وقال للطلبة مدوا أكفكم ندعو على هذا الخائن ان لم يرد الامانات بعد ثلاثة أيام بالهلاك، فقيل له بل نؤجل هذا الدعاء الى انصرام هذا الاجل، فقال نعم، ثم شرع الطلبة فى قراءة الحزب وانفضوا بعده، فلما كان ءاخر الليلة الاولى من الثلاث، وجد الفقيه جميع مااخذ من الامانات، ولم تضع منها قلامة ظفر، موضوعا فى بيت الصناديق، ولم يعلم الناس من هو هذا الخائن من بين ألطلبة، ولااتهموا أحدا فاستبشر الناس، ونجى الله الخائن من شر دعوة هذا الجمع العظيم الصالح الذى لاترد دعوته

تنبيه :

علم ان الدعوات من طلبة العلم والقرءان فى هذا القطر فى مثل هذه الشئون مقطوع فيه عندهم بالاجابة، وقد صار عندهم من باب الايمان المغلظة، حتى ان كثيرا من المظلومين يأتون عند وقوع مثل ذلك الى طلبة المدارس او غيرهم من مجامع أهل العلم والصلاح، فيشتكون عليهم ويطلبون منهم الدعوات بهلاك

١) كان مقدار العقوبة التى كنا رتبناها فيما بيننا على المتخلفين عن ذلك لما كنا فى مدرسة (ايغشان) عام ١٣٣٠ موزونتين ويعبر عنهما بـ (وجهين) وتعادل قيمتها سنتيمين وذلك اذذاك غير تافه خصوصا عند الطلبة المدقعين فى تلك البلاد الفقيرة

ظالمهم ، فلايقبلون منهم الدعاء بالهلاك الا بالبينة على أنه ظالم لهم ، وقد شاهدت ظالما يوما لج فى طغيانه وأبى ان ينصف مظلومه فى بعض اندية الطلبة ، فقالوا له لاتخرج من هذا الموضع الا اذا انصفته حقه ، فانزعج للخروج مستكبرا تياها ، غير مبال • فلما وصل الباب عثر عثرة سقط منها على الباب وتسارع الناس لكثرتهم فى الموضع ، فوجدوا رغوة مزبدة بين شفتيه وشدقيه وهى كشقاشق البعير، الى أن فاظت روحه فى أقل من ساعة ، وبهذا وامثاله انزجر الناس ، وارتدع الظلمة • واحترموا المنتسبين وأهل الدين (١)

ومن ذلك انى حضرت الحزب ليلة الجمعة ، والعادة قراءة سورة الكهف فى الاقطار السوسية (٢) فادركنى النعاس اثناء قراءة الناس لها ، لعدم وجود الفقيه تلك الليلة ، فلما فرغ الناس من الحزب ، خرجوا لتناول العشاء ، فهزنى بعضهم • وقال لى قم لتناول عشائك مع الطلبة • وكنت رأيت الوالدة فى المنام ، فقالت ان لم تزرنى فى هذه العواشر لاطمسن بصرك شهرين، فاستيقظت فوجدت (بوتليس) (٣) فى عينى وصرت اعشى فى الحين ، فقادنى ذلك الطالب الذى ايقظنى الى العشاء من عدم ابصارى موقع قدمى الى ان انصرم شهران وسافرت الى زيارتها ، بعد مراجعات بينى وبين شيخى ، فذهب عنى ماأجده فى الليلة التى سافرت فيها ، كأنما نشطت من عقال ، وانقشع سحاب ذلك الضر فى الحال

وفى هذه السنة تكالب الجراد على بلاد السوس وتكاثر ، فلم يبق شجرا

---

١) كان الملك مولاى الحسن يدرك هذا من السوسيين ، فحين سافر سفرته عام ١٢٩٩ هـ وعام ١٣٠٣هـ صار يقرب اليه العلماء ورؤساء الدين فى مجلسه فما ولى قائدا الا بمشورتهم ، وهو بنفسه لم يذهب الى سوس كملك له جنود وصولة ، وانما كامير للمسلمين وامام لهم ورئيسهم الدينى ، وقد القى عنه ابهة الحجاب ، فيلقاه كل احد يريد لقاءه ليتبرك به ، فبذلك لم يبق بسوس من له رغبة فى رؤيته لم يمثل أمامه ، ثم لما جاء الحاحيون والباشا حمو فى أيام المولى عبدالعزيز بالقوة يرومون اخضاع الناس بها قامت حروب شديدة هلك فيها كثيرون ، ولم تستطع تلك الجيوش أن تمد قوتها كماتريد ، واذا كان السوسيون مضطرين لمحاربة هذه الجيوش ، فان ذلك لايخرجهم عن طاعة السلطان ومحبته فلايحاربون الاجور وظلم الولاة الواردين عليهم بخلاف ما ألفوا من الاخلاق الدينية ومن عدم المغارم فبه دائما يصلون وباسمه يعلنون فى أسواقهم مايعلنون

٢) سورة الكهف عشية كل خميس ، ويس وتبارك صباح كل جمعة ويسمون ذلك حزب الشيخ ويعنون به الشيخ ابن ناصر

٣) المقصود العشى مقصورا ، وهو ان لايبصر الانسان ليلا احيانا ، قال اوس:

وأرى العشى فى العين اكـ ـثر مايكون من العشاء

ولاحجرا ، وصارت الارض قاعا صفصفا ، وأقام سبع سنين ، من عام ١٣٢٠هـ الى ١٣٢٧هـ وهو سبب الغلاء المتقدم • ولكن صار جل معيشة أهل البلد من حيوان ادمى أو بهيمى ، والعادة المطردة عند أهل السوس ان الجراد اذا غاب عنهم غاب سبع سنين ، واذا ورد أقام سبع سنين ، وقد شاهدناه كذلك فيما حضر من زماننا بلا مرية على هذه العادة المجرية (١)

فصـــل

ولما قضيت الوطر وفرغت مما ذكرنا من اتقان قراءة ابى عمرو بـن العلاء البصرى عند هذا الشيخ ، ووقع لى ماذكرت مما رايته مع الوالدة فـى المنام ، وعلمت انها حنت الى حنين البعير الى عطنه ، والمومن لابد أيضا ان يحن الى وطنه ، ازمعت على السفر بقصد صلة الرحم الواجب ابلالها على كل مومن ولم يبق الا أطلالها ، فطلبت من الشيخ طلبا جازما ان يتفضل بالاجازة والتسريح فامتنع وقال أنا لقبول طلبك غير مبيح ، فماكان غير أيام حتى خرجت فى بعض الليالى المقمرة هاربا ولبلادى طالبا ، فخضت فى تلك الليلة مابين (ايت باكو) وبين (أيت صالح) بأيت بلفاع ، ولم يكن لى فيها رفيق دون الذئاب والسباع لكثرتها فى تلك الفيافى ، مع أنى من النعال حاف ، فما أصبح الصباح الاوانا عند المرابط الفقيه السيد ياسين الكرسيفى المتقدم ، فقصصت عليه القصة من غير زيد ولانقص ، فقال لى ان الهروب من شيخك من غير طيب نفس يعد من النقص فماأتممنا الكلام الا وطارق يدق الباب ، ونعوذ بالله من كل طارق الا بخير • فاذا نحن بطالبين من أصحابنا بعثهما الفقيه الى ليردانى اليه ، فتمنعت حياء منه أول الامر ، فلم يزل بى الفقيه سيدى ياسين بن ابراهيم ، الى ان أجبت وأحببت الرجوع معهما الى شيخى ، فلما وصلته ضحك وهش وبش ، ودعـا لى بخير ، واقترح على اقامة شهر • فساعدته فأجازنى وسرحنى بعد تمامه • فانصرفت راجعا الى بلادى ، وجعلت طريقى على (أيت بلفاع) ثم (ايت ميلك) ثم (أيت ايلوكان) والجراد يتناثر على عينى ورأسى لكثرته ، فغطيت وجهـى بعمامتى ، لئلا يصيب عينى فيوذينى ، فلما وصلت (اسرسيف) دخلت البلد وسألت عن المرابط ابن اكرام الغازى الجرسيفى ، لكونه يريد السفر الى بلده (اكرسيف) فرغبت فى مرافقته فى الطريق ، فأخبرتنى زوجته أنه قد سافر فى أول النهار ، وكان الوقت وقت العصر ، فعرضت على البيات عندهم ، لكون المسافة بعيدة • ولوجود اللصوص فى جنح الليل والسباع فى تلك الارض بين (اسرسيف) وبين (ايمى اوغكمى) فابيت وجازيتها خيرا ، وذهبت منزعـجـا

---

١) أقول نحن الان فى سنة ١٣٨٠هـ والجراد لايزال يصول منذ اكثر من سبع سنين فى الجنوب حتى لم يبق ولم يذر فانخرمت التجربة

مسرعا ، وجيوش القوى تحثنى ، كأنى طائر الجو المجفل الى أوطانه • أوالبعير الناد الى أعطانه ، فغابت الشمس على دون ادراك الامل ، ومحل الامن والامان وعندغروب الشمس وصلت تحت المدشر المسمى (أمانو) بقبيلة (ايت ايلوكان) بين الطريقين : طريق الى (ايمى اوغكمى) وطريق الى (امانوز) المذكور ، ولقيت جماعة من النساء يتضاحكن ويتهادين ، فاستوقفننى فوقفت ، فقلن لى اياك أن تتجاسر على قطع تلك المسافة بعد الغروب ، فان اللصوص كثيرون بينك وبين العمران ، ورأينا عليك حوائج لها قيمة ، فعج الى (أمانوز) وبت فيه الى الصباح ونحن من أهل البلد نقوم بضيافتك ، كما تحب ويجب ، فأبيت الا المسير والسرى ، فاذا برجل صبيح الوجه ، طويل القامة ، مرتديا لحائك سدائى جديد (١) • فقال لى مثل ذلك • فقلت له تاليا (لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا) فقال لى ، ولم أكن أعلم انه من أهل العلم ، نعم ولكن بعد قوله تعالى (ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا) وقوله تعالى (خذوا حذركم) ، ثم قال ارجع ياسيدى الى ضيافتنا ، فانى أخاف عليك ، فقويت فى روح الانبعاث ، وغلبت على بواعث الشوق • الى الوطن والوالدة والاخوة والاخوان • لطول الغيبة ، فقال لى اذهب الى حيث شئت وشاء الله ، فانبعثت منزعجا مثل السيارة ، لاجتماع جماع القوة فى ذلك الابان الشبابى نشطا فرحا مرحا ، فكأنما أرواح النشاط السكرى تحدونى ، الى ان وصلت لبلد كبير يسمى (أيت واساى) باقصى (أيت ايلوكان) فى أول غابة (ايمى اوغكمى) والعشاء واصلة ، والمؤذن يترنم بها فوق سطح المسجد

وقرية (مانوزة) المذكورة آنفا اصلها من قبيلتنا (أمانوز) ولذا سميت بها لتحولهم منها عام ١٢٤٢ هـ أيام السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ، وهم من بلدة (تيفراسن) ولازالت بها آثار ديارهم الى اليوم ، وقد اطلعت على جل رسومهم ، وقد بلغوا من الثروة والكرم والشجاعة بمتحولهم وبموضعهم الان مايدل على أنهم من صميم (أمانوز) بحيث لايرومهم لقوتهم ومنعتهم الاالواحد القهار ، وقد ورد على فى بعض الليالى أحد رجالاتهم فى المدرسة (الشوشاوية) قاصدا ، فسألنى فانتسبت له ، فاثرت النسبة المانوزية ، فبكى حتى اخضلت لحيته بدموعه • فقال لا أذهب راجعا الى البلد الا بك ليتشرف بمعرفتك أهل البلد ، ويصلوا فيك واشج الرحم ، فقلت له انى مشغول بالقراءة الان وليس الوقت ابان العواشر ، ولاعذر للاستراحة ، وأخاف معاقبة صاحب المدرسة • فتواعدنا زمن العواشر ، فذهب بالبكاء والنحيب ، ولما وصلت فى هذه السفرة الى تلك البلدة فى ذلك الوقت ، حملنى على عدم التعريج عليهم ماذكرته لك من كثرة بواعث الشوق للوطن ، والانسان مجبور فى قالب المختار ، ويابى الله الا ماأراد • ولما وصلت (أيت واساى) المومأ اليها ، وكانت البلدة مكتنفة

١) هذا هو لباس الطلبة والعلماء والرؤساء وأصحاب الوقار اذذاك

بغابات اكنارى (التين الشوكى) اى الهندية ، سرت فى ازقتها نصف ساعة وأنا لمأسمع منالبلد كلبا ينبح ، ولابهيمة ترغو اوتمر ولاحيوانا فيه روح لكثرة الجوع ، وغلبته على جميع الاقطار ، فدخلت فى الوقت الذى ذكرتهءانفا فوجدت جماعة من رجال البلدة ما ينيف على الستين حول حائط باب البلد فسلمت عليهم ، فلم يرد على الا واحد منهم اسمه محمد بن عبدالله ، وهو منتبذ عنهم قليلا ، فأشار الى بالجلوس ازاءه فامتثلت ، فقلت له انى على غير وضوء ، فقال لى اذهب الى الغدير ، لغدير أمامه تسقى منه الدواب ، فذهبت فوجدت به ماء آسنا متكدرا • ولكن للضرورة توضأت به ، فصليت العشاءين هناك ، ورجعت الى الرجل ، فقلت له أين الجامع ؟ فقال ان الجامعخال من امام ومؤذن لغلبة القحط ، اجلس معى لنذهب الى دارنا ، فجلست نصف ساعة والناس ساكتون ، وفى أيديهم أورادهم يذكرون ربهم (١) وكأنهم فى حالة ذهول ، فسألنى بعض أكابرهم ، فانتسبت له • فقال لى قم معى الىالضيافة فقال له محمد بن عبد الله سبقتك اليه ، فجزاه خيرا ، وانصرف الناس الى مراقدهم ، وذهبت معالرجل ، فدخلت داره ، فسمعت صهيل الفرس منحوشه وعلمت أنه من أهل الثروة • فشكرت الله ، وذهب الى مصرية فى حوشه (المصرية الغرفة الفوقية ، والحوش بالفتح حظيرة المنزل للماشية والبهائم) كبيرة بحيث أرى داره قبلا منى ، وقدم الى خبز كانون غليظ (اضيف للكانون لانه ينضج علىجوانبه الداخلية) على عادتهم مع السمن والعسل بكثرة ، وأدار على من كئوس الاتاى ما ينسينى الغربة ، ثم تحدث معى هنيهة من الليلفذكر أنههتم بأمر الاولاد ، وكان له زوجتان (٢) ولم يجىء منهما شىء ، فاستمطر منى الدعاء ، فدعوت له ان يرزق الله له أولادا ، وأن لايخيب لهرجاء ، وذكر أنهتجول بالعرائش والقصر وطنجة ونواحى المغرب الى غيرذلك ولما كان ءاخر الليل ، توضأنا وصلينا فريضة الصبح ، وهو متنفس ، فتهيأت للسفر • وشيعنى بشوق عجيب • ودلنى على طرق تلك الغابات الهرجانية ، فتودعنا ولما توغلت الغابة سمعت زئير بعض السباع ، فقرأت ماعلمنى الله من ذكر الحافظات ، وتوكلتعليه ذاهبا نشطا الى ان وصلت الى بلد (ايمى اوغكمى) والشمس مشرقة على وجه الارض ، فكأنما زويتلى الارض ، وطويت تلك الشقة بالامشقة ، ودخلت البلد قاصدا الجامع • فوجدت الامام فى بعض بيوته يفطر بالحسا (نوع من الحريرة ابسط تحضيرا منها) والتين على عادتهم مع بعض

١) هذه حقيقة حال ذلك الجيل لايكاد الانسان يبلغ ويتزوج حتى يتلقن الطريقة الناصرية — غالبا — ثم يلازم اذكاره وصلواته ولايشذ عن هذه الحالة الا قليلون جدا وتارك الصلاة ينعدم منهم الاتحلة للقسم

٢) يقل جدا جدا من تكونله اكثر منزوجة فىجزولة وقلما تجد فى القبيلةالا واحدا او اثنين من الاغنياء الذين لا اولاد لهم مع الاولى وكذلك الطلاق يقل جدا حتى لاتكاد تسمعه اذذاك

كبار البلد ، فسألتهما عن صاحبي المرابط السيد ابراهيم بن اكرام الكرسيفي الاسرسيفي ، فلميريا له خبرا ، وماعرضا على ان افطر معهما ، فعجبت من بخلهما . ورجعت مسرعا خارجا من البلد ، الى حال سبيلي ، لانه كانت بينهذا البلد وبينمانوزة أذحال (١) ومظالم خفت من غائلتها ، وذلك ان رفقة كبيرة مقدار ثمانين بعيرا من السلعة من أيت (ايمي اوغكمي) في حدود التسعين أيام السلطان مولاىالحسن ، قد تعرضت لها قبيلة (مانوزة) في (اكرسيف) فأخذوهم وأكلوا متاعهم ، وباعوا عيرهم ، وقد تقوم جميع ذلك بمال له بالمن طرف أصحابه المغصوبين ، وقدروا وزنه بحجر كبير الجسم ، فأخذوا هذا الحجر ، ووضعوه في محل مامون . يترصدون فيه من يمر من المانوزيين في جميع الاحيان ، ولما خرجت من البلد الى خارجه ، أخذتني بعضالطرق الذاهبة الىجبال (ايساكن) و (تودمة) واخطأت الطريق ، فاذا برجل كبير أشيب طويل القامة ، يرعى بقرا وغنما ، تعرض لي وقال الى اين أيها الشريف الصغير الطالب ، ومناين أنتم ؟ فهممت بالانكار ، فقال لعلك من ناحية كذا ، ومنبني فلانمنهم . فاني رأيت في ملامح وجهك اكثر نعوتهم ، وتفرست في نعوتك وأوصافك مايدل على انك من صميم قبيلة (امانوز) فقلت له الامر ما وصفت ياسيدى ، فقال لي ارجع الى الطريق الايمن ، واسلك ذلك الوادى ولاتخبراحدا ممن لقيك بنسبك ، وانج بنفسك . فان كانت لك رغبة في ضيافة الله ثلاثا او أقلأواكثر ، فاذهب معنا في أمن وأمان ، فاننا من مرابطي قبيلتكم ءال (تادارت) الكرسيفيين ، وانتقلنا منها أوائل أيام المولى عبد الرحمان بن هشام فلا تخف منا شيئا فقلت له جزاك الله خيرا ، وتودعنا ، وشيعني أميالا. الى ان وصلنا الى جماعة عظيمة من أخلاط النساء . واكثرهن أبكار ، ذاهبات الىتلك الجبال للاحتطاب ، وفي ايديهن حبال على عادة البلاد ، وعند كل واحدة منهن خبز الملة (٢) والبيض والتين واللوز المقلى للافطار بذلك على الجبل ، علىالعادة فيالتبكير للاحتطاب ، فأوصاهن الرجل على مرافقتي وارشادى في تلكالمسالك المجهولة ، ورجع هو الى رعيه ، واولئك الابكار العرب الاتراب يتضاحكن ويتدافعن بينهن ، وربما يملن على بتقبيل التبرك ، والكلام الهين اللينوالعطف وأنافي كل ذلك لاأرد عليهن ، ولاأنبس ببنت شفة ، لشدة حيائى منهن، ولما وصلناشفا الجبل المطل على البلد . وأردنا المفارقة فيه ، وفيه نطفية ماء ودعنني بعدماقبلتكل واحدةمنهن يدىورأسى ، وفيهنمناستعبرتبالدموع (٣) وبعد ان ناولتني كل واحدة منهن قسطا مما عندها من البيض واللوز والتين

---

١) جمع ذحل كذحول الثار

٢) الملة بفتح الملة واللام المشددة الرماد المحمى او الجمر وخبز الملة هو الذى ينضجعلى ذلك ويصنع كثيرا للرعاء وأمثالهم

٣) ماأشبه هذا الموقف بمواقف عمر بن ابى ربيعة الا ان عمر صرح وصاحبنا لوح

والخبز ، وحلفن علي أن اخذه فاخذت منه الكفاية وتركت جله ، وانطلقت صاعدا للجبل ، والنساء يزغردن على فرحا وتانيسا ، الى ان وصلت بلد (أيت موسى اوباكو) ومنها ساقية (أنكارف) وفيه مدرسة علمية مكتنفة بالاشجار ، وحولها اودية وعيون جارية ، وأنواع الخضر ، من لفت وجزر وذرة وكرنب وبصل وحناء وفواكه كثيرة وتمر ورمان واجاص وتفاح وتين وغابات من هرجان وغير ذلك من أنواع الخيرات ، وأهل تلك الجبال من أجواد الناس واحبهم للغريب والضيف واكثرهم تعظيما للدين والعلم وأهله واكثر أمانا وأمنا ، ولذلك كان العلماء في بلادهم اكثر نفوذا ، ثم انطلقت من (انكارف) الى (البن) ولما وصلته تلقاني اناس من أهله منهم الولى الصالح السيد محمد بن عبد الله الكرسيفي اصلا الالبني وطنا ، في أبناء عمه المرابطين ، وعرضوا على الاقامة للضيافة والاستراحة ثلاثا ، بعد ان تساءلنا وانتسبت لهم ، وفرحوا ، وأتوا بطعام مستعجل . وخير البر ماكان عاجلا . فتناولت منه الكفاية ، فانزعجت للسفر بعد اقسامهم على بالاقامة ثلاثا ، فشيعوني اميالا . وهم يتذاكرون معي في تاريخ انتقالهم من (اكرسيف مانوزة) فاستقر أمرهم على حدود الثلاثين اواخر دولة السلطان الصالح المولى سليمان بن محمد بن عبد الله العلوى ، وهم أيضا من آل (تادارت) مهجر كل كرسيفي ، ثم انطلقت خائضا تلك الجبال بقلب ثابت ولسان حالي ينشد قول بعضهم

قطعنا في مسافته عقابا   فما بعد العقاب سوى النعيم

الى ان وصلت الى سوق جامع (البن) في واد غير ذي زرع ، فدخلت بين أهله ، وهم ينتظرون الى كالمعجبين بي لغرابة رونقي ، وصفاء لون وجهي ونعومة (١) بدني بخلافهم ، مع ماأنا عليه من أفخر الثياب التي أدتهم الى ذلك واستوقفت أبصارهم ، فاذا بفقيه أخذ بيدى وصافحني ، وانطلق بي الى خارج السوق ، فقال لى اني رايت عليكم سيماء القبيلة الفلانية ، يعنى المانوزية ، فلعلك من أبناء فلان ، فقلت اصلحك الله لعل الامر كما ذكرت ، فقال اجلس هنا ، فان مثلك على هذه الهمة لايدخل بين هؤلاء الناس لئلا يصيبك منهم اذى عين ، اوجريرة قومك ، فذهب فاتى بطشت من ماء وبلح جيد ، فقال لعلك تشتهي هذا لكونه ليس في بلد هشتوكة ، فقلت نعم . فسألته عن اسمه فاذا هو طالب من (مشمس ايت سمايون) التملي اسمه السيد محمد بن عمر ، فترتب بالمشارطة في جبال صوابة ، فاتى بخبز ولحم من السوق ، وتغدينا بين الدفلى والاثل والنخل ، على بساط من الربيع الاخضر . في شاطىء الوادى . والبلح يتساقط علينا والنسيم يزورنا (فيتركنا سكرى وما بيننا خمر) فلما دناوقت

---

١) الا ينسين القارىء ان المترجم هو الان في السابعة عشرة من عمره ، وانه في سن البلوغ

العصر ابتدأت السفر ، فقال لى تريث قليلا ، فان الموضع الذى تبيت فيه قريب وقد أوصيناهم بالوقوف معك ، وهو مدرسة (تانالت) عند الفقيه العلامة السيد أحمد أبوالرهوات من فجة (تافيلالت) خليفة الفقيه المدرس فيها السيد محمد ابن‌عبدالله أقاريض الصوابى لكونه غائبا ، فأقمت الى ان أدينا العصر وشيعنى وطلعت الجبل الى المدرسة ، وهي مبنية على شفا ربوة ذات قرار ومعين ، تحيط بهاالمياه فى الاودية ، والسواقى والنخل والاعناب والزياتين من كل جهة فدخلتها وتلقانى أهلها بالترحيب ، وخصوصا الفقيه الموصى علـى ، فصلينا العشاءين ، وقرأنا الحزب ، ودخلنا لمحل ضيافة الفقيه وهى المصرية الكبيرة فتعشينا بأنواع الاطعمة والفواكه المدخرة (١) وشربنا الاتاى ، وتذاكرنـا بأنواع المذاكرات ، الى أن مضت هنيئة من الليل ، فأخذنا مضاجعنا ، فلما كان‌اخر الليل قام الطلبة على عادتهم للقراءة وأنواع المذاكرات وسردالمحفوظات الى أن حان‌الفجر (٢) وبعد ادائه‌وسرد الحزب‌الصبحى انفض الجميع‌كل‌الى‌بيته على‌عادة أهل المدارس للافطار بما تيسر ، والغالب ان يكون ذلك شراب الحريرة (اى الحساء) لان خادم المدرسة تهيئه لهم ، فما فرغنا من الافطار به وبالخبز والسمن والعسل ، وبما وجد فى المائدة من أنواع الفواكه المدخرة ، وشرب الاتاى ، وقدم الغداء ، وهو عندهم فى ذلك الوقت الكسكس مع الخضر واللحم وأردنا الوداع ، اجتمع على الاخوان من الطلبة طالبين منى العودة اليهم‌للقراءة معهم ، فوعدتهم ، وكانت معى دراهم فأهديتها لهم • ودعوا لى بخير ، فخرجنا للتشييع والوداع • فاذا بصاحبى المرابط سيدى ابراهيم بن اكرام الكرسيفى الاسرسيفى المذكور ، وهو قد سبقنى بالسفر ، فسبقته فى الغاية ، فحمدنا‌الله على الملاقاة والجمع • فترافقنا فى الطريق بعد توديع أهل المدرسة ، واجتهدنا فى السير الى‌أن وصلنا (تاهالا) بعد العصر وقبل الغروب بقليـل فطلعنا الى المدرسة وهى المدرسة الخضراء اى مدرسة (يريفن) فرحب بنا مدرسها وهو الفقيه شيخنا ومفيدنا ومربينا العلامة الصوفى الشريف السيد على بن أحمد الاسكارى الامزالى قبيلة ، الهيلانى الوادريمى ، وذلك ليلة السبت مهل قعدة عام ١٣٢٢ هـ الموافق لـ ١٥ يناير (يعنى الفلاحى الذى يتاخر عـن التاريـخ الفرنجى دائما بـ ١٣ يوما) فبتنا عنده احسن مبيت ، وزودنا بمواعظ وحكم تـذوب لها القلـوب • وتقشعر منها الجلـود • فلـمـا تغدينا استمطرنـا منه سحائب الادعية ، ووعدته بالرجوع للاخذ عنه • ففرح ودعالى بخير وذهبت لسوق الاحد فى موضعه الان المؤسس فيه منذ أيام السلطان ابى الفداء المولى اسماعيل بن الشريف عام ١٠٨٢هـ وقد اضمحل لكثرة الفـتـن بين جزولة

---

١) الفواكه المدخرة بايت صواب هى اللوز والتين والزبيب

٢) هذه حقائق يتعجب منها من‌يناهون صبحا اليوم ومن يزورون تارودانت التى لايزال طلبتها محافظين على هذا التبكير لمراجعة الدروس

(تاكوزولت) وحواء (تاحوكات) (١) ازمان المولى عبدالرحمن عام ١٢٤٠هـ الى أيام السلطان المولى الحسن عام ١٢٩٢هـ فامر بعمارته واحترامه العلامةالصوفى الولى الصالح السيد عبد الله بن ابراهيم الادازنى الوادريمى الهشتوكـى . حين أقامته بمدرسة (تاهالا) مترتبا فيها ، واستمرالى الان ، وأدارت عليـه الحماية الفرنسية سورا محيطا عام ١٣٥٥هـ بعد الاحتلال بثلاث سنين، وبنيت فيه دار للمراقبة

فىهذه المرة ، دخلت (تاهالا) لاول مرة معانها جارتنا لكثرةالفتن ولانهم منعونامن دخول بلادهم لسبب . وهو أنه لما كانت سنة ١٣٠٣هـ توسط أهل (تاهالا) للمهادنة بيننا وبين اصدقائهم (ابناءواعبلا) ايت ابراهيم بن داود. فجعلوا بيننا الخطيئة المسماة عندهم بالانصاف ، وقدره قنطار منالمال الفضى امن خان أو غدر ءاخر ، فلما كانت سنة ١٣٠٦ نقضه أبناء عمى أهل (ءاوالا) لموجب معلوم ، فدخلوا (تالكانونت) وفعلوا بها ماتقدم من الحوادث فى بدايتى فجاء أهل (تاهالا) لاقتضاء المال المذكور ، فطردهم اعمامى فمنعونا من سوقهم فقط دون قبيلتهم ، فانقطعنا عنالجميع من عام ١٣٠٦ هـ الى عام ١٣٢٣هـ ففى كلسنة يأتون ويطردونهم ، على أن مواشينا وبهائمنا وعبيدنا يخرجون للرعى وانتجاع الربيع وغير ذلك فى سطح (ءانامر) فلم يقدروا على التعرض لها بسوء كما تفعله القبائل فيما بينهم من اسر واستلاب من ترتبـت عليه الخطيئة اى الانصاف (يعنى العقوبة) لانهم خافوا من سطوة اعمامنا خصوصا ، وسطوة مانوزة عموما ، الى أن كانت سنة ١٣٢٣هـ المذكورة ، توسط الرئيس الجليـل الشيخ الفقيه (٢) السيد الحاج ابراهيم بن أحمد من بنى الطلب مـن هـوت الديانى (اكنىاديان) الايغشانى ، لما له من نفوذ عظيم فى قبيلة (تاهالا) لانه تاحكاتى العصبية ، فأسقط ذلك المال مجانا ، تخوفا من عواقبه وشر غوائلـه ولماله من المحبة المتينة ، والرغبة الاكيدة فى أعمامى اكثر من قبيلة (تاهالا)

رجـــع

ولما تسوقتالاحد واجتمعت فيه باخوانى وأعمامـى ، وأبناء بـلادى ، اجتمعوا على مغتبطين فرحين مسرورين ، وأتوا بأنواع المئاكل الىظلال الهرجان (أركان) ، فأكلنا وشربنا ، والناس يتواردون علينا فيتساءلون من أنا حتى عرفنى اكثر منلم يعرفنى من (تاهالا) وايغشان واداوسملال وايـت صواب

---

١) هناك نحلتان انقسم عليهما سوس وهما تاحوكات وتاكوزولت اى بنوا حواء وبنو جزولة (وقد ذكرنا ذلك قبل)

٢) ذكرنا فيما تقدم أنه ليس بفقيه وانماحفظ القرءان فقط وحافظ القرءان وحده لايسمى فقيها فى سوس

وأملن وتافراوت وغير ذلك ، اذا الناس في ذلك الوقت يتشوفون للمرشحين للعلم كثيرا ، لاسيما من تغرب لطلبه ، فلما صلينا العصر في السوق شخصنا الى البلد طالعين لربى سطح المشمس (عرب الكاتب بذلك كلمتى ازور وانامر الشلحيتين)، فلما وصلنا الى الركن (تعريب تيغمرت) تلقانا الناس ذكورا واناثا ومن جملتهم الوالدة المقدسة والاخوات واهل البلد اكتعون ، فلم يبق الا من لم يستطع الخروج لعلة او صغر ، فجلسنا مع الناس على صلد ابيالنجم (تعريب ازرو نبنجم)الى ان صلينا المغرب هناك مع جماعة من مشايـخ البلد بامامة عمى الفقيه المقدس الرباني السيد أبي القاسم بن على بن أحمد ، ثـم انطلقنا لدخول البلد في ليلة مقمرة ، صارت كأنها غرة في جبهة الدهر،فأقمت في البلد مقدار ثلاثة أشهر ، فلما استرحت وقضيت ماوجب من ابلال الارحام ولم يتهيأ لى القرار ، دون تعلم ما وجب على من أحكام الحلال والحرام

فيمدرسة تاهالا

ولذلكتسوقتسوقالاحد بقصد التعلمفيالمدرسة المتقدمة لدىشيخنا المتقدم الذكر ، فاجتمعت ببعض اصحابنا الافاضل ، ممن يتعاطى فيها القراءة مـن الاماثل ، وهو المرابط السيد اسماعيل بن محمد بن الحاج من بنى العالـم الغازى ، فندبنى للذهاب الى المدرسة للقصد المذكور ، فذهبت معه اليها ففرح الشيخ السيد على بن أحمد المتقدم بمجيئى والوفاء بالوعد المتقدم ، فابتدأت يوم الاثنين الموافق ١٥ مارس ، والناس يتهيئون لموسم الولى الصالح سيدى أحمد بن موسى دفين (تازاروالت) والامطار اصبحت تلك الليلة منهلة هاطلة ، بعد ان انقطعت عن الحرث من دجنبر الى شهر مارس وسطه ، وجفت الارض وصار النبات هشيما محتضرا ، فأحيا الله البلاد ، وأغاث العباد ، وقـد سمى هذا العام عام الحياة لذلك ، وحصد الناس خيرا كثيرا ، ونمت المواشى ، وصلحت الثمار والاجباح (خلايا النحل) وقال لى هذا الشيخ رحمه الله : انى أنشد في حقك ما انشده الشيخ ابن ناصر الدرعى ، لما ورد عليه تلميذه الشيخ السيد الحسين الشرحبيلى :

أتيت ومقصور الحيا لك تابع ومملوده في غر وجـهـك لامع (١)

ثم قال اننى لسعيد بك ياسيدى محمد السعدى ، كما سعد أهلالمغرب بأسلافك الكرام ، بنفى رجس العدو البرتغالى عن أوطانهم ، وجمعهم شتات كلمة أهله ، ثم أنشدنى بيت عبد العزيز الفشتالى كاتب المنصور الذهبى من

---

١) كنت رأيت هذا البيت فيقطعة فلعلامة الحاج احمد الجشتيمى لاقى بها سيدى الحاج ياسين الوسخينى وكنت أظن أنه له من جملة القطعة ، فظهر الان أنه انما ضمنه فيها

نونيته التى اولها

هم سلبونى الصبر والصبر من شانى وهم حرموا من لذة الغمض اجفانى

والبيت المقصود هو

هم العلويون الذين وجوههم بدور اذا ما احلولكت شهب خرصان

وقرأت عليه الاجرومية ، ولامية المجرادى فى الجمل ، وارجوزة فى المبنيات ولامية الافعال ، وارجوزة الزواوى قراءة تحقيق فى ظرف ستة أشهر ، ثـــم افتتحنا الرسالة لابن أبى زيد القيروانى ، والمرشد المعين لابن عاشر ، والبردة والهمزية ، ولامية زهير ولامية الطغرائى ، على عادة أهل سوس فيمن يترقى من فن صغير ، الى فن كبير ، من فنون العربية او الفقهية تدريجا ، بل والفنون الادبية • فما تمت السنة حتى افتتحنا الفية ابن مالك ، وقد فتح الله على فى كل ذلك فتحا مبينا ، حتى اننى ادرس فى هذه الفنون قبـل ختامها ، وربما طالعت مؤلفا قبل الدخول فيه او بابا من العلم ، ففتح على باقيه ، وكثيرا ماارد على الشيخ وعلى الآخذين فى مشكلات العربية قبل وصولها ، فيجدون الصواب معى ، ويتعجبون من ثقوب ذهنى ، وكثيرا مايتلو الشيخ عندئذ (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) ويقول ماهى باول بركاتكم ياءال فلان ، ومن أعجب ماتفق ان ولد الشيخ وهوالفقيه السيد محمد ـ فتحا ـ بن على خاض عند أبيه هو وجماعة من التلاميذ فى اعراب قول الشاعر عند قول ابن مالك فى (كنته الخلـف انتمى) وهو

فان لايكنها او تكنه فانـــه أخوها غذته امه بلبانها

فقال الشيخ على العادة فى التمرين عند أعراب الشواهد ، أخبرونى عن قائله ، وعن اسمى كان مامرجع الضميرين المختلفين ، وعن ذلك الماضى ، وعن ذال غذته تخفيفا أو تشديدا واهمالا أواعجاما • وعن الفرق بين اللبن واللبان بمدو بغيره فسبقتهم الى الجواب ، فقلت له القائل أبو الاسود الدؤلى قاله لعبده ، والضمير فى يكن الاول المذكر الغائب للنبيذ ، والثانى للخمر ، وأخو الخمر النبيذ ، لان أصلهما واحد • والذال فى غذته معجمة مخففة ، واللبن من الانعام معروف وهو منزوع الزبدة ، واللبان وهو الرضاع ماجاء من البهائم وغيرها ، أوله عند الولادة ، وقيل لافرق بينهما • فضحك الشيخ على الحاضرين ، وقال لهم انكم قد أقمتم فى قراءة العلم أزيد من عشرين سنة ، ولم يقم سيدكم هذا اقل من سنة ، فأجاب بسرعة دونكم ، فقال ولده المذكور : الا أنه اخطأ فى تخفيف غذته واعجامه ، فقال اجبه • فقلت له بسرعة ان العرب تقول غدا يغدو ، وغدا يغدو مثل غذى يغذى بالتشديد وغذوته مخففا فقط هنا لاغذيته بالتشديد من الغذاء بكسر الغين لما يتغذاه الانسان مطلقا ، لامن الغداء بالفتح وترك الاعجام • الطعام بعينه مقابل العشاء بالفتح ، الاتسمع قول الصحابى الذى دعا ولده الى النبى

صلى الله عليه وسلم ، فقال له عليه السلام أنت ومالك لابيك الحديث فى أبياته لوالده المذكور وهى

غذوتك مولودا وعلتك يـافعا تعـل بما اسدى اليـك وتنهل

ولانك لو شددت الذال لاختل الوزن ، فقال الشيخ وعروضى أيضا ، ورجع باللائمة على والده وقال له سكت الفا ونطقت خلفا (١) ، ثم قال له رحمه الله قضيتك مع المانوزى كقضية يحيا بن اكتم مع الغبى التى اوردها الدميرى فى (حياة الحيوان) وهى مشهورة اما انشد يحيا بن اكتم فى حقه :

عجبت لازراء الغـبـى بنفسه وصمت الذى قد كان بالقول أعلما

ففى الصمت ستر للغبى وانما صحيفة لب المرء ان يتكلما

فلهذا كانت العداوة والمنافرة الشديدة بينى وبين هذا الولد المذكور، وادت الى أحقاد كثيرة ، واذايات اثيرة ، لودونت لجاءت فى مجلد ضخم ، ولكن عاقبتها النصر عليه هو وشيعته ، لان العاقبة للمتقين ، لانه لم تمض ثـلاث سنين حتى صرت مدرسا خليفة لابيه ، وهو يحضر دروسى ، رغما على أنفه ، بعدما تصدر وتصدى للتدريس بحضرة والده ، فصرت من أشياخه بعد ان عددت اصغرى من صغار افراخه ، وبعد ان منعنى من مطالعة كتب خزانة والده دون الناس ، زمناطويلا ، حين قيل له انه يحفظ فى المطالعة منها كل مامرت عليه عينه من نظم ونثر ، وكنت مرة استعرت من الشيخ (العقد الفريد) و (نفح الطيب) و (مروج الذهب) و (حياة الحيوان) وغيرهما من كتب التاريخ والادب(٢) واشتغلت بمطالعتها خفية ، خيفه ان يطلع احد فيخبره ، فما كدت اقضى غرضى منها، حتى علم بالامر ، فبعث اليها واستردها منـى ، الى غير ذلك • ومـن أعجب ما اتفق ان الشيخ استدعانى واياه بعض الايام ، فقال له ياولدى ان جميع التلاميذ الذين فى المدرسة ، لايجىء منهم نفع ولاضر ، غير سيدى محمد بن احمد المانوزى ، فانه ينفعك فى حياتى ، وبعد مماتى ، واياك ان تلج فـى عداوتـه ومضارته • فكان الامر كذلك • فانه لما توفى الشيخ رحمه الله عام ١٣٣٢هـ واجمعت القبيلة على تنحية ولده هذا عن المدرسة ، ونفيه عنها ، معتلين بأنـه لايحسن صناعة القضاء ، فتقدمت اليهم باجلاله واقراره وواعدتهم بالاخـذ بيده فى جميع مايتعلق به القبيلة من سياستها وقضائها ، فسكتوا واستكانـوا ثلاث سنين ، ثم اجمع أمرهم على توليتى أمر المدرسة ، مشاركا له فرفض أمرهم فقال لهم انى وجدت الوالد المرحوم مستبدا بها ، وانى على اثاره مقتد

---

١) مثل وخلفا بفتح الخاء

٢) كان المترجم رحمه الله زار الغ فى مبادئه فرأى تلاميذ مدرستها يشتغلون بهذه الكتب فأقبل عليها وأما شيخه هذا فالغريب أن يملك هذه الكتب فضلا عن ان يشتغل بها هو ومن اليه كما يقوله من اطلعوه اذذاك

فأخرجوه عنها ، لما كنت غائبا فى (تمكيدشت) أيام تدريسى بها ، والله الملهم الصواب واليه المئاب

وكان الفقيه السيد على بن أحمد المذكور من مهرة النحو والعربية والتصريف والحساب والفرائض والفقهوالحديث والتفسير والبيان والمنطقوعلوم القوم(١) مستحضرا لماله فى الكل ، بعيدا عن الرياء والسمعة ، مومنا تقيا نفيا، مخلصا ناصحا للامة ، شديد الشكيمة على أهل البدع والاهواء ، لايخالطهمولايكلمهم وقافا عند ماحد الشارع صلى الله عليه وسلم ، سنيا ماهرا فى السير ، والعلوم التاريخية ، وأيام العرب ٠ وكان محبا للعلم وأهله ، وأهل البيت ، مكرما لهمبكل ماالديه ٠ مقتصدا فى أموره كلها ، متوسطا زوارا للعلماء معتقدا لهم وكان بعدما تخرجت فى الكليات عليه وعلى الاشياخ الآتين وفرغت منالتحصيل يعتقدفى الخير كله ، ويجلنى كثيرا ، ويرجع الى فى كثير من المسائل ، ويقول للناس بملأ وبمرأى منى ومسمع ٠ اوكانت فى الزمان الصالح بقية لاهل الرئاسة والسياسة والصرامة والنجابة ، لحمل هذا على صهوة أسلافه الكرام ، وركبمطيتهم يعنى الملك (٢) وكان رحمه الله صحيح الفراسة صحيح الاعتقاد بعيد الانتقاد ، قائما بالله ، صائما بالنهار فى غالب دهره ، وله مع علماءعصره مناقشات ٠ يطول بنا ذكرها ، كما يطول بنا استقصاء مئاثره ومناقبه ، توفى رحمهالله عام ١٣٣٢هـ ببلده (أسكار) ودفن فيه ، وقد زرت قبره مرارا ، وختمت عليه ختمات قرءانية ، مع تلاميذى وغيرهم ، وفرقت عليه ماتيسر ٠ بعدما ذبحت ازاءه للفقراء والطلبة الذبائح ، وواسيت اولاده وزوجته منبعده كما قال رحمهالله لولده المذكور (٣)

ذكر المتون التي أخذتها عنه واجازني بها في ظرف اربع سنين

أخذت عنه رحمه الله زيادة على ما تقدم من المتون النحوية والفقهية أرجوزة المقنع للمرغيتى ، وارجوزة ابن سليمان الرسموكى فى الحساب والفرائض ، والشيخ خليلا الى الجزء الثالث منه ، وتحفة ابن عاصم ، ولامية الزقاق ٠ ولامية ابن الوردى ، والبخارى فى شعبان ورمضان ، والتفسيرختمة واحدة بالجلالين ،وسردت عليه من الادب مقامات الحريرى ، ونفح الطيب

---

١) قال العارفون لسيدى على أنه فقيه وسط فى العربية وله المام بالبخارى ويمر على التفسير و م يذكروا عنه علم البيان ولا المنطق هكذايقولون، غير أن تلميذه هذا أعرف به

٢) قف هنا أيها المطالع واحسن نيتك وربما كانت الاريحة هى التىغلبت على الكاتب حتى ذكرماذكر ولاتقل المثل المعلوم (دون هذا وينفق٠٠٠)

٣) توجد ترجمة سيدى على الاسكارى فى (القسم الثالث)

والعقد الفريد ، وابن الاثير • وابن خلكان • وطبقات الشافعية ، وكتاب العبر لابن خلدون ومقدمته ، والكلاعى • وحياة الحيوان • والمستطرف • والسيرة الحلبية ودالية اليوسى • وديوانه • وديوان البحترى • وديوان ابن سهل وغير ذلك من الادبيات • وكنت لا افتر عن المطالعة ليلا ونهارا (١) ساردا على الشيخ المذكور ، ومذاكرا مناقشا ، كثير المقارعة والمنافثة مع أبطال الفنون فى المدرسة وغيرها

وعدد طلبة المدرسة فى ذلك الوقت يناهز الستين من طلبة العلم وعشرة من طلبة القراءات ، والاستاذ المقرىء المحقق الصوفى السيد محمد الاعينى نسبة الى أيت أعين بساقية (توشكا) بجبال صوابة ، ترتب فيه ما ينيف عن ثلاثين سنة الى وفاة الشيخ ، فارتحل الى (أسكار) وتوفى فيه فى حدود الاربعين

ذكر من ياتيني بالزاد من دارنا

كانت المئون الكافية تردعلى كل يوم من سوق الاحد ، من قبل اهل دارنا من دقيق وفول وعدس وسمن وعسل وزيت وسكر وأتاى وتمر ودراهم ، تارة على أيدى أصحاب الجمال والبغال والحمير ، وتارة على يد عمتنا المقدسة فاطمة بنت على بن أحمد ، اذ مازالت حية وهى غنية محبة فى جانبى غاية المحبة ، وكانت لاتستطيع مفارقتى شهرا كاملا ، ولما لقحت الجدرى فى (تاهالا) وقد فشا فيها دون (منوزة) تفرغت لمقابلتى فى المدرسة ، بأنواع المئاكل والمشارب والغسل ، الى ان أبلمت من ذلك الداء العضال بلا مشقة ولاسوء

والحمدلله ، وقد مات به كثير من الناس تلك السنة وهى سنة ١٣٢٤هـ وكانت رحمة الله عليها كثيرا ماتاتى ، وفى معيتها فاطمة بنت ابراهيم من (فم تاملالت) الصوابية والدة الحاج عبد الله بن بلقاسم بن عبدالله من بنى سعيد من (تاوالا) وفاطمة بنت على من أعلى أداى التافراوتية ، زوج عبد الله بن بالوش وغيرهن ممن ترسلهن والدتى المقدسة رحم الله الجميع بمنه وكرمه

---

١) أما كون المترجم يكب على المطالعة فى كتب الادب فمما لايرتاب فيه فقد دل بمحاضراته ومذاكراته على ذلك وأما كون وجود مثل كتاب الكلاعى المخطوط النادر وديوان ابن سهل وديوان البحترى اذذاك فى خزانة ذلك الفقيه فاننا نحسن الظن بالمترجم فنسكت فربما يوجد اذذاك مايكون فى حسبننا أنه غير موجود والدهر أبو العجائب ونحن لانعرف سيدى عليا الاسكارى الا ان عارفيه يقولون أنه لايخوض فى هذه الفنون خارج الفقه والنحو والمتداول من المتون

نبذة من تاريخ هذه المدرسة

كانت أوائل هذه المدرسة فيما رايت في بعض الرسوم القديمة في اول القرن العاشر ، بناها سكان قبيلة أعلى (تاهالا) مسجدا ومشهدا لاولياء هذا المحل يسمون (ايت يريفن) وكان بعضهم يدرس فيها حياته الى ان توفي ودفن فيها ، وخلفه في أمرها أخوته الى ان انقرضوا في وباء عام ١٠٠٨هـ أيام المولى احمد المنصور السعدى فدفنوا جميعا عن مغرب المدرسة (١) وقد بنى عليهم سور محيط بهم الى الان ، وكانت هذه المدرسة مشحونة بالمقابر القديمة قبل بنائها ، ويقال ، كما تلقيناه من أشياخنا وغيرهم ، ان (ايت يريفن) من لكوسة (التي ينسب أهلها الى البكريين ، وهم من المانوزيين) ومنهم الشيخ العالم الولى السيد ابراهيم (٢) بن عمرو الزدوتي ، انتقل من هنا الى هناك وبنى فيه مدرسته التى هى فيها الان ضريحه تغمده الله برحمته

وكما أسس أهل اعلى (تاهالا) هذا المسجد المسمى مدرسة مسجد يريفن فقدأسس أهل جوف (تاهالا) مدرستهم أيضا فوق المرفقة (تعريب كلمة تيفمرت) بين الطريقين على كدية مشرفة على تلك الجبال والاودية ، في منظر بهيج وقد رأيت تاريخ بنائها في بعض احجارها عن يسار الداخل فوق الدكان (يعنى المصطبة) الذى يجلس عليه المدرسون للتدريس ، ويرجع تاريخ بنائه (بياض بالاصل)

ولازالت هذه المدرسة قائمة العين والاثر والبيوت ، ولها أحباس وأرض وأشجار • غير ان العلماء القائمين بها انقرضوا ، وبانقراضهم انقرضت العلوم هناك (ان الله لا ينتزع العلم من الصدور انتزاعا ، ولكن ينتزعه بقبض العلماء) أوكما قال عليه السلام ، ومازالت فروعهم في البلدتين المرفقة (تيفمرت) وبلدة (تيركلت) وهم ينتسبون الى الشرف من الادارسة ، واخوانهم بالصحراء الكبرى بين سوس والسودان ، يقال لهم (تاهالا) الى الان (٣) وكانت بين هاتين القريتين فتن عظيمة الى ان أدت بهم الى ايقاع فرقة منهم باخوانهم ، وقتلوهم عن آخرهم وأخذوا أموالهم في سنة ١٢٩٤هـ ولازالت مدرستهم هذه عليها مهابة عظيمة وآثار علمية

---

١) اى غربيها

٢) هو والد سيدى محمد — فتحا — بن ابراهيم بن عمرو الشيخ التامانارتي الشهير المنسبة الى أبى بكر وقبر ابراهيم مشهد مشهور الى الان فى قبيلة اداوزدوت وسيذكر هؤلاء التامانارتيون فى (القسم الثالث) ان شاء الله

٣) من هؤلاء الفقيه الطيب المشهور الذى ذكره الجشتيمي

الرحلة إلى هشتوكة

في شهر ذى القعدة من عام ١٣٢٦هـ ، طلبت بالالحاح من الشيخ المتقدم ذكره الرحلة الى مدرسة (ادا و"محمد) بهشتوكة ، فساعدنى بعد التى واللتيا بعدما اجازنى كما تقدم ، وزودنى بالدعاء بالفتح المبين

وسبب شد الرحلة الى (اداو"محمد) هوانني لما كنت صغيرا فى سن العاشرة ، ورد على الوالد المقدس رحمهالله الفقيه العلامة المحقق المرابط السيد أحمد بن عبد الرحمان نيت افرا الغازى الكرسيفى ضيفا عندنا ، وكان من أهل الحظوة والصلاح ، فلما قدم الينا طعام العشاء جعل يسألنى عن لوحى وسورتى ، ومبلغى من الاحزاب ، فقلت له بلغت حزب (قال الملأ) وقد اخرجت الختمة الاولى ، وحفظت القرءان حفظا جيدا ، فتعجب منى ومن جوابى ، وكان قد تخرج على شيخنا شيخ الجماعة أوعابو رضى الله عنه ، وأجازه اجازة عامة عام ١٣١٣هـ فقال للوالد ياسيدى أحمد اذا أردت انينجح هذا الولد النجيب انشاء الله ويكون كما أردت ، وفوق مااردت ، فابعث به بعدما يقضىوطره من القراءاتالى اوعابو (بادا و"محمد) ، فانه منبع العلوم اليوم بسوسنا، مع البركة الظاهرة ، وقال له • انى أقمت عنده اربع سنين ، فما فتح لىعندغيره مافتح لى عنده • من تمهرى فى الفنون ، وانتهى فيها ماينيف على كذا — وذكر عددا — فقال له الوالد رحمه الله ، نعم ابعث به اليها انكنا فى قيد الحياةانشاء الله ، وأنا على تلك النية ، فوقر كلام الرجل ووصيته فى قلبى وتعلق به مرتسما فيه كالنقش فى الحجر ، الى انكان جميع ماذكرته من التنقلات القرءانية والمبادىء العلمية ، بعد وفاة الوالد فى السنة المذكورة فيما تقدم ، ووفاة هذا الفقيه الصالح الموصى عام ١٣١٥هـ بمرض الجدرى بجامع (تارسواط) رحمه الله ، ولميعقب ، وهو من أشياخى فى نافع أيضا فحثنى حادى التفكر ، وحدانى روح قوة الفكر ، الى الارتحال الى (ادا و"محمد) لدى شيخنا الشيخ ابن عبو المذكور ، فارتحلت فى التاريخ المذكور وفىصحبتى الفقيه البركة النبيه السيد الحاج المحفوظ بن احمد اهمادى الحضيكى التارسواطى المانوزى ، وبعض تلامذتى فى جماعة • منهم ابن خالتى الفقيه المرابط السيد محمد بن المحفوظ الحضيكى ايضا ، وخرجنا من موضعنا(آوالا) ضحوة السبت فبتنا بوادى سملالة ، بموضع تلعة (تالات) عند بعض المعاريف وفى الغد ارتحلنا وتغدينا بمدرسة (تازموت) عند بعض طلبة العلم ، وفيها الفقيه المدرس السيد "محمد الجبلى السملالى كودرار ، به يدعى ، لانه نشأ بجبل درن أيام قراءته القرءان فعرف به ، وذهبنا من عنده الى ان وصلنا سوق (اداى) وهو الاثنين ، فاجتمعنا فيه بمدرس مدرسة (تيزكين) وهو العالم العلامة الحافظ الحجة صاحبنا ومحبنا فى ذات الله السيد محمد ابن الفقيه

عبد الملك (١) الاخصاصي، فندبنا للقراءة عنده، فاعتللنا بان نياتنا (اداو محمد) فقال لنا (فامضوا حيث تومرون) واخذ منى العهد ان يمضى معى بعد انتقاله من مدرسته هذه الى فاس ، ثم الى مصر والحرمين والشام ، فلما انقضت له سنتان فيها ، سافر الينا ، وعرج على ، وعرض على ماتعاهدنا عليه • فلم يساعدنى شيخى ومنعنى منعا كليا • فذهب منصرفا الى ماذكرنا

وكان هذا الفقيه تضرب به الامثال فى سرعة الحفظ ، وقد حفظ الموضح لابن هشام فى عشرة أيام العواشر وابن عاشر وتناليف الفرائض والحساب والسلم (٢) فى مثل ذلك ايضا ، وهو فى كل فن رئيس ، وقد اخذ عن جماعة من فحول سوس (٣) يطول حصرهم ، وكان رحالة وهو من اوعية العلم التى أوكأ عليها ثم أقام عندى ثلاثا بالمدرسة المحمدية (نسبة الى اداو محمد) وسافر قاصدا مراكش ، فلم ترقه الاقامة بها ، وذهب الى فاس ، فأخذ عن شيوخها واستصفى وطابهم • ولم أدر مدة اقامته بها • ثم سافر الى تونس • فأخذ عن علماء الزيتونة ، ثم الى مصر ، بعدما تجول فى انحاء طرابلس والقيروان وبلاد افريقية ، اخذا عمن صلح للاخذ عنه • وأقام بمصر مدة مديدة ، وتصدر للتدريس بها ، وكان أهل مصر يسمونه الشيخ المقرى الثانى ، لغزارة علمه وثقوب ذهنه ، وكثرة حفظه • مستحضرا لجميع الفنون النقلية والعقلية • ولازال الى الان حيا كما يبلغنا عنه ، الا انه اصابه خلط فى عقله ، ترك من أجله التدريس • وتصدى للخلوة بالاسكندرية ، وقد حكى لى الفقيه العلامة السيد الحاج الحسن بن أبى جمعة الباعقيلى أصلا ، البيضاوى سكنا ، أنه لماحج عام ١٣٤٨ه عرج عليه زائرا بالاسكندرية ، فاستأذن عليه فخرج له فى هيئة رثة مفزعة محزنة ، وتكلم معه بكلام لايفهمه ، وانصرف عنه ولم يفهمه من أين هو ولاالى أين ، لاشتغاله والله أعلم ، من قبل ببعض الاسماء الى ان اثرت فى عقله (ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به) وعمره الان يناهز الستين ، كان الله لنا وله ولجميع المسلمين

ولما صلينا الظهر بسوق (اداى) المتقدم الذكر ، واكلنا خبزا ولحما ومرقا مع الفقيه المومأ اليه ، وتودعنا معه على نحو ماذكرنا ، انصرفنا طالعين خائضين ذلك الجبل الوعر ، الذى يطل على بلاد رسموكة ، الى ان استوينا فوقه ، وأشرفنا على بلاد ايت حامد ، فوجدنا فيها جماهير من اخلاط الرجال والنساء ، فى أحسن زى ولباس • ففى كل بلد ومدشر وقرية • فسألنا عن

---

١) اسم الاب مبارك لاعبد الملك وهو فقيه مشهور بالحفظ من أصحاب الشريف الكثيرى توفى عام ١٣٣٢ه

٢) ومن جملة محفوظاته الموطا كما كان والده حفظ الشفاء لعياض حفظا وقد شرح فى مصر التحفة والرسالة بالحديث

٣) أخذ عن بيبيس وعن أبى عبد الله الاكاريض واخيه احمد

السبب فقيل لنا أن في هذه الايام موسم معروفهم المسمى ادرنان (١) ، ثم عرجنا على بعض القرى ، فاذا فيها من الخلق مالايحصى ، والرجال في لهوولعب بالدفوف مصطفين يتراقصون على العادة ، والنساء كالجراد حواليهم متنقبات لاتبدو منهن شعرة واحدة ، ينظرن اليهم على العادة المعهودة ، حتى اذا فرغوا من لعبهم تصافت النساء ايضا كذلك للرقص والشطح والتصفيق عياذا بالله وهم في سكينة ووقار ، بحيث لاتسمع منهم لغوا ولا هجرا ، ولاكلمة قبيحة . وهكذا دابهم ثلاث ليال من الاربعاء الى يوم السبت ، ولما جلسنا بمزجر الكلب منهم تفرسوا فينا اثر الغربة ، وجاءنا احدهم ، فعرض علينا الاكل عنده بداره تبركا بنا ، فذهبنا معه فقدم الينا من أنواع الموائد والاطعمة والفواكه والادام ماأقر به أعيننا ، فتناولنا الطعام من خبز فرن واخباز رقاق وعسل وسمن وزيت هرجان (أركان) ومطحون لوز (أملو) وطاجن لحم وكسكس وبيض ولوز مقلي ، وتمروتين وزبيب ، وغير ذلك من النعم ، وعاملنا بالجميل جزاه الله خيرا وصلينا العصر وأم بنا ، فطلب منا الدعاء (٢) بعدما عرض علينا الضيافة

١) يصنع في هذه الايام خبز الرقاق كصدقة اولا ، ثم توسع في ذلك الى كثرة الانفاق فتستدعى كل قرية اخرى فيجتمع الشباب على احواش (العابهم المحلية بالدفوف والانشيد)

٢) العادة ان الناس يطلبون دائما الدعاء من الطلبة حيثما صادفوهم ومن اغرب الوقائع أنني حين كنت تلميذا بمدرسة ايغشان كان في راسي جرب ، فقال الاستاذ سيدي عبد الله بن محمد الالغي للطلبة ادعوا الله ان يشفي فلانا ممافيه ، فلم يمض الا قليل حتى برئت منه ، ومنها أنني اذذاك كنت مع الطلبة ونحن نجمع السمن للاستاذ من القبيلة فأراد الطلبة من ذي غنم في قرية (توكال) ان يعطيهم شاة منها فلم يفعل ، فلما غادرنا القرية وقف الطلبة يدعون عليه بالهلاك فالتفت فاذا أمامي حجر الزناد المعروف في البنادق الاهلية (بوالشفر) فقلت لهم ضاحكا انه سيقتل ، فكان من المصادفات ان قتل وشيكا مع أنه مظلوم كما ترى لان المال ماله ، لايحل منه الابطيب نفسه ، ومثلها ماحكاه لي الفقيه سيدي الطاهر بن علي ان طلبة مدرسة سيدي علي بن سعيد في الاخصاص طلبوا من غني في قرية (ايكيوونا) قرب المدرسة ان يعطيهم شاة من غنمه ، فلم تتيسر منه فلما انفتل من عندهم صاروا يدعون عليه بالهلاك ، وأن تكون تلك الشاة لحما لعشاء موته ، فهلك المسكين في ظرف ثلاثة أيام، وهكذا استجيب الدعاء

أقول كان الشيخ الصوفي سيدي الحاج الحسن التاموديزتي يقول ان الطلبة ما اجتمعوا على شيء الا أتمه الله ويقول سيدي ابراهيم بن صالح التازروالتي ماحرمت الاولاد الا من دعوة لطلبة وقفوا أمام داري يوم عرسي فلم اطعمهم فدعوا على ان لاارزق الاولاد فنفذ دعاؤهم

سقنا هذه الحكات – وما اكثر امثالها – ليعرف القارىء ان مايقوله المترجم كان شائعا متداولا في سوس حول حفظة كتاب الله وهم المقصودون بالطلبة

فاعتالمنا بأننا قوم سفر مستعجلون ، فشيعناودلنا على الطريـق الذاهب الى الشب (تعريب لكلمة ازاريف) فانصرفنا شاكرين .

(فصـــــل)

في ذكر موسم الرقاق (إيدْرْنان) واول من أحدثها من القبائل المتمسكة بها

أول من أحدثها فى بلاد جزولة وغيرها العالم الولى الصالح الربانى السيد أبويحيا العثمانى الكرسيفى التادارتى التيملى الجزولى جد كل كرسيفى فى تلك البلاد فى أواخر القرن السابع ، وان كان أهله معروفين من اواخر القرن السادس ، وقدتوفى هو عام ٦٨٥هـ وكان له نفوذ عظيم ببلاد جزولة ، وهو من أجلةعلماء وقته علما وعملا وتصوفا وزهدا فى الدنيا ، أخذ عن علماء وقته ، ثم ارتحل الىالاندلس ، فأخذ عن علماء غرناطة وغيرها ورجع الى بلاد سوس شهابا واريا ، وتصدر لنشر العلم وبثه والاصلاح والصلاح ببلاد جزولة الى ان بعد صيته ، فتجول ببلاد جزولة ، وامرهم (١) بعمل الرقاق (٢) (ايدرنان) لامـر اقتضاه الحال اذذاك ، من قحط اوغلاء او وباء ، وأمرهم بصنعها على هذهالكيفية المعروفة ليلة الجمعة مع العبادة ، واخراج الصدقات فيها ، رجاء ان يفرج الله عنهم مادهمهم ، ويكشف عنهم ماأهمهم ، فمن يومئذ (ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله) ثمزادوا بزيادةالازمان والعصور ، الىأنبلغوامن المناكر مايخالف ما أمرالله به ، مما ذكرنا بعضه

وأما القبائل التى تعملها فهى قبائل وادى (تيملت) باسرها ، من (تيتكى) بأعلى الوادى ، الى (امارخسين) بأسفله ، وقبيلة المزابة (٣) (تعريبكلـمـة تافراوت) وأيت (سمايون) وقبيلة (تاهالا) الى (ايمور) الى (اكرسيف) وايغشان و (ادا وسملال) وقبائل (اداكرسموكت) الى البحر سهلا وجبلا ، وقبائلباعقيلة الى البحر كذلك ، وقبائل صوابة (أيت صواب) بأسرها الى هشتوكة ، وقبائل (ايساكة) و (تودما) وقبائل هيلانة بأسرها ، من اداكنضيف بسفح جبلالكست الى هوارة الىرأس الوادى قبلة ، وكلهذه القبائل تعملهامرتبة الاولى فالاولى

---

١) من معانى الرقاق بضم الراء الخبز الرقيق

٢) يزعم بعض الناس ان أول من أمر بها هو الاستاذ محمد بـن ابراهيم أعجلى المتوفى عام ١٢٧١هـ مع ان التكلم على انكارها من العلماء كان قبل ذلك بكثير كما رأيناه فى مختصر المدخل لبعض الجزوليين

٣) كثيرا مايترجم الموثقون كلمة تافراوت بكلمة المزابة ، وأحسب انـهـم يقصدون ترجمة تافراوت الى الميزاب ولكنهم صحفوا اللفظة العربية(الميزابة)

على حسب مارتبه لهم الشيخ المرابط المذكور ، فاول الناس الجرفة (تاكانزا) أسفل الوادى فقط ، ثم يتبعها غيرها بنظام مازال معمولا به

ولما شيعنا الرجل المومأ اليه ءانفا منصرفين من بلاد ايت حامد الى (ازاريف) خائضين أرضاحمراء ذات مزارع ومياهوربا ، الى ان وصلناهعند المغرب ودخلنا المدرسة الشبية (الازاريفية) ذات العلوم الجمة ، لرجال ذوى همة ، فوجدنا مدرسها الفقيه المقرىء المجود الاستاذ سيدى محمدا الذى شارطه سيدى الحسن على عادته للدراسة ، فرحب بنا ، وفرح غايــة الفرح والسرور ، فلما فرغ الناس ، من قراءة حزب المغرب على العادة ، استدعانا الى محله فى المدرسة. وتذاكرنا وتساءلنا ، وقص علينا من أخباره ، فسألناه عن عدد الطلبة فأخبر انهم مقدار السبعين ، وسألناه عن صاحب الزاوية الفقيه العالم العلامةالصوفى الدائع الصيت السيد الحسن بن محمد بن الحسين الازاريفى ، فاخبر أنهغائب فى بعض شئونالقبيلة ، ولماأصبح الصباحيوم الثلاثاء وأفطرنا عندهتودعنامعه ودلنا بعض تلامذته على الطريق ، فأخذ الطريق الجبلى الذاهب الى (ايكونكا) خائضينايت عيسى و (تيرستكرانة) الى ان وصلنا (ايكونكا) فدخلنا مدرستها وهى يومئذ مطمح ءامال كل زائر ، ولايتعدى لغيرها كل وارد وصادر،ووصلناها عند الغروب بعد مشقة فادحة ، فوجدنا الطلبة مثل الجراد المنتشر حواليها فمن جماعة على المطالعة مكبين ، ومن جماعة على المذاكرة والاحماض منكبين ، فلما خالطناهم قامت الينا جماعة منهم ممن فى نواحينا المأنوزية ، منهم الفقيه السيد أحمد بنعلى بلالى من عنق الرمال (اكرضايملالن) الايسى ، ومنهم الفقيه السيد محمد بنصالح من عنق الاصبع (ايغيراوضاض) المزابى ـ التافراوتى ـ فرحبوابنا ، ولما فرغ الناس من الحزب على العادة ، استدعانا المدرس صاحب المدرسة، وهو صاحبنا وحبيبنا وصفينا الشيخ العالم العلامة (١) الصوفــى الشريف السيد الحاجعابد بنعبد الله بنعمر التيفيراسينى (الكمثرى)البوشوارى الوادريمى ، الشهير الذكر ، الطيب الثناء العطره ، المشار اليه أولا أنه مــن أهل النفوذ الكبير فى تلك القبائل الجبلية والسهلية ، القائم بمبايعة الشيخ الامير المولىأحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين القلقمى ألصحراوى ، ولما استقر بنا المجلس أخذ يسألنا عن بلدنا وعن أحوال أهله وعلمائه ، فلم يترك صغيرة ولاكبيرة الا أحصاها وسال عنها ، وكانت هذه الملاقاة اول التعرف والمعرفة بيننا وبينه ، حتى صرنا بعد فى متانة المودة ، ودوام الالفة والمحبة ، الىحد تضرببه الامثال . ولما فرغنا من تناول العشاء ، بعد صلاة العشاء ، قدمت اليناأوانى الاتاى على العادة ، فقال لنا دونكم والاتاى ، فانى تركته منذ مــدة مديدة ، فقلت له ولمه ؟ ايدك الله بتقواه ، فقال لشبهة فيه شبيهة بالحرمــة

---

١) هذا حقا هو العالم العلامة لا الذى ذكره ءانفا فرحم الله الجميع

وذلك أنه قدم على بعض العوام الذين يخدمون فيه بباريس ، وسألته عن حاله وحال السكر ، فأخبرني انه معصور بعظام الجيف وغيرها ، معقود بعد ذلك بالدم المسفوح ، في أخبار غير ذلك غريبة منكرة ، فسكت ، ثم سألني مانظركم أنتم فيه • فقلت الله كما في علمكم تكلم فيه من تقدمنا من فحول زمان ظهوره نظما ونثرا ، تصريحا وتلويحا ، فمن مبيح له ومن محرم ومن متوقف • والكلام فيه مشهور

ومن نفوذ الشيخ الحاج عابد المرابطي العلمي أنه يصبح كل يوم بباب مدرسته ازيد من عشرة ذبائح ، من ثور وكبش ، ودون ذلك ، من المواهب التي ترد عليه من القبائل كل واحدة لحاجة ، فمن ذابح قصده التوسط في الهدنة والهناء ، وممن قصده ان كان شيخ القبيلة اوقائدا أن يوفق بينه وبين ءاخر أو قتيل كذلك ، اوكان منفيا ليرجع الى داره اوغير ذلك ، وأقمنا بالمدرسة (الكونكية) خمسة أيام ، حتى استرحنا ، ورجعت الينا قوانا ، وأصلحنا من شئوننا ماأصابنا من وعثاء السفر من الاوساخ والادران ، واستدعانا ناس كثيرون من طلبة المدرسة ، خاطبين لمودتنا ، راغبين في محبتنا ، وعدد طلبة المدرسة ازيد من مائة بكثير • وهذه المدرسة ، ومدرسة اداو محمد متقاربتان في العمارة والتدريس ، وكثرة الغرباء ، وان كانت المدرسة (المحمدية) اكثر علما وعملا وتحقيقا وكثرة غرباء الاباعد والاقارب ، لان مدرسها كما سياتي عادم القرين والنظير بالسوس الاقصى في عصره ، ثم تهيأنا للسفر صبيحة الاثنين الى (ادا و محمد) وهو يوم سوقهم ، فراودني اصحابي على المقام ، فأبيت متعللا بأن النية منصرفة منذ أيام الصبا الى ابن عابو ، فعزموا على الاقامة ، وابتدأوا القراءة تلك الصبيحة ، فلما تودعت مع الفقيه ، وتودعت مع الاصحاب وخرجت الى باب المدرسة ، وخرجوا معي لتشييعي بدا لهم ان لايفارقوني ، فأزمعوا السفر ، فوبختهم وقلت لهم لاينبغي لكم ان تذهبوا معي بعدما ابتدأتم ، وذلك عار وسبة بينكم وبين الشيخ ، فأبوا أن يقبلوا مني الا المصاحبة ، فذهبنا جميعا بعد عاشرة النهار ، والقيظ يحرق الصخور ، والاقدام تغوص في الرمال الحارة والمسافة بعيدة ، وأنا في ذلك كله متفكر مهتم ، فما انفصلنا عن المدرسة ،الا وراكب بغل قد لحقنا في طريقنا • فوقف وقال ليركب معي أحدكم ، فقلنا له اختر أينا شئت ، فعينني من بينهم ، فقلت على بركة الله ، فركبت معه • وكفاني الله تلك المشقة الفادحة • وأصحابي يستبقون خلفنا ، الى أن وصلنا المدرسة (المحمدية) قبل العصر ، والسوق مشرف على الانفضاض ، فدخلنا المدرسة وسألنا عن صاحبنا الفقيه السيد محمد الاكماري ، فخرج الينا ، ورحب واجزل الضيافة أياما ، الى ان اجتمعنا بعد بالفقيه الشيخ سيدي محمد بن عابو (بذلك يدعى) صاحب المدرسة

نبذة من حياة هذا الشيخ الفذ

هو الفقيه العالم العلامة المحقق ، حامل لواء المعقول والمنقول ، وشيخ الجماعة بالسوس الاقصى فى عصره ، الذى لم يترك فيه لقائل مايقول ، مالك العلوم وامامها ، وذروة كل مجد وفخر ورئاسة وسؤدد وسنامها ، اخذ عن والده السيد محمد(فتحا)أوعابوا (١)القراءات الثلاث لنافع وابن كثير وابى عمرو ابن العلاء البصرى ، وتصدى لاخذ العلوم من نحو وفقه ولغة وءاداب وتفسير وحديث وغير ذلك ، عن سيدى سعيد الشريف (كذلك يدعى) وهوالفقيه البركة الولى الصالح السيد سعيد الشريف الكثيرى أصلا الاداو محمدى سكنا ومدفنا حتى تخرج عليه فى عدة فنون ، واخذ أيضا عن العلامة المتفنن شيخ الجماعة فى زمانه السيد محمد بن على اليعقوبى الهيلانى ، ثم ارتحل الى مراكش فى حدود التسعين ، أول خلافة المولى الحسن بن محمد ٠ فأخذ عن علمائها ، وعمدته منهم شيخ الجماعة بها العلامة المحقق الصوفى الربانى الشيخ محمد بن ابراهيم التكروري السباعى ، وتجول فى البلاد السوسية مثافنا لعلمائها ٠ آخذا عنهم بقريحة وقادة ، فى الاستفادة والافادة ، ولما توفى شيخه الشريف المذكور فى نحو عام ١٢٩٦هـ تصدى للتدريس فيها وقد وقعت بينه وبين ولد الشريف السيد محمد ابن الشريف منافسة ، أدت الى التباغض ، فتنحى له عن مدرسة والده، وسافر لمراكش كما ذكرنا ، ثم رجع بعد سنوات الى هشتوكة ، ولما مر أبوعلى المرابط السيد الحسن بن أحمد بن محمد التيمكيدشتى ، وهو ولد شيخ الشريف المذكور ، وباشارته بنى هذه المدرسة بهشتوكة ، نزل فى المدرسة وسأل عن تلامذة الشريف خصوصا الفقيه ابن عابو ، فأخبر بأنه تنحى لاولاد الشريف ، كما ذكرنا ءانفا ، فبعث اليه والى ولد الشريف السيد محمد المذكور فقال لهما ليدرس كل واحد منكما بمحضرى ، ففعلا فأعجبه ابن عابو فى تحقيق الفنون ، وادارة الشيخ خليل وغيره من الفنون ، وتحصيل صوره على ما ينبغى ودرس أيضا بمحضره فنونا شتى من بيان ومنطق وأصول ، فوجده علامة حاويا ووعاء لاينبغى ان يوكأ عليه ، فعينه متصدرا للتدريس ، فأقام فى المدرسة ما يناهز أربعين سنة ، ولم يعطل فى خلالها من غير عذر من مرض أوغيره يوما واحدا ، وله همة عالية وولوع تام بالتدريس ، مما يتعجب منه فى ذلك ، وربما يسافرمثلا الى (أولاد داحو) بهوارة لتعهد مزارعه وأغنامه هناك يوم الخميس مثلا ، فيجىء يوم السبت بكرة لسرد الدروس ٠ مارابداره فى طريقه فلايعرج عليها ، ولايسأل عن أولاده ولا عن أى شىء من أموره ، الى ان يدخل المدرسة ويرى عند دخولها حينئذ متغير الوجه ، عليه لوائح الهمة بادية ، لايتكلم ولايكلم فيسبغ وضوءه بسرعة ، ويصفق على عادته لاجتماع الطلبة عليه للتدريس ٠ فاذا فرغ من أنصبة التدريس ، ارتد له لونه ، وبدت على وجهه ءاثار البهجة

١) ابن ع بو وأوع ! شىء واحد وأوهوابن .!الشلحة

والسرور ، فيتكلم ويتحدث ويسأل عن تقديم الافطار ، وهذا دابه ، وله رحمه الله همة عالية وسياسة فى جميع اموره سامية

ذكر أمد ختام كل متن وفن

اعلم ان الشيخ السيد سعيدا الشريف شيخه المؤسس لهذه المدرسة • قد نصب كل متن بنصاب (١) مناسب المقام قلة وكثرة ، باعتبار صعوبة المتن وكثرة صوره ومعانيه اوفروعه ، وسهولته بضد ماذكر ، وباعتبار الازمنة أيضا • مراعيا للعواشر وأيام العطلة ، مثل الخميس والجمعة فى كل أسبوع ، فنصب الشيخ خليلا على ان يختم تدريسه فى عامين ، والالفية على ان تختم فى عام • والرسالة كذلك على سنة ، والتحفة على سنة ، وابن عاشر والزقاقية والمقنع والرسموكية والسملالية على الفرائض والحساب والاجرومية على ثلاثة اشهر والتفسير على سنة كاملة ، والبخارى على شهرين ، لسهولة امره عندهم ، وجمع الجوامع • والتلخيص على سنة ، وقس عليه جميع الفنون ، فيتحرون فى الختام السنوى عيد المولد النبوى ، فاذا جاء المولد مثلا والانصبة كثيرة لايمكن ختامها فى نصاب واحد فى ذلك الزمان القصير جمعوا بين نصابين وثلاثة ، ليتفق لهم الختم فى حد محدود لازم عندهم ، وكذلك انتشرت (٢) هذه الانصبة فى أقطار سوس وماحولها ، لانتشار طلبة هذه المدرسة فيها ، ولذلك غلب نجاح طلبة هذه المدرسة اكثر من غيرها ، وتخرجهم فى ست سنوات فى العادة المطردة عندهم ، ونبغ منهم فى شتى الفنون عدد كثير ، حتى احصى جميع من تخرج على الشيخ ابن عابو من عام ١٢٩٥ ﻫ الى عام ١٣٣٠ﻫ فوجد نحوا من ستمائة (٣) عالم ، وهو أمر لم يعهد مثله الا لابى مدين الغوث ، والشيخ سيدى محمد ابن ابراهيم التامانارتى ، فيما سمعنا فى زمانهما ، لان المدرسة لاتخلو عمارتها دائما من نحو مائتى (٤) طالب من اولاد الاغنياء والاعيان من الاشياخ (الرؤساء) والقواد والعلماء ، وأكثرهم غرباء من نواحى مراكش الى دكالة وعبدة والشياظمة

---

١) يعنى بتنصيب الانصبة تقسيم المتن الى دروس

٢) يتتبع هذا النظام عند سيدى مسعود المعدرى ، وعند سيدى الحسين بيبيس ، وسيدى الحاج عابد ولااعلم لهم الان رابعا

٣) قعدت يوما مع سيدى الحسن بن مبارك الباعقيلى نحسب من أخذوا عن ابن عبو فلم نصل معا الا نحو ثلاثين وحزر المذكور تلاميذه البارزين بنحو ستين كما حزر جميع من يمرون أمامه بنحو مائة ونيف على اكثر تقدير ولكن هذا المترجم ربما كان اعرف

٤) حدثنى السيد احمد بن الفضيل الكرسيفى الذى عاصر الكاتب هناك ان الطلبة اذذاك لم يتجاوزوا اربعين والعهدة عليه

وحاحة ومتوكة ووادى سوس وجبالة وايت باعمران وباعقيلة ورسموكة وتيزنيت وءامانوز الى جهة القبلة ، وغالبهم لايعرف الا باسمه ، والكل منهمك على المطالعة والمذاكرة ، وكل فريق وطبقة وسن واصحاب فن واحد يجالس أخاه ، ولايسأل احد عن احد لكثرة الاشتغال والهمة والغبطة والتحصيل ، ولقد أقمت فيها ازيد من أربع سنين ماعرفت اكثرهم الا معرفة الوجه والشارة ، سوى أهل مجلسي ومذاكرتي ومطالعتي حتى حصلت بيني وبين اكثرهم منافثة علمية ، ومساجلة أدبية ، واستحكمت حينئذ المعرفة ، واستحكمت الالفة .

فصـــــــل

في اولية الشيـخ سيدي سعيد الشريف

مؤسس المدرسة وبانيها

هو الشيخ العالم الصوفى الربانى الولى الصادق العابد الشريف سيدنا سعيد بن أحمد المتوفى نحو عام ١٢٩٦هـ الكثيرى قبيلة الودريمى الهشتوكى سكنا ، نسبة الى كثير من احفاد سلالة المولى ادريس بن ادريس ، وأخوانهم لازالوا معلومين بفاس بالشرفاء الكثيريين الى الان ، انتقلوا من فاس فى أيام ايقاع بنى العافية بهم ، وسكنوا كغيرهم جبال سوس الاقصى مما يلى الكست ثم انتقل الشريف هذا الى سهول هشتوكة مستوطنا مع والديه ، ونشأ فى عفة وزهد ، وتعلم ونجب ، وتجول للاخذ عن علماء تلك الجبال ، الى ان أدت به خاتمة المطاف الى زاوية (تيمكيدشت) بهوتان (مانوزة) فى حدود الخمسين بعد المائتين والالف ، لدى الشيخ الولى العالم الصوفى ، شيخ مشايخ سوس فى وقته السيد أحمد بن محمد بن ابراهيم الميمونى اصلا ، الايسى وطنا وسكنا فلازمه سنين عدة الى ان أجازه وأرسله الى (اداوـ محمد) وأمره ببناء مدرسته هذه ، فامتثل أمره ، فانثالت تلك القبائل عليه معتقدين له ، وبنى المدرسة الاولى ، ثم الثانية متصلتين . وبينهما سكة لمرور غنم ومواش مسورتين بالتين الشوكى (اكنارى) وكان استيطان الشريف لهذا الموضع وبناء هذين المدرستين عام ١٢٦٠هـ قبل وفاة شيخه الميمونى بسنوات ، أواسط دولة السلطان عبدالرحمان بن هشام الفيلالى ومازالت المدرسة تنمو شيئا فشيئا الى ان بلغت ما بلغت ، وبنى الشيـخ داره الواسعة ازاءها ، مما يلى الشمال الى الغروب ، وبنى الصومعة الماثلة فى الهواء ، وحفر البير الموجودة الان عن يمين الداخل ، وبنى ازاءها برمة وقود تسخين الماء للوضوء ، على عادة مدارس سوس ومساجده ، ومن خصائص مياه هذه البير ان ماءها حلو عذب فرات ، مخالف لمياه هشتوكة ، فانها كلها ملح فسبحان الحكيم العليم ، بل اعتقد اكثرهم أن ماءها يثير الفهم ، ويفتح القلب

وينشطه ، فلذا كان اكثر الطلبة يتخرج متفننا فى شتى العلوم ، فى اقصر مدة ، من ست سنين الى عشرة • ولاغرابة فى ذلك ، وقد ذكر الحكماء والفلاسفة ان الاهوية تؤثر ، وذكر الشيخ اليوسى فى محاضراته مايفيد ذلك

(فصل)

في بعض ما يتعلق بهذه المدرسة زيادة على ما تقدم

ان لعمارة هذه المدرسة ماديا وأدبيا أسبابا ظاهرة لاتخفى ، منها أن قبيلتها كبيرة ، وهى تنيف عن اثنتى عشرة مائة كانون ، مع مالها من الغنى الناشىء عن أرض طيبة صالحة للزراعة ، ومركز سهل معتدل الهواء حرارة وبرودة ، متوفرة فيه اشجار الهرجان وغيره ، الواقع بالغابة المسماة (ادميم) فلهذا توفرت خيراتها ، وكثرت أعشارها وزكواتها ، حتى ان مطاميرها الواسعة الكثيرة تملأ قمحا وشعيرا ، وعدد المطامير التى بداخلها وخارجها الى جهة السوق أزيد من ثمانين مطمورة ، كلها مملوءة زرعا ، ومن تلك المطامير مايكفى زرعها وحده لقوت الطلبة فى السنة كلها ، لكبرها وسعتها ، كالمطمورة التى بباب المطبخ الداخلى وغيرها ، أما ما تفرضه القبيلة من ذلك ، فانها تفرض لازما اليها ثلث أعشارها ، ولايقطعون منه حبة واحدة ، بل يوفونه لما يخافون من اصدار القوانين المتقدمة ، وغيرها ومن المصائب التى تحل بمن استهان بالحرمات ، فهذا الثلث ، لكثرة القبيلة وكثرة غنى أهلها ، وتوفر زروعهم يكفى فيه العام الواحد لقوت سنين عديدة ، ويفرضون أيضا اجارة الامام المدرس ، المسماة عندهم بالشرط (وبالشلحة الاحضار وهذه الكلمة متقاربة مع كلمة المحضر للتلميذ كما سبقت الاشارة اليه فيما تقدم) ، وهو صاع لكل كانون ، ولتيمة كذلك من السمن وولتيمة وتسمى عندهم أقشور من الهرجان (أركان) اوادامه ، ومقدار صاعهم يزيد على عشرين صاعا نبويا ، ومقدار الولتيمة يقرب الآن الى المكيال الحديث المسمى (ليترو) وهذا الشرط يستاثر به الفقيه المدرس اجارة له على عمله وخدماته للطلبة ، وأما الاعشار فهى محبسة على الطلبة طلبة العلم خاصة ، لكنها الى نظر الفقيه ، وتحت سيطرته ، يفعل فيها وفى صرفها مايشاء ويختار

ومن تلك الاسباب نفوذ الفقيه الكثيرى فى القبيلة ، بل وغيرها كماتقدم أولا ، فانه لا يقدر أحد على المخالفة فى خدمة هذه المدرسة وغيرها ، مما يتعلق بأهلها ، فتأتى اليها وفود الطلبة من جميع الاقطار ، فلا يسألهم سائل ولايتعرض لاذايتهم احد ، ولو كانوا جناة •

(فصل) في ذكر ما تيسر ختامه من الفنون

ختمنا الشيخ خليلا ثلاث مرات وهو الاهم عندهم ، والتحفة كذلك ، والزقاقية اربعا والرسالة وابن عاشر مرارا ، والمقامات الحريرية كذلك ، وجمع الجوامع لابن السبكى مرارا (١) ، ومتن مفتاح التلخيص فى فن البيان والمعانى والبديع مرارا (١) ، ومنظومة الاخضرى والتفسير مرارا (١) والبخارى مع ابن أبى جمرة والاربعين للنووى كل سنة ، وأصول العقائد مثل السنوسية وغيرها مرارا (١) ، ومنظومة السلم مرارا (١) ، والحساب والفرائض مرارا وفن العروض كالخزرجية والحمدونية والدمنهورية مرارا (١) ، وألفية ابن مالك وألفية العراقى والاجرومية ، والمبنيات مرارا (١) والورقات لامام الحرمين وغير ذلك ، وأما التنجيم كالمقنع وروضة الازهار للكاديرى ، والربع المجيب وغير ذلك فى كل عام لابد منه

(فصل) في ذكر أسباب تيسر العلوم وأخذها بسهولة وفي زمن قصير بهذه المدرسة

اعلم وفقنا الله واياك أن أسباب نجاح طلبة المدرسة (المحمدية) كثيرة، منها معرفة هذا الشيخ المدرس بكيفية ادارة العلوم على حقيقتها عند التدريس املاء وفصاحة ورجاحة ، لاسيما العلوم الفقهية والنحوية ، بحيث يطوى مسافة بعيدة من الصور الكثيرة فى خليل فى مسافة قريبة ، باختصار لفظ ، وتادية معنى ، وافهامه كما ينبغى ، وكانه يفرغه تحقيقا فى قلوب السامعين ، فلايملى متنا • أويصور مشكلا صعبا ، أو يحل لغزا الا ويفهمه السامع ، لتحقيقه وفصاحته وكلامه العذب ، فصارت تضرب به الامثال فى ذلك كله ، بحيث اذا وقف مثلا على الباب العسيرة فروعه وصوره وتفاصيله ، كبيوع الآجال، وباب الصلح ، يقدم توطئة فى جميع قواعده وعلله الاجمالية ، المبنى عليها جميع مسائل الباب التفصيلية ، قاعدة بعد قاعدة ، وعلة بعد علة ، فى ارشق عبارة وأفصحها • وأخصرها بالعربية والسوسية فى اسرع وقت ، من غير تكرار ممل ولاتنحنح ولاتململ ، وهو فى كل ذلك يشير الى الطلبة بيده الكريمة ليرتسم جميع مايلقيه عليهم فى قلوبهم ، وهم أيضا ينظرون اليه باعين مفتحة أجفانها باهتة أحداقها ، بادية عليهم امارات التحفز والاستعداد ، والتوثب نحو الشيخ لاستمداده ، ولا يلقى مشكلا الا واخترق الآذان الى القلوب موضعا ، وسقى

---

١) ليتذكر القارىء هذه المرار يوم يصل ماياتى من طلب أخذ هذه المتون أيضا من (تيمكيدشت) فان حذق الكاتب المعلوم وتحصيله للفن تكفيه فى قراءته مرة أو مرتان ولعله انما يريد التبرك باعادتها من (تيمكيدشت)

رياض الالباب ، مرتعا فلايفرغ من تلك المقدمة الموطئة ، الا وباقى الباب مفهوم مسهل للسامعين ، مع ما تلقوه من التحصيل العظيم فى ذلك ، وبعد الفراغ منها ينساح فى نصاب الباب ، كأنه (سحنون) بل عاصفة لاتبقى من المشكل ولاتذر وقس على ذلك أبواب العبادات كالمنسيات ، وأبواب النكاح ، لاسيما الطلاق وتجزئته ، وباب العتق ومشكلاته ، وأما فن النحو فهو فيه سيبويه ، فاذاوقف مثلاعلى باب كثير الوجوه • مثل الصفة المشبهة ، فلا يقف فيه متفكراحتى يوصل جميع وجوهه الى ازيد من مائتى وجه ، ما بين صحيح وضعيف ، ثم بعد ذلك يندفع كالسيل فى تقرير الوجوه وتحقيقها ، ترجيحا وقبولا ، وردا ونسبةالخ واذا وقف مثلا على التمرين فى باب الاخبار • يفعل كذلك ويفرع جميع وجوه الباب وقواعده ، مما يتعلق بـ (الذى) وفروعه من تثنية وجمع وتذكير وتانيث ومطابقة الجميع وبـ (ال) وفروعها كذلك ، ويوصل الوجوه الى ازيد من ثلاثمائة وجه ، من غير تململ ولا تلكىء فلا تسمع منه الا : فاذا قيل لك اخبرنى بكذا من قولك كذا ، تقول له كذا وكذا الخ • أو باب التصريف مثلا فيفعل جميع ذلك فى جميع ما أشكل من غير كبير مشقة ولاعناء ، بل بتؤدة وتأن ووقار

والحاصل ان الشيخ محمدا بن عابو رحمه الله مما يفتخر به المغرب على المشرق على الاطلاق باتقان ، ومنها ان فى هذه المدرسة ممن تخرج من العلماء على الشيخ أزيد من أربعين متفرغين للتعليم ، فما شئت من نوع او فن فى أى موضوع فاذهب الى من شئت منهم ، فكلهم مستعدون للالقاء والافادة ، فى أى وقت ليلا ونهارا • فلا تلقى منهم منعا ولاابابة ولاමللا ولاعذرا ، لوصاة الشيخ لهم بذلك ، فيجد المبتدىء والمتوسط والمنتهى بغيته عندهم فى جميع الازمنة ، فلا يرد ويجد من يسرد (١) الفنون الادبية • ومن يملى عليه مايريد ، ومن يباحثه فيما أشكل عليه فى جميع الفنون والعلوم ، فلا يفقد شيئا أيضا من أدوات الفهوم

(فصل)

فى عادات المدرسة فى المآكل وغيرها

اعلم أن للمدرسة ، شأن غيرها من المدارس السوسية ، أماء يقمن بشئون الطلبة بكرة وعشيا ، ولهن مأوى يأوين اليه ، وللمدرسة مطبخ واسع فيه الالات

١) السرد فى عرفهم التلاوة والعادة ان تكون التلاوة من كتب الادب فى أوقات العطل فى الاسبوع يتلو التلميذ فيرد عليه الاستاذ ويناقشه أحيانا فيبقى كذلك ولو طوال النهار أو الليل أوهما معا فيستفيد التلميذ معرفة ضبط الفاظ اللغة وتطبيق القواعد مع زوال الخجل عنه وسرعان ما يتقدم ان ثابر على ذلك

الطبخ من قدر وقصعة وءالات صنع الخبز (أفلون) ، وقماقم الماء وخوابيه وجوابي الكسكس ، والكل من عمل النحاس الصفر ، سوى المخبز (أفلون)٠ والقدر كبيرة جدا ، وكثيرا ما رأيت بعض الكلاب يتسلل فيتظلل فيها عند القيلولة في الهواجر ، وقت حمارة القيظ ، انتهازا لفرصة قيلولة الآدميين٠ والعادة في مئاكلهم أن تصبح الخادم ، وهي (رقية وبناتها الاربع ، بنات الكيال) اومنو (نسبة الى قبيلة اداومنو القريبة هناك) ، في الساعة السادسة صباحا فيصنعن الحساء ، ولابد منه ، من ذرة اوشعير أوقمح ، فيفرغنه في قصاع عظيمة فيتناوله بالحسو من أراده ، واكثر من يشربه من الطلبة فقراؤهم ، وأما من كانوا منهم موسرين فانهم يستغنون بصنع الاخباز مع السمن والعسل وزيت الهرجان (اركان) والاتاي والشعرية ، ونحو ذلك والافطار به في بيوتهم ، ثم بعد ذلك تنصب القدر الكبيرة لتهيىء الكسكس حوالى الساعة الثانية عشرة، فيحشر اليه من أراده ، ومن لم يرد أن يتناوله مع الجماعة يذهب بحظه منه الى بيته ، ليادمه بما يشاء من زيت زيتون او هرجان او مرق او غير ذلك، وياخذه بمغراف كبير يسع نحو كيلو ولا يتعداه ، وغالب الناس لايأخذونه منفصلين لاعتقادهم أن البركة فيوضع الايدى مجتمعة عليه ، وأما مايتناولونه عند العصر ويسمى بالشلحة(اوزدويت)وبالعربية الدارجة العكبية(١)فان القبيلةتاتي اليهم
بالشلحة (اوزدويت) وبالعربية الدارجة العكبية (١) ، فان القبيلة تاتي اليهم
به مناوبة في المداشر والقرى ، على ترتيبهم في ذلك وكلما فرغت قرية ابتدات اخرى ، الى آخر القبيلة ، ولايقطعه احد حذرا من ان تطبق عليه القوانين الصارمة الموضوعة في ذلك ، ويحضر عادة عند صلاة العصر ، ويكون عادة خبزا ياتون به بعدد الطلبة على البهائم او بالقفاف على رؤوس الناس ، ومازاد اونقص من عدد الطلبة يعلم به المقدم ، ليزاد في الخبز او ينقص منه ٠ فرحم الله تلك الهمم العالية ٠ التى عرفت مقدار العلم فشجعته ، ثم اذا حان وقت الغروب تصدت أمرقية أيضا لصنع الكسكس لعشاء الطلبة ، فلا يؤذن العشاء الا وهو مفروغ منه ، فاذا خرج الناس من مراجعة الدروس تناولوه على نحو ما تقدم

(فصل)

في كيفية المذاكرة والمطالعة عندهم ومواضعها

كل زمان وكل مكان عندهم صالحان للمذاكرة ، الا أن المطالعة الرسمية اللازمة عندهم ، والتى هى بالمناوبة عند كل فريق ، لاتكون الا في الموضع المسمى بالمجلس الكبير ، وهما مجلسان بناهما الشريف الكثيرى رحمه الله عام ١٢٦٨هـ يسمى أحدهما المجلس الاعلى ، لعلوه وارتفاعه واتساعه في ارجائه ونواحيه وله أعمدة كبيرة هائلة ماثلة في الهواء ، وأركان متينة ، ونصفه مسقف والباقى

١) الذى يوكل بين الغداء والعشاء يسمى لغة الهجورى بفتح الهاء

هوائى ، وفيهأشجار الليمون والاترج فى منظر طبيعى بهيج ، وهـو مجلس الشيوخ والمنتهين ، والاخر المجلس الشمالى المسقف كله الخارج بابه الى محل برمة الوضوء ، هو مجلس المبتدئين ، فتذهب كـل طائفة الى مجلسها ، عند المطالعة • وتفصيل ذلك ان من أتقن الشيخ خليلا والتحفة والزقاقية والتفسير والحديث والاصول والمنطق والفنون الادبية والفرائض والحساب والتنجيم والتوقيت والتعديل وغير ذلك من الفنون العلمية ، يسمى منتهيا ، وموضعه رسميا المجلس الاعلى المنمق المسمى مجلس الشيوخ ، فلا يتعداه ، لان غيره معرة عندهم ، وأما المتوسطون والمبتدئون فمحلهم المجلس الثانى ، ولايتعدونه إلى غيره

وينقسم الجميع الى اكثر من عشرين فرقة بحسب مطالعة الانصبة ، وكل حزب بحزبه ، وكلقرين الى قرينه ، ففريق الرسالة مثلا مع مثيله • وأصحاب ابن عاشر والاجرومية والالفية متضامون الى بعضهم ، وكل واحدمع أخوانه لايطالع الا مع قرنائه ولايدخل مع غيره

أما ابتداء المطالعة فهو من وقت فراغهم من قراءة الحزب بعدالمغرب الىأذان العشاء ، فيصلون ويتناولون عشاءهم ، ثم ينصرفـون الى بيوتهم للمذاكرة والمطالعة أيضا فى مواضيع أخرى الى منتصف الليل أوما بعده ، فياخذون مضاجعهم للاستراحة بالنوم (وكانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ، ثـم يقوم الجميع قبل الفجر بساعتين أو اقل أو أكثر للاستعداد المادى والادبى ، فلا تسمع حينئذ الا دوى القراءة والمطالعة ولاتبصر الا بصيص المصابيح فـى البيوت ، وهكذا كانت تلك العصور (١) ولكن صارت فى خبر كان ،كما قال الشاعر

ثـم انقضت تلك السنون وأهلها   فكـأنـهـا وكانهم احـلام

فصـــــــل

في ذكر أخبار الشيخ رحمه الله مع من تخرجوا عليه

اذا تخرج طالب ، وانتهى مـن طلبه ، فـان رضى بالمقام فـى المدرسة والاشتغال بالتدريس ونشر العلم فيها سائر أيامه فبها ونعمت ، وان أراد الخروج للمدارس الافاقية للمشارطة ، أو القضاء فى القبائل ، فانه يذهب الى الشيخ ، ويطلب منه ما أراد على ما أراد ، فان أراد القضاء فانه يكتب له

١) هذا الذى ذكره الكاتب شائع فى جميع المدارس السوسية بهذهالكيفية وتحت نظامهأخذنا بدورنا فىايغشدان وبونعمان وتانكرت ولاتزالهذه الكيفية معمولا بها فى بعض المدارس العامرة

الى قاضى المخزن بمدينة (رودانة) ليقيمه نائبا عنه فى بعض القبائل التى يطلبها ، ان كانت خالية من قاض ، فاذا وصل كلام الاستاذ ابن عابو رحمه الله الى القاضى ، فلايسعه الا أن يمتثله ، فيكتب ظهيرا قضائيا على القبيلة التى طلبها الطالب ، ويذهب اليها نائبا بل قاضيا فى الحقيقة ، لان قاضى (تارودانت) وان كان فى ذلك العصر قاضيا شرعيا مخزنيا ، الا ان شوكة هؤلاء العلماء شديدة قوية ، فلا يرونه فى نظرهم الا العوبة ، فتلامذتهم هؤلاء أولى عندهم منه ، وقد تخرج على يد شيخنا هذا كثيرون ، وتولوا القضاء على مثل هذا النمط ، مثل تلميذه العلامة المتبحر المتفنن الاصولى المعقولى المنقولى علامة الزمان السيد الطاهر بن محمد الاعبلاوى (العبدلى الاداو محمدى) المدرس القاضى بمدرسة (الفتايح) بقبيلة ايت يعزى ، والعلامة السيد أحمد التنانى المدرس بمدرسة (سيدى يدير) فى أيت عمرو ، والعلامة السيد مبارك ابن عبو الولياضى الامحمدى المتوفى باكادير عام ۰۰۰۰۰۰ وغيرهم من فحول رجاله ، واذا أراد الخروج الى بعض المدارس يكتب له الشيخ الى ارباب المدرسة مثلا من شيوخ او نفاليس فيذهب اليها فلا يصده عنها صاد ، ويدرس فيها الى أن ينال ما قدر له من الشهرة

ولما قضيت الوطر وحان وقت الترحال والنقلة من هذه المدرسة المباركة والسفر ، واستحويت بعدما استحوذت على ما فيها من الفنون من أوطاب افذاذها من رجالها ، وحصلت على بغيتى ومنيتى من فطاحلها وكمالها ، خاطبت الشيخ بالتشريف بالاجازة بما عنده نقلا وعقلا ، فلبانى بعد مراجعات كثيرة نظما ونثرا ، ويطول سرد ذلك ، ولما طاب القلب ٠ وصفا لبـاب اللب ، استقدمنى لداره بـ (أيت ولياض) وبينها وبين المدرسة نحو خمسة كيلومترات صبيحة يوم الجمعة فاتح ذى الحجة عام ١٣٢٩هـ فذهبت وفى معيتى عشرة كيلوات من اللوز المقلى ، جاءتنى من البلد ، فذهبت بها اليه ، ولما دخلت عليه ٠ ومعه ناس من أعيان القبيلة ٠ وسلمت ٠ كأنه كاشفنى على ما عندى ، فناولنى مفتاح بيت اشارة الى وضع ذلك اللوز فيه واخفائه عمن عنده ، لكثرة رغبتهم فيه وشره أهل تلك الاقطار السهلية اليه ، لعدمه فى بلادهم ، وقلة حيائهم فيما يشتهون ، ولما تقدمت لفتح باب البيت استصعب على ، فقام أحد الاعيان بفتحه لتمرنه عليه ، ودخلت باللوز وراءه ، فاختلس منه شيئا ضاحكا ممازحا ، فسكت عنه ٠ وخرجت فجلست بعيدا منهم ، لما يجرى بينهم من المفاوضة السرية ، فلما فرغوا أشار الى الفقيه ، فتقدمت ماثلا منتصبا بين يديه، فأشار الى بالجلوس ٠ وأخذ القرطاس والدواة ، فشرع يسألنى عن أحوالى بعد الاجازة والسفر الى بلادى ، ويوصينى بعدم الانقطاع عنه مشافهة ومكاتبة ، ويوصينى بنشر العلم وبثه ، والانهماك على ارشاد المسلمين ، واصلاح ذات بينهم ، وفصل نزاعهم بمقتضى الشريعة المحمدية من غير شطط ، دون تفريط او افراط

فيجميع الامور ، واوصاني بالتنبه لهذا الزمان الحاضر ، والمجاراة معه دون معاكسته ، وأنشدني في قولهم في الوقت

وكالسيف ان لاينته لان حده وحداه ان خاشنته خشنان

وقول ابن الفارض رضي الله عنه في عدم التقاعد والتواكل والتسويف:

فسر زمنا وانهض كسيرا فحظك الـ ـبطالة ما اخرت عزما لصحة

وأوصاني برفع الهمة عن جميع خلق الله ، وأنشد على ذلك

وكل ما قد خلق اللـ ـه وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

وقول بعضهم

وقائلة لم عرتك الهمـ ـوم وأمرك ممثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي فان الهموم بقدر الهمم

ثم أمر عبيده بتقديم الفطور ، فقدموا مائدة فيها خبز حنطة ، فيإناء مغمور بسمن وعسل ، وهو المسمىعندهم بـ (الرفيسة) فتناولناه ، وقدم الينا حليب نياق ، وهن أمامنا في حوش واسع الارجاء ، مع غيرهن من الانعام فلما فرغنا من الاكل ناولني الاجازة المباركة فأمرني بقراءتها ، فقرأتها. ففرح ودعا لي ، وودعني بعدما سألني عن الطريق التي تصلح لسلوكها . فقلت لهتفضل علي ياسيدي بالاشارة اليها ، فأمرني بسلوك طريق جبال (اداكاران)ثم (أيت باها) ثم (أيت مزال) ثم (اداوكثير) ثم (اداكنضيف) ثم جبل (الكست) العظيم ، فامتثلت ، فخرجت من المدرسة مع بعض أفاضلها وهو الفقيه سيدي محمدبن بوهوش العلالي الهشتوكي وغيره ، ممن لهم غرض في صلة أرحامهم بذوي ورانة (محل هناك) ووصلنا بعدما وصلنا الحر مدشرا هم قاصدوه ، فعرضوا علينا القيلولة عند ارحامهم ، فدخلنا ، فقدموا لنا ما يشفي الغليل من الكسكس واللبن الرائب ، وأكلنا حتى اشتفينا ، ثم بعد قليل قدموا لنا الخبز الرقيق مع سمن وعسل (الرفيسة) وشربنا بعدها كؤوس الاتاي ، وتوضانا للظهر وصلينا ، وودعونا جميعا، وسلكنا طريقزاوية (سيدي ابي السحاب) بحرف الجبل ، وعرجنا عليها لصلاة العصر ، فدخلنا المدرسة فوجدنا الطلبة مصطفين للصلاة ، فصلينا معهم ، وهم ازيد من تسعين طالبا (١) لان هذه المدرسة من كبريات مدارس هشتوكة ، لكثرة قبيلتها ولها أيضا ثروة عظيمة ، ولهاسوق عظيم يوم الجمعة ، يرده أهل الافاق

---

١) كانت مدارس القراءات السبع عامرة اذذاك كما كانت المدارس العلمية أيضا ، ولم ينقص ذلك الا بعد ١٣٣٠هـ والاسنة ١٣٤٥هـ المجدية

والاقطار ، واهاهطامير من الزرع كثيرة ، وتقرؤ فيها القراءات السبع وغيرها وسنذكرها مع جميع مدارس سوس في مجموع غيرهذا ان شاء اللــه (١) ولما صلينا العصر راودنا بعض من عرفنا من الاخوان عــلى البيات فتعللنا ببرودة الهواء ، وذهبنا الى مدرسة (سيدى ابى الرجاء) سالكين اليها جبلا كثير الاغراس بأنواع الفواكه من الكنارية (التين انشوكى) والتين والكرم والهرجان (أركان) وهو أول تلك الجبال الاطلسية مما يلى هشتوكة ، الى ان دخلنا مدرسة (سيدى ابى الرجاء) وبين المدرستين نحو اربعة عشر كيلومترا وهى مدرسة (بنى بوزيا) (اداوبوزيا) ودخلنا قبل المغرب ، ومدرسها صاحبنا وحبيبنا وصفينا ، حاتم وقته الفقيه الاستاذ المقرىء المحقق السيد محــمـد الاستاذ الشهير الايفرءى اليحياوى الصوابى وهو من الموضع المسمى ايغرم من (أيتصواب) فلما رءانا قام وقعد بالفرح والسرور ، ورحب بنا ، وكناقبل ذلك نصله أيام العطل كالعواشر ، لكونه من أهل قطرنا ، وعنده من الطلبة نحو ستين ، وفيهم نجباء ، وجلهم بل كلهم من احبابنا جزى الله الجميع خيرا ، فاقترح علينا الفقيه المذكور لما له من محبة عظيمة فى جانب أهل العلم ، وخصوصا فينا الضيافة ثلاثا للاستراحة فساعدناه ، فاقمناها كلمح البصر أو هوأقرب ، لما غمرنا به منالنعم التى لاتحصى ، وأنواع المذاكرات العلمية رواية ودراية ، بل وأنواع المفاكهات ، وكان الفقيه المقرىء الاستاذ السيد الحسن ابن الشيخ السيد محمد ـ فتحا ـ الناظم ياتينى لمجــاورة داره للمدرسة ، وأبوه الشيخ الناظم المذكور هو الذى احيا هذه الدراسة بعد اندثارها ، وانتشلها من مخالب الدهرالخؤون ، وكانت له معرفــة بالعشر الكبير مع ماهو عليه من الورع التام والزهد والتقشف ، وله صيت عظيم فى الاقطار السوسية ، وترد عليه الطلبة للاخذ من كل فج عميق ، ثم توفى فى حدود الثمانين (٢) بعد المائتين والالف ، وتولى صاحبنا ولده السيد الحسن المذكور امرها ، وكان أيضا مثل أبيه فى التحقيق الا أنه لم تساعده الظروف مع القبيلة ، لما أصابه من اختلاط العقل اخر أيامه ، فتنحى عنها الىداره ورتبوا صاحبنا الصوابى الحالى المذكور ، فتولىأمرها الى أن تحول الى مدينة مراكش عام ١٣٣٣هـ واستوطن باب الخميس منها ، وتولى امامــة جامعه ، وتصدى للاقراء فى مكتبها ، وتزوج اخت الوزير ابن عزوز التطوانى ، وولد له منها ولد ، وقد عرجت عليه مرارا فى بعض نزحاتى الى مراكش ،ولازال

١) اتصلت بنتف من هذا المجموع فانوى ان شاء الله ان استعين بهيوم اخرج مؤلفى الخاص فى (مدارس سوس) العتيقة

٢) بل بعد ١٣١٠هـ

حيا في هذا التاريخ الخمسيني (١)

ولما قضينا أيام الضيافة والاستراحة من وعثاء السفر ، تودعنا مع صاحبنا الصوابي المذكور ، واستمطر مني الدعاء بالحاح كثير ، قابضا بكفه على كفي ، وخرج الى تشييعي أميالا • وأصحبنا خريتا من أصحابه الى مدرسة بني فارس (فلاس) وسلكنا بين سدين عظيمين علوا وارتفاعا ولباسهما دروع سابغات من أدواح الهرجان والرتوم ، وخلالهما من أنواع غناء النساء المحتطبات ما يخجل الموصلي وزريابا ، ومن المغاني مايزرى بتشبيهات ابن المعتز وأخي رباب ، من كل ذات دلال وعقائص أدنتها وأدلت بها على خصمهافخصمته فلم يبق له قلب ولا لباب ، ودخلتني نشوة ذى الحب بالذى دب في مفاصلنا، ولم نشعر الا ونحن بباب المدرسة (الفلاسية) ووجدنا بفنائها جماعة من الطلبة الاجلة نحو الخمسين ، فتساءلنا وتعارفنا ، فأكلنا وشربنا واشتركنا الدعاء ورجع الدليل بعدما وصف لنا الطريق المسلوك واحواله وعلاماته ، فانصرفنا شاكرين الجميع وطلعنا الى (اداوكثير) فوصلنا الى مدرسة (اينفال) في واد كثير الخيرات من الفواكه والكروم والتين الشوكي والهرجان ، فدخلنا قبة فيها مدفن ولي يسمى السيد المرتضى ، فاذا بجماعة من طلبة المدرسة قد دخلوا أيضا للزيارة وللمطالعة هناك ، فتعارفنا ، فأعلموا بنا الفقيه ، فبعث الينا • فسأل عن أحوالنا فانتسبنا له ، ففرح وسر غاية السرور ، وأضافنا تلك الليلة أحسن ضيافة ، والمدرسة مشحونة بطلبة العلم ، فيها ماينيف على ستين طالبا، ولما أصبح الصباح • تودعنا معه ومع الجميع ، ولما خرجنا عجنا الى اليمين تاركين طريق (اداكنيضيف) مخافة من جريرة طالب مانوزى وقعت فيها تلك الايام ، وهي أن طالبا من مدشر (ايزوزن) من قبيلة (تاسريرت) من (ءامانوز) يسمى ابن اليزيد من أيت ترحات يقرؤ بمدرسة افرى هيلانة (ايلالن) ذهب الى بلده في العواشر ، وتسوق سوق الجمعة بادا كنيضيف• فلما خرج منه اتفق أن لصين سرقا حمارا خارج السوق ، وذهبا معه في طريقه من غير علم منه بأمرها ، بل ظنهما صاحبي الحمار ، فلما جاء رب الحمار ولم يجده حيث تركه مقيدا ، اتبعه في الطريق ، فلما رءاه اللصان انصرفا عن الحمار ، وتركاه وابن اليزيد ازاءه من غير شعور منه ، فلما وصله صاحبه اخذ الحمار ، وتعلق بالتلميذ ابن اليزيد ، مدعيا أنه هو السارق ، فقال له ابن اليزيد ان كان الحمار حمارك فشأنك واياه ، والا فدعه لاربابه ، أما أنا فانما أنا أفاقي أطلب العلم ، ولاينبغي لي الاشتغال بمثل التلصص ومايشبهه فلم يبال الرجل بكلامه ، ولج في طغيانه ، وساقه مع الحمار الى أعيان السوق

---

١) قد يستفاد من ذلك ان الكاتب جمع حياته هذه عام ١٣٥٠هـ ولكن سياتي مايدل على أنه جمعها بعد ١٣٥٦هـ

ليطبقوا عليه قوانين السرقة بالعقوبة المالية ، فسألوه من أين هو ؟ والى أين يريد ؟ فأخبرهم بأنه راجع الى بلده فى عطلة العواشر ، وطلب منهم ان يخلوا سبيله ، فأبوا وسلموه للرجل صاحب الحمار ، يذهب به الى داره مقيدا. حتى يبحثوا عنه ، ويذهبوا الى أهله وذويه ، ليفتكوه باعطاء المال ، فذهب به الى مدشره وهو (تيزيرت) والرجل يسمى ابن الفقير ، فجعله فى بيت مظلم والطالب يطلب منه ويناشده أن يسرحه فأبى ، فلما أقام عنده خمسة عشر يوما، ولم يسرحه بعد أنواع التملق والتضرع، تحيل وكسر القيد نهارا ، وستره الى الليل . فلما نام الناس ، وكان من عادة ابن الفقير رب الدار أن يقفل على الطالب ، وينام بباب البيت مع أولاده ، ففتح اسيره الطالب القفل دون مفتاح ولاكسر بل ثلاثة أقفال من حديد ، فخرج على رب الدار ، فاستل خنجرا علقه فوقه ، خوفا مما وقع فيه فذبحه وذبح زوجته وذبح بناته الثلاث ، أمر همجى نادر ، وفتك ليث خادر ، فلما قتل جميع اهل الدار عمد الى شهاب قبس ، وتتبع الخوابى والصنادق . فاذا بخابية مملوءة بارودا ، مغشاة بجلد غليظ ، فظنها فضة . وذهب يكشف عنها ، وقابلها بالشهاب ، وسقط فيه نار ، فنفط به البارود فانهدم البيت بأجمعه ، وصارت الحيطان دكادكا ، فاستيقظ أهل البلد جميعا لدمدمة البارود وحادثه ، فهرع الناس نحوه فاذا منظر هائل من قتلى وسيلان دماء ، وخراب يباب ، فطلب الناس الاسير ظانين انه محترق ، فاذا هو لم يصب بأدنى أذى الا بعض القذى فى عينيه منعه من الهروب ، ووجدوه مختفيا فى بيت حطب ، فلما أحس بالناس أخذ فلذة خشب لوز جديدة ، فضرب بها أول داخل فما أخطأ بطنه . فشقه فتقا ، ولكن الله سلم مصرانه ، فنجا من حمامه لذلك ، فأخذوه وذهبوا به الى وسط البلد ، وقيدوه وسألوه عن كيفية قضائه على جميع أهل الدار ، فقص عليهم الجميع مع ثبات جاشه وانشراحه ، بشجاعة مانوزية مشهورة عندهم ، ثم قال لهم قد علمت أنى مقتول لامحالة ، وأنا مظلوم فأخذت بثارى أو ببعضه ، قبل ان تلعبوا بى أنتم وأولادكم وغلمانكم وأزواجكم ، على انى تركت ورائى أسودا ضواريا ، لايصبرون عنى ، ولايقنعون بما فعلت فيكم من القتلى ، فأخذوه بعدما استتم كلامه . ونصبوه غرضا . حتى صار مثل الغربال بالرصاص ، وأحرقوه فلم تؤثر فيه النار ، واخذ بعضهم شلوه ودفنه ، فما مضت أشهر حتى قتل فيهم اخوته وأبوه وعشيرته جماعة من قبيلة أيت عبدالله ، واستمر الحال على ذلك ، الى أن توليت التدريس والامامة بزاوية مدرسة سيدى مسعود أفولوس عام ١٣٣٦هـ فحاولت اطفاء تلك النائرة فسكت الناس مطرقين اطراق الافعوان ، الى أن فرغت من وظيفة سيدى مسعود عام ١٣٤٨هـ فهممت بالرجوع الى بلدى ، وجمعت أمورى عند القبيلة ، من حبوب ولوز وادام ودراهم وغيرها متهيئا للزواج من بلدة (تيفراضن) (ذات الاغراس) بام اولادى

وقد خطبها بعض ابناء أعيان القبيلة ، فردهم أولياؤها خائبين ، ومالوا الى لميلان كريمتهم الى جنابى ، فظن اولئك الخطاب بى جميع الظنون ، فدسوا الى أولياء المقتولين (أهل تيزيرت) وهم ولد المقتول ابن دا الفقير (١) في جماعة من أخوانه ، فلما عقدت على المذكورة في دارهم بالبلد المذكور ، وحصل الدخول ، وارخاء الستور هناك ، اغتاظوا وقاموا وقعدوا وأخذهم ما تقدم وما تأخر (٢) فتداخلوا مع أهل بلد (تيفراضن) ممن عادوا أصهارى ، وهم أبناء أبى العيد في المكر والوقوع بى ليلا ، عند رجوعى من المدرسة (المسعودية) الى البلدة ، لانى أبيت كل ليلة عند الاهل ، فاذا أصبح الصباح ذهبت الى التدريس في المدرسة ، فلما رجعت الى الاهل ، وقد حصرنى الناس الى أن دنا وقت العشاء ، ووصلت التلعة التي بازاء برج أبى الرغيف ، وكانوا قد ترصدوني هناك ، فما شعرت الا أنا وسطهم ، فقالوا لى لابد ان تتقدم الى ديارنا للضيافة أيها الفقيه طوعا اوكرها ، فسددوا بنادقهم نحوى ، فساعدتهم مخافة الوقوع في محذور أشد من الاسر ، فذهبوا بى الى (تيزرت) ووصلناها نحو الساعة العاشرة ليلا ، لمكثنا في الطريق ، ريثما ينام أهل البلد لئلا يتعرض لهم أحد في شأني ، فينقذني منهم ، فلما دخلت دار ابن الفقير جعل يؤنبني على مافعل بهم الطالب المانوزى من القتل والخراب ، وقال لى معاتبا انظر الى الدار التي هدمها بالبارود ، ثم بعد ذلك كله أتيت أنت وراست القبيلة النظيفية سنين ، وغلبتنا عليها ، ثم خطبت أمام اولاد أعياننا من غير مبالاة منك بأحدمنا ، فقلت لهم انكفوا عني ، فاني ضيفكم ، واقتلوني دون هذا اللوم والتوبيخ ، فانكفوا عني وأفاضوا على سجال الانعام تلك الليلة الى أن أصبح الصباح يوم الجمعة ، فلم يشعر أحد من الناس بأسرى ، فلما قضينا من طعام الغداء ، أدخلوني بيتا وثيقا عاليا في سطح الدار فسدوا على بأقفال ثلاثة ، ووضعوا على المراقبة والعسس في السطح وفوقه ، وخارج الدار ولم يكن للبيت منفذ تعلم منه الجهات ، فتوخيت جهة غلب على ظني أنها القبلة وقرأت بعض أسماء الله ، ونشبت اظفارى في الحائط ، ولم يكن عندى موسى ولاخشبة ولاشيء يليق بالحفر ، ثم جعل الحائط يندك اندكاكا ، وينهدم انهداما ، كأنما ضرب بمرزبة (٣) فلما لم يبق للثقبة المنقوبة الا مثل الشفق تركته حتى صار واسعا ، يلج منه البعير دون عناء ، قصدا منى لذلك ، لما أعلم من أن الناس لابد من مجيئهم واطلاعهم عليه ، فلما وسعته على ماذكرت دفعته مرة واحدة ، فما شعرت بالعسس حتى رميت بنفسي في حوش فيه بقر

---

١) دا او دادا كلمة شلحية يراد بها تعظيم من هو اسن من المتكلم ،وكانما يراد بها كبيرى

٢) لفظ المثل هو (اخذه ما قدم وحدث)

٣) المزربة بتشديد الباء وتخفيفها كالارزبة بكسر الهمزة : عصية من حديد

وقد كدت أسقط على متونها فانزعجت واجفلت مفزعة ، فلماوصلت الى الارض وثبت على حائط حائل بينى وبين الخارج ، وفيه الكنارية (التين الشوكى) الملتفة المشوكة ، فخرجت من ذلك كله ، كأنما مشيت على بسط الحرير والاستبرق • ولم يصبنى أدنى أذى ، فلما رأى العسس قوتى وخفتى المخالفة للمعتاد ، حصلت لهم الهيبة والاندهاش ، وارتعدت منهم الفرائص ، على أنهم عملوا جهدهم • وسددوا نحوى بنادقهم ، وأرادوا الاحاطة بى كالهالة بالقمر ، فنهاهم بعض عقلائهم عن ذلك ، لمايتخوفون من العواقب فانتهوا فذهبت الى ذات الارحاء (تيزركان) لانهم أصدقائى وأعداؤهم ، فاسترحت فيها قليلا ريثما يسكن الامر ، ويرجع عنى من اتبعنى من الاعداء ، ثم انطلقت الى أبناء سحنون • حيث أن المدرسة فيهم ، وأقمت هناك أياما عند الاصحاب مثل الشريف مولاى الحسن بن محمد بن على من بنى الفقير التاماجلوشتى المستوطن ب (تيفغلت) وغيره الى ان كان من أمرى ماأذكره بعد •

ولنعد الى ماكنا بصدده ، فلما خرجنا من مدرسة (اينفال) سلكنا الطريق الجنوبى الايمن ، وطلعنا مع بلدة تسمى (تيان) وهى مسقط رأس الفقيه العلامة الغيور السيد محمد بن عبد الله انكثيرى ، وأخوته الفقيه السيد أحمد وولديه الفقيهين السيد محمد بن عبدالله ، وأخيه أحمد بن محمد ، وأدركنا الحر والقيظ ودخلناها للقيلولة ، فوجدنا مكتب جامعها مملوءا بالصبيان المتعلمين كبارا وصغارا ، اكثرهم نجباء ((وعليهم فقيه مؤدب كالاسد الضارى • لايفتر عن الضرب والكبل والقيد والرمى بالاحجار ، ولايفكر فى أى موضع يضرب ، واكثر ما يضربهم فى الرؤوس ، وترى الدماء سائلة على لباسهم • ولاترى فيهم الا مجروح الرأس خمسة جروح فأكثر ، فضلا عن الظهر ، ولايلتفتون يمنة ولايسرة ، الا ويرون الموت الاحمر • ولما دخلنا عليه فى مكتبه أشار علينا بالجلوس ازاءه ، ففعلت فسألنى فانتسبت له ففرح غاية الفرح ، وقدم ماوجد عنده • فكلمته فيما يعمل من التعدى على التلاميذ • وطلبت منه التخفيف والرحمة عليهم ، وعدم التبريح فى الضرب وقررت له أقاويل العلماء المتبحرين فى تاديب المتعلمين وكيفيته ومقداره وموضعه ، وتلوت عليه قول الله تعالى (الرحمان علم القرءان) ولايعلمه كثرة العصا والضرب ، وقلت له ان أفكارهم اذا استرسلت عليها المشقة الفادحة تصير فى دله وبله وجمود عظيم ، ولاتعى شيئا ، ولاتستفيد مع عدم الطيب والصفاء من شوائب الطغيان • ورحم الله ابن مالك حيث قال فى الفيته النحوية (طب نفسا تفد) ، فما كان جوابه الا قوله ان أولاد هذه القبائل لايستقيمون الا بما ترى ، وقد جربناهم وسسناهم بكل سياسة ، فلم ينجح فيهم الا الضرب والطعن • ولا ينجع فيهم الا ماترى، لانهم أهل خفة وطيش وسوء أدب، وفيهم جسارة عظيمة وتكبر وتيه فلا تلين قناتهم لغامز ، الابما ترى

من المبالغة فى الزجر بأنواع السب والعصا ، والا صالوا عليك واحتقروك • ويرحم الله زهيرا اذ يقول :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

وأبا الطيب اذ يقول

اذا أنت اكرمت الكريم ملكته وان أنت اكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ثم قال لي ان والديهم اذا لم يجدوا فيهم اثر الضرب ، ولوث الدم وتلطخ ثيابهم به بكثرة الجروح ، فانهم يرجعون الى باللائمة والعتاب ، كأنهم لايريدون فى أولادهم الاكما ترى من العقاب ، وكثيرا ماياتى احدهم فيقف بعيدا متكئا ، أو ينادى من وراء الحجرات اضرب ولدى فانه ساكت لاعب لاه فلما فرغ من كلامه تأملته طويلا ، فقضيت العجب العجاب ، ورثيت لهؤلاء المتعلمين المساكين الذين لايستريحون من الضرب ليلا ونهارا من معلميهم ولا من والديهم ، ولا يقدرون على الهروب لاى قبيلة أو مكان الا زادوهم نكالا وأذاقوهم عذابا وبيلا •

قلت هكذا جل الاقطار السوسية فى تعليم الاولاد من الافراط فى تعذيبهم كأنهم ورثوا هذه الخطة كابرا عن كابرا ، بل اكثرهم متخلقون بهذه الشراسة والقساوة ، بحيث اذالم ينهمكوا على تعذيب المتعلم ، يحصل لهم التغير الظاهر ، والقبض والصداع ، طبيعة منهم او تطبع ، حتى ان اكثر الصبيان المتعلمين يحصل لهم الذعر الكبير فى منامهم ، والفزع المخالف للعادة عند نعاسهم ، لما يخيل لهم من وثبات المعلم المتسلط عليهم ، فمنهم من يصيح ومنهم من يتلو القرءان اوغيره بالانزعاج (١) والفزع ، ومنهم من يستغيث بأمه أوبمن يرثى لحاله من قريب او حميم ، فأنى يغاث ، وربمايخيل اليه انه ملقى فى بارود ، أوواد أوبحر أوجرف مما يفعل اكثر المؤدبين بهم نهارا ، لان أكثرهم اذا أرادوا تعذيبهم يعلقونهم فى بعض الاوتاد أو الحبال فى الهواء ويوقدون حولهم نارا تلفح وجوههم وتشوى أرجلهم ، (٢) وتؤثر الحبال

---

١) استحضرت الان أننى يوم ختنت نمت فقالت لى امى صباحا انك كنت تقول فى منامك (ياسيدى اننى سأقرأ ثم صرت تقرأ حزب ولاتجدلوا) وقد كانت رحمها الله كلما أريتها مقرص الاستاذ او ملطمه تقبله وتقول ان هذا المحل منك لن تمسه نار جهنم وذلك مما وقر فى النفوس من تعظيم العلم وتعلمه وخصوصا كتاب الله تعالى فكل ماقاله الكاتب عن السوسيين فى هذا الباب صحيح

٢) وقد يلقى البعض منهم فى النار ملحا فيتطاير شرره الى جسد الطفل المسكين المعلق

الليفية فى اكفهم ، فماأقسى هذه القلوب ، وما اقصى الرحمة عنها ، اناللـه وانااليه راجعون ، حتى ان اكثرهم أوكلهم يحصل له الفرح العظيم اذاقيل له مات معلمه أووالده ، فيتبدل حزنه سرورا ، لما يأمله من دنياه ومعاشه مـن استراحة ، بل كم من معلم يضرب المتعلم حتى تفيظ روحه الى رحمة الله • كماأن كثيرا من المتعلمين قتل معلمه بمسدس او خنجر او بندقية ، اوغيرذلك رجاء الاستراحة منه ، فلينظر العاقل الى هذه الطامة ما اعظمها ، والى هـذه الداهية ماأعضلها ، دماء تسفك من معلم ومتعلم ، لماذا ؟ وفيماذا ؟ للجهل والجفاء والهمجية ، بل يتقدم اكثر الآباء الى المعلم بالضرب المبرح للولد ، واذا مات منه فهو برىء من دمه (١) ، حتى صار ذلك ديدنا ، وعادة بين الآباء والمؤدبين ، فيصير الابناء بينهما فى خطر عظيم ، وكل ذلك من أجل اعتقادهم أنه لايحفظ القرءان الامن قاسى من أجله العناء الكبير ، ولم يعلموا ان الرحمان علم القرءان ، ويسره للذكر فهل من مدكر ؟ وانه نور يضعه الله فى قلب من يشاء من عباده ، وأن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء

وقد تكلمت مع بعضهم فى شأن تعذيب الاطفال المتعلمين ، وجدته فى بعض المكاتب يفتك بهذا ، ويهدد هذا ، فزجرته فلم ينزجر ، حتى هممت به بعدما سببت وجدعت وحلفت أنه انءاد الى الضرب وأنا حاضر لانكلن به وان كان من أهل العلم، فقال: أما سمعت ياسيدى قول الامام الشافعى رضي الله عنه:

تصبر على مر الجفا مـن معلم　　فان رسوخ العلم من جفواتـه
ومن لم يذق ذل التعلم ساعـة　　تجرع كاس الجهل طول حياته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى　　اذا لـم يكونا لا اعتبار لذاتـه

فقلت له تبا له ، هل قال او هل قال　تصبر على مر المـوت بدل مر الجفا ؟ وهل قال رسوخ الموت بدل رسوخ العلم ؟ وهـل قال ذل التعلم او سم الموت ؟ فسكت وقال　سامحنى ياسيدى والله لاأعود لمثله ، فصار ديدنه الرفق بالصبيان الى ءاخر عمره •

ولما دخلنا (تيان) كما تقدم ، وسمع بنا العلامة السيد محمد المذكور وأولاده النجباء ، وكانوا قدقدموا من مدرستهم باسفل الوادى بوادى (تيملت) خرجوا الينا طائرين بالفرح والسرور ، لما بينى وبينهم من الالفة والمحبة المتينة ، ورحبوا بنا وبيتونا وأسبغوا علينا من سجال النعم ماشكرناهم عليه سائر الدهر ، وأطلعونا على خزانة كتبهم العظيمة المستفحلة ، فوجدنا فيها من فنون المخطوطات القديمة شيئا كثيرا ، ، وهى نظيرة خزانة السيد العلامة المحقق المرابط الحسن بن الطيب الواغزنى الوأدريمى　وأولاد ابن الفقيـه الاسغركيسيين الا أن يد الدهر عتت على خزانة السيد الحسن (٢) لما ثـار

---

١) كثيرا ما يقول الاباء للاستاذ　اقتل وأنا ادفن

٢) هذا هو الثائر على الاستعمار بأيت باها الشهيد المشهور رحمه الله •

على الدولة ، وقتل وهدمت دياره ، ونهبت خزائنه اوائل المحرم عام ١٣٥٥هـ (١) ولما اطلعت على هذه الخزانة هممت بتقييد بعض الكتب القديمة منها • ولكن لضيق وقت السفر استعجلني بعض الاصحاب

الخزانات السوسية

ان خزائن الكتب السوسية القديمة كثيرة ، ولكن قد عتت على جلها يد الزمان لطول العهد ، وبعد مدى الازمنة الخالية من أصحابها ، ولان غالب أصحابها لم يترك ورثة ممن ينهج طريقه العلمية المثلى ، ولاباس ان نذكر بعض مارأينا وشاهدنا ، او سمعنا به قديما وحديثا ، فالمكتبة الكرسيفية بأمانوز مكتبة جامعة لانواع الفنون العلمية ، وقد ابتدأ جمعها من صاحبها العلامة الولي الصالح شيخ مشايخ وقته بسوس الاقصى السيد ابي يحيا ابو بكر بن نعمان دفين (تادارت) بوادي (تيملت) بجبال جزولة جد كل كرسيفي وهو من أهل القرن السابع الهجري توفي عام ٦٨٥هـ كما تقدم ذكره وهو (٢) من أهل الاندلس الراحلين الى هذه العدوة لما انقرضت أيام عائلته الاموية، لانه من سلالة ابان بن عثمان بن عفان رضي الله عن الجميع، واستوطن كرسيف (تازة) ثم تحول منتقلا من تلك القرية الى سوس مع اخوانه وكثير من أقاربه بني أمية ، لامور ضرورية الجأتهم الى ذلك ، شأن المغلوب عليهم من كل أهل دولة في التفرق والتشعب في الآفاق والاقطار ايادي سبأ ، الى أن وصلوا الى (توغزيفت) (تعريبها الطويلة) وهي قبيلة صغيرة في عداد سملالة وترك فيها جل اخوانه ، وذهب بعده الى وادي (تيملت) حيث مدفنه الان ، فاشتغل بنشر العلم وبثه وارشاد الخلق ، وتخرج على يده علماء كثيرون من الاقطار الجزولية ، وجمع من الكتب شيئا خارجا عن المعتاد في زمانه ، مع ماجلبه من بلاد الاندلس من الكتب النفيسة والمخطوطات الفائقة البارعة ، وقد أعانه على الحصول عليها أحوال الاندلس وتطورها بتبدل الدولة اللمتونية التامانارتية السوسية (٣) بالدولة الموحدية الهرغية السوسية أيضا اوائل القرن السادس الهجري ، فحصل في خزائن الاندلس من الدولة الموحدية الهرغية عند أول دخولها الى الاندلس من النهب والفتك والايقاع بالعظماء من لمتونة ما سطر في التاريخ ، فحصل الجد المذكور على كتب نفيسة من خلال

---

١) من هنا نستفيد ان هذا التقييد جمعه الكاتب بعد عام ١٣٥٥هـ

٢) بل ان الذين جاءوا هم ءاباؤه لان أعمامه وجده كانوا يسكنون قبله بقرية (توغزيفت) بسملالة كما ذكره محمد بن الحسن منهم ، وعبارة هذا الكاتب هنا تخالف ذلك

٣) سماها تامانارتية وسوسية لان عبد الله بن ياسين تامانارتي سوسي

تلك القلاقل ، وخرج الى (كرسيف تازة) ثم وقع لاحفاده فـي ءاخر هـذا القرن السادس ما يوجب النقلة الى (اكرسيف أمـانوز) بالسوس الاقصى فسموه (١) بعد استيطانهم فيه باسم البلدة الاولى وهى (كرسيف تازة) تذكارا للمعاهد الاولى ، فاسترسل فيهمالعلم والفضل والدين والصلاح قرونا عديدة ، ونبغ فيهم عدة من ايمة الدين والعلماء الى القرن الـحـادى عشر ، فتفرقت ءاراؤهم ، واختلفت أهواؤهم فتفرقوا فرقتين فرقـة بنى الغازى وفرقة بنى أبى زيد ، وهما اخوان لاب وأم ، فوقع بينهما القتال والعداوة والترحيل والتخريب والنهب ، وتفرقت فيهم تلك المكتبة العلمية التى طالما اشرقت اشراق الغزالة فى ضحاها ، وسرت مسرى الامثال باستفحالها ، وعدا عليهاجور الدهر فحماها ، وطحنتها أيدى الخونة والفجرة مناولادهم برحاها فطالما حاول النبغاء بعد ذلك جمعها فى النواحى الدانية والقاصية ، فـمـا استطاعوا ولاحصلوا على طائل ، الى أن نبغ فى القرن الثانى عشر اكبر علامة منهم وهو منبنى ابى زيد ..... بانكيو وأخذ عن علماء البلاد الجزولية ، وارتحل للمشرق فجال فى الحرمين ومصر واخذ عن أهلها، ورجع وبنى مدرسته المعروفة بانكيو ، وجمع كتبا كثيرة ، ولكن مالبث انتوفى ، وتفرقت شأن أختها الاولى فى النواحى ، وقد رأيـت منها بتحت الحصن يعنى (دوكدير) بالغ ، فى مكتبة شيخنا العلامة سيدى عـلى ابن عبدالله شيئا كثيرا يزيد على المائة مجلد ، كلها بخط اليد ، وغالب خطها اندلسى ومصرى ، وقد باع احفاده الجميع بالبخس لانهم عاميون أميـون . وليس فيهم من يتهجى ، فضلا عن أن يترجى ، وقد استعرت منهم كتباقليلة استردوها ، كما نبغ أيضا من أبناء الغازى العلامة السيد أحمد بـن بلقاسم العلامة المشهور ، وسلك طريق الاول منالتجول عنالاخذ عنالعلماء الجزوليين والارتحال الى المشرق الحرمين ومصر ، واخذ عن أهلها ، وقد أطلعت على اجازة المشارقة له ، وهى عندى بنصها وفصها ، ثم انفضت أيضا خـزانته أعـوام التسعين فى القرن الثالث عشر ، لما ذكرنا عن احفاد الجميع ، رغما عما ترك هذا من الورثة العلماء الى زماننا هذا ونبغ بالطويلة السملالية أيضا فى هـذا القرن الشيخ السيد محمد بن الحسن التوغزيفتى فجمع مـن الكتب ماجمع فسلك مسلك الدين ، وكذلك نبغ فى (أسكاور) عدة لايستهان بهم ، وقدذكر الشيخ العلامة الولى السيد عبد الرحمان بن عبدالله الجشتيمى التيملى فـى فهرسته ، والشيخ العالم الامام الحضيكى المانوزى فى طبقاته كثيريـن منهم فليراجعهما من أراد الزيادة .

ومن المكاتب العلمية العظيمة ذات المخطوطات ، مكتبة الامام الولى الشيخ

١) هذا فى عهدة المترجم ولوقال لاجداده بدل أحفاده لربما تلاءم الكلام فى الجملة .

الهمام العالم العلامة الرحالة الشهير المذكور ، الطيب الثنـاء والعطره . السيد "محمد ـ فتحا ـ بن احمد الحضيكى التارسواطى مدشرا المانـوزى قبيلة ، الايسى مدفنا ، ولسبب جمعها أيضا أنه تجول للاخذ والتلقى عن فطاحل علماء زمانه فى الاقطار السوسية ، وطاف على علماء ولتية ودرعة وغيرهما. ثم سافر الى المشرق أواسط المائة الثانية عشر بعد الالف ، وقد كتب رحلته وحج أيضا ، وأخذ عن علماء الحرمين واليمن والهند والعجم والشام ، وأقام بمصر سنين للاخذ عن فطاحلها ، وجمع من الكتب النفيسة شيئا كثيرا،ورجع الى (وادى ايسى) وبنى المدرسة الفلالية مجددا لها ، واشتغل فيها بنشر العلم وبثه ، وجمع من الكتب السوسية الجزولية شيئا كثيرا ، وقد رأيت بخطه انه جمع فى اوليته تسعمائة مجلدا ، وأما فى اخرياته فلا تسأل ، وهو من المشايخ العظام فى زمانه علما وعملا ونشرا ، وتلامذته اشهر من قفا (١) وقد تخرج عليه ما لايحصى كثرة ، وقد تعرض لذكر بعضهم الشيخ العلامة سيدى عبد الرحمان الجشتيمى التميلى فى فهرسته (٢) ، وتوفى الحضيكى عام ١١٨٩هـ وكانت ولادته عام ١١١٦هـ وترك ولديه علامتى الدنيا وأماميها السيد أحمد والسيد عبدالله ، واسترسل العلم فى أولادهما الى انقراض اخر علمائهم وهو الفقيه العلامة السيد محمد (ضما) بن محمد (فتحا) بن احمد بن "محمد (فتحا) بن أحمد الولد الرابع ، فتفرقت خزانته المذكورة ايادى سبأ ، شأن السالفين الذاهبين ، ولكن اكثر ماتفرقت هذه على يد العالم الاخير السيد محمد (ضما) بن "محمد (فتحا) فانه هو الذى قضى عليها لما وقع بينه وبين أبناء عمه السيد الحسن من الفتن العظيمة التى ادت الى قتل وتخريب ونهب وجلاء الفقيه المذكور من بين المذكورين الى حيث أولاده اليوم المرابط السيد عيسى بن محمد . وبنى فيه الدار فوق مقبرة السيد ميمون ، وسكن معه والده المذكور ، وقد ناف عن تسعين ، وشاخ ، وذهبت ثروته المعرضة للفتن . ومد يده الى بيع الخزانة المذكورة الحافلة ، الى ان قضى عليها ، وقد اشتريت منه رحمه الله عام ١٣٢٣هـ أربع مجلدات منها ، وجلها من المخطوطات المصرية ، ومن بينها الاسطرلاب النحاسى من الطراز القديم ، الذى لانظير له فى زمانه واسترده منى والده المذكور ، فاخذه منه حفيده ولد ابنته الفقيه السيد الحاج المحفوظ بن أحمد الاهمادى الحضيكى ـ بالخئولـة ـ وسافر به الى (مزوضة) أيام التعاطى هناك ، فغلبه عليه شيخه الفقيه السيد الحنفى صاحب زاويـة مزوضة الى هلم جرا ، وقد الححت عليه مرارا فى استرداده منه ، فلم الف

---

١) تقدم فى حاشية قبل هذه تبيين مراده بقفا فلتراجع فى اوائل الترجمة

٢) يعنى بفهرس الجشتيمى كتاب (الحضيكيين) وقد خرجناه وهيأناه للطبع ان شاء الله

لى عنده أذنا مصغية ، وقد الف الشيخ سيدى محمد بن احمد الحضيكى المذكور تئاليف عديدة ، وتصانيف مفيدة ، منها طبقاته المسماة عندهم بالمناقب ، ذكر فيها جل علماء سوس ، ومنها شرح الرسالة ، وشرح الهمزية والبخارى • ولكن لم يكمل ، وغيرها ممايناهز ثلاثين (١)مؤلفا ، وكان رحمه الله كثير النسخ للكتب ، نسخ كتبا عديدة بيده ، بحيث لايفتر ليلا ونهارا متى أمكنته فرصة حتى انه اذا لم يكن له ادام القنديل ليلا ، ندب امرأته أن تشعل له النار بسعف النخل وتاخذها بيدها ، وتضيء له الى ءاخر الليل ، وهو يكتب وينسخ ويقيد وذلك لعدم وجود الشمع عندنا بالسوس الاقصى فى ذلك العصر ، لانه انما حدث عندنا بكثرة فى أيام السلطان المولى عبدالعزيز من عام ١٣١٢هـ حيث كان بعض أهل قطرنا يسافر الى فاس وطنجة ومراكش فياتون به ، وكان الناس قبل ذلك لايستصبحون الا بالادام من زيت اوهرجان او سمن او أعوادهرجان وغيره •

ومن المكاتب مكتبة (اسغركيس) زاوية الايبوركيين ، وقد جمعها الاولون منهم باعتناء ، وبلغت من العظمة فى القرن الحادى عشر ما قل وجوده عندهم ثم استرسل العلم فى حفدته الى عصرنا هذا والى غد ، فتوارثها علماؤهم وغيرهم فتفرق معظمها لذلك ، وقد زرتها عام ١٣٤٥هـ ورايت فيها من الخطوط الشرقية القديمة كتبا كثيرة ، وفيها خط سيدنا على بن أبى طالب فيما يزعمون وقد رأيته ولكن استبعدت ان يكون خطه لامور ، منها انى قد اطلعت على خطه المكتشف فى هذه السنين فى المشرق واخذ بالفتوغراف (التصوير الضوئى) وهو كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل بخط الامام رضى الله عنه، فوجدتهما متنافيين فيبعد أن يصح انهما معا خطه ، ومنها بعد الازمنة وتطاولها على مافيها من الفتن القاضية على الآثار القديمة

ومن المكاتب العظيمة مكتبة السادات اليعقوبيين الادوزيين التى اسسها شيخ الجماعة بأدوز (٢) فى وقته ، العلامة المحرر المؤلف المحقق السيد عبد الله بن يعقوب دفين (تازموت) بسملالة ، وفيها كثير من منتسخاته كالمعيار القديم ، وقد زاد فيها ولده علامة زمانه سيدى يبورك بن عبدالله الذى توفى من غير عقب ، وكانت من الضخامة بالمحل الذى لايدرك ، بحيث جمعت من الكتب النفيسة • والفنون المتنوعة • مالا تجمعه خزانة فى عصرها ، وناهيك بصاحبها الذى بلغ هو وأولاده وأحفاده من الشهرة الشهيرة ، والصيت البعيد ماقل وندر لغيرهم ، الى هلم جرا ، وقد قيل لم يبق فى جميع الاقطار السوسية من لم يأخذ عنه ، كما يحكى عن أبى مدين التلمسانى ، والشيخ التاودى المرى بفاس فى زمانه ، والشيخ محمد كنون فى عصره القريب ، والشيخ سيدى

---

١) راجع (سوس العالمة)

٢) كان عبد الله بن يعقوب واهله فى (تازموت) أولا ثم لم ينتقل الى (أدوز) الا أحفاده

محمد بن ابراهيم التامانارتى ، والشيخ أبى العباس السيد احمد بن عبد الرحمن المسكمادى المانوزى ، والشيخ السيد محمد بن احمد الحضيكى المانوزى ، والشيخ سعيد بن عبد المنعم الحاحى الداودى ، وولده عبد الله وولده يحيا بن عبدالله ، والشيخ احمد بن محمد التاكوشتى الصوابى ، والشيخ السيد محمد بن يحيا الشبى (الازاريفى) والشيخ سيدى أحمد بن محمد التيمكدشتى فى عصره القريب ، والشيخ سيدى سعيد الشريف الكثيرى الاداومحمدى الهشتوكى فى عصره القريب ، وغيرهم من فطاحل السوس الاقصى وسنذكرهم ان شاء الله فى موضع غير هذا ، ولازال العلماء الى الان بأدوزمن أعقاب الشيخ المذكور ، وخاتمتهم علامة زمانه السيد محمد بن العربى ، وابن عمه الشيخ السيد المحفوظ بن عبد الرحمان ، والشيخ السيد عبد العزيز بن محمد ، وهؤلاء الثلاثة معدودون من أشياخنا (١) رضوان الله عليهم وجل هذه الخزانة موزعة بين هؤلاء الاحفاد وغيرهم ، رغما عن رئاسة الفقيه ابن العربى المذكور الواضعة عليها اليد الحافظة ، ولما توفى عام ١٣٢٣هـ ، تولاها الشيخ (٢) المحفوظ المذكور الى ان توفى عام ١٣٥١هـ وبقيت بيد ولده عيسى وأبناء عمه وأخوانه ، وعلى كل حال فلم يحصل فيها من الاضمحلال ما حصل للخزائن المتقدمة ، لمحافظة الشيخ محمد بن أحمد بن محمد صاحب شرح الالفية وغيره عليها ، وقد توفى عام ١٢٢١هـ

ومن المكاتب مكتبة سادتنا الكراميين اهل (تازموت) من اهل القرن التاسع ، البالغة من الجزالة مبلغا عظيما ، ناهيك بالفحل العظيم الذى جمعها وهو شيخ الطريقة والحقيقة العلامة سيدى سعيد بن اكرامو ، وقد أخذ عن مشايخ السوس والمغرب ، وتجول فى أنحاء المغرب للاخذ ، فبرع فى الفنون وفاق فيها رواية ودراية ، وقد كانت تحكى عنه حكايات عجيبة فيما بينه وبين ملوك وقته ، حتى أرهبهم فهابوه (٣) وله باع عظيم فى الحكمة وعلم الجدول

---

١) توفى ابن العربى ١٣٢٣هـ فلايمكن ان ياخذ عنه الا بواسطة وعبد العزيز ١٣٣٦هـ والمحفوظ ١٣٥١هـ وهذان ممكن أن يأخذ عنهما بالاجازة لان له همة فى مثل ذلك وأما أنه أخذ عنهما دراسة فلا

٢) فى أدوز ثلاث خزائن كبرى خزانة محمد بن العربى التى ورثها عن بيه ، وتحتوى على نفائس وهى فى يد ولده سيدى احمد ، والثانية خزانة سيدى عبدالعزيز ورثها عن جدوده المتسلسلين بالعلم من عهد جدهم ، وهى فى يد ابراهيم ولده والثالثة للاستاذ المحفوظ كونها لنفسه بنفسه ، وهى فى يد ولده سيدى عيسى. وهذه الثلاث كلها مصونة الى الآن راجع (سوس العالمة)

٣) يشير الى حكاية فى كتاب (بشارة الزائرين) والله أعلم بصحتها وقد ألف أحدهم فى أخبار هذا البيت وغيره وقد خرجته وهيأته للطبع ان شاء الله وفى تراجم التامانارتيين تراجم الكراميين هؤلاء لانهم أشياخهم (القسم الثالث) من هذا الكتاب

والاوفاق والطلاسم ، والاستخراجات والرياضات والتعاليم وغير ذلك ، وقد جمعت خزائنه من هذه الفنون ماعز وجوده في غيرها ، وألف هو ايضا فى كل موضع مماذكر وتوفى عام ٨٨٢هـ وبيته بيت علم وحكمة ، وقد تسلسل فيهم العلم والعمل زمانا طويلا الى القرن الثالث عشر ، ونبغ فيهم فحول علماء أدباء حكماء ، تضرب بهم الامثال فى ذلك كله فى تلك البلاد ، وانتسابهم فيما هوالمدون فى تآليفهم ورسومهم الى الامام ابى بكر بن العربى المعافرى دفين باب محروق بفاس المتوفى عام ٥٤٤هـ قلت والمعافرة قبائل كثيرة فى نواحى تامانارت ، وقد سكنوا فيها بين بلاد قصبة تامانارت الى قرية (ايشت) من القرن الخامس فى أوله فى مدينة تسمى الفائجة (١) ذات نخل واعناب وعيون وفواكه مما يشتهون .

ومنها الامام عبد الله بن ياسين (٢) معين اول ملوك لمتونة ، وغيره من فحول العلماء ، وءاخرهم الامام ابو زيد عبد الرحمان التامانارتي صاحب (الفوائد الجمة) وغيرها

ثم خالطتهم القبائل الصحراوية مثل (بنى اسا) و (الركيبات) من عرب معقل بالغارات تارة ، والنهب والتخريب والافساد تارة ، فجعلوا ينتقلون شيئا فشيئا الى نواحى السوس حيث يامنون على أنفسهم وأولادهم ، الى أن أخلوا بلاد الفائجة ءاخر القرن الثانى عشر ، فصارت خرابا يبابا ، لاانيس فيها الا اليعافير والاالعيس ، فغارت مياهها من عيونها واوديتها ، ويبست أشجارها فصارت كأن لم تغن بالامس ، بعد ان كانت محط الرجال ذوى الفهوم والفنون وقد تجولت فى تلك النواحى واطلعت عليها وعلى مقبرتها العظيمة الدالة على عظمة هذه المدينة ، ورأيت من احوالها ماهالنى ، وذلك عام ١٣٤١هـ حين تجولت ببلاد القبلة التامانارتية (أكرض) و (القصبة) وأقمت فيها نازلا على القائد الانجب الاديب (٣) الاريب البشير بن عمر ابن الحاج أحمد الشريف الكثيرى أصلا ، التامانارتى وطنا الجزولى جيلا وله خزانة كتب تاريخية علمية تكلمت على أحوال (تامانارت) وأجيالها المنقرضة حواليها ، ويلوح لمن تأملها أن تلك الاجيال كلها عرب لابربر بينهم ، وان جلهم انسلوا ايام الفتوح المروانية الاموية فى القرن الاول والثانى الهجريين ، من زمن عقبة بن نافع رضى الله عنه ، وزمان الوليد بن عبد الملك وغيره من اخوته الخلفاء الى هذه النواحى الصحراوية السوسية (٤) ، من جهة افريقية الشمالية ثم تناسلوا

---

١) المدينة المشهورة هناك هى (تامدولت) المؤسسة نحو ٢٢٠ هـ و تامانارت هى التى توصف بهذه الاوصاف ومنها ابن ياسين ولعل الكاتب وقف على ما يدل على أنها كانت مدينة نعم فى التاريخ ان (تامانارت) تسمى قاعدة جزولة

٢) وقفت على ان نسبة ابن ياسين فى عداد السملاليين والبيت الياسينى المنقرض فى فاس اليه ينسب

٣) لو قال الادب لصادف الصواب لانه كريم ولايمت الى علم الادب

٤) لم يدخلوا الا بعد القرن الخامس الى ناحية سوس

وأكثروا واثروا ، الى ان عمروا تلك البلاد ، وجلهم يتكلم بالعربية الفصحى السليقية (١) لهذا العهد القريب ، وفيهم الغرائز العربية من كرم مفرط، وشجاعة خارجة عن المعتاد ، ومراعاة الجوار والعهد ، والمحبة للضيف والقرى وللناس في ذلك عنهم حكايات عجيبة ، وقد خالطناهم أيام الزراعة بالمعدر الجنوبي ، ومازالوا على هذه الحال

ومن المكاتب الضخمة مكتبة (تيمكيدشت اكنان) في عداد (أمانوزايسي) وأول مؤسسيها الولي الصالح الفقيه السيد أحمد بن محمد بن ابراهيم الميموني المستوطن فيها عام ١٢٣٦هـ أيام السلطان الصالح المولى سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي ، بأمر من شيخه الولي الصالح الحاج عبد الكريم دفين (ايبغد) بـ (أمانوز) وكان المذكور في خدمته بعد أن تخرج على جماعة منهم الشيخ السيد أبو القاسم العالم الغازي الكرسيفي ، ومن أراد أخباره فليراجعها في مناقبه وهي في مجلد ضخم (٢) ينيف عن ٤٠٠ ورقة

وشيخه هذا هو الذي أسس مدرسته بـ (تمكيدشت) وان كانت قبل ذلك قرية علمية لسكانها القدماء ، وهم المرابطون ءال حسين (٣) اولاد الولي الصالح ابوبكر بن نعمان المسمى بابي يحيا دفين (تادارت) الكرسيفي

ولما أسس فيها هذه المدرسة في التاريخ المذكور ، وزاحم الكرسيفيين أبناء حسين نازعوه في ذلك زمانا ، الى ان قطع السلطان المولى عبد الرحمان نزاعهم بالحكم عليهم للشيخ السيد أحمد بن محمد المذكور ، وتولية أمر المدرسة والتصدر فيها للتدريس والاقراء الى ان تخرج على يديه جماعة كثيرة ، قد جمعهم بعض تلامذته بالتأليف (٤) حيثما كانوا في زمن سيدي الحسن ولده أعوام التسعين ، بلغت خزانة (تيمكيدشت) مبلغا عظيما من الكتب الخطية ، ولما توفي الشيخ السيد الحسن بن أحمد عام ١٢٩٧هـ تولى أمر الزاوية السيد الحنفي ، فلما توفي تولاها ولده شيخنا السيد الهاشم بن الحنفي فزادفيها أضعافا مضاعفة ، وله همة واعتناء كبير بجمع الخزائن السوسية المخطوطة في جميع الاقطار ، بحيث لايسمع بموت عالم أو غيره ممن له خزانة الاودس اليه من يشتريها منه ، فصادف ابان انتشار الآلات المطبعية ، فاشترى مايفوت الحصر ، من مؤلفات أهل المشرق ، من مصر والحرمين واليمن والعجم والهند ، ومؤلفات أهل المغرب من تونس وفاس ومراكش وغيرها ، فصارت

---

١) هذا في عهدة هذا الكاتب

٢) عندي وقد أهيئه كذلك للمطبع ان شاء الله وهو الذي الفه العربي المشرفي نزيل فاس

٣) من هؤلاء أبناء حسين في أكلو

٤) هو الكتاب المتقدم نفسه ذكر فيه أيضا تلاميذه

خزانتهم من أهم مكاتب السوس الاقصى ، نظيرة المكتبة الزيدانية بمكناس ، والمكتبة الكتانية بفاس (١)

ولما توفى السيد الهاشم عام ١٣٤٦هـ حافظ على هذه المكتبة الحافلة ولده القائد محمد التيمكيدشتي ، ولازالت الى الان محفوظة محروسة ، لم يتطرق اليها أى فساد أو خلل ، لثروة هذا الولد ، ونفوذه الحالى ، وقد طالعت معظمها أيام اقامتى مدرسا بالزاوية (التيمكيدشتية) عام ١٣٢٩هـ وهى روضة أريضة بأنواع العلوم ، وغالبها من المخطوطات التى لايوجد لها بالسوس نظير •

ومن المكاتب مكتبة الجشتيميين بوادى (تيملت) قرية علمية ازاء جبل الكست ، أعلى وادى (تيملت) ومؤسسها بعد اندثارها فى القرون الوسطى الى القرن الحادى عشر العلامة الهمام السيد عبد الله بن محمد الجشتيمى الآخذ (٢) عن الشيخ الامام الشهير محمد بن أحمد الحضيكى المانوزى ، واشتغل بجمعها بعد تاسيس مدرسته فى (ايمى اوكشتيم) فى ءاخر المائة الثانية عشرة بعد الالف ، وخلفه العلامة السيد محمد بن الحسن بن عبدالله ابن محمد المتوفى عام ١٢٨٠هـ وهو شارح الشفاء (٣) وزاد فيها ولده علامة زمانه بلامنازع السيد عبدالرحمان صاحب الروضة المجصصة فيه الان ، وهو ناظم عمل السوس الاقصى نظما فائقا ، وله تاليف اخرى ، وله فهرست فى جميع الاخذين عن شيخه (٤) محمد بن أحمد الحضيكى المانوزى المتقدم الذكر الى أن توفى عام ١٢٦٩هـ فى ثامن رمضان منه ، فخلفه ولده العالم العلامة الامام الهمام ، الاديب الناظم الناثر ، علامة المغرب على الاطلاق فى زمانه أبوالعباس سيدى الحاج أحمد بن عبدالرحمان الجشتيمى ، وسنترجم له بين اهله ان شاء الله ثم زاد فى هذه الخزانة زيادة كثيرة ، وساعده فيها انبساط نفوذه العلمى الروحى على جميع بسائط المغرب وجباله ، فضلا عن الاقطار السوسية

---

١) الحق احق ان يقال ، وأن التنقيح كفيل بالتصحيح فقد تكون مثلهما عددا ولكن لانرى ان يكون فيها مافيهما من الكتب القيمة لان صاحبى تينك المكتبتين تفرغا لهما وتمكنا مما لم يتمكن منه السوسيون من الوسائل والحواضر يحيى اليهما ثمرات كل شيء

٢) المنصوص عند أبى زيد أن أخذه كان من تامكروت فهو من أقران الحضيكى اللهم الا اذا أخذ عنه اجازة

٣) بل الشارح سيدى عبد الله نفسه ، ثم أن الذى خلف عبدالله هوولده أبوزيد لامحمد بن الحسن الذى كان كاحد ابناء ابى زيد وفى طبقتهم

٤) لم ياخذ أبو زيد عن الحضيكى فقد ولد أبوزيد ١١٨٥هـ ومات الحضيكى ١١٨٩ هـ

وناهيك بمن بلغ مرتبة امامة السلطان المولى الحسن في خاصة نفسه سنين عديدة ، ومدة مديدة اكتسب بها من الشهرة مالامزيد عليه ، ولكن قسم هـذه الخزانة قسمين بحسب اقامته ، قسم منها في وطنه الاصلي (ايمي اوكشتيم) والقسم الاخر في (تيبيوت) بضاحية (تارودانت) لانـه رحـمـه الله يتناوب القريتين بالاقامة ، الى اخر أيامه ، فانقطع بـ (تيبيوت) لامور محدثة فـي قبائل (تيملت) من سرية وجهرية لم يرتضها ، فلازم (تيبيوت) منقطعا عن العلائق الدنيوية ، زاهدا في الدنيا ، غير ان الدنيا جاءته راغمة ، حتى صارت الرحلة في زمانه بالسوس لاتتعداه ، وكان انقطاعه بقرية (تيبيوت) من عام ١٣١٤هـ الى أن توفي فيها في ٢٠ ذي القعدة عام ١٣٢٧هـ فدفن فيها ، وعليه قبةحافلة وموسم شهير الى الان والى غد ، فخلفه هناك ولده الفقيه سيدى سعيد كماخلفه في وادى (تملت) ولـده سيدى عمرو ، فانقسمت الخزانـة بينهما نصفين ، مع مايعتريها من النقصان كل حين من استعارات تلاميذهم منهمفيها

وقد أطلعت على خزانة الفقيهين السيد الحاج أحمد بن عبد اللهاقاريض الصوابي (وتعريب أقاريض الفلس) وخزانة شقيقه العلامة السيد محمد بن عبدالله ، فرأيت كتبا كثيرة مأخوذة من تلك الخزانة الجشتيمية ، فبحثتعن السبب فظهر لىأن اكثرها بالاعارة لما بينهما من المصاهرة ، لان تـحـت الفقيهين الصوابيين ابنتى الامام أبى العباس الجشتيمى المذكور ، ولماتوفى ولده سيدى عمرو عام ١٣٤٦هـ (١) صفا الجو لصهريه هذين فأخذا معظمها بلاكلام ولاعناء ، لانه لم يترك الا ولدا واحدا أميا مقهورا تحتهما ، وتوفـى السيد سعيد بـ (تيبيوت) عام ١٣٣٤هـ وترك ولدا اشتغل بالعلم اسمه محمد والكل منثقات أصحابى (٢)

ومن المكاتب الضخمة ، مكتبة الشيخ ماء العينين بن مامين القلقـمـي الصحراوى دفين (تيزنيت) فانها مكتبة عظيمة ، لاتقل عنمكتبة (تيمكيدشت) لمالمؤسسها الشيخ المذكور من صيت عظيم في الافاق المغربية ، بل فـي جميع الخافقين ، ونفوذ علمي عظيم في المغارب الثلاث عند الخاصة والعامـة وهو أشهر من أن أعرف به هو وأولاده ، وناهيك بمن حكمه أهل سوس في رقابهم وبايعوه مبايعة الدفاع عن الوطن عام ١٣٣٠هـ وهو ولده المولى احمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين (٣) وقد اطلعت على معظم خزانتهم هذه ورايت فيها من الخطوط الصحراوية والشنكيطية والسوسية والسودانية والفاسية

---

١) بل عام ١٣٤٩ هـ

٢) في (القسم الثالث) تراجم كل رجالات هذه الاسرة العالمة الماجدة

٣) في أول (القسم الثالث) ترجمة الشيخ ماء العينين واحمد الهيبة وبعض أهلهما بتوسع

والمكناسية والتونسية والمصرية والمشرقية ما عزوجوده ونظيره ، وجلها من هدايا سلاطين المغرب ، بل والمشرق ، فصار جمعها سالما من غير تكسير ، الىأيام قيام أهل(تيزنيت) على الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين الخليفة بها عن أخيه الامير المولى أحمد الهيبة ، الكائن اذذاك بروادنة ، فأخرجوه بعد حروب عظيمة ، واستولوا على ذخائره التي بتيزنيت ومنها مكتبته التــي هناك • فتوزعتها أيدى النهب والفساد ، وبيعت بابخس ثمن •

ووصلتنا ونحن بـ (تيمكيدشت) بصفة التدريس بها أخبار هذه المكتبة فندبت صاحب الزاوية شيخنا السيد الهاشمي بن الحنفي أن يبعــث بعض طلبته الىأهل (تيزنيت) لما له عندهم من النفوذ العظيم ، أن يجمعوا الكتب المنهوبة من عند الناهبين • فيبعثوا بها الى (تيمكيدشت) ففعلوا وجمعوا منها مقدار عشرة أحمال بغال ، ولما دخلوا بها للزاوية (التيمكيدشتية) حاولت تقييدها في كناش حفظا لكيانها ، فقيدت منها مقدار اربعمائة كتاب ، فاذا برسول‌صاحب الزاوية المذكور الى بأن لاافعل خوفا مما عسى ان يحدث من المسئولية فى المستقبل ، وقوة شوكة الامير المذكور غدا أو بعده فيتطلبها منه ولازال عندى ذلك‌التقييد محفوظا الى الان ، ثم بعد ذلك حدثت صاحب‌الزاوية نفسه بتملكها على وجه جائز مباح ، فكتب الى طلبة الزاوية ان يكتبوا لـــه الفتاوى باباحتها ، بعد انكسار شوكة الامارة الماء العينية عام ١٣٣٥هـ فكتب أكثرهم وأفتوا باباحتها ، معتمدين على أنها أو غالبها من المكاتب المخزنيــة المجموعة من عندالسلاطين ، وهى من‌خراج المسلمين وغيرهم ، وأنها محبسة للانتفاع بها فقط لا للتملك ، وعارضتهم فى ذلك ، وأفتيت رادا عليهم بعدم اباحتها ، وحرمة النظر فيها الا لموجب شرعى من بيع‌أصحابها لها اوتبرعهم بها ، فنقضت فتاويهم فتوى بعد فتوى ، فوافقنى علماء القطر السوسى كلهم أكتعون •

ولما رأى صاحب الزاوية ماصدر مني من القيام ضده ، ومقاومته هو وطلبته في ذلك أنف وغضب واستكبر ، غير أنه لم يبد ما فى نفسه ،بل‌صار يلايننى بأنواع الملاطفة والمداراة التى أدت الى المداهنة ، فانه بعد حين ندبنى الى الوفود على الامير المولى احمد الهيبة المذكور ، وهو يومئذ بـ (كردوس) بعقيلة بجبال جزولة ، طالبا منه أن يملكه تلك الكتب بعوض بخط يده • فوفدت عليه لمابينى وبينه يومئذ من الصداقة القديمة ، فدخلت عليه فغمره من الفرح والسرور ما لامزيد عليه ، وساذكر هذه الرحلة المباركة انشاءالله فى‌تاريخنا ، ثم بعد ثلاث افضيت اليه‌بالماورية التى جئت لاجلها ، فماتلكأ ولاتوقف ولاتفكر فى قضائها ، حتى أخذ الدواة والقرطاس ، وكــتــب بهديتها الى قائلا ان الزوايا والعلماء والديانة كلها كالذات الواحدة ، ووفودكم على أجل فى‌نظرى من تلك الخزانة كلها ، لانها مال مكسوب ، فالله يخلفه‌فى

المستقبل ان شاء الله • فرحم الله تلك الشخصيات البارزة فى المكارم والمعالى ذوات الهمم العوالى ، فما أكرمها وأزهدها فى الدنيا كلها

تلك عاقبة خزانتهم التى بتيزنيت ، واما ماكان منها تحت أيديهم بقرية (وجان) فانه لما تحول اليها الشيخ النعمة المذكور ، وجد فيها كتبا لهاقيمة وقع له مثل ماوقع بتيزنيت من النهب ثم نقل البقية الباقية الى عشه الاخير متنكبا لـ (تمردوس) حيث حل الامير احمد المذكور فسكن فى (أيت رخا) الى ان احتلت فرنسة فى حمايتها للمغرب الموضعين معا فى الاحتلال النهائى العام لجميع القطر السوسى عام ١٣٥٢ فى ذى القعدة منه ، فخرج الامير الشيخ مربيه ربه هاربا الى (أيت باعمران) تحت النفوذ الاسباني ناجيا بنفسه وعياله تاركا المخزانة هناك مع ماتركه من الاموال والعدد ، فكان هذا اخر العهد بهذه الخزانة الماالعينية ، وصارت فى خبر كان ، وصارت البقية الباقية منها الى الخزانة العامة بالرباط

ومن المكاتب الضخمة مكتبة ابناء ابن الاعمش بـ (تينـدوف) بصحراء سوس ، فانها مكتبة لاتقل أيضا عن المكتبة الما العينية قبلها ، لكون أصحابها متقاربين علما وعملا ، وشرفا وشهرة عظيمة ، وكان الشيخ ابن الاعمش هذا من أهل الصيت العظيم فى العلم والنفوذ ، وله أتباع كثيرون ، نظير الشيخ ماء العينين ، غير ان ابن الاعمش اكثر تحقيقا ، وأوعى لجميع الفنون ، وهو حجة فى الجميع زاهد فى الدنيا لايتلبس بشىء منها ، فجمع من الكـتـب النفيسة من أنحاء الصحراء الى السوس الى السودان ، متتبعا للزوايا والخبايا مالم يجمعه صحراوى قبله ، ولما توفى فى نحو ١٢٧٥هـ خلفه ولده العلامة المحقق النحوى اللغوى المعقولى المنقولى الشيخ احمد الدكنا ، وزاد فيها زيادة محسوسة لحدوث آلات الطبع فى عصره القريب ، ولماتوالت القحوط وغارات الاعراب بعضها على بعض فى تلك البلاد الصحراوية ، انتقل الشيخ أحمـد بأولاده وذويه من أقاربه وحاشيته الى بلاد القبلة فاستقر بـ (تيزونـيـن) بسوس فى أيالة القائد العادل بلعيد المربطى (١) فاتخذها دار سكناه ، ومنها تعرفنا به (٢) فى أول مرة ، ونقل اليها جل مكتبته ، وترك بعضها بتيندوف فى الصحراء

---

١) هذا العدل غريب من القائد بلعيد المعروف بأنه ماسجد قط فيما شاع عنه ولعله يقصد العدل الـنسبى وستاتى ترجمته فى (القسم الخامس) ان شاء الله

٢) مات أحمد دكنا عام ١٣١٨هـ ورحلة الكاتب لم تقع الا بعد ذلك بكثير كما ستراه فلعله تعرف به وهو صغير أو يقصد التعرف باحداولاده يوم زار تلك الناحية كما ستراه

ولما توفي الشيخ أحمد الدكنا بن الاعمش خلفه ولـده الصغير الفقيه السيد محمد المختار تحت حجر جدته تاغيلاست ، أخت القائد بلعيد المذكور ولما سافرت عام ١٣٣٢هـ الى تلك البلاد القبلية للحراثة بالمعدر ، حللت بـ (تيزونين)ونزلت عليهم ورحبوابي ، وطلبت منهم المطالعة فيالخزانة الاعمشية فاجابوا ولم يتوقفوا ، فرأيت فيها من غرائب الكتب الخطية المتنوعـة شيئا يفوت الحصر ، الأنها في غاية المهانة والابتذال ، لانقراضعلمائها • فراودوني على الاخذ منها بوجه الهدية ، فأخذت منها البعض وعولت عند القفول منبلادى الىالقبلةأن آخذ منها الكفاية ، فلم يقدرلى ، وعاقت دون ذلك العوائق ، ثمبعد ذلكتوزعتها أيدى الدهر الخئون ، وقد وصل منها لـخـزانة (تيمكيدشت) المتقدمة الذكر الشيء الكثير ، فصارت أيضا الى ماصارت اليه نظائرها ، ولله الامر من قبل ومن بعد • وسنذكر أيضا هذه الرحلة فيمحلها بأبسط مـن هذا ، والله الموفق (١)

ومن المكاتب العظيمة مكتبة الشيخالعلامة السيد الحاج الحسين بـن بلقاسم السوقي الافراني ، ففيها من نفائس الكتب أنواع من الفنون العقلية والنقلية والتاريخية ، وقد أشرنا الى ماوقع لها من التشتيت أيام استئصال القبائل لاصحاب المخزن الشريف عام ١٣٢١ هـ زمان السلطان المولى عبدالعزيز بن الحسن حين انهزم خليفته (٢) القائد النفلوسي الحاحي ، وتتبعت القبائل كلمنفيه رائحته ، وكان منهم الشيخ الحاج الحسين المذكور ، فنهبت داره واستصفيت أمواله وخزائنه ، ومكتبته العلمية كما تقدم ولكن ما مضتسنة حتى ارتجعها ، كما أشرنا اليه من قبل ، فجمعها كما كانت ، ولم شعثهاالىان توفي فيءاخر عام ١٣٢٨هـ فورثها اولاده الثلاثة : الفقيه السيد محمد الحبيب وهوأصغرهم ، والسيد محمد الكبير ، والسيد أحمد ، وبناته • لكنهم لرفولهم فيأذيال الشباب ، والشباب جنون ، عدت عليها أيدى الخونة ، فنـوزعـت اكثرها • واستأثر القائد عياد الجرارى بالبعض منها وغيره ، وبقي مـابقي تحت يدى سيدىمحمد الكبير بتيزنيت الى الان ، وقد أطلعت عليها مرتين • وقدنبغ فيهذه السنين الاواخر ولده الفقيه السيد محمد الحبيب المستوطن برباط الفتح والموظف بمدرسة (معهد جسوس) هناك ، ولعله ان شاء اللـه يتلافاها ويغار عليها والله ولي التوفيق (٣)

---

١) ستاتي تراجم ءال ابن الاعمش في (القسم الخامس) انشاء اللهولبعض أسلافهم ذكر في احدى رحلتي أحمد احوزى وهي الحجازية الواقعة١٠٩٨هـ

٢) بل مات النفلوسي الاول في تيزنيت ثم ذهب القائد الثاني أخوه مـع جيشه الى محاربة ابي حمارة سنة ١٣٢١هـ

٣) ستاتي ترجمة الحاج الحسين في اول (القسم الثالث) ان شاء الله

ومن المكاتب العظام مكتبة شيخنا وقدوتنا العلامة الامام الحجة سيدى محمد (ضما) بن محمد (فتحا) بن عابو الولياضي ثم الادا ومحمدى الهشتوكى المتقدم الذكر ، فانها بلغت فى الضخامة اوج العلا الى انعدت عليها أيدى النهب أيام القائد النفلوسى عام ١٣١٨هـ فمزقتها ، ثم استرجعها بحيث لم يبق نادا عنها الا نادر ، كما تقدم ذلك كله مستوفى ، واستمرت الىأنتوفى عام ١٣٣٢هـ فوقع لها ماوقع لنظائرها غير أن جلها استولى عليه ابن أخيه وصهره الفقيه العلامةالاديب السيد ابراهيم بن مبارك التاجرانى الولياضي أيضا ، ولولاه لذهبت كامس الدابر ، ومازال الى الان كما مازالت تحت يده، وهو القاضي بهشتوكة .

ومن المكاتب السوسية مكتبة القائد عياد الجرارى ، فانه صرف عناية كبيرة ، لضم غرائب الكتب المتفرقة فى الاقطار السوسية ، تحت يد اولاد العلماء واحفادهم ، وغيرهم من العوام البلداء الذين ورثوا الخزائن العلمية، وتقدم أنه استحوذ على شيء كثير من خزانة الشيخ الحاج الحسين الافرانى من جهة اولاده الورثة وغيرهم ، وزاد فيها زيادة كبيرة فى هذه السنينالاواخر لحدوث الطباعة ، وانتشار أعمالها العلمية ، فلايسمع بكتاب مطبوع الااقتناه ولازالت مكتبته محفوفة بالحفظ الى الان (١)

ومن المكاتب السوسية الملوكية الاسلاف السعديين وان كنا أخرنا التنبيه عليها لما يعلم من أن الخزائن الملوكية لاتحتاج لتوفرها ضرورة لما يناسب أقدارهم من العظمة ، الى التنبيه عليها ، لان ذلك من باب تحصيل الحاصل ، وقد أطلعت على تقييد لعم جدنا المقدس ، وهو العلامة الامامالحجة فىزمانه الشيخ الولى الصالح سيدنا محمد بن بلقاسم بنعلى بنيعزى ، الاخذ عن الامام شيخ الجماعة السيد أحمد الشبى (٢) المتوفى بالطاعون بعد شيخههذا عام ١١٦١هـ بعد تخرجه عنه هو والشيخ محمد ابن احمد الحضيكى المتقدم صاحب الطبقات وغيرها ، بخط يده أنه قال مانصه : اجتمع لاسلافى السعديين منالخزائن العلمية بالسوس الاقصى أيام جدنا المقدس الشيخ الامام العلم الهمام

---

١) قد أصابتها اليد بعد وفاته وهلاك ولده عبد الله فصارت كلها اوغالبها الىمكتبة(معهد) تارودانت المؤسس بعد الاستقلال وتراجم عياد وءاله توجد فى (القسم الخامس) انشاء الله

٢) هناك أحمد بن محمد بن يحيا الشبى توفى فى ءاخر القرن الثانى عشر والشهرة كانت فى وقت هذا العم للشيخ محمد ـ فتحا ـ بن يحيا والد أحمد وعنه أخذ الحضيكى وهو الذى يمكن ان يقصده الكاتب ولكنه لم يتوف الا فى عام ١١٦٤هـ وتكون وفاته بعد تلميذه محمد بن بلقاسم بن على بنيعزى لاقبله كماتدل عليهعبارة الكاتب وهؤلاء الشبيون الازاريفيون يذكرون ان شاء الله فى (القسم الثالث)

المولى محمد القائم بأمر الله ، مالم يتيسر جمعه لاحد من المتقدمين والمتاخرين في الاقطار السوسية الدرعية وغيرها ، لاسيما وشبلاه العالمان الفحلان الاميران السلطانان المولى أحمد الاعرج ، وأخوه المولى محمد أمغار قد استصفيا كثيرا من الخزائن العلمية من الخزانة الوطاسية أيام تحصيلهما بفاس ، زمان السلطان أحمد الوطاسي ، لتودد حصل بينه وبينهما ، وشهرة بالتفنن في العلوم أفضت بهما الى أن استخلصهما هذا السلطان الوطاسي لتأديب أولاده الذكور والاناث فأطلق لهم اليد على الخزائن العلمية فنقلوا منها كتبا نفيسة الى مقرهم بالسوس تحت يد والدهم المقدس رحمه الله ، ولما افضت اليهم الامارة وتسنموها بعد استئصالهم لجرثومة الوطاسيين ، وتسلموا مقاليد المغرب والصحارى والسودان وتخومه ، زادوا فيها من تلك الاقطار ، وصرفوا عنايتهم لجمع الكتب العلمية من أقاصي السودان ، الى أقاصي المشرق ، وصانعوا علماء مصر والحرمين وأمراءهما على ارسال الخزائن العلمية ، كماصانعوا نصارى أسبانية لذلك أيضا ، للتوصل الى الخزائن العلمية الاندلسية ، فتوصلوا الى شيء كثير منها . لاسيما أيام واسطة العقد الفحل الاعظم ، والشهم الافخم ، العزيز النظير ، في جميع الفضائل والفواضل ، علامة السلاطين المتقدمين والمتاخرين ، وأديبهم وداهيتهم ، الذى انقادت له ممالك المغرب وممالك السودان الى نيل مصر . المرحوم المقدس بابا أحمد المنصورى ، فانه جمع من الكتب الفنونية فأوعى، وناهيك بمن احتوت خزانته العلمية على ثمانين وقرا من الكتب ، بحيث لايبلغه خبر مصنف اومؤلف في المشارق الى أقصاها والمغارب كذلك ، الا وأرسل الى مصنفه أو مؤلفه ليبعث به اليه ، ولما توفي عام ١٠١٢هـ واستخلف بعده ولده المقدس علامة العلماء في زمانه على الاطلاق باتفاق ، بلانزاع ولادفاع . السلطان بابازيدان بن أحمد المنصور ، واستولى على الخزائن الملوكية ، ومن جملتها الخزانة العلمية ، فضبطها أحسن ضبط ، كما يفعله أحسن وارث سبط ، الى أن حصلت بينه وبين اخوته مخالفات أفضت بينهم الى مشاقاة وحروب فمن يومئذ توزعتها أيدى الخونة

ولما قام الثائر الفقيه العلامة أبو محلى عام ١٠١٩ على الدولة الزيدانية ودنا من مراكش ، نقل السلطان بابازيدان بعض خزائنه الملوكية من الذهب والفضة ، والاحجار الكريمة ، ومن جملتها ستة وثلاثون حملا من الكتب الى ثغر أسفي ، فسلمها للقنصل الفرنسي هناك لما بينهما من الصداقة ، وأمر أن يحملها على باخرة الى السوس ، حيث يومن عليها ، فلما وصل بها الى (اكادير ايغير) تعرض له العدو الاسباني فيمازعم وانتزعها منه غصبا ، وذهب بها الى الاندلس ، ووضعها في بعض مكاتبها العلمية (١) الى هلم جرا .

---

١) هي الاسكوريال باسبانية والقصة مشهورة لاتزال هناك كتب كثيرة عليها خطوط زيدان وأهله من بقايا نار وقعت عليها

وباقي هذه المكتبة تفرق على ايدى الاخوة والاعمام وابنائهم ، حتى قيل ان كل كتاب قديم في المغارب الثلاثة بعد المائة والالف فاصله مـن الخزانـة السعدية الزيدانية ، والبقاء لله ، واليه المصير

ولم يبق عندنا من تلك المكتبة ، لكثرة التنقلات المفضية الى التشتت، سوى نحو عشرين كتابا في هذا العصر الحاضر ، حافظنا عليها تبركا باثر اولئك الاسلاف ، وتذكيرا للاحفاد والخلاف واعتبارا

تلك ءاثارنا تـدل علينا فانظبوا بعدنا الى الآثار

ومن المكاتب الملوكية او الشبيهة بها ، مكتبة زاوية (ايليغ) في (تازروالت) التي اسسها المرابط بل الشريف الرئيس السيد علي بن محمد بن محمد بن الشيخ الولي سيدي احمد بن موسى الشهير عند قيامه بالامر فـي شهور عام ١٠٤٠هـ (١) ويسمى عندنا بودميعة وأباحسون ، فجمع من الكتب (٢) عند القبائل من الذين لم يتركوا على خزائنهم العلمية خلائف العلم شيئا كثيرا ٠ واعانه على ذلك مساعدة الظروف الوقتية من قوة شوكته بالسوس وانسحاب نفوذ الدولة الشريفة السعدية عن تلك الاقطار ، بكثرة الثوار عليها في الانحاء المغربية ، مثل اهل زاوية الدلاء من جهة بربر تادلا والمولى محمد بن الشريف بـ (تافيلالت) وأبو دميعة هذا بالسوس ، وهو المذكور في التاريخ المتقدم ٠ وءاخرين بشتى القبائل ، مثل الشيخ العياشي الذي يناوش حركات النصارى البرتغاليين بـ (البريجة) الجديدة الآن وتفاصيل أحوال الكل وتواريـخ ايامهم مشهورة ، واستمرت خزانة الامير أبي حسون مجموعة ، وعلى نهايـة التنسيق محفوظة موضوعة ، الى ان توفي نحو عام ١٠٧٠هـ وتولى بعده ولده محمد المسمى اوعلي (أي ابن علي) فتنكر لاهل السوس وتغير ، واشتغل بالظلم والجور ، فتصدى علماء السوس لمبايعة المولى الرشيد ، وضمنوا له الطاعة من جميع القبائل السوسية فتحرك المـولى الرشيد الى السوس عام ١٠٨١هـ وجمع له صاحب (ايليغ) جموعا عظيمة في ظاهر الامر ، ولكن لم يلبثوا عند اللقاء الا فواق ناقة ، فخذلوه وانهزموا عنه مائلين راغبين فـي امارة المـولى الرشيد والانتظام في سلك عدله ، فتقدم المولى الرشيد واخذ علماء الوقت بيده وادخلوه (ايليغ) مقر أبي دميعة ، فلما دخلها تحرى وتورع عن خزائنها (٣) ولكن علماء السوس أطلقوا فيها يد النهب ، فنهبوا من خزائنها شيئا كثيرا

---

١) بل قام أهله عام ١٠١٨هـ وقام هو نحو عام ١٠٢٢هـ وقد كتبنا تاريـخ دويلة الغ في جزءين وسطين يسر الله تخريجه ففيها أربعة امراء ابتدأت دويلتهم من نحو ١٠١٨هـ ودامت الى ١٠٨١هـ والكتاب سميناه (ايليغ قديما وحديثا)

٢) وكان أيضا يستنسخ كثيرا من عند الدلائيين وغيرهم

٣) الذى ثبت في التاريخ أن مولاى الرشيد أتى على كل شيء في (ايليغ) حتى هدم المباني كلها فكيف يعفى خزانة الكتب ؟

وأخذوا اكثر المكتبة العلمية فتشتت لهذا الحادث ، وخرجت بالامر الذى دخلت به ، وكما يدين الفتى يدان (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ثم بعد ذلك جمع أحفاده منها شيئا كثيرا ، الى أيام الفقيه الشريف السيد محمد بن الحسين ابن هاشم منهم ، فصادف حدوث المطابع ، فاشترى شيئا عظيما ، الى ان توفى فى عشرة الثلاثين بعد الالف والثلاثمائة ، فتولى امرها الفقيه النجيب السيد على بن محمد الى هلم جرا .

ومن المكاتب العلمية مكتبة الشيخ العالم العلامة الرئيس الاجل ابى الحسن على بن عبدالله بن صالح الالغى المذكور من ذوى النفوذ العظام، فانه جمع هو وأخوه شيخ الجماعة فى وقته السيد محمد بن عبدالله من الكتب خزانة حافلة من أول نبوغ العالم الثانى أعوام التسعين من المائة الثالثة عشرة أيام السلطان المولى الحسن بن محمد وبنى مدرسته العلمية التى تخرج منها جماعة من العلماء والادباء (١) الى ان توفى الشيخ السيد محمد بن عبدالله نحو عام ١٣٠٣هـ وتولاها أخوه أبو الحسن المذكور ، وأضاف اليها كتبا كثيرة من الخزائن السوسية ، وقد تقدم أن فيها من الخزانة (الكرسيفية) من المخطوطات شيئا كثيرا ، ومن (الايليغية) أيضا وغيرهما ، ولما توفى الشيخ أبو الحسن عام ١٣٤٧هـ فى ١٦ ربيع الثانى منها ، ترك اولادا نجباء علماء فحولا شعراء منهم الفقيه العلامة السيد المدنى بن على ، وهو المتولى امر المدرسة والتدريس فيها اليوم وقبله فى حياة والده المقدس ، ثم الفقيه السيد محمد بن على، ثم الفقيه السيد الطاهر بن على ، ثم الفقيه السيد الحسن ، والكل فى قيد الحياة على مايرام والحمد لله ، والخزانة تحت ايديهم على السواء ، وقد أطلعت عليها كلها فى حياة الشيخ ابى الحسن لكثرة مخالطتى أياه ، وترددى اليهم ، كما أنهم يصلوننى كثيرا ، وربما اتولى التدريس فى تلك المدرسة اذا حصل مانع يشغلهم عنه (٢)

ومن المكاتب أيضا مكتبة الشيخ العالم العلامة الشهير السيد الحاج على ابن أحمد الدرقاوى الالغى ابن عم المذكور انفا ، وهو قرين أبى الحسن المذكور فى العلم والصلاح والثروة والنفوذ العلمى ، بل زاد وفاق هذا بتجوله فى البلاد المغربية والقبلية ، وله أتباع هنالك فى كل جهة ، وهو معظم عندهم وعند الجميع ، ولما توفى عام ١٣٢٨هـ خلفه أيضا اولاده النجباء ، ومن انجبهم الفقيه العلامة بلامنازع ، الصالح المصلح المؤدب الكبير الاديب السيد المختار ابن على بن أحمد المستوطن مدينة (مراكش) والموب بها زمانا كثيرا ، الى أن

---

١) فى هؤلاء(الفصل الاول) من (القسم الرابع) الاتى

٢) كان المترجم ينقطع الى (الغ) كثيرا وقد يتخذ له بيتا فى المدرسة هناك وقد ينوب عن الاستاذ سيدى المدنى حتى ان الاديب الطاهر اخذ عنه مبادىء الخزرجية

نفته الحكومة الفرنسية (١) عام ١٣٥٥هالى (الغ) ولايزال به الى الانوسنترجم له انشاء الله بين ابناء جنسه ، ولازالت مكتبتهم محفوظة تحت يده هو واخوه الفقيه السيد محمد بن الحاج على مقدم القبيلة الالغية الحالى (٢)

ومن الخزائن العلمية مكتبة الشرفاء التمراويين من عنصر الشرف الرسموكى ببلدة (تامرا) بـ (انزى) وهى أيضا مكتبة قديمة ، وابتداؤها من عام

الى ان اضمحلت باضمحلال علمائها فى عاشرة الاربعين بعد الثلاثمائة والالف (١٣٤٠هـ) ولم يبق منهم الا العلامة السيد محمد بن عبد الملك التامراوى الانزى الرسموكى المستوطن فاسا اليوم وقد بلغه خبر وفاة عمه المتولى امر الزاوية . فلم يهتبل بأمر الخزانة وقد بلغنى أن تلك المكتبة صارت فى خبر كان ، لاستيلاء أيدى ربات الخدور على مخدراتها المكنونة ، بل بلغنى أن بعض أصحابنا وهو العالم العلامة الاديب السيد أحمد بن الحاج محمد اليزيدى المانوزى (٣) توصل اليها باسباب ، واشترى منها كثيرا مما فيه فائدة بثمن بخس دراهم معدودة ، وفرحت غاية الفرح شاكرا لله حين سقطت فى يدمثله المستحق لها ، وكان أحق بها وأهلها .

ومن المكاتب مكتبة زاوية تيدسى (أم الجريد) ، فان مؤسسها احد أجداد الفقيه العلامة الرئيس المرابط السيد عبد الحى الشهير ثم جمع اليها هذا واستوعب كثيرا من المخطوطات والمطبوعات ، لانه تجول فى أنحاء المغرب ، ووصل الى فاس ، وأخذ عن علمائها مثل الشيخ كنون وغيره من الفاسيين ، وتولى رئاستى الدنيا والدين بالبلدان الهيلانية والهوارية الى تارودانت سنين عديدة ، وهو من أصحابنا ، وقد اطلعت على خزانته ، وطالعت ما تيسر منها ، وقد استمرت فى غاية من الحفظ الى أن توفى فى العاشرة الرابعة من هذا القرن ، وتداولها أولاده وبنو عمه الى اليوم . ولا أدرى ما فعل الله بها ، وهى قديمة من القرن العاشر ، لان العلماء أجداده يذكرون من أول ذلك القرن .

ومن المكاتب الوقتية مكتبة الفقيه العلامة الشريف السيد الحاج عابد بن عبد الله بن عمر البوشوارى التيفيراسينى من ذوى النفوذ العظيم المتقدم

١) نفهم من هنا أيضا أن المترجم جمع حياته هذه بعد هذه السنة ، ولعل ذلك نحو ١٣٥٩ هـ فى مكناس

٢) هذه الخزانة صغيرة جدا وليس فيها الا المطبوعات ومخطوطات لا تصل ثلاثين وربما لايصل كل مافيها من مطلق المجلدات الى ثلاثمائة بين تفاسير وكتب صوفية ولغوية وحديثية وفقهية وطبية ولا ينبئك مثل خبير.

٣) ليس اليزيديون الايسيون من المانوزيين وان كان المترجم قد اجتهد أن يحشر فيهم من ليس من المانوزيين فى شىء

ذكره ، المتوفى فيرابع شوال عام ١٣٤٠هـ (١) رحمهالله ، وتولاها ولده تلميذنا وعوض ولدنا الفقيه البركة السيد الحاج محمد الى الآن وبعده ان شاء اللـــه ٠

ومن المكاتب العلمية مكتبتا الاخوين الشقيقين العالمين العلامتين العاملين السيدمحمد بنعبدالله أقاريض اليحيوىالصوابى، وأخيهالسيد الحاج أحمد فكل منهما جمع فأوعى ، وقد قدمنا أنهما ، لاسيما الحاج أحمد ، أخذ من الخزانة الجشتيمية شيئا كثيرا ، بعد وفاة الفقيه سيد عمرو بن الحاج أحمد الجشتيمى ، لما بينهما من المصاهرة وعدم المنازع لهما فى ذلك ، ولا زالت مكتبتاهما قائمتين ، وقد توفى السيد محمد أحد الشقيقين عام ١٣٥٢ هـ فى ٣ ربيع الاول منه ، وبقيت الخزانة تحت يد أولاده وأخيه الفقيه السيد الحاج أحمد الى اليوم ، ثم تولاها أولاده بعده ٠

ومن المكاتب ، مكتبة اليعقوبيين الهلاليين ، مكتبة الفقيه الشيخ السيد محمد بن على اليعقوبى شارح المنهج واخوته ، أسسها والدهم السيد على بن سعيد المتوفى عام ١٢٦٤هـ (٢) وتوفى ولده العلامة الشيخ محمد بن على عام ١٢٩٤ هـ ، وهو علامة كبير القدر جليله ، لا يطار تحت جناحه ، ثم خلفهم فىذلك العلامة السيد الحاج عبد الحميد بن على بنمحمد بن على الى أن توفى نحو عام ١٣١٦ هـ ، فخلفه أولاده الفقيه الاديب السيد أحمد بن الحاج وأخوه السيد محمد بن الحاج عبد الحميد ، وقد اطلعت على هذه الخزانة عام ١٣٣٤هـ ، وفيها من المخطوطات شىء كثير صار اليهما من الخزائن الهلالية التى اضمحل أربابها ٠

ومن المكاتب العظمى مكتبة بنى المسجد ببلاد هرغة - ايرغ - من اداكنيضيف ازاءجبل الكست وهم مرابطون (أكرسيف أمانوز) فى الاصل ثم انتقل منهم الفقيه العالم العلامة المحقق المتفنن السيد عمر بن عبد العزيز بن عبد المنعم البوزيدى الكرسيفى الى (ايرغ) بعد تخرجه بالامام الشيخ الحضيكى المانوزى وغيره ، وبنى مدرسته هناك وتصدر فيها للتدريس وبث العلم ونشره ، والفتوى والارشاد وغير ذلك ، وبعد صيته ، وانتشر ذكره ، وجمع من انكتب خزانة لا بأس بها الى أن توفى عام ١٢١٤ هـ ، وخلفه أولاده الفقيه السيد عمر بن يحيا بن عمر ، والفقيه السيد ابراهيم ابن يحيا بن عمر بن عبد العزيز ، وتوفى الاول عام ١٣٢٦ ، والثانى عام ١٣١٩ هـ ، ولما توفى الفقيه السيد ابراهيم صارت بظهائرها فى خبر كان ولم يبق فيها أكثر من مائة مجلد ، وقد اطلعت عليها حين توليت تدريس

١) بل توفى ١٣٥٠هـ فى اثنين من شوال
٢) بل توفى نحو عام ١٢٣٩هـ

هذه الزاوية المسجدية عام ١٣٣٥ هـ ، ووجدت فيها من تآليفه بخط يده أزيد من عشرة مؤلفات فى كل موضوع ، فى الفرائض والحساب والحديث والتفسير والتعاليم ، وغير ذلك مما يدل على غزارة علوم هذا الرجل •

وقد طال بنا الكلام حتى خرجنا عن المقام ، ولنترك ذكر خزائن كتب (أقا) و (حصن الهنا) عند سادتنا بنى حسين ، وخزائن (الويدان) وخزائن (هيلانة) وخزائن (اداونظيف) وهوزالة (اندوزال) و (اداوكنسوس) و (هرغة) و (وادى سوس) و (تيبوت) و (رودانة) و (هشتوكة) الى بلاد أيت باعمران ، فان فى كل قبيلة من هذه القبائل مدرسة لمدرسها خزانة على نحو ماتقدم ، وقدأطلعت على الجل أيام الطلب من كثرة التنقلات فى هذه الانحاء زمانا كنا فيه كما قال ابن زريق البغدادى :

ماءاب من سفر الا وأزعجه رأى الى سفر للبين يزمعه

ولنرجع الى مانحن بصدد تتبعه من سفرنا ، فاننا لما خرجنا من بلد (تيان) المذكورة ، طلعنا مع جبل (الكست) قاصدين (تاوودانت) على وزن (تارودانت) وجعلنا على طريقنا بلدا يسمى (ءانمالوس) ثم سلكنا بعده قبيلة صغيرة ذات مدرسة علمية تسمى (تيكشيران) ولم يتجاوز عدد سكانهامائة عائلة ، وقبيلة بنى باحمان المتكونة من مائتى عائلة ، وأهل تاوودانت شرفاء ادريسيون •

ولمااشرفنا على (تاوودانت) فى محل اسفل منا وهد ، جلسنا للاستراحة قليلا ، مسرحين أبصارنا وبصائرنا فى أشجارها ومائها ومناظرها الجميلة الجبلية ، فغشيتنا جلالة ومهابة من تلك الجبال المكسوة بالخضر ، من تين وأعناب ولوز وكنارية (التين الشوكى) وغيرها منأنواع الفواكه ، ولمااسترحنا مقدار نصف ساعة ، هبطنا اليها من الجبل ، فى مضيق وعر صلب ، باليد والرجل معا مخافة السقوط فى بهموته ، ونهبط على احجار وأخشاب منصوبة هناك بينصلد وصخر لاخر ، الى أن وصلنا للارض ، وهبطنا تحت الوعر على غدير ماء يدهش العقول فتحيلنا للجواز فى جوانبه الى ان جزناه ، ولايجوز فيه الامن لهجنانثابت ، وجاش جامع ، متوكل على مولاه الذى يحيى ويميت فحمدنا اللهعلى النجاة ، ثم قصدنا المدرسة (التاوودانتية) فدخلناها فى وقت الاصفرار ، ورحب بنا مدرسها الفقيه المرابط السيد محمد التيبيوتىالملكى من أيت ملك الهشتوكى ، وفرح غاية الفرح والسرور بنا ، بعدما سالنا فانتسبنا له ، وكان شقيقه الفقيه السيد ابراهيم معاصرى بالمدرسة (الادا ومحمدية) وسألنى عن أحواله ، ولما أدينا العشاء قدم الينا (مفتوح عينها)(١) فى موائد لم تخل عن كل نوع ولون من الاطعمة والفواكه ، فأفضنا فىالمذاكرة

---

١) يعنى العشاء بفتح العين

العلمية ، فوجدته متشبعا فى فني العربية والفقه ، وهما بضاعته ، وله كرم زائد • وطيب أخلاق • وعمره حينئذ يناهز الستين ، ثم بعد ذلك توفي ، ولعل وفاته في عام ١٣٣٦هـ فلما أصبحنا طلبنا منه الوداع والدليل ، فعزم علينا بالمكث لانتظار الافطار ، فلم ننشب أن قدم الينا مائدة من خبز وطاجن وسمن وعسل وفاكهة وأواني الاتاي ، فأفطرنا واشتركنا الدعاء ، وشيعنا أميالا وانصرفنا قاصدين مدرسة (فوكرض)

قد ذكرنا أن أهل (تاوودانت) غالبهم من الشرفاء الادارسة ، وقد ادتهم التنقلات هناوهناك الى ان استوطنوا قبيلة (أمانوز) أوائل القرن الثامن تحت جبل يسمى أمقسو بوادى (لكوسة) في أرض ذات اودية وعيـــون واشجار وكروم ، فأقاموا هنالك ماشاء الله ، الى ان كثروا وأثروا وتناسلوا ، فطفت عليهم قبيلة (مانوزة) من جملة من طغت عليهم من جبل (تاحوكات) فطلبوا منهم أن ينخرطوا معهم في سلك جزولة وعدادها وأن يتركوا لكوسة قبيلتهم فابوا فأكثروا عليهم النهب والقتل والاسر ، شأن غيرهم من (تاحوكات) ومن انتمى اليهم ، لكون هاتين القبيلتين متعاديتين منذ قرون طويلة ، واحقاب كثيرة فلما ضعفت (لكوسة) عن مقاومة قبيلة (امانوز) استسلم اكثرهم للانخراط في سلكهم ، والانتظام في عقدهم وعددهم ، وكره اخرون ، وانتقلوا متفرقين في أنحاء الارض فأما أهل (تاوودانت) هؤلاء فقد انتقلوا الى موضعهم الان بجبل (ايت صواب) وهم فيه الى هلم جرا

وكان انتقالهم كليا اواسط المائة الثانية عشرة والف فــي أيام السلطان المولى عبدالله بن اسماعيل الفيلالي ، ولازالت رسوم ديارهم وربوعها وجامعهم هناك الى الان ، وهي الان على يد بني حصن القلب وبني أوكدال وغيرها، وفي ملكهم وحوزهم ، وكثيرا ماأجتاز عليها لكونها مسلوكة في طريق القبلة ، فأقف معتبرا منشدا قول من قال حين وقف على البديع السعدى بمراكش

ديار بأكناف الملاعــب تلمع	وما ان بها من ساكن فهى بلــقــع
ينوح عليها الطير من كل جانــب	فتصمت أحيانا وحينا ترجــع
فخاطبت منها طائرا متقلبــا	لــه شجن فى القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى	فقال على دهر مضى ليس يرجع

وأما (لكوسة) فجلهم قدانتقل الى جبل (درن) بالمنيزلة أيام السلطان مولاى عبدالله بن اسماعيل ، وعددهم مائة وثلاثون كانونا ، في (المنيزلة) ٥٠ و عين (بكرسة) ٣٠ و (اداوزال) ٥٥ ولازالوا الى الان يسمون لكوسة وعليهم شيخ من انفسهم وأنفسهم يسمى هاشما ، ولازالت المواصلة تجرى بينهم وبين من بقي منهم بـ(مانوزة) وهم ايت (فم الحصن) ويقدر عددهم اليوم باربعين أسرة •

ومن وادى (لكوسة) انتقل أيضا الشيخ الامام الولى الصالح شيخ الجماعة فى وقته السيد محمد بن ابراهيم اللكوسى التامانارتى الى (تامانارت) في حياته وتوفى بها ، وروضته هناك مزارة عظيمة وله موسم عظيم تاتيه الرفاق من جميع الآفاق ، ويشهدونه ويشاهدون بركة عظيمة ، وله فيها عقب ونسل كثير الى الان ، وهم مرابطوا القصبة • وكانت لهم الرئاسة هناك زمانا طويلا بحصن (تامانارت) من قبل رهط (تاحوكات) الى ان طم عليهم عباب جزولة فهجموا عليهم فى حصنهم ، وقتلوا بعضهم ، ونجا البعض فارين الى القصبة وتولى مكانهم اسلاف القائد البشير الحالى بن عمر بن الحاج احمد الشريف الكثيرى أصلا ، من ذوى كثير ، بجبل (لكوسة) المنتقلين من فاس ، بسبب فتنة موسى بن العافية المشهورة • وهم من الادارسة ، فولتهم جزولة أمر هذا البلد أيام المولى الرشيد (١) ثم عزز رئاسته بعد ذلك بظهائر سلطانية الى الان وبعد ، وكانت بينهم وبين المرابطين المذكورين فتن يطول عددها ، وقتل وتخريب لايمكن حدها ، ويستنفر كل واحد شيعته وحزبه ، ثم كانت العاقبة للقائد الكثيرى ، فغلب على الحصن ولازال به الى اليوم •

وينتسب جمهور (لكوسة) الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وبيدهم عمود نسبهم (٢) فى ولاداتهم ورسومهم ، وتقدمت فيهم فطاحل من العلماء المحققين والمدرسين المتقدمين ، وقد ذكر منهم الشيخ الامام محمد بن أحمد الحضيكى جماعة كثيرة مدفونة فى المقبرة اللكوسية المشهورة فى ذلك الوادى ولازالت الهيبة العلمية عليها بادية ، ولم تخل عنها مع طول الزمان فى تلك البادية ، وقلما مر على وأنا حاضر شهر الا وأنا زائرها ، معتبرا وواقفا منشدا قول على رضى الله عنه ـ على ماقيل ـ على جبانة الكوفة

سلام على أهل القبور الدوارس	كانهم لم يجلسوا فى المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة	ولم ياكلوا ما بين رطب ويابس
ألا فاخبرونا أين قبر ذليلكم	وقبر العزيز الباذخ المتشاوس

أما نسلهم الذين هم بـ (فم الحصن) بـ (أمانوز) اليوم ، فقد انقطع عنهم العلم منذ زمان طويل ، مقداره تقريبا مائتا عام فأكثر ، لاشتغالهم بالحروب الجزولية ، وقد هزموهم مرارا الى ان انخرطوا فى سلكهم كما تقدم ، وقد ذكرنا فيما تقدم مابينهم وبين قرية (ءاوالا) من كثرة الفتن المستمرة من زمن السلطان سيدى محمد بن عبدالله العلوى ، الى عصر السلطان سيدى

١) بل تولوا من عهد السعديين وتوجد تراجمهم فى (القسم الخامس) وهناك التوسع فى الكلام حولهم ان شاء الله

٢) يجد القارىء ذلك فى ترجمة الفقيه سيدى محمد بن ابراهيم الافرانى المسكن التامانارتى الاصل فى (القسم الثالث) من هذا الكتاب ان شاء الله•

محمد بن عبد الرحمان عام ١٢٧٨هـ وأما اولاد الشيخ محمد بن ابراهيم المذكور فقد استرسل فيهم العلم والدين والصلاح ، شأن جدهم الى الان ٠ وقدتقدم فيهم فحول من العلماء النظار ، وذكر منهم (الحضيكى) فى (طبقاته) غيرواحد ، ومازال فيهم من يجعل الله فيه البركة اليوم ، ومنهم العالم العلامة الاستاذ الطاهر بن محمد بن ابراهيم البكرى الافرانى وطنا ، شيخ الجماعة اليوم بالسوس الاقصى بلا مدافع ، وشاعر المشرق والمغرب بلا منازع ، وولداه العلامة السيد محمد بن الطاهر ، والسيد عبدالله بن الطاهر ، وهو شيخنا سماعا واجازة عامة مطلقة ، وقد بقيت من علمائهم بقية بقصبة (تامانارت)(١)

ولما خرجنا من مدرسة (تاوودانت) حسبما تقدم افضى بنا الطريق الى جبل وشعاب (أيت صواب) الى أن وصلنا الى مدرسة (تانالت) فاسترحناقليلا فاذا بعض طلبتها من ثقات أصحابنا ، قدبصربنا فى بعض زواياها ، فعزمعلينا أن نتناول من طعامه ، فساعدناه وذهبنا الى بيته فى المدرسة ، فقدم الينامن اللحم والخبز والسمن والعسل ، وورد علينا فيه جماعة كثيرة ممن عرفناهم لكون الزمان زمان استراحة ، أيام الاربعاء والخميس ، والفقيه اذذاك غائب وهو الفقيه السيد محمد بن عبد الله أقاريض الصوابى البحياوى فاسترحنا هناك وصلينا الظهر ، وانصرفنا شاكرين لله ولهم وودعونا توديع مشوق لمشوقه ، وعاشق لمعشوقه ، وقطعنا (ساقية صنهاجة) تحت المدرسة ، وهى بلادبين الجبال ٠ ملتفة بالاشجار ٠ من زيتون وأنواع الفواكه ، فلاتسمع فيها الاخرير العيون فى الاودية ، وتغاريد أطيار مشجية ، ولكن ماؤها وهواؤها وخيم ، ولكثرة المكروبات لايخلو أيضا ، مثل ساقية توشكا على بعد منه بنحو أربعين كيلومترا ، من الامراض الحموية والتيفوس ، كما ذكرنا عند التعرض لها ، وطلعنامعجبلها القبلى العالىالمطلعليها قأصدين (فوكرض)ثم سلكنا قبيلة (ايكيسل) ثم طلعنا جبلها القبلى العالى المسمى فجة ازكزا (تيزى ايزكزا) ولما طلعنا على ذروته جلسنا للاستراحة فوق صخور عظيمة فى الموضع الذى قتل فيه الحاج احمد اليربوعى (الانزيفى) المانوزى من (أفرا) وقصته أن (أيتسى) الزمورى ، وكبيرهم الحاج أحمد بن سى واخوانه كانت بينهم وبين (أيتأفرا) ـ اليرابيع ـ عداوة كبيرة افضت الى القتل والتخريب ، فلما كان زمان الذهاب الى حج بيت الله الحرام ، استعدتجماعة من قبيلة (أمانوز) لاداء هذه الفريضة ، وفيهم الحاج أحمداليربوعى الافراوى المقتول ، وذلك عام ١٣١٨هـ فخرجوا من (أمانوز) باحتفال الناس واحتفائهم على عادة الزمان من الاحتفال فى تشييع حجاج بيت الله الحرام ، وقدسلكوا الطريق الجوفية حوالى البلد ، وخرج الكبير والصغير والذكر والانثى معهم وكنت اذذاك فيمن خرج وأنا ابن اثنتى عشرة سنة ، وكانت لهم ضجةعظيمة

١) يجد القارىء اسماء علمائهم فى (القسم الثالث) ان شاء الله

بالتسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، مع الخضوع والخشوع والبكاء صار مكاء ، ووجوههم كأنما ألبست تلونات الحرباء من تلون الاشواق وقصدوا زيارة اولياء مقبرة (اكرسيف) فلما وصلوا وانحشر اليها الناس من كل جانب ومكان ، وذبحوا هناك ودعوا الله تعالى مخلصين له الدين ، وتواصوا هناك ، وتودعوا ورجع الجل من الناس الى منازلهم ، وبقي مع كل حاج أهله وعشيرته الاقربون الى (أيت أمار) بـ (تاهالا) فرجعوا أيضا وبقي الحجاج مع أثقالهم ، فلما وصلوا فجة (ازكزا) الموضع المذكور ، وكان الحاج احمد بن سي المذكور وولده صالح وأصحابه من (بني سنتر) مترصدين هناك الحجاج ، لقتل مطلوبهم الحاج أحمد اليربوعي المذكور ، فلما توسطوهم رموه بالرصاص من بين الحجاج ، فسقط ميتا والعياذ بالله ، وهربوا مخافة قبيلة (أيت صواب) لكون الموضع موضعهم ، وهم المسئولون عنه في القوانين السوسية ، ولم نسمع في التاريخ المتقدم بالسوس الاقصى من خفر جوار بيت الله الحرام ، ولاذمة رسوله صلى الله عليه وسلم قبل هذا اليوم ، ولم يستح هؤلاء الناس من الله ورسوله ولا من المومنين ، نعم أنهم من جهة الشرع معذورون والحق لهم ، والمقتول موتورهم ، ولهم عليه القصاص في أي موضع أصابوا فيه غرته حتى في الحرام ، قال الشيخ خليل وغيره من المتقدمين والمتأخرين (ويوخذ المقتص منه ولو في الحرام واخرج منه عند القتل لئلا يلوثه لان روحه مباحة لما ترتب عليه) على ان الذين فعلوا هذه الفعلة وهم بنو (سي أزمور) صاروا عند الناس خاصة وعامة ممقوتين من ذلك اليوم ، رغما عن كونهم أسرة شرقية عربية أموية عثمانية ، فمن يومئذ تقهقرت أحوالهم الى الوراء حتى تدهورت أعوام ١٣٤٠ هـ بالكلية ، بعد ما كانوا عليه من الغنى والعز والجود والكرم • وقيل ان لله غيرة على حرمه وأهلها وأن قصروا ، لاسيما حرم سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقد كان عاقبة قاتليه ان والدهم الحاج أحمد مات شريدا في بعض البلاد الغربية (١) وولده صالح سقط في بئر يستقي منها لبهيمته وقت الدراس ببلد المقتول (افرا) ومات بها ولم يتفطن له أحد ، حتى فاظت روحه ، والبهيمة واقفة على البير ، وبقي اولاده واولاد أخيه وأبناء عمه في الذلة والمهانة والفقر •

ولما استرحنا هناك هنيئة وقد دنا المغرب تاهبنا وأخذنا في المسير ، قاطعين حقول وسواقي بلدة (أمالو) (اي الظل) ، والتقينا ببعض الاحبة أثناءها ، وعرض علينا البيات والضيافة على العادة ، فجازيناه خيرا ، وشيعنا الى أن خرجنا من أرضهم ، وأشرفنا على مدرسة ايت يحيا (فوكرض) ورجع

---

١) تدل كلمة الغرب في اطلاق أهل سوس على مراكش فما وراءها من المغرب نفسه •

فتقدمنا ودخلنا اولا الى الولى الصالح السيد عبد الحق صاحب القبة عن قبلة المدرسة ، ووهبنا له ثواب ماتيسرت قراءته من القرءان الكريم ، ودخلنا المدرسة ، فخرج المقائنا الفقيه العلامة السيد الحسن اتدرارتى الباعمرانى ورحب بنا ، ولما فرغنا من صلاة المغرب ومايتبعها تقدم بنا الى محل الضيافة وهو يومئذ مصرية تحتية ، اذ لم يكن يومئذ غيرها ، وقد اجتزنا بها بعدذلك فوجدنا بناء كبيرا زائدا على كل ماكنا رأينا ، لاسيما عام ١٣٥٣هـ أيام الاحتلال وقدساقتنى القدرة اليها لبعض الشئون ، فأضافنى رئيس القبيلة وشيخها هناك ومدرسها أيضا ، وهو الفقيه السيد العربى بن الحاج عبدالحميداليعقوبى الذى أفاض على سجال الانعام ، من أنواع الاطعمة والفواكه والعلوفات جزاه الله الحسن الجزاء ، وقد مدحته بابيات رنانة فرح بها غاية

وأما الفقيه السيد الحسن المذكور فانه أيضا قدم لنا من النعم ماغمرنا به، جزاه الله خيرا ، وقد جرت بينى وبينه مذاكرة علمية ، فوجدته علامة أديبا مشاركا • لاسيما فى العلوم الرياضية والهيأة والنحو واللغة والحساب والفقه ، وبضاعته فى الحديث مزجاة (١)

ولما أصبحنا وافطرنا تودعنا معه وانصرفنا شاكرين ، وهبطنا سالكين طريق (ايغرم) ووصلناه قريبا فلقينا رجل من الاخوان يسمى المقدم أحمد فأقسم علينا أن نتغدى عنده ، فساعدناه ودخلنا فتغدينا ، وانصرفنا جاعلين (تامضلوشت) على طريقنا الى (تيرمتمات) الى (تاهالا)

ومما اتفق لى فى عام ١٣٣٧هـ وأنا مدرس بمدرسة سيدى مسعود أفولوس (الديك) النظيفى اننى فى بعض قدماتى الى (امانوز) مسقط رأسى قد وصلت الى وادى (تامضلوشت) هذه ، فوجدته حاملا من السيول مالاطاقة لى به ، فحصرنى عن العمارة ، والليل قد أقبل ، والنهار قد أدبر • والظلام قدأرخى سدوله • والطريق مخوفة • وأنا ثقيل لكونى حاملا مالا له بال من الريال الناض الحسنى فى مزود ، فجلست على شاطىء الوادى انتظر جزره ونقصانه ، فأبت الرياح والصواعق والرعد وانهمار الامطار الا طغيانه ، فاستولى على جنون الشبيبة ، والجنون فنون ، فحدثتنى النفس بخوض ذلك السيل الجارف ، فتقدمت اليه وتعلقت بشجر خروع فى وسط لجة ماء • وجعلت مزود المال على عاتقى وقد اثقلنى ، ثم بعد ذلك وثبت الى موضع عال قليل السيل ، ثم وقفت وأصلحت من شأنى ، وشمرت عن عزمى وحزمى • واستحضرت ذهنى وجاشى ثم خضت وسط الوادى وقد بلغ السيل حلقومى ثم سقطت فى موضع غائر وجرفنى السيل وساقنى مقدار غلوة ، على اننى

---

١) فى (الفصل الاول) من (القسم الرابع) أشباع الكلام على كل رجال تادرارت العلماء ان شاء الله

لم أخرج عن شعورى ، بل تعلقت بدراهمى وشددت على مزودى اكثر مما كنت ، وعندئذ دعوت الله قائلا «لئن انجيتنامن هذه لنكونن من الشاكرين» فاذا شجر خروع عال عارضني فتعلقت به تعلق الغريق ، متمكنا من الطلوع الى موضع عالقليل السيل ، فطلعت واصلحت حالى ثانيا ، ، ووقفت والماء تحت السرة لخفة السيل هناك ثم ندمت على ما فعلت ، فحدثتنى النفس بالوقوف هناك على تلك الحال تارة حتى يذهب معظم السيل ، وتارة بالعبور لئلايزداد الوادى بازدياد الامطار في النواحى البعيدة ، كل ذلك والليل قد ضرب بأطنابه ، والوادى قد أقبل بعبابه ، ولامغيث ولامطلع الا الله سبحانه فما اكثرالطافه ، ووقفت مقدار ساعة الىأن تمكنت العشاء ، فاحسست بضعف سورة الماء ونقصانه عن مواضعه ، وعلمت أن السيل بعد حين يذهب معظمه وقوته ، وأيقنت بالنجاة من تلك التهلكة التى القيت فيها بنفسى ولم أعتبر بقوله تعالى «ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا» ولكن «لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا» ثم حدثتني النفس ايضا بالتقدم للعبور ، والبدر في ذلك كله قد ألقى أشعته على صفحة الماء ، وللسيل حس زائد كأنه الرعد القاصف . لكثرة الصخور والحجارة والمغائر في بطن الوادى ، ولما تحققت نقصانه باشتداد حسه ، تذكرت أمثال العامة فيمن كثر سكوته ، وفيمن كثر كلامه ومنها قولهم (الوادى الساكت أشد خطرا من الخرخار) لان التكلم يبرز ما في نفسه ، بخلاف الساكت فانه لايعلم مايريد ، ثم تقدمت فعبرت واكثر عبورى على الصخور العظام ، بحيث لو سقطت عنها لهلكت الى ان وصلت نصف الوادى ، ثم وقفت أيضا قليلا حتى استرحت ، ثم اندفعت أيضا ووثبت على بعض الصخور ، ثم احسست بنقصان ظاهر في الوادى ، فعبرت الى أن وصلت الشاطىء ناجيا وتاليا قوله تعالى «رب انزلنى منزلامباركا ، وأنت خير المنزلين» وذهب عنى بعد قرع سن الندم ماغمرنى من التحير ، تاليا قوله تعالى «ومن عاد فينتقم الله منه» ، وسبب كثرة سيول هذا الوادى انسياب جميع أودية تلك النواحى عليه ، وهو مركز جامع لها ، ولما أصلحت شأنى انطلقت الى حال سبيلى فرحا مسرورا ، لما نجانى الله من هذا السيل العرم ، متمثلا بقول ابن حمديس الصقلى يصف خرير الوادى بين الصخور وفوق الحجارة

ومطرد الاجزاء تصقل متنه صبا أعلنت للعين ما في ضميره
جريح باطراف الحصا كلماجرى عليها شكا اوجاعه بخريره
كأن جبانا ريع تحت جنابه فأقبل يلقى نفسه في غديره

وتقدمت لقرية (تامضلوشت) بعد انصراف الناس من صلاة العشاء فوجدت جماعة من أهل البلد ممن صلى مع الامام ، مازالوا جلوسا معه بباب المسجد ، فسلمت وتعارفنا ، ففرحوا بنا ورحبوا ثم اندفعوا لسؤالى عن كيفية اجتيازى للوادى ، فمن قائل انك طائر ومن قائل انك تمشى على الماء ومن ومن ، غير أن الجميع قد استحال عنده الجواب المعتاد بدون هلاك ، فحكيت لهم

الواقع من أوله الى اخره ، فحمدوا كلهم الله تعالى على لطفه بنا وهو اللطيف بعباده

ثم راودونى على الذهاب معهم للمبيت فى البلد ، فأبيت الا البيات مع الامام فى المسجد ، وأخذ الراحة والجمام معه فى مسجده ، وكان له المام بالعربية والفقه والادب فأنزلنى فى بيته وجاء كل واحد من أولئك الرجال بالعشاء المختلف النوع ، خبزا وكسكسا وعصيدة وسكرا وأتايا ، قضينا هنيئة من الليل ، وانصرف الجميع كل الى داره (١) ، فلما أصبح الصبح ، وفرغنا من صلاته وحزبه • تودعت مع من حضر • وشيعني الامام الى بلدة (تيرمتمات) حاملا أثقالى ، وتودعت معه هناك بعد خروج بعض أصحابنا هناك نائبا عنه ، وسار فى صحبتى الى قرية (ايتمار) حيث موضع الاخوان والاصحاب ، فنزلت على حبيبنا الفقيه السيد محمد من (أيت اومغار) وداره بازاء المسجد ، وبت هناك مكرما معظما ، وحضر الضيافة غالب أهل البلد ، ولما أدينا صلاة الظهر غده ارتحلت مع بعض الاصحاب حاملا اثقالى الى البلد ، ووصلت قبل المغرب ولله الحمد على ماهدانا اللهم اجعلنا لك من الشاكرين •

ولما وصلت البلد فى هذه السنة المذكورة وهى السنة التاسعة والعشرون أقمت فيه نحو شهرين فى دارنا ، بين الاهل والاخوة والاخوان والاعمام والعمات ثم انزعجت قلقا للطلب ، فحدثتنى النفس بالرحلة الى (تحت الحصن) بالغ للتلقى من الشيخ العلامة الربانى المجاهد الكبير السيد على بن عبدالله بن صالح ، فى مدرسة زاويته هناك ، وتسوقت سوق الاحد بـ (تاهالا) بقصد مصاحبة بعض الاصحاب هناك الى (الغ) فاجتمعنا هناك بالسيد محمد بن عابد من بنى العالم الغازى الكرسيفى ، وذهبنا معا الى ان وصلنا مدرسة قبيلة ايغشان فدخلناها وقت العصر ، ورحب بنا الفقيه العلامة الاديب البارع السيد عبدالله ابن محمد بن عبدالله الالغى بن أخى صاحب زاوية (تحت الحصن) وابن مؤسسها أولا ، كما تقدم وياتى ان شاء الله ، فلما اجتمعنا به وسألنا وانتسبنا له فرح غاية الفرح ، ووقعت بيننا وبينه مذاكرات علمية ، وكان علامة اديبا شاعرا مفلقا له اطلاع كبير على الفنون الادبية وممن تشير اليه بذلك الاصابع فوقعت بينى وبينه مقطعات شعرية ، ومساجلات أدبية ، ومما خاطبنى به قوله

أمحمد الندب ابن أحمد من غدا ... فذ السيادة والمجادة اوحدا
لك فى القلوب مهابة اوتيتها ... ومكانة تقذى العدى لن تجحدا
ايه فقد حزت العلا عن رغم انـ ... ـف الحاسدين وفقت أنت الفرقدا

وقد أجبته بأبيات تاتى ان شاء الله (٢)

---

١) كانت هذه الحالة معتادة فى بعض القرى السوسية متى طرق ضيف مسجدهم ياتى كل واحد بما تيسر ان كان الضيف غريبا ، وأما ان كان له معاريف فى القرية فانه ينزل عندهم وفى بعضها يوجد من هرى الجماعة ما يكفى الضيف

٢) كان ينوى ان يذكر فى سجل اخر حياته هذا مساجلاته مع الادباء، والكن ذلك لم يقدر له

ولما أصبح الصباح كشفنا له عن القصد الذى قصدناه من رحلتنا • فأخبرنا بأن الفقيه المذكور وهو عمه السيد على بن عبدالله قد أصدر أوامره بنقصان طلبة مدرسته ، لكثرتهم وشدة المسغبة فى هذه السنة ، وأنه لايقبل الزيادةعلى مابقى عنده ، فاستخرت الله ورجعت عن ذلك الى الدار ، ولماهممت بالوداع ، حملنى على المقام عنده أياما ، والمذاكرة من دون صحابتى ، فأنفت من المقاممراعاة لحرمة صحبة السفر ، والفراق فيه دون الوصول الى أوطان الجميع ، فاعتللت له بذلك ، وواعدته العودة بعد ذلك ، ولما لاح وجه غراب البين • والدموع تنهل مثل مكنون اللؤلؤ من مئاقى العين ، ودعنى بعدما اخذ القرطاس والقلم بقصيدة اوشبهها ، وهى ألذ من وصل الصب لمحبوبه فى الكرى والحلم ، ملتزما فى أشطار قافيتها الاتيان بلفظة من الشلحة السوسية نصها :

محمد بــن أحمــد بــ (أووالا)	متى تدور فى ذراكم (تاوالا)(١)
وأسأل الله الكريم (اديوى)	يوم زيارة يداوى (الحبنيوى)(٢)
فتشتفى الاحشاء من (أماركى)	والعين من دمع بها (كأنكى) (٣)
وترتــوى أكبادنا مــن (ايريفى)	وتنزوى عن القلوب (تاغوفى)(٤)
لولا الضرورة لما (راك اجغى)	تذهب اذ ودك بى قد (امغى)(٥)
لكننى اودع قلبى (تولغوين)	لكم وانقدطرتم بـ(تيفراوين)(٦)
ثم عليكم مــن سلامى (كيكانــى)	ياسيدا مطهرا مــن (اركنى) (٧)

فتودعنا واشتركنا الدعاء على نية العودة اليه والعود احمد ، ورجعت الى البلد ، ولم أقم الا أياما حتى خطر ببالى شد الرحلة الى زاوية (تيمكيدشت) لتنبيه بعض الاصدقاء الى ذلك المقام •

الكلام على المثل : العود احمــد واول من قاله

ذكر الشيخ أحمد بن خالد الناصرى شارح (شمقمقية) ابن الونان عــنــد قولها

وعد لما عودت من بذل اللهى	والعود احمد لكل مملق

١) أوالا بلد الكاتب وتاوالا النوبة
٢) اديوى أن ياتينى لحبنيوى حبى
٣) أمارك التشوق وأنكى السيل
٤) ايريفى العطش وتاغوفى الغمة
٥) راك اجغ أن أتركك امغى نبت
٦) تولغيوين الامداح وتيفراوين الاجنحة
٧) كيكانى كثيرا واركان الوسخ

مانصه اختلف في أول من قال العود أحمد ، فقيل مالك بن نويرة اليربوعي حيث يقول

جزينا بني شيبان أمس بقرضهم وعدنا بمثل البدء والعود احمد

والاصح أن أول من قاله خداش بن حابس التميمي ، وذلك أنه خطب فتاة من بني ذهل ثم من بني سدوس يقال لها الرباب بعد ان هام بها مدة ، ثم أقبل يخطبها ، وكان أبواها يمتنعان لجمالها وميسمها ، فردا خداشا ، فاضرب عنها زمانا ، ثم أقبل ذات ليلة راكبا ، فانتهى الى محلتهم وهو يتغنى ويقول:

ألا ليت شعري ياربابُ متى أرى لنا منك نجحا او شفاء فاشتفي
فقد طالما عنيتني ورددتني وأنت صفيي دون من كنت اصطفي
لحى الله من تسمو الى المال نفسه اذا كان ذا فضل به ليس يكتفي
فينكح ذا مال دميما ملوما ويترك حرا مثله ليس ينتفي

فعرفت الرباب منطقه ، وجعلت تسمع اليه فحفظت الشعر ، ثم أرسلت الى الركب الذين فيهم خداش ان أنزلوا بنا الليلة فنزلوا ، فبعثت الى خداش أن قد عرفت حاجتك فعد الى خاطبا ، ورجعت الى أمها ، وقالت ياأماه : هل أنكح الا من أهوى ، والتحف الا من أرضى ؟ فقالت بلى ، فما ذاك ؟ قالت فأنكحيني خداشا ، فقالت وما يدعوك الى ذلك مع قلة ماله ؟ فقالت اذا جمع المال السيء القبيح الفعال ، فقبحا للمال ، فاخبرت الام أباها بذلك ، فقال ألم نكن قد صرفناه عنا فمابداله ؟ فلما أصبحوا غدا عليهم خداش فقال بعد ان سلم العود أحمد ، والمرء يرشد ، والورد يحمد ، فأرسلها مثلا • والقصة طويلة فليراجعها من أرادها هناك • ثم قال : نقل الشيخ اليوسي في (زهرالاكم) أن عبد الملك بن مروان رحمه الله قال لحاجبه : هات بدرة من المال ، فوضعها بين يديه ، وقال لمن حضر من وجوه العرب : أيكم انشدني صدر هذا البيت (والعودأحمد) فله هذه البدرة ، لم يكن فيهم من يعرفه ، فقال للحاجب اخرج وانظر من بالباب من العرب ، فخرج فاذا بفتى طال مقامه هناك لظلامة بينه وبين أبناء عمه ، فلما سأل قال له الفتى أنا احفظه فقال له انشدنيه فقال لا الابين يدى أمير المومنين ، فأعلمه الحاجب ، فقال لئن دخل ولم ينشدنيه لاعاقبنه ، فدخل فذكر ظلامته في خبر طويل ، فامر برد ضيعته ثم انشد لاوس بن حجر

جزينا بني شيبان صاعا بصاعهم وعدنا بمثل البدء والعود احمد

فقال أخطأت ، فقال ياامير المومنين أبلعني ريقي ، فقال أبلعتك ، قال قالت اليمن أنه بيتها ، قال امرؤ القيس

فان كنت قد ساءتك مني خليقة فعودي كما نهواك فالعود احمد

فقال أخطات ، فقال ياامير المومنين قالت ربيعة انه بيتها ، قال المرقش
وأحسن فيما كـان بيني وبينه   وان عاد بالاحسان فالعود أحمـد
فقال أصبت ، وانك لظريف ، فممن أنت ؟ فقال أنا من حي جانب عجرفة قيس ، وعنعنة تميم • وكسكسة ربيعة ، وطأطأة اليمن ، وتانيت كنانة • انا امرؤ من بني عذرة • فأمر له بالبدرة ، والاشعار في هذا الباب طويلة

الرحلة إلى (تيمكيدشت)

سافرت الى زاوية (تيمكيدشت) في ١٦ رجب (١) عام ١٣٢٩هـ على طريق بلد (اوكفميشت) مع بعض الاخوان ، قاصدا سوق الجمعة وهو يومئذ بقرية (تينزكيت) قبل انتقاله الى موضعه اليوم ، بمقربة من الجندلة (تالوست) وسبب انتقاله أن أهل (تينزكيت) قد تضرروا به من كثرة اختلاطهم للديار • وكثرة الدخول والخروج ، واختلاط الرجال بنسائهم ، وكثرة افسادهن ماديا وأدبيا ، بحيث يختلسن من مدخرات الشعير والذرة والتمر والاثاث ويبعن خفية من غير جدوى بثمن بخس ، فقاموا لذلك مشتكين على القبيلة ، فامتنعت أولا ، ثم بعد أن تسوق الناس في بعض الايام خرج أهل البلد عليهم بالسلاح خرجة رجل واحد ، فأرغموهم على الانجلاء ، واضطرت القبيلة حينئذ الى تحويله ، بعد أن قام هناك مدة تسع سنين ، لان تأسيسه سنة ١٣٢٣هـ ولدا تسوقته للجواز الى (تيمكيدشت) اجتمعت فيه ببعض اصحابنا من بلاد بني منصور وهو محمد بن باها من بني على ، وبلقاسم بن الحسن ، وبلقاسم من بني على التاموساوتي (الزاو) به يعرف ، والشيخ محمد (همو) بن الحاج ، وهو رئيس القوم ، أرادوني على أن أذهب معهم ضيفا فذهبت ممتثلا خائضا وادي ايسي ، جاعلا طريقي على الحصن المسمى بالاصبع (أضاض) مارين تحته • معتبرين به ، وقد انجلى عنه أهله للفتنة الواقعة بينهم وبين ءال (كدورت) أزيد من خمسين سنة ، الى أن استنفروا عليهم قبيلة (أمانوز) تحاصرهم الى أن فني ماعندهم من الاقوات والماء ، فجعلوا يأكلون من شجر التين الشوكي الى أن فني وخرجوا ليلا فارين الى منجاتهم ، وذلك أعوام التسعين وأحسبه عام ١٢٩٦هـ وتفرقوا شذر مذر حتى ظن الناس أن لم يبق منهم أحد ، الى أن وقع الاحتلال عام ١٣٥٢هـ ورجعوا (وهم ايت الفاسي من تينزكيت) الى بلادهم

---

١) وجدت بخط جامع الرحلة مانصه ابتدأت القراءة بتيمكيدشت لاربع خلت من المحرم عام ١٣٢٩هـ والمدرس العلامة الولي الصالح سيدي ناصر بن الحاج عبد الكريم المانوزي (المتوفى عام ١٣٥٦هـ على عهد صاحب الزاوية المرابط السيد محمد بن الهاشمي بن الحنفي) هذا وقد مضى ان الكاتب كان الى شهر ذي الحجة عام ١٣٢٩هـ في اداومحمد عند ابن عبو فيكون ماهنا هو الصحيح لاماكان قيده قبل فليعلم ذلك

شأن غيرهم ، ولكن لم يبق الا اولادهـم وأحفادهـم ، وجددوا بنـاء حصنهم واستردوا أملاكهم

واننا لو تتبعنا أمثال هذا مما وقع من الظلم والجور والخراب والقتل في كل بلد وكل قبيلة ، وكل قطر من الاقطار السوسية لطال بنا الـكـلام ولخرجنا عن الموضوع ، وقد وقع في هذا الوادى الايسيوى من ذلك مايفوت الحصر ، ومنه ان أيت علي من (تامساوت) ايت منصور ، كانـت بينهم وبين أهل بلدهم أيت أمغار ، فتن عظيمة يطول شرحها ، وتفرقت عليهم قبيـلـة (أمانوز) زمنا طويلا ، فبيت بنو امغار اعداءهم ، أيت علي المذكورين ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ونجا منهم من نجا ، واجتمعت قبيلة (أمانوز) منغيرأيت الربع ، فتكاثروا عليهم • وغلبوهم في آخر الامر ، ورجع اليهم سم غدرهم وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان ، وأخذوا بمخنقهم ، فلما أيسوا من النجاة والسكنى استسلموا للقهر ، وخرج اكثرهم ليلا الى حلفائهم أيت الربع من أمانوز وأسكنوهم ببلدة (امكنسن) وذهب بعضهم الى (ايقـدى) وبعضهم الى (طنجة) وبلاد الغرب (يعني الكاتب ماوراء مراكش) وامتلك اعداؤهم بنو علي أرضهم وديارهم ، وذلك في حدود عام ١٢٠١هـ فأما الذين استوطنوا بـــ (أمكنسن) تحت حماية أيت الربع (أوالا) وغيرهم ممن والاهم ، وهم الحاج المحفوظ المنصورى واخوته ، فقد أصابوا فيه بلدة طيبة الهواء والمرعى ، وسعة أرض ذات حرث ، فاشتغلوا بالحرث والادخار ، واتخاذ الانعام والنحل وغير ذلك من أسباب الثروة ، الى ان صاروا اثرى أهل البلد ، بل صاروا ينافسون أهل البلد في الاقتناء ، والتطاول في البنيان والافتخار ، الى ان أحفظوهم فحنقوا عليهم ، وصارت العقارب تدب فيما بينهم ، والغيبة والنميمة تسريان ليلا ونهارا ، ونار الغيرة والمنافسة في ازدياد ، وشعلة البغضاء والشحناء في اتقاد ، فاشتكى أهل (امكنسن) و (تاسكضا) و (تيزكى) مانالهم من هؤلاء السكان الاجانب ، من امتلاك الاراضي والتطاول الذى سيؤدى الى مغالبتهم عـلـى أوطانهم يوما ما ، الى أخوانهم أهل (اوالا) فاستشاروهم في الايقاع بـهـم ونفيهم عن أرضهم ، فامتنع أهل (أوالا) من ذلك كله ، مراعاة لحسن جوارهم وحمايتهم ، ووفاء بعهدهم ، وحفظ عرضهم بين القبائل المجاورة ، فصاروا على هذا الحال زمانـا طويـلا ، أكثر من ٢٠ سنة ، فتناسلوا وأثروا ، حتى رفضوا عهد أهل (أمكنسن) ومجاوريهم ، وتمسكوا بعهد (اوالا) وحدهم، وتطارحوا عليهم بانواع التضرعات والتملقات ، ولكن أهل (اوالا) من حسن سياستهم مع اخوانهم (امكنسن) واضرابهم ، عمدوا الى هؤلاء الاجانب السكان• وشرطوا عليهم شروطا مؤكدة ، وقرروا عليهم قرارات لايتعدونها فيما بينهم وبين (امكنسن) فقبلوها ظاهرا لاباطنا ، مخافة اجتماع الجماعة عليهم ، فما كان غير سنين قليلة حتى لاحت عليهم لوائح الطغيان وعادوا الى الاستطالة ،

فاوعزاهل (أوالا) لاخوانهم (امكنسن) ومن جاورهم بالايقاع بهم ، وبعدما طاروا بهذا التسليم الذى هو متمناهم زمانا طويلا ، اوعزوا هم أيضا الى أعدائهم بنى منصور من أيت على فى (تامساوت) ورئيسهم محمد بن الحاج أن يصيروا معهم يدا واحدة عليهم ، فاصبحوا عليهم بكرة ، وأحاطوا بهم احاطة الهالة بالقمر ، فتمنعوا يوما كاملا . ثم استنفروا عليهم قبيلة (أمانوز) كافة فهجموا عليهم فى ديارهم ، وقتلوا البعض وانجلى البعض معفوا عنه ، وهرب كبيرهم بلقاسم بن الحاج عمرو الى زاوية (تحت الرمال) بوادى (تيملت) وذلك سنوات ١٣٣٣ ه وبعضهم استوطن (تارسواط) عند أرحامهم واصهارهم ابناء همو بن مسعود الى عام ١٣٥٣ه بعد سنة الاحتلال فرجعوا الى أوطانهم الاصلية (أيت منصور) كما تقدم ، والى الله ترجع الامور

فـائـدة

الحاج عمرو المذكور من بنى عمرو من بنى ءاجنا من أولاد أبى درقة الشريف المشهور ، وهو الحاج عمرو بن ادريس بن محمد بن على بن عمرو ابن يحيا بن محمد (ضما) بن محمد (فتحا) بن ابراهيم بن أحمد بن عيسى ابن عمرو بن يحيا بن الحسن بن يوسف بن عبد السلام بن أبى بكر بن الولى سيدى أحمد بن محمد ابى درقة المذكور بن يوسف بن كنون بن عمران بن عبد الرحمان بن سليمان بن الحسن بن عمران بن محمد بن أحمد بن كنون بن أحمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه .

ومن الحوادث ايقاع ايت (كادورت) بـ (وادى ايسى) أيضا بأيت الشيخ فى عام ١٣١٢ه وهم فرقة جبارة طاغية لهم ثروة وسطوة على من عداهم من أبناء جنسهم بذلك الوادى الايسيوى ، وسبب فتنتهم أن احدهم وهو ولد السيد بلقاسم ابن الشيخ قتل غدرا بعض كبار (ايسى) فى موسم الولى الصالح السيد بلقاسم الفيلالى الشهير ، وهو من أهل أوائل القرن العاشر فيما يقال يقام على ضريحه موسم موقت كل سنة معظم محترم عند القاصى والدانى . فاستخفه الطغيان ، والشباب جنون ، فقتله ، فهاج الناس فى الموسم وانفضوا هاربين خائفين ، وكل يترقب خائفا من عدوه ، فلما مضت سنة اوبعضها ذهب الى ناحية (تيمكيدشت) فبلغ أعداءه قبل خروجه خبره ، فبيتوه فى طريقه مع أصحابه ، فقتلوه شر قتلة ، ومثلوا بـه شر مثلة حتى انهم قطعوا مذاكيره وحشوها فى فيه ثم تمالئوا مع أعدائه من أهل (كادورت) وغدروا بهم وهجموا على ديارهم ، وقتلوا البعض وهرب البعض الى مأمنهم من (عنق الرمال) (أكرض ايملالن) أعداء (كادورت) وبعضهم الى (تاكموت) فقبلوهم وفرحوا بهم اذ كانوا من جنسهم جزولة و (كادورت) من جنس (تاحوكات) فأقاموا بين

اظهرهم يقاتلون اعداءهم باخلاص ونية شان أهل البلد ، فيقتلون ويقتلون، واستمرت الفتنة قائمة بينهم احقابا طويلة وان كانت قبل ذلك بين البلدين الى أن وقع الاحتلال أيضا عام ١٣٥٢هـ فرجعوا شان غيرهم من المهضومين فارتجعوا أملاكهم وديارهم ، وارضا لم يطئوها قبل ذلك ، بعدما اقتسم أهل البلد أصولهم وأموالهم بينهم ، كما تقسم المواريث ، ودون في الرسوم والعزلانات (١) والامر لله ، (وماربك بظلام للعبيد) ورجعوا من منافيهم الى مواضعهم عام ١٣٥٣هـ بعد الاحتلال وبعدما مضى على غيبتهم نحو من ٥٠ سنة

ومن الفتن فتنة ايت (ايمي ازال) و (تيزركين) من عداد قبائل (تاسريرت) بذلك الوادى ، فقد هجم عليهم أهل (تيزركين) وهدموا بلادهم مراراوتركوها قاعا صفصفا ، ثم يرجعون ويبنون ديارهم ، ثم ينعطفون عليهم بالقتل والخراب فعلوا بهم ذلك ازيد من ٢٠ مرة ، وقد شاهدت (٢) غالبها أيام التعاطي بـ (تميكيدشت) وغيرها .

ومنها ان قبيلة (انزرن) وقع بين رؤسائها بني عبيد من موضع (تيمقيبيت) فتنة عظيمة غدربهم عمهم الرئيس محمد بن ابى بكر ، فقتل البعض ، ونجا البعض الى (تاسريرت) وذلك عام ١٣٣٣هـ وممن نجا صبى صغير كان يرعى الغنم ، ويلقب بالمسلم ، فلما كبر تسلط على اعدائهم الذين أجلوهم ، فجعل يتصيدهم وحده من الحقول والجبال والاودية وبين ازقتهم الى ان قتل منهم رجالا ونساء مانيف على العشرين ، وقتل الرئيس محمد بن ابى بكر وولديه وبعض نسائه وعمومته ، فتطارحوا على مرابطي (تيمكيدشت) أن يتوسطوا لهم في الصلح والهناء ، وأن يرجعوا الى بلدهم امنين مطمئنين ، فوقع انبرام الصالح على ذلك ، ورجعوا الى (تيمقيبيت) بلدتهم ، بعز عظيم ، وذلك عام ١٣٤٨هـ وكان هذا الملقب بالمسلم كثيرا مايغشاني ، وأنا مدرس بـ (مدرسة المرابطة) السيدة مماسة بنت على ويقيم عندى ماشاء الله ان يقيم ، وربما يباشر لي بعض الاشغال ، وفي المدرسة بنت عمه خديجة بنت أحمد خادمة المدرسة وابنتها ، وكان ولدها ممن انجلى معه ، ثم رجع برجوعهم (ان مع العسر يسرا انمع العسر يسرا)

وممن انجلى عن حصنه ومعقله أهل أصبع بني محمد (أضاض نيت محمد) بوادى ايسى ، بعد قتال ودفاع سنين بينهم وبين اعدائهم (بني منصور) وغيرهم ، وتفرقت عليهم قبيلة (أمانوز) وذلك عام ١٢٦٢هـ وكانوا امنع من عقاب الجو ، فاصاب فيهم أهل (أمانوز) ومن معهم الفرصة بسبب حمل

١) المراد بالعزلانات مايعزل به بين الاقسام والتفاريق من الرسوم
٢) يعنى مايدل كتابة على ذلك

الوادى حولهم وحيلولته بين المدد والاعانة ، فهجموا عليهم ، فخربوا ديارهم ثم رجعوا بعد تسعين سنة أيام الاحتلال •

ولنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر الرحلة

واما وصلت (تامساوت) ضيفا عند اصحابنا المذكورين ، وهم محمد بن باها (الاصم) به عرف ، وبلقاسم بن الحسن ، والفقير بلقاسم (الزاو) اجتمع على اكثر أهل البلد مقدمين للعشاء مسرورين بى ، ومغتبطين لما تقدم من أمر العداوة الواقعة بيننا وبينهم • راجين فى تمتين علائق الصلح والهناء وروابط الود ، فتكفلت بكل خير ، وسلم عن اخوانى بنى الربع ، وضمنت أن لا يعودوا الى معاداتهم • وأن يسيروا فى قبيلة (أمانوز) حيث شاءوا مطمئنين امنين • فاستبشروا بذلك ، وأرسلت بذلك كله الى عشائرى وعمومتى • فوافقوا عليه وتابعهم عليه غيرهم

غريبة

واما تناولنا العشاء بعد أداء العشاء ، أفضى بنا الكلام الى ضيق البلد وقلة أرضه ومزارعه ، وارتفاع جباله الشاهقة الى عنان السماء ، وكثرة المياه الجارية من غير جدوى ولا فائدة ، فقال بعض الحاضرين هل لك ياسيدى أن تتفرج على الذئاب ؟ فسكت ، ثم أعاد فلم أعرف لكلامه معنى ، الى أن فصل فقال : أظنك ياسيدى شاكا فى كلامى ، طارحاً له فى زاوية الاهمال ،فمرنا بذلك تر العجب مما يسرك ، فقلت له افعلوا مابدالكم ، فخرج جماعة منهم فى اخر الليل ، وقد دخلت الذئاب والثعالب والظربى الى الساقية ، بين الفدادين والمزارع ، وسدوا عليها أنقاب منافذ الجبال التى دخلت منها ، وهى أربعة عشر نقبا فيما أخبروا به ، بحيث يجلس كل واحد فى نقب ، وياخذ بحجارة صغيرة ويضرب بها اخرى ، فاذا جاء الوحش للخروج عند انبثاق الفجر يجد النقب مسدودا بسماع الحس ويرجع الى الساقية ، الى أن تطلع الشمس ، فيخرج عليه جميع أهل البلد رجالا ونساء ، فيأخذونه بسهولة كيفما شاءوا ، فقد اخذوا منه تلك الليلة ما ينيف عن اربعين وحشا ، مابين ذئب وثعلب وغيرهما وخلوا سبيل الباقى ، وخرجت اليهم ، ورأيت من ذلك مااستغربته من شدة ضيق البلد ، الى أن بلغ الامر ماأرى •

وقد أذكرتنى هذه الغريبة ماكان يضاحكنابه احد احبابنا من علماء حاحة أيام معاصرتنا له بمدرسة (اداومحمد) الهشتوكية فى أندية أفاضل الطلبة ، وذلك أنه يقول مباسطا ياسيدى محمد قد سمعنا بأن بتلكم البلاد بلادا يأخذ أهلها الوحوش باليد لضيقها ، وسمعنا بأن بقرتهم اذا ولدت يأكلون ماتلده لئلا يزاحمهم فى حليب امه ، وأنهم يأكلون الوطب اذا انقضى

زمن المخض (١) ، فأنكرت أن يكون من ذلـك ماسوى أكـل ماتلده البقرة وكانت هذه المحادثة في عام ١٣٢٦هـ فلم تصل سنة ١٣٣٠هـ حتى رايت الجميع بعيني ووقفت عليه ، وذلك سر قول الله تعالى (اولـم يسيروا فـي الارض فينظروا) الاية .

ولنرجع الى ما نحن بصدده من أمر الرحلة وان امتدبـنـا الكلام الى الاستطرادات ، لعدم خلوها من الفائدة التاريخية انتي لم يتعرض لها احـد ولايتعرض لها من قبل ولامن بعد في ذلك كله (٢) فنقول لما أقمت فـي (تامساوت) في (أيت منصور) ثلاثة أيام للضيافة متجولا في انحائها وأطراف جبالها ، وقد رأيت خلال هناك منمغارات أنواع المعادن كثيرا تقدم فيها العمل للاقدمين منأهل القرن العاشر ، الى الرابع عشر ، ثم صارت مهجورة شانكل المعادن بالسوس الاقصى لغلبة الاشتغال بالتجارة الان على أهلها بالمدن المغربية وأقطار أوربة ، فلم يبق لهم اشتغال بالمعادن النحاسية والرصاصية والاثمدية وغيرهما مما كانوا يألفون التعدين فيه

ثم ارتحلت بعد الضيافة الى مدرسة (أفيلال) حيث المدرسة العلميـة ومدفن الامامين الشيخين الصالحين السيد بلقاسم المشهور الفيـلالى المتقدم الذكر ، والامام العلامة الشيخ محمد بن أحمد الحضيكى التارسواطى المانوزى صاحب التاليف الحسان من الطبقات وغيرها ، ونزلت فيها على جماعة مـن الاصحاب منهم العلامة مدرس المدرسة السيد محمد بن على الغازى الكريسيفى والسيد الحسن بن الحنفى الحضيكى ، وابن عمه السيد الطيـب ، والسيد البخارى ، والسيد محمد بن بلقاسم الحضيكي وغيرهم ممن لم أحصهم ، من مدشر افيلال ، وتجولت فى أنحائها ، وزرت فيها ضريح الولى العلامة خاتمة محققى بلاده سيدى احمد الفقيه التاهالى نسبة الى قبيلة (تاهالا) الذى أخذ فيزمانه عن علماء فاس وتلمسان وغيرهما ، وقد ذكره الامام اليوسى فى بعض قصائده وحلاه واثنى عليه خيرا ، وذكره الحضيكى فى طبقاته المتقدمة ايضا

---

١) يذكر هذا عن (زمور) فى أحواز الرباط ثم ان فى (أيت يحيا) منأيت صواب ينقل الصغير من البقر على الاعناق الى قمة الجبال التى يسكنها أهلها فيكبر هناك لان الكبير لايمكن ان يصعد بأى حال على رجليه هذامايتقل منغرائب وعورةتلك الجبال التى لاهلها من الفضل والدين والعلم رايـات خافقة وفيها كان محمد بن عبد السلام الفاسى يأخذ القراءات ويعلم العلوم

٢) أقول لهذا حرصت على ترك هذه المستطردات كما هى وقد كنـت تنبهت للكتابة حول العادات السوسية فى (مجموع) لم يتم لتوقفه على كثرة الجولات فى سوس كنت امنع منها فى زمن الاستعمار ثم شغلت عنها فـى زمن الاستقلال (والله الامر من قبل ومن بعد)

ثم ارتحلت الى قرية (كادورت) اسفل منه ، ودخلت البلد ، وتلقتني جماعة من الاصحاب ببابه ، منهم السيد موسى من بني يبورك ، والفقير ابراهيم بن ادريس وولده السيد علي ، وغيرهم من الاصحاب ، بفرح وسرور ، كما هو شأنهم في محبة الضيف وأهل العلم والفضل ، حتى أن نساءهم يتساقطن علينا بالفرح والزيارة ، واستمطار الادعية ، فاقمنا بها ثلاثا بعد امتناعهم من التسريح أول الضيافة فتجولت في أنحاء سواقيهم الكثيفة بالاشجار ، الملتفة النخيل ، الكثيرة العيون ، القليلة الارض ، المكتنفة الجبال الشامخة وأن اسم هذه القرية كمسماها (١) ، على الحقيقة ، الا ان سكانها من أحب الناس المكارم والمفاخر من الكرم والجود ، والديانة والسكينة والوقار ، والانقياد المفضل وأهله . وحكى أن العلامة الامام محمد بن أحمد الحضيكي المتقدم الذكر خرج في حياته في بعض الابكارات ، بقصد التطواف على قرى(ايسي) واستماع قراءة صبيانها في المكاتب فبدأ بقرية (كادورت) ووقف منصتا متفائلا من الصبيان فاذا هم يتلون قوله تعالى (يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهمخصاصة ومن يوقشح نفسه فأولئك هم المفلحون) فتعجب من صدق الفال ، فقال كذلك كنتم ياأهل (كادورت) لانهم من سلالة أبي أيوب الانصاري الخزرجي رضي الله عنه كما في موالدهم وعمود نسبهم ، ثم هبط مع الوادي الى عنقالرمال (أكرض ايملالن) فوقف وسمع الصبيان يتلون اية توافق حالهم ، فتعجبمن صدق الفال فيهم ، وقال كذلك كنتم ، ثم تقدم الى (ايمي ايسي) فسمعهم يتلون ايةاخرى توافق حالهم ، ثمرجع الى(أيتمنصور) ووقف بـ(تامساوت) فسمع صبيانهم يتلون (لاالى هؤلاء ولا الى هؤلاء) فتعجب من صدق الفالات على الجميع ، فانصرف راجعا الى زاويته (أفيلال) وكذلك كانت اخلاق هذه البلدان الى الان جودا وبخلا ووسطا ، فاهل (كادورت) اجود الثلاثة واسمحها وأحبها للضيف

غريبة

ساقتني الاقدار الى زيارة (أفيلال) عام ١٣٢٩هـ مرجعي من (تيمكيدشت) الى مسقط راسي ، فدخلت القبة الفيلالية فجأة من غير أنيراني أحد ، فلما استكملت الدعاء المولى حتى اجتمعت على جماعة من النساء والشواب والعجائز فلما رأين حسن ظاهري وبهجتي ووسامة وجهي ، نادين بعض الرجال فجأوا وأنا ملتثم ، فما وقعت عينه في وجهي حتى نادىبأعلى صوته (الامام المهدي الامام المهدي)، فلما خف اجتماع الناس على من كل ناحية كشفت عن وجهي

١) يريد أنها ضيقة كالقدر لان كادورت تشلييح لكلمة قدر بكسر القاف

فقلت له أنا فلان ابن فلان الفلانى ، فاذهبوا الى حال سبيلكم ، فمازادهم ذلك الاطغيانا كبيرا ، فخرجت من القبة ، وذهبت الى مرابطى (افيلال) فاتبعنى عالم كبيرمنهم ، فردهم عنى بمشقة وعناء • ومزاحمة بباب داره ، فانظر الى بساطة هؤلاء القوم ، وشدة اعتقادهم فى الامام المهدى ، وقد وقع لى مثل هذا أيضا بوداى سملالة وسأذكره ، وعدد كوانين قرية (كادورت) وما اليها نحو ٥٠٠ كانون

واما قضيت فى الضيافة بـ (كادورت) ثلاثا ، تقدمت الى بلدة (عنق الرمال) فنزلت على الاخوين فى الله الفقيهين العلامتين السيد أحمد بن محمد أولشلح ، به يعرف ، وابن عمه السيد محمد بن محمد (فتحا) ابى الجنان وبتنا عندهما احسن بيات فى اجزل ضيافة، وقطعنا معهما فى المذاكرة العلمية شطرا من الليل ، وغالب المذاكرة معهما فى الفرائض والانكحة والوصايا والبيوع ، لان الاول قاضى تلك الاودية زمنا طويلا ، وله باع فى النوازل، وله رحلة علمية الى فاس • وهو الاخير من علمائها فى صدر هذه المائة، وابن عمه الثانى أبو الجنان له باع فى العربية والفقه والحساب والفرائض ، وغالب أخذه من الفقيه العلامة الصوفى البركة السيد عمر بن احمد بن الحاج عمر نيت أوشن من (آل الذيب) بمنكب (تافراوت) وطنا ومنشئا ، العبلاوى (نسبة الى أيت عبدالله) اصلا ، المدرس بـ (اكفى) بعقيلة حياته ، الاخذ عن الشيخ ابن العربى الادوزى ، وعن الشيخ محمد بن عبدالله بن عبد الوافى الاكمارى المتوفى (١) ببلدته (المنكب) سحر الاربعاء ثانى ربيع الاول عام ١٣٣٥هـ وقد عدته فى مرضه وفرح بعيادتى لحسن ظنه بأهل العلم ، وقد ترك من اقتفى سبيله فى العلم والفضل ، وهو ولده الفقيه البركة السيد محمد بن عمر • والسيد الحسن (٢) ، وأمهما المرابطة الخيرة الصالحة القانتة العائدة السيدة عائشة بنت الولى الصالح ، شيخ الجماعة بالسوس ، سيدى الحاج أحمد بن عبدالرحمن الجشتيمى رحمه الله وهى الى الان فى قيد الحياة ، تزار من سائر الافاق ، وترشد الناس ولاسيما النساء الى السنة المثلى ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، شكر الله لها سعيها امين (ثم توفيت يوم الخميس فى ذى الحجة عام ١٣٦٣هـ) ولايزال الفقيه أبو الجنان المذكور يزورهم ، وقد اجتمعنا به عندهم مرارا ، وقد استدعانا أيضا بـ (عنق الرمال) للضيافة ، الفقيه السيد أحمد بن على بن بلا ، وكان من اهل الثروة ، وممن أخذ عن الشيخ الحاج عابد بن عبدالله بن عمر الكثيرى التيفيراسينى البوشوارى الهشتوكى ، فبتنا

---

١) يعنى سيدى عمر

٢) توفى الحسن ١٣٧٩هـ او فى أوائل ١٣٨٠هـ وأما محمد فقد توفى قبله بسنين

عنده ، وهؤلاء الثلاثة الفقهاء بيضة البلد ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر • ومركز هذه القرية كمركز (كادورت) في قلة الارض ، وضيق البلد واحاطة الجبال ، وان كانت (كادورت) أضيق منها ، غيرأنها كثيرة العيون الجارية ، وعدد عيونها على ماقيل تسع عيون جارية ، وغالب مائها سائح في الوادي ، بخلاف ماء (عنق الرمال) فانهم في غالب الاحيان يحتاجون اليه، وغالب فتن البلدين تحصل على الماء ، لان أهل (كادورت) يقطعونه عنهم أيام البارود والقتال حتى يصطلحوا (ولله الامر من قبل ومن بعد) لان أهل (كادورت) على الوادي الاعلى بعد (أيت منصور) وهي مجتمع الماء ، ومن هناك يفرق الى عنق الرمال ، (اكرض ايملالن) (وأعلى المنكب) (أفلا ايغير) والتلعة أسفل ، وهما أوسع مما قبلهما ، ومن هناك الى (بني منصور) يسمى وادي (ايسي) ومقدارهم نحو الف ومائتي أسرة ، ويليهم من جهة القبلة (بنو يزيد) من (تازونت) الى (انليوى) ويقدر عددهم بمائتي اسرة ، وهم من سلالة يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان ، انتقلوا من الاندلس ، لما اضمحل فيها ملك بني عمهم بني مروان في القرن الرابع الهجري ، ولازالت فيهم بقية من العلماء المعتبرين ، وأهل الفطنة والذكاء ، والغيرة الدينية شأن أجدادهم الى هلم جرا ولايضرهم من يطعن فيهم من الاغبياء الحمقى ، والدجاجلة أهل الزيغ والضلال الذين ليس لهم دين ولا ايمان ، الذين قال فيهم جدهم السلطان المرواني الاندلسي في أحقر وأجهل منهم (عرفتني فسببتني ، واوعرفتك لاجبتك) وقد أدركنا فيهم من فحول العلماء مايفتخر بهم الدهر ، مثل العلامة السيد الحاج أحمد بن محمد وابن عمه العلامة المرحوم السيد الحاج محمد بن أحمد المتوفى في نحو ١٣٠٩هـ ووالده العلامة الاديب الحبيب السيد أحمد بن الحاج محمد المولود عام ١٣٠٣هـ (والمتوفى عام ١٣٦٤هـ) والعلامة الصوفي الكبير السيد المكي بن محمد المتوفى يوم الاحد ١٠ رمضان عام ١٣٤٦هـ واولادهم مازالوا الى الان على طريقتهم المثلى ، ومكتبتهم من أعظم الخزائن العلمية السوسية ، وقد خالطتهم في بلادهم وغيرها ودخلت كل بلد منها مرارا ، وعرفت الجميع معرفة (الجيد والعينانا) (١)

ملاحظة

من أعتبر بعين البصيرة أهل وادي (ايسي) كلهم ، وجد أخلاقهم متقاربة في الفطنة والذكاء والدهاء والكرم والتيه والتكبر والتجبر ، أذ لابد لكل من له مكانةفيهم من القوة أن يسطو بغيره ، ممن يخالف هواه ، ولذا كان الشقاق

١) ذلك اقتباس من البيت المعروف في شواهد الالفية

أعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا

يكثر دائما بينهم ، ولايخلو زمان من الازمنة الا وهم فيه في مرج وحيص وبيص من قتل وسبي وتخريب واجلاء ، حتى اننا شاهدنا بأنفسنا من سخط منهم على زوجته ، فعمد الى أنفها فقطعه وشوه صورتها ، ثم طلقها غيرة أن تتزوج غيره ، وقد فعل ذلك رئيس (بني منصور) هـو بن الحاج من بني على التاهساوتي بامرأته ، مع كثرة أولادها معه ، وفعله ابن الاشقر الكادورتي أيضا برجل من ضعفاء البلد لامر ما ، وكانوا هم أيضا ممن يجنحون لاهل الثروة اكثرمن غيرهم ، فلا ينقادون للعلماء ، شأنغيرهم من القبائل،الاللاغنياء منهم والدجاجلة • واكثرهم من حملة القرءان يشارطون في المساجد ، لضيق بلادهم عن الفلاحة ، الى ان استفحل أمر التجارة في المدن المغربية في هذا القرن الرابع عشر ، فتسارعوا اليها وأضربوا عن الاشتغال بالقرءان والعلم وتسابقوا الى فاس ومراكش وغيرهما ، فحصلوا الدراهم ، وصارت الارض عندهم في البيع مثل التبر ، وقد شاهدت فيها في مواضع كثيرة (لوحا) واحدا من الارض لم يكن فيه اكثر من خمسين شبرا بيع بالف ريال حسني أي مايعادل آلافا من الفرنكات فصاعدا (١) وقس على ذلك مواضع قلة الارض مثل وادي (أملن)

واما خرجنا من (عنق الرمال) هبطنا مع الوادي ، وسلكنا قرية (شفا المنكب) و (تلعة ايسي) وتجولنا ، فوجدنا العين التي سلكتها الطريق تموج بالماء والنساء صادرات واردات للاستقاء منها ، مع أنواع الحلي والحلل • والميس والزهو والتبكير والتبختر في الجميع والتشدق في الكلام ، والتنطع والدلال والغنج ، وأنواع المباهاة والحبور (٢) فما شئت منذلك كله او اكثر فخذه ، ثم خرجنا لفحص (ذات الريح) في أزغار (تيواضو) وهي أرض سهلة ذات أحجار وحجارة (٣) متسعة مكتنفة بالجبلين العظيمين القبلي والجوفي وهو في المساحة مقدار ستة كيلومترات الى أن وصلنا قرية (ذات الريح) (تيواضو) المذكورة ، وهي قرية ذات سور حصين وأبراج ، وهي ملتفة الاشجار نخيلا ولوزا وزيتونا وكروما وغير ذلك ، وهي بشاطىء الوادي والجبل ، ويفصل الوادي بينها وبين (تيمكيدشت) واشتركتا في السواقي والعيون ، وسائر المنافع ، حتى كأنهما قرية واحدة وأهلها أهل سكينة ودعة ينقادون لرؤسائهم ، وهم لهذا العهد ابناء صالح ، وأبناء هدى ، وتقام فيها الجمعة • وأخلاقهم منافية لاخلاق أهل (ايسي) لانهم اشحة على الخيرونساؤهم

---

١) استغرب الكاتب ذلك بالنسبة للوقت الذي كتب فيه ماكتب وهو أواخر العقد السادس من هذا القرن ونحن الان فيأواخرعقده الثامن ولو رأى الان لزاد استغرابه ثم ان ماعبر به المترجم اهل ايسي هو في عهدته

٢) يطلق الحبور عند الشلحيين على الغنج احابورن

٣) كذا

اجود من رجالهم ، واهم مكر ودهاء وخور ، لكون العدو أحاط بهم من كل جهةوحاميتهم ايت (كادورت) لانهم من جنس (تاحوكات) وقد طرقتهم قبيلة (أمانوز)الجزواية مرارا بالهدم والاهانة ، الى أن استكانوا وخضعواالطاعتهم شأن غيرهم من بلاد (ايسى) وفيهم حلم وصبر لمن جاورهم ، لاسيما لطلبة مدرسة (تيمكيدشت) وربما يجلبونهم فى بيوتهم أوبساتينهم وأجنتهم آخذين منها مايشاءون وما يستطيبون ، فلا يحركون لهم ساكنا ، بل يقولون لهم مرحبا مرحبا بتذلل وخضوع ، بخلاف غيرهم ، وهم أهل لهو وهوى ولعب ليلا ونهارا ، رجالهم ونساؤهم فى ذلك سواء ، يخرجون لوسط القرية كل ليلة ، فيلعبون مناوبة • فاذا أضافوا ضيفا عزيزا عندهم أكرموه بالامر للنساء باللعب بالرقص والتصفيق والغناء وأنواع الدفوف ، واخراج البارود عند ذلك كله ، ويختلط الرجال بالنساء من غير عيب عندهم ، وربما يلفى فيهم طلبة علم ، يخالطونهم من غير حياء ولاتستر ، فتراهم يلعبون ويغنون بسكينة ووقار ، فلاتسمع الاهمسا • وترى الرجل وزوجته وأولاده الكبار ذكورا واناثا هناك مختلطين متضاحكين ، ينادى بعضهم بعضا كأنهم فى أعز بيوتهم ، وربما يرى الرجل بنته العذراء البكر تناغى الاجنبى وتساره (١) وهو لذلك مرتاح نشيط ، وهكذا حالة (ايسى) كلها و (أكنان) وبلاد أملن وما والاهم من القبائل ، وقد ضاهوا فى ذلك أهل القبلة مثل (تامانارت)وبلاد أقة و (اكفى) و (الفجة الخضراء) و (أيت وابلى) و (تيزونين) و (تامزرار) الى بلاد (الويدان) الى بلاد وادى الجبل من سائر بلاد الجريد ذات النخيل لاسيما أمكنة الحراطين (٢)

وصولنا لزاوية (تيمكيدشت)

ولما دخلناها تقدمنا اولا الى روضة الشيخ السيد أحمد بن محمد ، وكانت قبة واسعة عالية رحبة الاكناف مربعة الجوانب ، مزوقة بأنواع الزليج والمرمر ، على الشكل الاندلسى ، لان البنائين الذين أسسوها وردوا من قبل السلطان المولى محمدبن عبد الرحمان العاوى لما له من علاقة ومحبة معولد صاحب الروضة ، وهو الشيخ سيدى الحسن بن احمد ، البالغ مبلغافى الشهرة والمنزلة عند أصحاب الرئاسة سوسا وغربا ، وقد أنفق فيها السلطان على ماقيل ستة عشر الف ريال سكة زبيلية (٣) فجاءت فى

١) يعنى بالاجانب من ليسوا من محارمها الذين تحل لهم مخالطتها

٢) عهدة كل هذا على المترجم

٣) من السكك الشهيرة التى أدركنا الناس يتحدثون عنها وقلما ترى فى عصرنا سكة زابيل هذه وهى سكة اسبانية منسوبة الى لفظة ايزابيلا اسم احدى املكات اسبانية •

أحسن شكل وأنمقه وأروقه ، بحيث لم تكن لها فى أضرحة القطر السوسى ثانية ، الاماكان منقبة الولى سيدى أحمد بن موسى السملالى ، ثم استمرت هذه القبة فى حسنها وتنميقها الى ان أصابتها عين الكمال عام ١٣٢٦هـ فتهدمت منها القبة العالية وسقطت ، لثقلها على الاخشاب الحاملة لها ولغيرها وسبب هدمها وخرابها زيادة على ماذكرنا ، وخراب اكثر ديار السوس الى مراكش الامطار المسترسلة المشوبة بالارياح العاصفة تسلطت على الدنيامن ابتداء ذى الحجة الى عاشرها يوم النحر ، فابتدأ الخراب ليلته واسترسل سبعة أيام متوالية ، حتى لم تبق دار ولاغيرها ولو أسست بالحجارة والجير والجص وغير ذلك الا انهارت وتهدمت ، وصارمن عنده من الاغنياء كثرة الفرش من أحمال الشعر والحنابل والزرابى والقطائف وازنابيل والحصر وغيرها يخرجها ويلفها على الحيطان لوقايتها ، فلم تغن شيئا ، وتهدمت الديار وصارت أمتعة الناس فى البراح تنهمر عليها الامطار أياما ، وهم يتضرعون الى الله فى المساجد وبيوتهم ، أن يرفع عنهم ذلك الطوفان الجارف مثل السيل العرم (١) فلما انقشع سحاب تلك المصيبة العظمى ورجعت الى الناس افئدتهم رجعوا الى اصلاح البناءات المنهارة ، وطلبوا البنائين من كل جهة بالمزاحمة والمنازعة ، فمن يومئذ ابتدأ غلاؤهم فصاروا يعملون بريال حسنى ونصف ثم بريالين ونصف أى مايعادل مائة فرنك فى اليوم الواحد ، ثم تفاقم أمره فصار يزداد فى كل شهر غلاء وطلوعا بكثرة انتشار الناس فى المدن وتجارتهم وخروج أنواع الاجناس النصرانية والافرنجية الى المغرب ، بعد الاحتلال الفرنسى الواقع مبدؤه عام ١٣٢٤هـ قبل أيام السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن ، وصار أهل الاودية مثل (ايسى) و (أملن) يتنافسون فى البنيان والدوائر (٢) والقصور وغيرذلك ، حتى صار العارف بالبناء عندهم اعزمن العالم ثم تفاحش أمره فى المدن مثل الدار البيضاء ، حتى وصل فى سنة ١٣٣٠ الى سنة ١٣٤٠هـ الى أكثر من مائة فرنك فى اليوم وهو أمر لم يعهد مثله ، وكان فى الاعوام الماضية قبل الاحتلال ارخص شىء ، اذكان بنصف فرنك فى اليوم أو بقرش ، وقد استخدمت أنا نفسى بعض البنائين بهذا المبلغ غير مامرة

وقد اخبرنا من أدركناه ممن أدرك أهل الوباء الواقع عام ١٢١٤هـ أيام السلطان المولى سليمان بن محمد أن أهل سوس فى ذلك العهد وقبله لايبنون بالاجارة ، ولايعرفون ذلك ، الامن كان فقيرا جدا ، فانه يحترف به . ولكن من أراد البناء يجمع جماعة من البنائين على أشغاله ويسمونه تيويزى (التعاون)

---

١) وجدت بخط المترجم ما يشبه هذا وهو فى الاربعاء ٢٨ شوال ١٣٥٧هـ ابتدأت الخراب من كثرة الامطار حتى انقطعت السبل شهرا

٢) يعنى السلاهم من الملف

ويبنون له حتى يفرغ ويمونهم غداء وعشاء وعكبية (١) فقط ، بالعصيدة أو الكسكس أو الخبز بالادام ، الى هذا العهد القريب ، فجعلوا يبنون بالاجرة التافهة (٢) الى أن كان عصرنا هذا فى أول هذه المائة الرابعة عشرة ثم تفاقم الامر على نحو ماذكرنا ، وصار الناس يبنون بما ذكر انفا وزيادة المئونة أربع مرات فى اليوم ، وهى الفطور على مائدة مشتملة على خبز وخمسة أنواع الادام سمن وزيت هرجان وعسل ومطحون لوز (أملو) وطاجن لحم مطبوخ طبخا جيدا ، ثم فى الساعة الحادية عشرة يوضع لهم الغداء وهو الدشيش باللحم والبيض والسدن ، ثم بعد صلاة الظهر يقدم لهم ماتقدم فى الفطور ، ثم فى العشاء يقدم لهم مثل ماتقدم فى الغداء ، مع عمل الاتاى فى الكل وغيره من الفواكه ، فانظر قيمة هذه النفقة فى هذا الغلاء الذى يباع فيه الشعير بفرنك ١٠٥ للصاع والسكر بـ ٧٠ فرنكا للكيلو ، والزيت والسمن والعسل بـ ٧٠ فرنكا ، تجد قيمة مواد يوم للبناء الواحد ١٠٠ فرنك بله اكثر من البناء الواحد فماظنك بماكثر من الاجارة ، أمر لم يعهد مثله فيما سمعنا ، وذلك كله فى حدود الثلاثين ، الى حدود الخمسين فى المائة الرابعة عشرة ، ثم زاد الامر وصار الناس يغبط بعضهم بعضا فى ذلك ، بحيث ان من لم يشتغل بالبناء للدار يعد عندهم صعلوكا فقيرا ، ولايملك نقيرا ، وانهمك الناس فى كسر الصخور للبناء بها ، حتى صارت الجبال الصغيرة دكا دكا ، الى أن وقع الاحتلال فى جبال جزولة عام ١٣٥٢هـ واحتلت بلاد (أملن) و (أمانوز) وماحولها ، وخيمت قواته فى (اربعاء تافراوت) فكان من قدر الله أن سلطهم على كسر صخور الروابى والتلول لبناء الادارات ، فكسر كل مابقى هناك ، وكذلك بنيت جميع ادارات القطر السوسى ، فجاء جزاؤهم من جنس عملهم ، ولله فى خلقه شئون :

واعلم علم اليوم والامس قبله　　ولكننى عن علم ما فى غد عم

وأقامت قبة (تيمكيدشت) كذلك زمانا يقرب من ٢٠ سنة على هذه الحال وراودت القبائل ذات الاعتقاد فيها السيد الهاشم بن الحنفى ، رئيس الزاوية وحفيد السيد فى بنائها ، فامتنع من ذلك الى ان هلك نحو عام ١٣٤٥هـ ثم لما توفى وتولى أمرها ولده محمد بن الهاشم جمع لها البنائين فى عام ١٣٤٦هـ فبناها .

---

١) أراد بالعكبية بضم العين وكاف معقودة ما يوكل بين الغداء والعشاء واسمه العربى الهجورى بفتح الهاء

٢) أقول أدركت فى الغ أن الحصاد والسقى انما يكونان بالتعاون لا بالاجرة وانما على المعمول له ان يقوم بالمئونة المناسبة لبساطة طبيعة البلد ثم تغير ذلك حتى لا يجد الانسان اليوم من يعينه الا باجرة يومية بنحو ٣٠٠ فرنك ، ونحن فى ١٣٧٨ هـ

ولما فرغت من زيارة ضريح السيد أحمد بن محمد المذكور خرجت منه معرجا على والده السيد محمد بن ابراهيم ، وهو على شفا زقاق المدرسة ، مما يلي الايسر ، ودعوت له ، وتقدمت لجهة المسجد والصومعة ، فشخصت بصرى فى ارتفاع الصومعة وعلوها ، وهى مسدودة مغلقة ، لا يؤذن فيها لاحد حتى للمؤذن ، وذلك لامر صاحب الزاوية السيد الهاشم بن الحنفى المذكور ، ثم سألت عن الفقيه مقرىء الزاوية السيد محمد بن الحاج الطيب التونينى المانوزى (وقد سبقت ترجمته) ، ليقف معى واسطة فى الابتداء عند الفقيه ، وتسلم مفتاح بيت ، فرحب غاية ، وأعلم صاحب الزاوية ففرح أيضا ، وعين لى بيتا نفيسا تحت القبة ، وله فرجة ، وهو أمام القبر الخارج فى حائط القبة فى الحومة الضيقة الذاهبة أزاء القبة ، وأخذته ، وجاء جزاه الله خيرا بالبسط والفرش والكتب والمئونة ، وكان صاحب الزاوية المذكور لا يخرج من داره ، ولا يراه أحد من زائره أو غيره ، الا الخواص من أصحابه ومن الطلبة ، منهمكا فى اللعب بالدفوف والغناء والرقص مع جماعة من الرجال والنساء ليلا ونهارا ، فلاتسمع الا الطبول والصياح فى جميع الاوقات ، فما اجتمعت به الا بعدحين ، فابتدأت بالقراءة ب(تيمكيديشت) فى رابع المحرم (١) عام ١٩٢٩ هـ ، والمدرس فيها الشيخ العالم العلامة الصوفى الربانى سيدى ناصر بن الحاج عبد الكريم التونينى المانوزى ابن المقدم المذكور (وقد تقدمت ترجمته واسم أبيه) وكنت قد اجتمعت به اول يوم فرحب وفرح كما هى عادته مع أهل العلم

ولما ابتدأت بـ (تيمكيدشت) راودت المدرس سيدى ناصر بن الحاج عبد الكريم المانوزى على افتتاح جمع الجوامع مع التلخيص فى البيان والمعانى والبديع ، وافتتاح مؤلفات علم الكلام والمنطق مثل السلم وغيره والتفسير (٢) فأبى ، وقال لابد لى من اذن صاحب الزاوية ، وهو السيد الهاشم بن الحنفى المذكور ، معتقدا بأن جميع الفنون لاتتعاطى الا بأذنه وأمره ، فكاتبت السيد الهاشم فىذلك ، فوعدنى بعد حين ، بعد أن تقدم الى بتدريس الشيخ خليل وابن عاصم والزقاقية والرسالة والخلاصة لابن مالك وغير ذلك ، نائبا عن المدرس سيدى ناصر المانوزى المذكور ، فساعدته وأقمت ستة أشهر فى التدريس من غير انجاز وعده فى مطلوبى ، وتكررت المكاتبة بيننا تارة بلطف وتارة بعنف ، وتقدمت اذا لم يساعدنى على مرادى أن يساعدنى على الرحيل الى مدارس أخرى ، لما علمت من أنه محب لاقامتى هو وجميع الطلبة ، ثم

---

١) وقد تقدم الكلام حول وقت ابتدائه هنا وانه فى رجب لا المحرم

٢) قد تقدم أن المترجم اخذ هذه العلوم عن ابن عابو الذى ذكر انهأتقنها ولعله انما يريد التبرك باعادة اخذها هنا والا فانه لحذقه قد يكتفى بمرة فضلا عن مرار وقد وصف نفسه بالتحصيل

أمر السيد ناصر بافتتاح مصنفي التلخيص والسلم ، فختمناهما في أقل من ثلاثة أشهر ، كل ذلكوأنا جاد مجتهد في ماموريتي من تدريس الفنون المتقدمة وزيادة فنون اخرى ، الى أن أظلم الجو بيني وبين الحسدة من الطلبة لامور كثيرة سببتها المنافسة والمعاصرة ، التي تمنع المناصرة ، فيأمور يطول شرحها وأسباب يطول ذكرها ، ولابأس أننلم بشيء منها بتقديم مقدمة على ذلك . لتكون كبراعة الاستهلال في الدلالة على المقصود

فنقول لما توفي صاحب الزاوية وشيخها وامامها الشيخ الحسن بن أحمد بن محمد عام ١٢٩٧هـ ولم يعقب سوى بنت توفيت صغيرة ، وترك اولاد أخيه سيدي المدني وسيدي الحنفي وسيدي الهاشم والمكي وغيرهم ، وترك معهم أخته لالة خديجة بنت أحمد المتوفاة عام ١٣٢٤هـ تنافس هؤلاء الاحفادامر الزاوية مع بنت الشيخ دنية المذكورة ، وكانت مسموعة الكلمة لان الناس يلتفتون اليها بعين الاعظام والاكبار ، مراعاة لوالدها وأخيها الشيخ الحسن ابن أحمد ، فكان الزوار يردون ليلا ونهارا بأنواع الهدايا ، فلا تسمح لابناء اخوتها الا بما تريد ، فتعطي من تشاء وتحرم من تشاء ، فحازت لهـذاأمر الزاوية ، وصار على يدها أمر الطلبة والمدرسين ، وهي قائمة بمئونة الجميع لمالها من الثروة والجاه ، الىأن قام أولاد أخيها سيدي الحنفي دونها لما نبغ فيهم الفقيهالسيد الهاشمبنالحنفي وأخوهالسيدالحسن بنالحنفي بحجةانهمامن أهلالعلم ، وأنهما أحق بها وأهلها ، وأن أمرالزاوية لايتولاه الا العلماءوورثتهم في العلم ، لا الجهال من الرجال والنساء ، وكان هذا أيضا منتهى هوى الطلبة وذوي الرأي والعقل ، فثار الجمهور على لالة خديجة ومن نحا نحوها منابن أخيها السيد المحفوظ الذي ليس بعالم ، ومالوا الى أولاد السيد الحنفي وهو الفقيه السيد الهاشم ، فألقوا اليه زمام الزاوية ورضوا بمئونته وأوامره ، وكانوا تحت طوعه في أمره ونهيه ، وأعانهم على ذلك أخوته الاشقاء وأكبرهم احمد بن الحنفي ، والعربي ، وهو أصغرهم سنا ، واكثرهم جسارة . والسيد المدني وهو الخليفة عن أبيه السيد الحنفي ، فقام السيد الهاشم بأمـور تلك الزاوية من عام ١٣١٢هـ الى ان توفي عام ١٣٤٥هـ مع منازعات وقعت بينهوبين لالة خديجة التي كانت تبعث بالمئونة للطلبة فكانوا يتركونها للكلاب وياكلون مئونة السيد الهاشم مع قلتها وخشونتها رغبة فيه واستنكافا من استحواذ المرأة علىأمورهم ، ووقعت أمور أدت الى حروب بينها وبين أولاد أخيها الى ان توفيت في السنة المذكورة ، فتنازع في تركتها ، وهي شيء يجل عن الحصر ، وارثوها وهم ابن اخيها السيد المحفوظ وأبناء ابن أخيها يتقدمهم أصغرهم العربي بنالحنفي ، فادعى أولاد السيد الحنفي ان أموال الزاوية لاتورث ، وأنما هي لمن تولى أمر الزاوية ، فتفرقت عليهم قبيلة (أمانوز) فرقتين فرقة مع أبناء السيد الحنفي ، وفرقة مع سيدي المحفوظ ، فوقع القتال في الزاوية شهورا ، وكانت الغلبة للعربي بن الحنفي فاستصفى تلك الاموال ، غير أنـه

لم يعط للزاوية نقيرا ولاقطميرا ، بل اتخذ جماعة من صعاليك أهل (أمانوز) يضرب بهم من حاد عن رايه ، وصار عمه المحفوظ مهضوم الحق ، بذهاب ثروته وقتل ابنته في الحروب ، الى ان توفي أيضا عام ١٣٣٣هـ فتولى العربي جميع مابقي بيده ، وتزوج امرأته ، وحاز ابنته الباقية الى ان ماتتا مسمومتين عام ١٣٣٦هـ وكان أخوه الاكبر أحمد بن الحنفي المسيطر قبله على وادى (تيمكيدشت) قد توفي أيضا وترك زوجته زهور بنت أبي الحديد الصويرية وابنتيه معها فاطمة وفاضم ، فتزوج العربي المذكور بها ، واحتضن البنتين مع مالهما ، ولما صفا الجو للاخوة الاشقاء الاربعة أبناء السيد الحنفي وهم الهاشم والمدني والعربي والحسن ، وقعت المنافسة بينهم أيضا ، بأن طالبوا كبيرهم المدني بن الحنفي الخليفة عن أبيه زمانا طويلا بمالهم الذى حازه ، وكان فيما زعموا اكثر من ثلاثة ملايين ريالا سكة فرنسية وزبيلية وشيئا كثيرا من الذهب واللبان والفضة الغير المسكوكة ، وهرب لزاوية (اييغد) بـ (أمانوز) عند صهره السيد محمد بن علي بن الحاج الوجيه الشهير ، فنقل اليه امتعته وصناديقه المملوءة ذهبا وفضة ، وكان من ثقات أصحابي ، وقد رأيت هذه الصناديق في بيت صغير مقفل دائما في بعض الايام ، فبقي الثلاثة بـ (تيمكيدشت) متنافسين ، لاسيما العربي وصاحب الزاوية الهاشم بن الحنفي لان الاخير غلب بانتسابه للعلم وبالمدرسة ، فله بذلك قوة عظيمة ومهابة خارجية مع ماله من الدهاء والمكايد ، وعجائب الحيل في التمويهات ، والترهات التي لايطلع عليها غير خالقه ، فاستكان له الصغير العربي بن الحنفي ظاهرا

وأما الفقيه السيد الحسن بن الحنفي ثاني العالمين فانه نجا بنفسه ، وانفرد عزبا في دار هناك ، بناها أخوهم الهارب الى (أييغد) المدني بن الحنفي وتوطنها واتخذ طباخة ، وتخلى عن جميع أمور الزاوية ، تخوفا من غائلة صاحبها وكان يخالط طلبة المدرسة أحيانا وأحيانا فلا ، وكان فقيها مشاركا مشاركة حسنة ، لاسيما في الحساب والفرائض والتنجيم والتعاليم ، وعلم النار ، وربما يتعاطاه والجداول والاوفاق وغير ذلك ، الى أن كانت سنة ١٣٢١هـ

في هذه السنة ١٣٢١هـ انعزل صاحب الزاوية عن الناس جميعا ، لاسيما الطلبة في المأذنة اى الصومعة مع بعض أصحابه الفساق وأهل اللهو واللعب بالدفوف قد استخلصهم لنفسه ، ومكث فيها أزيد من أربع سنين ، ثم انتقل الى داره ، وهو على تلك الحال • وزيادة مخالطة النساء بأنواعهن ، زاعما – والزعم مطية الكذب – انه مجذوب لاحرج عليه ، فصار الطلبة يتقولون عليه أنواع الاقاويل ، وصاروا يقترحون عليه الخروج الى المدرسة لحضور التدريس وغيره ، فأبى ولج في لهوه مع قرنائه ، فلاتسمع ليلا ونهارا الاالضرب بالدفوف والرباب والموسيقى ، وأنواع زغاريد النساء الشواب المحصنات وغيرها يبعث اليهن في الانحاء القريبة والبعيدة فيلبين اجابته بارتياح لزعمهن انه ولي

أوغوث كما اعتقده سائر طلبة مدرسته ، فيقمن عنده أياما بل أشهر بل أعواما فيما رأينا وشاهدنا وأزواجهن فى كل ذلك مرتاحون راضون ، ويزورونهن عنده انشاء ، وان لم يشأ فلا ، معتقدين فى ذلك أن رضاالله فيرضا الشيخ

ثمافترق الطلبة عليه فرقتين ، فرقة مع الفقيه السيد الحسن أخيه ومع سيدى العربى المتحمل لمئونة الزاوية ، وفرقة مع المدرس السيد ناصر المانوزى المتعصب لصاحب الزاوية السيد الهاشم ، فوقع بين الفرقتين شر عظيم ، أدى الى المقاتلة والجروح فبعث اليهم صاحب الزاوية ووعدهم ومناهم حتىسكتوا واستكانوا على دخل ودغل ، الى ان وصل موسم المولود والعادةأن يحتفلالناس به هناك ، وذلك عام ١٣٢٨هـ فلما امتلا الموسم بأنـواع الناس الزائرين ، بعث الى الطلبة أن يخلوا المدرسة كلهم وأن يخرجوا منها أمتعتهم وأجلهم لذلك ثلاثة أيام ، ومن أقام بعدها فلا يلومن الانفسه سواء كانقريبا أوبعيدا ، سواء كان من جهته أومن المعادين له ، حتى المدرس سيدى ناصر وشيعته ، فاستعد الطلبة للرحيل وصاروا يخرجون أمتعتهـم الى السـوق ليبيعوها ، فباعوا الفراش وأنواع الكتب والدقيق والادام وغيرها ببخس من الاثمان ، فلماكان يوم السبت لم يبق فيالمدرسة أحد ، وتفرق الطلبة شذر مذر ، بعدتوسط كبراء القبائل ووجهائها فى العفو فابى الا تنحيتهم ، ثم بعد شهر صار يكاتب من أحب منهم أن يرجع ، فكان منهم من رجع ، ومنهم مـن امتنع الى ان رجع مقدار ثلاثين فقط ، والباقى لم يسمح له بالرجوع ، لاسيما القرباءفانهلميقبلهم ، ولميقبل الاالغرباء الاباعد ، مثلأهل (وزكينة)(ومتوكة) و(حاحة) و (سكتانة) وأهل (الويدان) (١) ثم نهى المدرس أن يقبل أحدا ممن جاء بعد الثلاثين ، فمضت سنة أو أكثر على هذه الحال ، الى عام ١٣٢٩هـ التى وردتفيها الى (تيمكيدشت) فلما وردت أشاع الطلبة وغيرهم أنه لايقبلنـي ليمينه الجهيد ، فقبلني وانفتحت بذلك ءامال كثير من المطرودين فجاءوا • فمنهم منأقام مقبولا ، ومنهم من منعه ، فلما أقمت ماأقمت كماتقدم ، وصرت مرعيالجانب ، معظما مبجلا من لدن صاحب الزاوية بما قمت به مـن أعباء التدريس ، ونشر العلم وبثه ، وانثال على الطلبة يتوسطون بى لدى صاحب الزاوية فكان يسرع الى مرضاتى فى قبول شفاعتى فلما رءانى اخوته سيدى الحسن بن الحنفى وأخوه سيدى العربى كذلك ، حركتهما الغيرة والمنافسة فاتخذا كل حيلة فى فصلى عن صاحب الزاوية وافساد عقلى ، فكنـت اذذاك ليس لىعلم بما جرى بينهم ، وما وقع من المنافسة والمنافرة ، فصار سيدى الحسن يردعلى كليوم الى بيتى ، يأكل معى ويذاكرنى ، ويستدعينى الـى

---

١) مراده بالويدان بلد (ايسافن) وذلك هو تعريبه الحرفـى والوادى لايجمع بالويدان وان اشتهر هذا الجمع وانما يجمع بأودية وأوداء

داره ، ويكرمني بأنواع الاطعمة والاشربة ، وذلك كله أمر تدبر بالليل ، الى أن آنساني وأنست بهما ، ثم صارا يلقيان على سبيل النصح والاستشارة فى جميع شئونهما الى أن تمكنا منى تمكنا بليغا ، فصار يلقيان الى مايجدان في صدورهما من أخيهما سيدى الهاشم مستكتمين ذلك كله ، فوقعت صبغة ذلك كله في قلبى •

ولما علم بذلك كله أهل المدرسة وغيرهم لما يرون من كثرة التردد الى بيوتهم والغشيان لمجالسهم ، وكثرة انعامهم على بأنواع البرور ، والتزلف الى ، دسوا الى بعض من له معى الفة وصحبة من تلاميذى ، فاستدعانى الى بيته فجرت المذاكرة فى ذلك كله ، فلما انس الايناس منى ، وقبول التلقى، صدمنى بما عنده صادعا بذات صدره وصدور أهل المدرسة ، وشيعة سيدى الهاشم قائلا أرى أن تفارق ذلك الرهط ، من أخوة صاحب الزاوية وشيعتهم ، فانهم دسيسة وحيلة لوقوع الشنئان بينك وبين سيدى الهاشم وليس لهم فى اكرامك نية صحيحة ، ولامحبة أكيدة ، لما هو معلوم من حالهم ، من أن كل من كان من أوتاد هذه الزاوية بكثرة المنفعة والمصلحة لابد أن يدسوا لتقويضه وسعى الفساد بينه وبين أهل الزاوية ، فلما سمعت منه ما سمعت سكت عنه ، وربما خاطبته بما يناسب المقام ، الى أن تفارقنا بسلام ، فلما علم ذلك الرهط من الاخوة بذلك بوسائط المرجفين ، رجعوا الى بالملام ، فى قبول أقوال مثل هذه ، وزادوا فى التقرب الى والتزلف والانحياش ، أكثر مما كانوا عليه من قبل ، الى أن أسود الجو ، وأظلم مابينى وبين اهل المدرسة ، وراجت بيننا أقاويل ومكاتبات ومعاتبات أدت الى مباغضات (١) وأما صاحب الزاوية سيدى الهاشم فهو فى حيز السكوت ، ولم يبدها لاحد من الفريقين ، بل ربما يرجح كفتى على كفة غيرى ، تحلما منه أومكيدة ، ولما رأيت الحال ،وتفطنت للمئال قطعت التدريس • وانقطعت عنه وعن مجالس الطلبة ، وراودونى على مواصلة العمل ، فامتنعت فكان ذلك منية لاعداء الزاوية ، وفيه لى مصلحة لاتخفى من بعد ذلك ، فما كان غير قليل حتى بعثت الى صاحب الزاوية أن يأذن لى فى الانصراف ، ومبارحة زاويته ، معتذرا له بأمور ، منها أننى قد عزمت على السفر للطلب بفاس أو مصر أوغيرهما من بلاد الله ، ومنها أن الوالدة قد نهتنى عن المقام بهذه الزاوية طرفة عين ، ومنها أننى بالمقام فيها يتفاقم الامر ويتسع الخرق على الراقع ، فقال أقم حتى أستخير الله لك ولنا ، فأقمت نحو ثلاث ، فبعث الى الشيخ سيدى ناصر المانوزى المدرس ، فقال لى ان صاحب الزاوية يأمرك بالمقام ، قائلا لك ان أمرك لايستقيم فى غير زاويتنا ، فان أردت الاجرة على التدريس أعطيناك مع زيادة التزويج باحدى بناتى ، والاتحاف بكل ماتحتاج اليه ، من عبد وأمة ودار وغير ذلك ، فلما سمعت منه ذلك أنفت

١) بل الى اضرب فيما شاع على الالسنة

منه أن يراودني بمثل هذا ، فما زادني الا نفورا لما في نفسي من همة عاليةفي التوقان الى الطلب ، وشهامة في التنافس في الامور الغالية وفي أعمال السبب الى المراتب العالية ، فأقمت نحو ستة من غير خروج الى التدريس ، الاماكان من الخواص الذين بيني وبينهم مودة متينة ، ولهم في القلب مكانة مكينة ، فانهم ياتونني فيجميع الاوقات لقراءة الشيخ خليل وابن عاصم وابن عاشر والزقاقية والفرائض والحساب والتفسير وجمع الجوامع والتلخيص ومقامات الحريري وغيرها مما يهمهم ، مابين العشرين الى الثلاثين طالبا ، وربما يخالطهم من ليس على شاكلتي ممن قصده الاستفادة او التجسس

وفي أثناء كلهذا يتردد الى المخالفون لهذه الزاوية من أصحابي ، مثل ذوي يزيد ، وأيت (تحت الحصن) الالفيين ، والكرسيفيين ، وغيرهم • والكل يندبني للخروج منها الى غيرها من بلاد الله ، ففي بعض الايام زارنا صديقنا الفقيه العلامة الاديب سيدي أحمد ابنالحاج محمد بنبلقاسم اليزيدي (المتوفى فيربيع الاول عام ١٣٦٤هـ) وتذاكرنا الامر ، فعنفني وعاتبني على الاقامة على المذلة والهوان ، منشدا قول الشاعر في مثل

ولا يقيم على ضيم يراد به ... الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحد

فصادف مني في انشاد هذين البيتين أذنا واعية ، وأثار في القلب الى الارتحال فيها داعية ، وهو حينئذ يشتغل في الطلب بمدرسة (ابي مروان) بسملالة على شيخنا علامة العصر سيدي الطاهر بن محمد الافراني الشهير ، فلما رأى منيلوائح الاستجابة والقبول أشار على بكيفية تحويل أمتعة البيت والحيلة في ذلك ، ففعلت ، وأخذت المفتاح وسلمته لطالب من وادي سوس بـ(ايرازان) من أصدقائي ، ممن يقرأ على ويباشر أموري ، وواعدته الرجوع بعد حين ، ثم سافرت الى(أبي مروان) بسملالة ، ولما وصلته وجدته في انتظاري ، وقدفرح بي وفرح جميع الطلبة • واستدعاني الفقيه الاستاذ سيدي الطاهر في الحال ، وسألني عن أحوالي ومرادي ، فاعربت له عن تفاصيله وسألني عن أحوال (تيمكيدشت) وصاحبها سيدي الهاشم بن الحنفي وعما يتعاطاه من اللهو والهوى والضرب بالدفوف والجمع بين الرجال والنساء ، بمجلسه وغير ذلك ، فأجبته معتذرا عنتلك الاحوال بأمور من جانبالشريعة واهية ،قائلاالهانأهل السماع فيالصوفية كثيرون،فقالنعم والجمعبين الرجال والنساء؟ثمقالياسيدي انما نحكمبالظاهروالله يتولىالسرائر ، ثمأفضنافيالمذاكرة فيالادب وغيره ، وهكذا سائر هذه الايام ، ثم افتتحنا القراءة عليه بالمنهج وتكميله أياما بلا مواد علمية (١) عندي ، وقد كنت تركتها بـ (تيمكيدشت) ثم الجأتني الضرورة الى العودة والاتيان بها ، فاستأذنت سيدي الطاهر بن

١) يعنى بلا كتب للدراسة

محمد فأذن لي بعد أن حذرني من التخلف في (تيمكيدشت) اذا عزموا على في الاقامة ، فذهبت اليها ، ولما وصلت شاعت الاخبار في الزاوية بأني عازم على التحول الى (بومروان) فأرسل الي صاحب الزاوية عازما على قهرمانه: الفقيه السيد محمد بن الحاج الطيب المانوزي ، اذكان من قبيلتي وحبيبي ومحب الطرفين ، فجعل يفتل لي في الذروة والغارب، قائلا انه ينكت في جلال زاويتنا ومهابتها أن تتحول لزاوية أخرى ، من غير عذر قوى ظاهر من اذن أو غيره ، لاسيما مثلك ممن يتعاطى التدريس فيها مدة عامين ، فذلك كله مما يخدش في وجهها ، على أنه لم يعوزك عندنا شيء من المئونة والاثاث والكتب ، وسنرشحك ان شاء الله لما هو أليق بمنصبك من المدارس الكبرى ، ذوات الزكوات والاعشار والطلبة ، الى غير ذلك مما أثقل به عقلي وسمعي ، فخجلت عند ذلك وخضعت لتملقه في المواعدة والمطمعة ، وخرجت من عنده الى بيتي في المدرسة ولسان حالي ينشد :

تكاثرت الظباء على خداش   فما يدرى خداش مايصيد

فتذكرت قول الشيخ سيدي الطاهر بن محمد ، وتحذيره لي وحاله المنشد:

امرتهم أمرى بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

ثم رجعت الى موضعي أولا من التدريس ، جادا ومجتهدا ، دؤوبا على الاقراء ليلا ونهارا فأقمت بعد ذلك ثلاث سنين درسنا فيها البخاري ثلاث مرات ، وابن أبي جمرة والتفسير مرة ، وجمع الجوامع والتلخيص ومنظومة الاخضري والسلم مرارا ، والمقنع كذلك ، والفرائض والحساب والشيخ خليلا مرة واحدة ، والعاصمية كذلك ، ولامية الزقاق والفروق للقرافي والرسالة لابن أبي زيد والمقامات للحريري ، والالفية لابن مالك ، ولامية الافعال مرارا والفية العراقي مرة ، ودالية اليوسي مرة ، ولامية ابن الوردي والشنفري ، ومقصورة ابن دريد ، وروضة الازهار بالبعقيلي ورسالة الماريدني والكامل للمبرد مرات ، والقوانين لابن جزى ، وابن عاشر مرتين والسنوسية مرارا ومطالعات كتب التواريخ، وأيام العرب، والعروض. والخزرجية. والحمدونية والدمنهورية .

فلما كانت سنة ١٣٣٤هـ في شعبان منها ، قدم وفد من أعيان (ايدوسكا) بهيلانة برئاسة شيخهم عمر بن علي البيهاميدني الدوسكويي الى زيارة (تيمكيدشت) ويقصد الاتيان بالمدرس الى زاويتهم مدرسة سيدي عبدالله بن يبورك من (توملين) بانتخاب صاحب الزاوية ، فانتخبت من بين طلبة المدرسة بحضور جم غفير من علمائها ، فأوجبوا على الذهاب مع الوفد، للتدريس في الزاوية المذكورة ، بمرتب سنوى له بال سياتي ذكره

ذكر بعض الاحداث الواقعة خلال هذه السنين

في رجب عام ١٣٣٠هـ الموافق ابريل سنة ١٩١٤م اجتمع علماء القطر

السوسى قاطبة بمدينة (تيزنيت) على نصب أمير يراس الناس لتدبير امــور الجهاد ، لما انتشر أمر الحماية الفرنسية على المغرب بامر (١) سلطانه الحالى اذذاك المولى عبدالحفيظ ابن المولى الحسن ساخطين عليه وعلى الحــمــايــة، فأجمعوا على مبايعة علامة زمانه الشيخ أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينيــن ألقلقمى الصحراوى بعد مراجعات بينهم ، وكان اذذاك مستوطنا لتزنيت بعد وفاة أبيه فيها ، فبايعوه وأمروا القبائل بالاجتماع عليه فجاءوا اليه مهرعين ومن كل حدب ينسلون ، من (السودان) الى (شنكيط) الى (تافيــلالــت) الى (درعة) الى (مراكش) ولم يتوقف أحد عن مبايعته ، واتته رسائل المبايعة من المدن المغربية ، ولما تم له الامر فى بلاد السوس ، خرج من قرية (٢) تيزنيت يجر الحجر والمدر ، فى أناس لايحصيهم غير خالقهم ، وأعانه على ذلك خصب العام ، وكثرة الخيرات فيه ، فوصل لتارودانت (٣) فبايعه قائدها احمدالكابا المقتول مذبوحا بعد ذلك فى محل معلوم من قبيلة (اداوزال) وأولاد أيت ابن عيسى ، من رؤساء قبيلة اولاد يحيا ، وقائد هذه القبيلة ناصر بن الحاج على، ورؤساء (تيبيوت) (٤) والقائد العربى الضرضورى الاولوزى وجاء جميع قواد سوس وكبيرهم القائد حيدة بن مايس المنابهى ، والقائد على بن مالك ، وقواد (هوارة) و (هيلالة) ــ ايلالن ــ و (سكتانة) و (هشتوكة) فلما اجتمع له هــذا العدد العديد جندهم واستخلف عليهم أخاه الشيخ مربيه ربه ، وكان جليلا سائسا حاذقا ، صارما لوساعدته الاقدار ، وخرج بهذا الجيش العظيم دون نظام ، ولاتعبئة حسنة ، الا فى الاجتماع الظاهرى ، وسلك بالناس طريــق (المنيزلة) بعد مراجعات وقعت بينه وبين الباشا الاعظم السيد عبدالملك المتوكى الذى كان يحكم مابين (ردانة) الى مراكش ، وكان قد لاطفه ان يسلك بالجيش طريق اكادير الى (حاحة) الى (الشياظمة) و (الصويرة) فـ (دكالة) ف(مراكش) ويدخلها من هذه الوجهة ويتقوى بهدايا قبائلها وزكواتهم وأعشارهم وينكب عن أرض متوكة (ومزوضة) ريثما يتقوى هو أيضا وقواد الحوز بما يقبضونه مــن الدولة الفرنسية من الاموال الباهظة من صناديــق السلاح وغيره مما تعطيهم اياه للدفاع عن (مراكش) وعنها فامتنع الخليفة أن يسلك بالجنود غير

---

١) ليست الحماية بأمره وانما اضطر الى الموافقة عليها

٢) هى مدينة مسورة لاقرية ، وهل يخفى القمر

٣) لم يدخل الهيبة تارودانت فى هذه المرة وانما دخلها أخوه مربيه ربــه وغانب هؤلاء القواد الكبار وردوا عليه فى (تيزنيت)

٤) لم يكن رؤساء تيبيوت سوى شيوخ تحت باشوية تارودانت ، وأول من تقيدمنهم السيد محمد بن ابراهيم بعد خلع الفرنسيين للحاج حماد بن حيدة ونفيه لمراكش فى نحو ١٣٤٦هـ

أرض (متوكة) لاختصارها وقرب مسافتها الى(مراكش) فاحتشد قواد الحوز بجنود جرارة (١) لمعارضته والدفاع عن أراضيهم ، فلما دنت منهم عساكر أهل السوس ، نكصوا وفشلوا كارهين لمقاتلة الامير مولاى أحمد الهيبة متعللين بخروجه للجهاد فى سبيل الله ، بل انضموا اليه وتركوا قواد الحوز اقفر من وتد بقاع

ولما وصل خليفته المذكور أرض (مزوضة) جاءه قوادها وقواد (حاحة) و (متوكة) بالهدايا العظيمة ، منهم القائد عمر المزوضي والقائد محمد النكنافى النفلوسى الحاحى الاتى ذكره بعد ان شاء الله ، والقائد عبدالرحمان الكيلولى (الحاحى) (٢) والقائد السيد الايكيدرى الايزاضنى الحاحى ، والقائد كورما وجميع قواد قبائل حاحة ممن لم تحضرنى أسماؤهم ، وأمر مناديه أن ينادى فى الاسواق بسقوط أحكام القواد عن الرعية ، وان يستوى الكبير فى ذلك والصغير ، والحر والعبد ، والذكر والانثى والرئيس والمرؤوس فى الاحكام الشرعية ، ونصب لذلك علماء سوس ، مثل الشيخ سيدى على بن عبد الله الالغى السوسى (٣) والشيخ الحاج عابد بن عبدالله بن عمر التيفيراسينى الوادريمى البوشوارى ، والشيخ السيد محمد (ضما) بن محمد (فتحا) بن عابو الولياضى الاداوعمدى الهشتوكى وغيرهم من علماء سوس والصحراء القائمين بدعوته ، حتى صار كبار القواد مثل المتوكى وغيره بين الرعية لايبالى بهم ولايوبه لهم ولايسلم عليهم لاحتقارهم ، ففسدت قلوب الرؤساء وصاروا تحت سلطة أهل العلم والدين الذين تولوا أمور الديانة والسياسة ، والكل فى خدمتهم ، وحقدوا عليهم ، ولما استكمل جنوده فى أرض (مزوضة) واستعرضها هناك ، وهى مثل الجراد المنتشر • قدم على الجميع اخاه المذكور (٤) وأمره بالمسير الى (وادى تانسيفت) خارج مراكش ، وتقدم الامير احمد هو بنفسه الى دخول مراكش ، وفى مقدمة جيشه القائد الاعظم السيدالطيب الكنتافى(٥)

---

١) ليس هناك الاشرذمة أمام مراكش انفضت ساعتها راجع ذلك فى (القسم الثالث) عند ذكر دخول الهيبة لمراكش

٢) الحاحيون لم يردوا على الهيبة الا قبل هروبه من مراكش بنحو يومين والذى لاقاه فى مزوضة بعض خلفاء القائد عبدالملك فيما سمعناه وهنا وفى بعض الاسماء والحوادث تخليط

٣) هذا بقى فى تيزنيت وسيدى الحاج عابد رجع من الطريق الى داره ، وأما أعبو فقد كان معه حتى انهزما من مراكش

٤) كان مربيه ربه سبقه من تيزنيت وقد تقدمه بايام الى مراكش ولم يره الا هناك

١) لم يغادر الكنتافى داره فى هذه الايام حتى مربه الهيبة منهزما وانما الذى كان كبير محلة الهيبة هو حيدة بن مايس

مع رعيته ، والقائد محمد النفلوسي والقائد الكيلولي مع رعية الكل من (حاحة) والقائد يرعى السباعي ، والقائد عمر المزوضي مع رعيتهما ، وهؤلاء كلهم اهل بساطه ، وخدمته بمحبة عظيمة خالصة ، لما بينهم وبين المتوكي والاكلاوي من المنافسة والعداوة ، ولما دنا من مراكش وهو يجر الشجر والمدر ، خرج الباشا الفقيه السيد المدني الاكلاوي وأخوه القائد التهامي والقائد العيادي الرحماني لمدافعته ، فلما تراءى الجمعان فشلت عساكرهم شأن غيرهم من غير طعن ولاضرب ، وانقلبوا من المدافعة الى المداهنة والمهاداة (١) ، فتلقوه بالهدايا بنحو عشرة كيلومترات من (مراكش) وقد قيل أن الاكلاوي اهدى اليهخمسين عبدا كل عبد بفرس ، وعلى رأس الجميع مائدةمملوءة بالنقود الذهبية والفضية وأن القائدين المتوكي والرحماني فعلا مثل ذلك (٢) وحملهم على اخراجالقباب المملوءة بالحرير والملف ، وأنواع السلاح المجيش ففعلوا ، وأمرهم بالمسير أمامه لـ (مراكش) فتقدموه في جيوش لايحصيها غير خالقها ، رافعين أعلامهم ولما وصلوا الى أبواب المدينة انحشر أيضا أهل المدينة اليهم رجالا ونساء بالبارود والزغاريد وأنواع الزينة والحبور ، وذهبوا به الى دار المخزن ، وفيها خليفة سلطان (٣) الوقت المولى عبد الحفيظ ، فأهدى ايناسبه ، وأقرهفي داره . ولم يتعرض لهبسوء . وذلك كله في نحو عاشر (٤) رمضان عام ١٣٣٠هـ ولماتمكن مندخول المدينة ندب رؤساء الجيش من القواد السوسيين والصحراويين لاخذ الابراج التي على الابواب ، والصوامع العالية ، مثل الكتبية المشرفة علىالمدينة وغيرها ، وأمر بفتح الابواب ليلا ونهارا ، زاعما أنعلى كل باب رصدا يدفع ، وروحانية تقمع ، وان المدافع والبارود والرصاص وغيرها من ءالات الكفاح في حقه لاتنفع ، بل اعتقد جمهور الخاصة والعامة الا قليلا (وقليل ماهم) ان المدافع تلهج بنصره ، وتقدس الله وتسبحه ، والاطيار كذلك ، وان البارود والرصاص لاتصيب أصحابه لبرودتها عنهم ، في مزاعم كثيرةمثل هذه ، ولذلك كان اكثر جبابرة القطر السوسي (وحاحة) و (الشياظمة) و (دكالة) و (عبدة) والحوز كله الى جهة (درعة) و (سجلماسة) خاضعين له ، متابعين من غير مدافعة بخيل ولارجل ، ولا فكروا في ذلك لذهاب عقولهم ، وطيرانها بهذه الخرافات المزعومة ، مع شدة شكيمتهم ،

---

١) لم يخرج هؤلاء لمدافعته بل لملاقاته الا ماكان من جند قليل ،كانيتهيأ للدفاع ثم اضمحل وذاب بل التحق بجيش الهيبة

٢) هذه خرافة وانما أهدوا الهدايا المعتادة من الخيل فرس من كل واحد او صرر من المال

٣) هو مولاي بوبكر ومن أراد تحقيق كل هذا فليراجع الجزء الذي خصصناه بالقائد الناجم والذي خصصناه لمثال ماء العينين

٤) بل في نحو الثالث من الشهر

وكثرة عددهم بل أشيع واذيع أن كل من لم يبايعه تتسلط عليه الاسود والذئاب والافاعى فتفرسه وتنهشه ، حتى ان قائد ماسة عبدالله بن بلقاسم تاخر عن مبايعته (١) ريثما يتهيأ له ، فأذيع انه أصيب بجيوش القمل والضفادع ، وأن مرابط (تيمكيدشت) السيد الهاشم بن الحنفى قد اختلس الجنون خزانته العلمية ، وأصيب بجنون ، وأن كل من سرق شيئا يصير مقعدا زمنا فى مكانه ، الى غير ذلك من الخرافات

وكذلك عم الامن والامان جميع البلاد فى تلك الاشهر الاربعة الاولى قبل انهزامه من مراكش ، فما ضاع فيها عقال بعير ، ولاظهر فيها سارق ولاخائن ولانصب فيها حارس على دار ولا على حانوت ولا على متاع أياكان ، فقالت الشعراء فى ذلك وأطنبت ، ومما زادهم اعتقادا هبوط الاسعار هبوطا لم يعهد مثله ، اذ يباع الشعير بنصف فرنك (نصف بسيطة اذذاك) للعبرة منه ، والقمح بفرنك واحد ، والكبش بالسوس بريال حسنى ، واللوز بقرش أى ربع فرنك لرطل الحلو منه ، وأما المر فلا يباع أصلا

وكنت اذذاك مترتبا للتدريس بزاوية (تيمكيدشت) فلما سمعت بقيامه بتيزنيت وامتلات الدنيا عياطا ومياطا ودعاوى لاتعد الا من الخرافات ، انحدرت منها الى قبيلة (تاهالا) واستملتهم لجمع هدية سنية ، وتعيين رؤسائهم الموفود فى صحبتى ، وكذلك فعلت بقبيلة (أمانوز) حتى جمعوا لى مالاباس به ، وعينوا معى مايزيدعلى مائتى خيل وبغل ، فاشترينا ما يناسبنا من الهدايا ، وذهبنا قاصدين حضرة تيزنيت ، وأنا رئيس الجميع فدخلناها ضحوة ، وعينت لنا من قبله دار واسعة وهى للنفلوسى الحاحى أيام ولايته لسوس عام ١٣١٩هـ وفيها من القباب والمصارى (٢) والمسارح مايتعجب منه ، ونفذ لنا مايكفينا فاكثر ، من لحم وسكر ودراهم بلا نظام فى ذلك كله ، بل يفيضون علينا ذلك بالتبذير ، كما يفعلون بالجميع ، فلما كانت الساعة الرابعة بعد العصر فى أيام حارة مصيفة ، خرج الينا الامير أحمد الهيبة على العادة ، الى قبته المضروبة له مع كتابه ووزرائه ، من أعظمهم حبيبنا العلامة السيد الحاج الحبيب الميلكى الهشتوكى ، والقائد سعيد بن أحمد الباعقيلى وغيرهما ، واجتمعنا به على هيأة حسنة ، وفرح بنا ورحب ، وضحك وهش وبش وتقبل الهدية . وقدمت اليه قصيدة طنانة كنت قدانشأتها فى طريقنا وقرئت بين يديه ، فاهتز لها ، وزاد فى الاكرام والاعظام ، وذهبنا الى خليفته

---

١) بل هو القائد محمد الاغبالويى لا القائد عبدالله الذى ماصار قائدا الا بعد هذا الحين

٢) جمع مصرية وهى الغرفة العليا من البيت فى اصطلاحنا

أخيه العلامة سيدى النعمان (١) وأخيهما الامير مربيه ربه المتولى من بعده فرحبا بنا أيضا ، ودار بيني وبينهم من سلاف كئوس الآداب مايصمي الالباب

وفي تلك الايام القصيرة اجتمعنا بكثير من علماء سوس ونواحيه ، و(الركيبات) و (درعة) و (سجلماسة) الى (شنكيط) فنفق سوق الادب ، وعادت عكاظه ، فلا تمر ساعة الا وترى اوتسمع قصيدة طنانة غريبة من أديب غريب ، وكثرت الغبطة في ذلك حتى قدم الى الامير احمد من القصائد مالوجمع لبلغ مجلدات كثيرة وصدرت منه أيضا هو واخوته أبناء الشيخ ماء العينين عدة قصائد ، هى سبب نفاق سوق الادب ، اذالناس على قدم اميرهم وسنعرض لايرادما عندنا من بعض تلك القصائد (٢) مما لم تعد عليه يد الدهر ، وأقمنا بقرية تيزنيت خمسة عشر يوما ، كلها غرر فى جبهة الدهر غير أن نظام الناس وسياستهم تحت زوايا الاهمال ، وكثيرا ما أعمل الفكر وأمعن النظر فى المستقبل ، اذا استرسل مثل هذا الاهمال ، متفرسا فيه عدم نجاح الاعمال اذ الفوضى لاتاتى بخير ، والناس فى هذه الايام فيما خيل لى كأنهم مجتمعون للعيد ، لاسيما وقد أسندت الامور الى غير أهلها من الطلبة والعلماء والصوفية ، الذين هم بمعزل عن أمور الرئاسة والسياسة ، وترى أهل الرئاسة من القواد العظام فى مذلة ومهانة وخضوع ، قد أدى بهم الحال الى أن يدوسهم أدنى رعاياهم بالالسن والاقدام

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

والامير أحمد الهيبة وأخوته ليس لهم الا الاسماء ، فلايامرون ولاينهون بل اشتغلوا بما تعودوه من قبل من الاشتغال بالعلوم ، وتعاطى الاداب نهارا وبالتجهد والعبادة ليلا ، واقتفى اثرهم من شاكلهم من العلماء الذين أخذوا بزمام الامور ، وأما العوام من ذوى الرئاسات والهيئات فقد انسلخوا من الامور كما تقدم ، خائفين من العلماء المذكورين ، لتنبيههم على عدم التدخل فى الامورالقليلة والجليلة ، بل انهم كالمساجين لايرفعون رأسا ، حتى اننى فى بعض الايام تكلمت فى شئونهم ، راغبا فى ارجاع عزهم ، واعمال افكارهم وسياستهم ، مستعينا فى ذلك ببعض العلماء من الاخوان ، فساعدتنا الاقدار

---

١) اشتهر بالنعمة وان كان شيخنا الاستاذ الافرانى سماه أيضابالنعمان فى قصيدة فصح له تضمين هذا البيت

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

٢) حقا ولكن الغالب فى ذلك من سقط المتاع ومما ليس له من الشعرالا الاعراب والتقفيه وعندنا غالب ماقيل هناك من السوسيين على الاقل الانحو عشرة أوعشرين — على الاكثر — فقط وقد ذكرنا كل ماعندنا فى ترجمة الهيبة فى (القسم الثالث)

ونودى بذلك ، فرجعت اليهم الحياة بعد الممات ، ومع ذلـك كله لم يعجبني النظام ، وتفرست فيه الفشل في المستقبل ، لاعراض الامر عن كل سياسة حتى تفرقت بين العلماء قددا وتشتتت بددا

وبعد عشرة أيام من مقامنا بعث الى الامير بواسطة صاحبى الوزير العلامة السيد الحاج الحبيب الهشتوكي والوزير سعيد بن أحمد ، ففاوضونى فى كيفية نظام قبائل الجبال والتولية عليها ، فقالوا رأينا ان نولى على كل قبيلة عالمامنها ، لنكون مستندين على الحق ، فقلت لهم الرأى بـل تتركون ذوى الرئاسات والبيوتات الكبار على ماهم عليه من قبل وتعـززونهم بالولايات وأما الطلبة فمنهم من لايصلح الا للاكل والشراب والعبادة ، بـل أكثرهـم بله مغفلون ، لاتقبل شهادتهم ، وان كانت ترجى بركتهم ، كما قال أيـوب السختيانى رضي‌الله عنه من أصحابى من أرجو بركته ، ولا أقبل شهادته وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يولى دهاة الصحابة مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبى سفيان وخالد بن الوليد (١) وأبـى عبيد الثقفى وغيرهم ، مع حضور كثير من الصحابة السابقين أهل بدر

فلما سمعوا منى ذلك استصوبوه ومالوا اليه ، لاسيما القائـد سعيد الباعقيلي الصدر الاعظم عنده ، فانه مال اليه اكثر من الفقيه الوزير السيد الحاج الحبيب الميلكي المذكور ، لان ذاك أمي ، وهذا من أهل العلم المتعصبين لجنسهم ، معأن فيه نباهة وافاقة ينظر بهما من ستر رقيق

ولما شاعت هذه الاخبار ولم تعجب الطلبة ولانشطت قلوبهم اليها ، تئامروا فيما بينهم على الاضراب عن هذه السياسة فاجتمعوا الى صاحبنا الشيخ المرابط العلامة السيد الحاج عابد بن عبدالله بنعمر التيفيراسينى الوادريمى البوشوارى الهشتوكى ، القائم الاول بالدعوة الماء العينية الكبير النفوذ فـى بسيط هشتوكة وجبالها ، ففاوضوه والقوا اليه ماسيجدونه من تولية رؤساء القبائل ، وتخوف اختلال الامور من بعد استقلالهم بها ، وانعادتهم وشنشنتهم الظلم والطغيان ، فمال الى قولهم او كاد • فاجتمع بنا فى جماعة ، منهم شيخنا العلامةالسيد محمد بن عابو الهشتوكى ، وشيخنا العلامة الرئيس المرابط السيد على بن عبدالله الالغى ، والعلامة الشيخ السيد المحفوظ الادوزى • وغيرهم ، ففاوضنا فيما ناله من شكاة الطلبة ، فوقفت أمامه مجابها دون حياء منى ، وانتهرت بعض الطلبة الذين معه بقولى الطلبة لايصلحون الا للعياط

---

١) ذكر خالد بن الوليد هنا انما هو جمع للنظراء على سبيل التمثيل والا فانالمعروف أنه لم يل شيئا من أمور المسلمين بعد وفاة ابى بكر رضى اللهعنه وكان عزله من أول الاعمال التى عملها عمر بـن الخطاب فى صدر ولايته وكذلك أبوعبيد فالذى استحضره الان أن الذى ولاه هـو أبوبكر لاعمر

وأكل الكنارية ـ آكناري (التين الشوكي) ـ والهمز واللمز حوالي المدارس ولايحسنون غير ذلك ، فليتركوا القوس لباريها وللرياسة أهل وأحكام تخصها لايعرفها غير اربابها الذين غذوا بلبانها ، والطلبة بمعزل عنها ، وأنشدتهم

وللتدابير فرسان اذا ركضوا فيها ابروا كما للحرب فرسان

وأعلمتهم بأن الامر اذا فوض اليهم يصير الى ماقاله الشاعر

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

وأنهم اذا لم يعملوا بماذكرنا يصير أمرهم لعبة ، وأن عليا رضى الله عنه لمافوض أمر التحكيم الى أهل العراق ، بعد امتناعهم ممن عينهم من عبدالله ابن عباس رضى الله عنهما ، او الاشتر النخعى رضى الله عنه فشلوا أمام مفوض معاوية وهو عمرو بن العاص داهية العرب المعروف، وغلبهم عمرو ، وبايع معاوية فوقع من الخلاف والفشل فى معسكره على ماهو معروف في التاريخ ، ومالم يفد فيه الا ان عليا عض على يديه وقال أأعصى ويطاع معاوية ؟ ثم ينشد البيت المعروف

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

على أن ذلك زمان صالح ، كيفما كان الامرفيه ، فما ظنك بزماننا هذا

فلما سمعوا منى ماذكر استصوبوه وجازونى خيرا ، وانفضوا وتركوا كلا على عمله ، وبعد هذا كله لم يعجبنى ذلك النظام الخالى من التدبير فى جميع شئونه الداخلية والخارجية ، لان اكثر المدبرين هم الاعراب الصحراويون الذين لايعرفون من أحوال الامور الا أحوال الجمال والصحارى والفيافى والرمال ، وأما الامير المولى أحمد فانما هو صورة يدخل ويخرج منصوبا لاغير فان كلمته فى أمر من الامور او شاورته أجاب بنعم ، ضاحكا مقبلا على عبادة ربه ، لايفتر لسانه عن ذكر الله ، والسبحة يسردها فى يده من غير التفات ولاتفكير فى تلك الامور ، ولا تلك الجيوش المحشودة ، ولاتلك العذراء المنشودة

ولذلك ، فانى لماتبين بعد أيام أن الامر لايتم على هذا الحال رفضتهم هاربا قبل صلاةالفجر فى اثنى عشر فارسا من أصحابى ، راجعا الى بلادى بعدما ندبونى لقيادة بعض العسكر الى (رودانة) ثم الى (مراكش) فرجعت الى تدريسى ، ولزوم أمورى ، فراسلونى مرارا فلم أعد اليهم ، ولا اجتمعت بهم الابعدما اختل أمرهم • وتقلص ظلهم من (مراكش) و (رودانة) ورجعوا الى (كردوس) بعقيلة فى ولتيتة (١)

---

١) كل ماذكره المترجم مم نسمع به من عند الحاضرين اذذاك ونحن لا نحمله الاعلى الصدق فيما يقوله عن نفسه لاننا نعلم منه جراءة ولا علينا فى غيرنا ان ظن ظنونا

دخوله لمراكش

وفي نحو عاشر رمضان (١) من العام نفسه دخل مراكش كما تقدم ، وتقدم الى دار المخزن ، وفيها خليفة السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن وهو أخوه صاحبنا في الله المولى أبوبكر بن الحسن ، وحاشيته من عبيده وأصحابه ، فتركهم ولم يتعرض لهم بسوء في مساكنهم ، وأهدى له الخليفة المذكور هدية نفيسة ، وتمكن من مراكش وأخذ ابراجها وأبوابها وأسوارها وصوامعها ، ولما تمكن منها اصطفى لنفسه ذويه من الاعراب الصحراويين أهل اللثام ، ومن انتمى اليهم لاغير فيجميع شئونه ، وحالوا بينه وبينعلماء سوس الذين قاموا به وعززوه ونصروه فحقدوا عليه ، ونهوه عما يشتغل به الاعراب فيالمدينة من العيث والغصب في متاجر انتجار ، ومايفعلونه معالباشا عبدالملك المتوكي ، والباشا المدني الاكلاوي ، وأخيه الحاج التهامي ، والقائد العيادي وغيرهم من عمال الحوز المتأخرين عن البيعة ، وذلك أنهم رسموا لهؤلاء العمال ان يتقدموا الىالامير بالخدمة والهدايا ، فاذا تقدموا بهداياهم أوقفوهم زمنا طويلا بباب الامير أحمد بلا اذن لهم ، قصد اهانتهم وتحقيرهم بل كانوا يسبونهمفي الازقة والابواب ، وينادونهم بالنصارى والمجوس ، وربما يضربونهم فلما رأوا الجفاء العظيم ، اجتمعوا ليلة من الليالي بدار الاكلاوي المدني ، فأفضوا اليه بمانالهم من الاعراب وعيثهم ، وأنهم يدافعونهم اكثر ما أمكنلهم ، ولولم تكن لهم بهم طاقة ، وأن الموتأهون عليهم من تلك المذلة ، فقال السيد المدني مهلا فان استعمال الحيلة في تفريقهم احسن من ان نحارب جيشا عظيما من أهل المغرب فيه من الشجعان والابطال وذوي الحروب والقوة مالايغلب ، وقالوا له ماذاترى ؟ فقال ارى ان نجتمع كل ليلة ، وياتي كل واحد منابهدية عظيمة من الذهب والفضة ، وأذهب بهاكل صباح اليه، حتى تتمكن المعرفة ، وتستحكم الخلطة ، فقبلوا منه فكرته

ثم صاروا يجتمعون كل ليلة في دار السيد المدني هذا ، وياتي من وصل دوره بما عين له ، فاذا أصبح الصباح ذهب السيد المدني بذلك الى الامير ، فيجد على أبوابه الاعراب الصحراويون خاصة للعسة والحراسة ، فاذا رأوه مقبلا نحوهم اقبلوا عليه بالسب والشتم ، وينادونه ياولي الكفر ، ويامحمي النصارى ، أنتكافر وأنت نصراني حقيقي ، فيرضخ لهم بشيء مما معه فيسكتون ، فيستاذن عن الوزير محمد الامين الصحراوي ، وهو شاب لم تحنكه الامور ، ولاحلب الدهر اشطره ، فياذن لهويعطيه أيضا أضعافمايعطيه للامير ، فيدخله عليه ، فاذا دنامنه ـ على ماحكي ـ يبالغ في التأدب لجلالته

---

١) قد بينا وقت دخوله في ترجمة الهيبة وانه نحو ثالث رمضان

بالانحناء والمشي على الركب الى ان يصل أمامه ، فيضع له بيده تلك الاموال العينية ، ويفاوضه فيما أراد مما ينفعه هو وأهل دائرته المتقدمين ، مستعينا عليه بالوزير المرشو وغيره ، وهكذا يفعل كل يوم ، الى أن ملك قلوب الامير والوزير والعسس ، فلما ثبتت الالفة ، واستحكمت المحبة ، وسقطت الكلفة وحصل بغيته ، ونال منيته ، شرع في أعمال المكر بأهل دائرة الامير من قواده ورؤساء جنوده ، فاستهوى البعض منهم بالعطايا والمداراة ، واظهار النصح فخدعه بالخضوع له ، والبعض ممن له دهاء ونباهة مثله ممن ساس الامور كالكنتافي (١) والنفلوسي والكيلولي (٢) وقواد الحوز وسوس مثل القائد حيدة ، والقائد عياد الجراري (٣) وأخوه القائد عبد السلام ، والقائد أحمد الكابا الروداني ، وغيرهم ممن تقوى بهم الامير ، وصاروا له حرزا حصينا لم ينخدعوا له ، بل حذروا الامير والوزير وغيره من مراوغته ، وغائلة مخالطته وأنه يسر حسوا في ارتغاء ، فاجمع رأى هؤلاء القواد المذكورين على ان يبعثوا أحدهم الى الامير للمفاوضة معه في جميع الامور ، ومن أعظمها عدم مخالطة الاكلاوي المذكور ، وعدم الانصات الى خلب بروقه ، ولاالى غرور ترهاته وشروقه ، وأنه لاهم له لامحالة الا في تفريق شمل الامر والمأمور ، وابتغاء الفتنة بين الامير والرعية في الورود والصدور ، فقال لهم القائد الكنتافي والنفلوسي (٤) والقائد الناجم ، نحن لها ان قبلها الامير ، فتقدموا اليه واستأذنوا عليه ، فاذن لهم . فلما اطمأن بهم المجلس تكلموا فيما جاءوا اليه وابدأوا وأعادوا في النصح جزاهم الله خيرا لو وجدوا لهم أذنا صاغية ومن جملة ما نصحوه به أن قالوا له ان قواد مراكش الاكلاوي والمتوكي والعيادي لايستقيم معهم أمر من الامور مع أى دولة ، ولو اجتهدت في اصطناع المعروف معهم وغرستها على يدهم ، وفعلت معهم من الخير والجميل مافعلت ، واعتبر يامولانا بما فعلوه مع السلطان المولى عبد العزيز ، وأخيه السلطان المولى عبد الحفيظ ، وغيرهم من السلاطين الذين يلعبون بهم مع انهم صنائعهم ومربوا نعمتهم ، فكيف بك انت وأنت اجنبي عنهم ، مهاجم لبلادهم من غير معرفة ولاتبصر ، ثم استرسلوا في الكلام حتى طلبوا منه ان ياخذ منهم حذره . أما بقتل وامانفي الى قطر بعيد كـ (ردانة) أو (تيزنيت) أوغيرهما من البلاد البعيدة فقال أما القتل فلا سبيل اليه بعدما قالوا لااله الا الله ، وأما النفي أيضا فلم يستوجبوه لانهم مثلكم او اكثر في الخدمة فلما أيسوا منه

١) لم يحضر في مراكش اذذاك

٢) لم يكونا الى مراكش اذذاك لانهما لم ياتيا الا قبل فرار الامير بنحو يومين بعدما تم الدست عليه

٣) هذا لم يذهب الى مراكش

٤) راجع ما تقدم قريبا عن هذين

وعلموا أنه لايتم له امر مع هؤلاء الذئاب ، وانه بمعزل عن سبل السياسة ليس لهمعرفة ولاالمـام بشيء منها ، انفضوا الى محلاتهم ءاخذين حذرهم مـن الامر والمامور ، كلذلك والوزير محمد الامين يسترق السمع ، ويفرغه في قالب سره ، ليوجهه الى شيطانه فلما سمع الاكلاوى بهذا الاجتماع اسرع بهدية الى الامير والوزير بالغ فيها ، ودخل على الامير وسلم وتأدب ، وفاوضه فـي أموره المهمة عندهمن غير المام بسبب ذلك الاجتماع الذى هو القصد المقصود والحوض المورود ، ثم خرج مع الوزير شيطانه ، فأوحى اليه بكـل ماصدر وجرى بين الامير والقواد من أوله الى ءاخره ، فذهب الى أصحابه القواد الثلاثة المتوكى والاكلاوى والعيادى.ومن كان على شاكلتهم.فتفاوضواواجمعواأمرهم على ان يبعثوا الى العدو أن يتقدم الى مراكش ، فتحرك العدو بعساكر جرارة ومدافع لاتعد ، فى قوة غريبة ، لانه أول لقاء مع الجيوش السوسية الاسلامية ، وهو معهذه القوة معول على قوة هؤلاء وغدرهم لمايدور بينهما من المفاوضة زمنا ليس بالقليل • ولماتيقن الامير خروج العدو من الدار البيضاء قاصدا محاربته واما علموا بذلك هم أيضا ، ذهبوا الى الامير فقالوا له ان العدوقد تهياقاصدا لقتالنا ، فيجب أن نستعد اكثر منه واكثرنا من أهل المدن الذينلايقوون على المقاتلة ولايقوى عليها الا أهـل البوادى الاقوياء المتمرنون عـلى الحروب والشدائد والطعان ، والكر والفر ، ولابد يامـولانـا ان تـامر أهـل سوس والصحراويين بالخروج ويعينهم كل واحد منا بحصة من جنوده ، ونبقـى بمراكش مع من يدافع عنك ، لما عسى أنيحدث ، قاصدين أن يخرج أهـل دائرته وحاميته الذين ينصحون له ، وذلك مكيدة وخديعة منهم ، فأجابهـم بالقبول ، لصفاء سريرته ولعدم تدبيره ، فلما سمع أهل سوس ومن معهم من أهل الصحارى ماعزم عليه الامير احمد ، أسرعوا اليه قائلين كيف تخرج أهل دائرتك وحاميتك ، وأهل شوكتك من جنودك ، وتبقى اعداءك قواد الحوز أهل المكر والخديعة ؟ بل يجب تقديمهم لجهاد العدو شرعا وسياسة ، وقدقال الله تعالى (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) وانما نحن تبع لـهـم ، وردء فتراجعوا الكلام بينهم ، فوجدوه مصمما على تقديمهم ، لسوء حـظـه وسوء تدبيره ، وقال لهم انكم جئتم للجهاد بنية اعلاء كلمة الله ، لالغرض ولالخوف منغير الله ، وندبهم فانتدبوا ، وخرج أكثرقواد سوس والصحراء يجر كل منهم شجعانه وابطاله شاكين أنواع السلاح ، وخرج من (مراكش) مايقرب منثلاثة عشر ألفا من أهل سوس ، وأهل صحراء عرب معقل الشجعانالاقوياء الذين لايفرون ولايعرفون الهزيمة

من كل منتدب لله محتسب — يسطو بمستاصل للكفر مصطلم

* * *

لاينزل الطعن الا فى نحورهم — ومالهم عن حياض الموت تهليل

ولم يتركوا بمراكش مع الامير الا الاعداء وحامية ضئيلة مـن العلماء ، وأرباب المشورة ، بل كان ذوو العقول منهم الذين تنبهوا لمكيدة قواد الحوز قد خرجوا من مراكش قاصدين الجهاد أو راجعين الى اوطانهم ٠

ولما استكمل الجيش عدته ، أمر عليهم الامير أخاه مربيه ربه ، وكان أحسن تدبيرا منه ، الا أنه لم يساعده أولا وءاخرا ، فتقدم الى العدو بـهـذه الجنود ، ولما تراءى الجمعان وتلاحم العسكران ، ابدى ذووالبطولة والشجاعة فى جهادهم مايسطر ويشهر ، لاسيما القائـد حيدة وجـنـده ، والاغضف الصحراوى وغيرهما ، ولم يقف العدو أمامهم أقل من ساعة ، ثم انهزم وتبعه الناس يقتلون وياسرون (١) وفتكوا به فتكة بكرا ، فرجع ادراجه الى معسكره البعيد

ولما بلغ انهزام العدو أصحابه وشيعته من قواد الحوز وغيرهم ممـن ارتشى ، جددوا اليه المراسلات بالجد ، وتجديد عسكر أضخم مما قبل ، مع زيادة عدة مدافع وقراطيس وغيرها ، وانهم بمجرد وقوع وهن مافى جيوش المسلمين ياتونهم من ورائهم ضاربين فيهم ، وفعلا ساعدهم العدو الكافر ، فجاء باضعاف مضاعفة ، وساق جميع المغاربة من بربر وعرب وغيرهم ، وحصل اللقاء ، ووقع القتال ، والتحم الابطال ، فحمل المسلمون على العدو حملة شديدة بقلوب مخلصة لله ، وتزحزحت صفوفه للانهزام ، حتى لم يبق لـه من قـوة ولانظام ، وذهبت عنه ريح النصر قرب العصر ، فلما ءانس القائـد العيادى وقبائله من الرحامنة وجيرانهم الذين حـلـت الجيوش الاسلامية السوسية بأرضهم ماتم فى عسكر العدو ، وخافوا ان تمت عليه الهزيمة ثانية انلايعود الى القتال ، قاموا قومة واحدة على المسلمين مـن ورائهم ، فهجموا أولا عـلى معسكرهم الذى فيه مئونتهم العسكرية والعدة ، وفيه الخليفة مربيه ربـه مع اداته القليلة ، وضربوا فيه قتلا ونهبا ، وكذلك فعل اخوانه قواد الحوز الاكلاوى والمتوكى بمراكش ، فقد حاصروا (٢) فيه الهيبة أيضا ، ولما سمع عسكر المسلمين ماتم من قواد الحوز من الغدر فشلوا ورجعوا متفرقين شذر مذر ، كل الى قبيلته وبلاده ، وهرب الخليفة أيضا مع باقى العسكر السوسى

---

١) كان اللقاء اولا فى اربعاء الصخور ، ثم فى سيدى بوعثمان فلم يقع أى انتصار للمسلمين

٢) لم يحرك هؤلاء القواد ايديهم فى (مراكش) الا فى صبيحة هروب الهيبة بعدما وصل العدو الى أبواب مراكش وينبغى ان يراجـع هنا الجزء الـذى خصصناه لاخبار القائد الناجم من هذا الكتاب وهو (العشرون) فقد وصـف الحالة كما هى وكذلك ماكتب فيه اخبار الهيبة وهو (الرابع)

قاصدا (مراكش) لاغاثة أخيه الامير أحمد ، فوجده خارجا (١) من مراكش، سالكا طريق الكنتافي بوادي نفيس مع باقي قواد حاحة والنفلوسي والكيلولي والقائد الكنتافي والقائد الناجم والقائد التريعي (٢) وغيرهم من قواد وادي سوس اذ الكل من شيعته ، ومن سوء حظه وسوء تدبيره أن الكنتافي وأهل حاحة ارادوا ان يعسكر (٣) فوق (مراكش) بعمالة الكنتافي على حصار مراكش والمدافعة عنه ، فأبى وأجفل اجفال النعام ، قاصدا (ردانة) ولولا ان الكنتافي وحاحة المخلصين له لاخذ باليد في مراكش ، لتكاثر عساكر القواد الحوزيين عليه ، ووقع بـ (مراكش) من القتل والاسر مالايوصف ، وقتل كل من يلبس اللباس الازرق من السوسيين والصحراويين بلا مراعاة ال ولاذمة ، وقتل فيه من علماء الركيبات وشنجيط جماعة كثيرة ، وأما علماء سوس فقد نجا اكثرهم ، لما لهم من المخالطة والتعارف مع تلك الاقطار الحوزية فحقنت لذلك دماؤهم ، وان كانت قد ذهبت أموالهم ، وأعان الاعداء على ماهم عليه بقاء حامية (مراكش) بلاامير لان الامير خرج فارا من اخر الليل مع شرذمة من المراقبة على الابواب القريبة منه واكثر الناس في ذلك الوقت غاطون في نومهم . ولم ينتبهوا الا على جلبة عساكر العدو ، فوجدوا الامير ومن معه قد بارحوا (مراكش) فوقعت بينهم وبين العدو داخل (مراكش) معركة عظيمة (٤) أفضت الى قتل من شاء الله واسر من شاء الله

وكانت جماعة من قواد سوس مثل الجراري عبد السلام والقائد حيدة ابن مايس والقائد أحمد الكابا قائد (ردانة) اذذاك والقائد الحنفي (٥) الاخصاصي وقواد هشتوكة ممن تأخروا بـ (مراكش) وحاصرهم العدو بها ولم يخرجوا الا بشروط مضمنها نكث بيعة هذا الامير . والتعاهد مع العدو الكافر . فقبلوا ذلك فخلى عن طريقهم وانصرفوا

وأما قواد حاحة مثل القائد محمد بن أحمد النفلوسي والقائد عبدالرحمن الكيلولي وغيرهما ، فانهم لشدة شوكتهم ، وقوتهم دافعوا عن انفسهم مدافعة الابطال وقتلوا منهم عددا ، وخرجوا بلاشرط ، ولحقوا بالامير في أرض (أغمات) قاصدا (كنتافة) الى (تارودانت) ودافعوا عنه عساكر العدو مع الكنتافي الى أن نجا من مخالب العدو بدخول ارض الكنتافي ، ورجعوا عنه الى حاحة بلادهم ولولا قواد حاحة لاخذ الامير ذلك اليوم باليد بأبواب (مراكش) وخارجها

١) بل لم يخرج الهيبة حتى دخل عليه اخوه فأخبره بالهزيمة

٢) لم يذهب معه في هذا الطريق اذذاك احد من هؤلاء المذكورين فالحاحيون ذهبوا على طريق حاحة والناجم والتريعي تبعاهم فيما بعد في غير تلك الطريق على حاحة

٣) هذا لا أصل له

٤) لم تقع معركة بمراكش وانما وقع شيء خارج باب الرب بين بعض الهاربين المدافعين عن أنفسهم وبين المطاردين من أعوان المتوكي والاكلاوي

٥) القائد المدني هو الموجود اذذاك بـ (مراكش) لا الحنفي

لتكاثر العدو عليه رغما عن مجالدة الابطال الذين معه من عرب معقل وسوس
ولما تمكن قواد الحوز من مراكش بكرة ذلك اليوم وهو يوم العيد عيد الفطر (١) عام ١٣٣٠هـ وسمع العدو بهم تقدم اليها بجنوده ، ولماوصل لـ (تانسيفت) خارجها اطلق مدافعه فرحا فاهتزت مراكش ، ودخل المدينة بعدما أرسى مدافعه عليها بجبل (كليز) المطل عليها ، ولم يثق بالقواد ، وان كانوا من شيعته فكان من أمره ماكان

وأما الامير أحمد الهيبة ، فانه لما اطمأن قلبه برجوع العدو عنه فـي أرض نفيس وشيعه صاحبه القائد الطيب الكنتافي الى حدود ارضه بجنـوده مدافعا عنه أغذ (٢) السير الى (ردانة) مخافة ان يسبقه اليها قائـدها احمد الكابا المشروط عليه نقض البيعة بـ (مراكش) فدخلها وبعث الى قبائل نفيس و (اداوزال) بالايعاز بقتل الكابا اذا مر بهم . فاخذ بـ (اداوزال) وقتل وقطع رأسه وعلق بـ (أساراك اوراغ) (٣) بـ (ردانة) مدة سنتين وتقدم اليهم أيضا بقتل القائد حيدة البرحيلي المنابهي ، الا انه تمنع بعدد وعدد لحزمـه واحتياطه حين سمع بقتل قرينه الكابا

فاما استقر الامير بـ (رودانة) بعث الى جميع قواد سوس فجاءوا اليه غير حيدة المنابهي المذكور ، وناصر قائد (اولاد يحيا) المستقر بـ (فرايجة) فوق (رودانة) لانهما خافا على انفسهما ، فتجندا ببلادهما ، وعقد الامير مـع الناس أن يدافعوا عن بلاد السوس خاصة من (اكادير الى الصحراء الى طرفاية) ودخل معهم أيضا حاحة الى السويرة ، وقننوا لذلك قوانين ونظموا نظما كانت كلها اوهى من بيت العنكبوت ، لما في قلوب الناس من هروب الامير بـ (مراكش) بلا مقاومة عظيمة ولا قوة ، ومتاركة القائد الكنتافي الذى الح عليه في المقام معه على المدافعة عن (مراكش) وقتل القائد احمد الكابا والايعاز بقتل القائـد حيدة المجاهد للعدو الكافر في ارض (ابن كرير) ببلاد الرحامنة (٤) ولعدم حسن سياسته لانه صحراوى (٥)

ثم أنه بعد أيام بعث الى القائد ناصر اليحياوى فامتنع كحيدة كما تقدم فعد ذلك منهما شقا لعصاه ، فأخرج عساكره لمحاصرتهما اشهرا ، وقـتـل من الفريقين من الشجعان مالايحصى ، غير أن من قتل من جانب الامير ليس له

---

١) كان يوم الخروج قبل العيد بنحو خمسة أيام وأدرك العيد الهيبـة في (ردانة) وقد بينا بيانا شافيا ناقلين عمن حضروا ماوقع للهيبة حـين الخروج وفي ذلك مخالفة غير قليلة لما هنا وذلك في (الجزء الرابع)

٢) اغذ السير اسرع فيه

٣) أساراك البراح الساحة وأوراغ الاصفر اى الساحة الصفراء ذلك تعريبها والمقصود الساحة العمومية في (تارودانت)

٤) اعجبا من المترجم فقد أقران أحمد الكابا وحيدة نقضا البيعة وخامرا مع العدو ثم صار يدافع عنهما

٥) اوليس من الصحراء من يحسن السياسة ؟ وماهم الا كالناس

خلف لكثرة الفشل فيه ، ووقوع الادبار عن امره ، وماضاع من عدوه يضاعف مضاعفة كثيرة من (مراكش) من العدو الكافر ، وأقام على هـذا الحال نحو سنتين (١) والامر لايزداد الاشدة ، وقبائل سوس تنقطع عن ادالة رودانـة وعرى الاخوة تنفصم ، وأمر العدو يشتد كل يوم ، ومدافعه بجنودها تتسرب الى اصحابهالى أن قوى أمرهما (٢) وحاصرا (ردانة) وسربا الاموال الى جيرانها من قبائل (هوارة) فقلبوا عليه ظهر المجن وصاروا عليه يداواحـدة مع العدو فخرج الامير من (ردانة) هاربا أيضا محكما لعادته (٣) فاجـفـل الى ارض (هشتوكة) و (هوارة) والقائدان حيدة وناصر فى اثره ضربا وقتلا ، الى أن تمنع بأرض (هشتوكة) فوقفوا ردءاله لما لهم منقوة خيل ورجل ، فاستقر بـ (أسرسيف) بقبيلة (ايت ميلك) قريبا للجبل ، متحفزا للهروب ايضا متى طرقه طارق ، ومعه الخليفة مربيه ربه

وأما خليفة (تيزنيت) الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين ، فانه قام عليه أهلها قبل ذلك بأيام ، وأخرجوه لسوء تدبير أصحابه ، فذهب ل(وجان) فأقام فيه ، فصار الامير يكابد عدوين واحد من بين يديه فى (تيزنيت) والاخر من خلفهفى (ردانة) (٤)

ولما استقر بـ (أسرسيف) استخلفعلى (هشتوكة) القائد الناجم الشجاع المشهور ، فصار يفتك بهم أسرا وقتلا ، وياخذهم بالتهم بالعداوة (٥)

وبعد أيام وفد عليه (٦) القائد الاعظم عبد السلام الجرارى وشاورهفى أنيتدخل للصلح بينه وبين القائد حيدة ومنمعه من احزابه ، فأخـذه وأمر بقتله لمداخلته للعدو فى زعمه ، وقاتله الفقيه السيد احمد بن مبارك أبوالطعام الرخاوى المجاطى اقتصاصا منه بعمه فيما مضى ، لان الـقـائد عبد السلام الجرارى قتله فى فتنة بينهم وبين قبيلة أيت رخا (٧) ، ولما قتل القائـد

---

١) بل لايتجاوز ذلك نحو ثمانية اشهر فى (ردانة)
٢) يعنى ناصرا وحيدة
٣) هذا كله مبين فى (الجزء الرابع)
٤) فصلنا ماوقع للنعمة فى (الجزء الرابع)
٥) فصلنا ذلك فى الجزءين (الرابع) وفى (العشرين)
٦) أى على الهيبة
٧) هذه احدى العجائب فى كلام هذا الكاتب الذى يخطئه التثبت كثيرا فى بعضماكتبه فان الذى قتله الفقيه الرخاوى هو القائد سعيد المجاطـى وأما الجرارى فانما اطلق عليه اعرابى رصاصة ، وقتل القائدين مفصل فى غير ما محل فى هذا الكتاب وفى (القسم الخامس) ترجمة القائد عبد السلام بين تراجم ءاله

عبد السلام بـ (أسرسيف) وكان اخوه وخليفته القائد عياد الجرارى من ثقات أصحاب الامير أحمد الهيبة ، ومن السابقين الى بيعته قبل أخيه المقتول تغير مابينهما ، وانسل منه ءاخذا حذره ، وقلب له ظهر المجن ، لما علم من سوء تدبيره هو وأصحابه الصحراويون ، وكذلك فعل اكثر رؤساء السوس ، فقام عليه الجرارى بعدما قامت عليه (تيزنيت) عدوة الجرارى ، بعدما حاصرها وقطع عنها الماء في الموضع المسمى بو (الصنصار) وقامت أيضا عليه (العوينة) و (أكلو) فحاربهم الجرارى مع حزب الامير الى ان خضعوا ظاهرا ، ولكن لما قتل أخو الجرارى انقلب الجميع ، وذلك عام ١٣٣٢هـ

وبعد ذلك بأيام قتل الاعراب أصحابه أيضا شيخ الجماعة علامة سوس ورئيسها بلانزاع . سيدنامحمد (ضما) بن محمد(فتحا) ابن عابو الولياضي الادا و محمدى غدرا مع القائد صالح بن الحسين الاداومحمدى ، ولكنه أفلت منهم وقتل الفقيه وحده بالموضع المسمى (بويكرا) رموه بالرصاص ، وهربوا ساعتئذ مع أميرهم الى الجبل بموضع (تيمكر) وانسحب نفوذه عن بسيط (هشتوكة) اجمع

وأما الفقيه ابن عابو رحمه الله فقد بقي فيه الروح اكثر من عشرساعات وهو يكرر سورة (الرحمن) الى سورة (الواقعة) ويكرر (تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) ثلاثا الى ان فاظت روحه ءاخر الليل وذلك عام ١٣٣٢ هـ

ولما استقر الامير احمد الهيبة في (تيمكر) من جبال (هشتوكة) استخلف القائد الناجم على (هيلانة) ـ ايلالن ـ وما حولها ، وكان رجلا شهما كما ذكرنا ، فهو يراوح ويباكر عساكر الحكومة الفرنسية ، ومعها رئيسها حيدة ابن مايس بالقتل والسلب الى أن قويت شوكة الحكومة باستيلائها على مدينة (تيزنيت) وما حولها من اولاد جرارة (١) وبعد ذلك باشهر قلبت هيلانة (ايلالن) للامير أحمد الهيبة ومن معه ظهر المجن ، فاحاطوا به احاطة الهالة بالقمر بموضعه ، لاسيما اولاد سى أحمد : الشيخ ابرهيم واخوانه الذين أخذوا بيد الحكومة الفرنسية ، وحاربهم القائد الناجم أياما ، الى أن استولوا على مامعه ، فهرب الامير الى (بعقيلة) وتوغل في جبال (جزولة) الى الموضع المسمى (كردوسا) موضع وزيره القائد سعيد بن أحمد ، فأقام بداره واطاعته تلك الجبال من (أيت وادريم) وجبال (اداوكثير) و (اداكنيضيف) (وأيت عبدالله) و (ايسافن) من جهة الشمال الى (وادى نول) ولمطة و (ايت باعمران) و (الاخصاص) الى (تيندوف) من جهة اليمين والصحراء ، وكابدوا معه العدو من جهتين من جهة (ادوسكا) و (اداوزكرى) شمالا ومن جهة (تيزنيت) يمينا وجوفا ، ووقعت حروب يشيب لها الوليد

---

١) نزل ابن دحان في (تيزنيت) بعد صدر ١٣٣١هـ فبقى فيها الى ان تمكن من مجاوريها وذلك قبل حيدة

حروب القـائد حيدة بن مايس المنابهي

لماحتلت القوة الفرنسية (تيزنيت) برئاسة القائد حيدة بن مايس المنابهى البرحيلى السوسى شرعت فى شحنها بالعدد والعدد ، وفوضت أمرها الىالقائد حيدة ، فاستعد لمقاتلة ماوراءها من القائد المدنى الاخصاصى ، وايت باعمران ، واستنفرت له الحكومة الفرنسية قبائل السوس ونـواحيها ، وحاحة والشياظمة ونواحيها ، وجبال درن الى (مراكش) ولما تكامل جيشه العرمرم قصد به الهجوم اولاعلى قبائل الاخصاص ، فاستنفر له القائدالمدنى الاخصاصى ـ وهو شهم جواد بالاموال والعدة ـ قبائل أيت باعمران الى(وادى نول) وقبائل (مجاطة) و (مانوزة) من جهة القبلة ، وتوافى الجيشان ، فاما جيوش (مجاطة) و (أمانوز) وجبال (اداولتيت) فقد تحركوا الى المنكب الابيض (ايغيرملولن) بأولاد جرار ، وأما جيوش جهة اليمين من القائد المدنى و (أيت باعمران) فقدتحركوا الى (أيت برابيم) والحصن الاحمر (اكادير زكاغـن) وتوافوا هناك ، ودارت بين الجيشين مراسلات فى شان الصلح ، مبنية على المراوغة والمخادعة أياما ، ولم يتكامل جيش المسلمين من جهة اليمين ، حتى هجمالقائد حيدة وجيوشه ، فتوغل من جهة الاخصاص (١) وتوغـل ولـده القائد حماد بن حيدة فى أيت باعمران من جهة الساحل ، ووصلت القـوة الاولى الى (الحصن الاحمر)

مصرع حيدة بن مايس

فلما بلغت جيوش حيدة ما بين الجبلين ، وكادت تهجم على (أيت باعمران) وتوغلت فى تلك الاودية ، وأشرفت على البلاد ، طوقتها جيوش المسلمين مـن (مجاطة) و (الاخصاص) وناوشتها الحرب ، ووجدتها كالبنيان المرصوص ، لايملكون منها شيئا ، ولما رأى القائد مبارك البينيرانى المجاطى ما حل بالناس منالمدافع والرشاشات ، وأنواع التهويلات التى تصد الخيل عـن التقدم ، وكانشجاعا بطلا ، ذا حيل وخدع فى الحروب والوقائع ، خاض فيها عمره، وتمرن عليها وتمرس برجالها جرد جريدة قدرها ثلاثمائة فارس ، ممن عرفوا بالشجاعة والنجدة ، وزحف بهم الىماوراء الجيوش الفرنسية الحيدوية وأتاها من خلفها فلم يكن غير هنيئة حتى شد عليها ما بين الجبلين بالخيل والرماة ، وفاجأهم بما لم يكونوا يحتسبون ، فلما سمعوا البارود قد أتاهم

---

١) لحيدة زحفان الى تلك الناحية مات فـى الثانـى منهما ، وهذا السيد خلط بينهما

منورائهم ، ووابل القرطاس منهل عليهم كالامطار الغزيرة ، تقهقروا الى الوراء ليمكن لهم عند الهزيمة الاتصال ببسائط (تيزنيت) فوجدوا الطريق منسدا عليهم بالخيل والرماة ، وأما الجنود الاسلامية المقاتلة لهم ، فانها لما علمت أن العدو لما تقهقر صار في قبضتها لامحالة ، لانحصاره بين الجبال ، وانه لاعلم له بالحروب الوعرية ، انقضوا عليه انقضاض البزاة على الصيد ، ووقع الجزع والهلع في عساكره الجرارة ففشلت ، فجعل الناس يقتلون وياسرون لاسيما من له وجاهة اولباس غير سوسي ، ودخل الناس خلال العدو وهو منذهل لايضرب ، بل همه الحيلة في النزول عن الخيل والتعلق بالجبل طلبا للنجاة ، ولكن حيل بينهم وبين مايشتهون ، وتخطفهم الناس من كل فج وترى الواحد منهم اذا دنا منه من أراد ان يقتله يلقي على وجهه جلبابه ، لئلا يرى الموت ، ومنهم من يجهر بالهيللة لينجو ، ومنهم من يصيح ياعباد الله ابقوا علينا فانما نحن اخوانكم

وقد كنت حاضرا وعلمت ان اكثر الجنود الحيدوية من أهل سوس وحاحة والشياظمة وعبدة ودكالة والحوز ممن استكره من المسلمين ، فجعلت أصيح ياعباد الله ، يامعشر المسلمين ، قد ظهرتم عليهم فلاتقتلوهم ، فانماهم اخوانكم المسلمون قد أكرهوا على قتالكم ، ودونكم والغنيمة ، وقتل الرؤساء خاصة ، وكان جماعة من العلماء مثل العلامة سيدي علي بن عبدالله الالغي ، والعلامة سيدي الطاهر بن محمد الافراني ، وسيدي البشير بن المدني ، وأمثالهم من الذين اعتيد منهم ان لايتخلفوا عن الجهاد حاضرين ، فوافقوا على ذلك وندبوا جماعة ممن رغب في الاجر والثواب ، أن ينادي في الناس بالابقاء وان لايقتل الاكافر (١) او رئيس راض بالكفر ، فعند ذلك امتثل الناس فاشتغلوا بالاسر والسلب من غير مانع (٢)

وأما القائد حيدة فانه لما راى مانزل به ، وان الباب قد انسد ، ولم يمكنه الخروج منه بحيلة ولاقوة ، ثبت ودافع بجريدة من خاصته وعبيده وحشمه ، وقصده القائد مبارك المذكور ، فوجده كالبنيان المرصوص ، ولكن لم يلبث أن ابذعرت عنه تلك الفئة ، وتمزقت بالرصاص والنهب عن اخرها ووصلت الخيل الى معسكره ، ولما أيقن بالهلاك جعل ينادي ويصيح اين القائد المدني الاخصاصي ؟ واين القائد مبارك ؟ واين فلان وأين فلان من رؤساء الجيش الاسلامي ، راجيا منهم ان يتلافوا امره بالاخذ بالاسر ، قبل أن يهلك بيد بعض الاوغاد بالقتل ، لما سمعه بعض الناس تفرس فيه ، انه هو وضربه

---

١) لم يحضر مع حيدة اي كافر الا اذا كان معه بعض رؤساء جند منظم

٢) في كثير من كل هذا مافيه والذين حضروا لايخبرون الا بماذكرناه في محلاته من هذا الكتاب

رميا بالرصاص على مركوبه وجندله صريعا فى حينه (١) ، فوقع النهب فى أخبيته وخزائنه التى فيها عياله وأمواله وامتعته ، فنهب فيها مايفوت الحصر من الذهب والفضة والاثاث والسلاح ، واكثر من نهب تلك الامتعة قبائل (مجاطة) ذكورهم ونساؤهم

وقد نهب اذذاك فيما قيل خمسمائة جمل ، وثمنها حينئذ ثلاثة ءالاف فرنك للجمل (٢) ومن بنادق صاصبو الفان ، لغلاء السلاح الرومى حينئذ، وأخذ بعض الناس فيه صناديق ذهب وفضة وقماش ، وقطعت يد بعض نسائه لدمالج ذهب فيها ، واحتيزت نساؤه، الى ان افتديت بعد ذلك بأيام ، وقطع رأس القائدحيدة . وطيف به ، وعلق بـ (كردوس) ببعقيلة حيث الامير احمد شهرا ، الى أن سرقه بعض الناس ليلا لمال اخذه من ولده القائد الحاج حماد

وحصل عزكبير وهيبة عظيمة للمسلمين الباقين ، بقتل هذا القائد ، ودخلهم نشاط كبير لمقاتلة العدو (٣)

وأما ولده القائد الحاج حماد فانه لماسمع بقتل والده ، وهو وجنوده كما ذكرنا على ساحل (ءايت برايم) محاذيا لوالده معززا له ، فشل وذهبت ريحه وهرب لحينه ثانيا عنانه الى باب (تيزنيت) وخرج منها فى جوف الليل الى (ردانة) محل عزه

وقد قتل من رؤساء هذا الجيش الفرنسى ماينيف على المائتين وفيهم من القواد ازيد من (٤) ثلاثين مثل القائد سعيد بن الحسن الامزالى واضرابه من ذوى الباس والرئاسة ، وذلك كله فى ١٣ ربيع الاول عام ١٣٣٧هـ (٥) وكان

---

١) الثابت ان حيدة انما مات برصاصة طائشة ولذلك لم يعرف أحد انه أصيب طوال ذلك اليوم ولم يعلم به الا فى اليوم الثانى وفى ترجمة القائد المدنى الاخصاصى تبيين ذلك فى (القسم الخامس)

٢) استغلى الجمل بثلاثة ءالاف فرنك ، ولو حضر الان بعد الحرب العالمية الثانية فمابعد لمااستغلاه بذلك الثمن بالنسبة لاضعافه المضاعفة التى وصلتها الاسعار الان

٣) وقع خلط وخبط وتزريف فى سوق هذا الكلام كله فقد جمع الكاتب خبر زحفين اثنين لحيدة ، ولم تكن فى اولهما حرب الا فى (وجان) وأما الثانى فهو الذى قتل فيه فاجفل كل من معه وانهزموا وتركوا امتعتهم للنهب ولم يقع قتال كثير وقد فصلنا خبر الواقعتين معا فى محلات ولا معنى للتهويل فى التاريخ فأما نهب الاموال العظيمة والامتعة والبهائم والخيل والسلاح وفرح الناس بذلك فرحا عظيما فذلك كله صحيح

٤) نعم قتل رجال مشهورون فى ذلك المضيق الذى قتل فيه حيدة وهم هاربون ولكن القواد القليلين هم نحو ثلاثة او أربعة بين الموتى

٥) بل ذلك فى سنة ١٣٣٥ هـ

الذكر فى هذه الغزاة لـ (مجاطة) وخصوصا منهم (ايت بنيران) رهط القائد مبارك البنيرانى وأيت على ، فان لهم فى هذه الغزوات الذكر الجميل والبلاء الحسن

غزوة آيت باعمران الثانية

ولما وقع لجيش حيدة ماوقع ، وانتشر ذكر ذلك فى المغربين ، امتعض الفرنسيون لذلك ، فاستأنفوا جيشا ءاخر اعظم منه ، مركبا من أهل المغرب الوسط وأهل السنغال السودانيين وأهل المغرب الاقصى ، وندبوا قواد الحوز الذين تحت نفوذهم للخروج معهم ، منهم التهامى الاكلاوى عظيمهم ، والقائد العيادى الرحمانى ، والقائد الطيب الكنتافى ، وقواد (حاحة) اجمعون ، والمتوكى (١) والشياظمة ، وقواد (رأس الوادى) من السوس و (هوارة) و (هشتوكة) الى باب (تيزنيت) الى قواد هيلانة من جهة القبلة وكل قائد يرأس قبائله وقومه ، وعلى الجميع الجنرال (كورو) (٢) بمدافعه وطائراته ورشاشاته ، وءالات تدميره فتحرك فى شهر شعبان من السنة المذكورة ، الموافق‌شهر ابريل العجمى ، وصار الى (تيزنيت) بجنوده ، فملات عساكره المدينة وضواحيها من (ماسة) الى (اولاد جرار) الى (الساحل) فاندهش الناس وملئت قلوبهم رعبا ، وبلغت القلوب الحناجر

فانحشر له المسلمون من كل حدب ينسلون ، وانقسموا على ثلاثة أقسام على‌حسب انقسام‌العدو وقوته ، فأما (بعقيلة) و (رسموكة) و (سملالة) و (أمانوز) الى رأس الخيط بـ (أملن) فقد انحشروا لـ (وجان) وفيه الخليفة الشيخ النعمة ابن‌الشيخ ماء العينين ، وأما أهل (مجاط) الى (أمانوز) الى (افران) الى (تامانارت) فقد تحركوا الى (المنكب الابيض) (ايغيرملولن) فوق (اولاد جرار) وأما أهل اليمين من (الاخصاص) و (أيت باعمران) الى (وادى نول) فقد تحركوا الى جهة الساحل بـ (أيت برابيم)

واقعة وجان

ولما خيم العدو بـ (تيزنيت) ونواحيها ، وخف بجيوشه الى (وجان) لقربه منه بمداخلة الشيخ أحمد الامازرى الباعقيلى من (وداى الجبل) وكانت له رئاسة وعصبية بجبال (بعقيلة) اكسبه أياها ذكاؤه ودهاؤه ، وما تقدم له من‌البلاء فى حروب الحاحيين الكيلولى والنفلوسى أعوام ١٣١٥هـ الى ١٣٢٠هـ

١) لم يحضر القائد المتوكى بنفسه وانما حضر بوسلام (عبدالسلام) خليفته

٢) الذى سمعت اذذاك رئيسا هو الجنرال لاموط

كما ذكرناه قبل ، ونصح لامته في تلك الحروب المخزنية ، وبزاذعز قواد (بعقيلة) القائد عدى بن أحمد من بلدة (كردوس) ثم لما قام الامير المولى احمد الهيبة بالامر بالسوس ، وخدمه القائد سعيد الباعقيلي واخوته ، وءاووه ببلدتهم (كردوس) حقد عليهم الشيخ احمد الامازرى لانهم من اعدائه ، فلما زحف العدو بجيشه لـ (وجان) وزحف الناس اليهمن (ولتية) وغيرها ، جعل يثبط الناس عن مدافعة العدو عنه ، لان (وجان) في عداد قومه (بعقيلة) ولكن لم يطاوعه قومه ، لانه من باب الجهاد المفروض عينا عندهم ، لمفاجأة العدو بلادهم ، بل نبذوه ، وصار ذلك سبب مقتهم اياه ووقعت معركة عظيمة بـ (وجان) في ١٢ شعبان عام ١٣٣٦هـ (١) الموافق ابريل العجمي قدم فيهاالعدو قبائل (هشتوكة) وأهل (وادى سوس) و (حاحة) و (الشياظمة) وتترس بهم ثم اتبعهم بالسينيغاليين السودانيين ، وأهل الغرب الاوسط من الجزائريين ثم اتبعهم بفيالق اللفيف الاجنبي (لاليجيون) صفوفا مثل البنيان المرصوص، والمدافع والطائرات تمطر وابلا من القنابل وتفتك بالبناء ، وتهدم على الناس الدور والاسوار والبناءات والابراج ، وكلما قدم العدو صفا أفناه الناسقتلا وذبحا وأسرا ، ولكن انما يقتلون اخوانهم ، فالمسلم يقتل المسلم عياذا بالله، ترى أسرابا من الفرسان تحمل على الناس وهي ترمي الىجهة السماء كراهية قتل المسلمين ، حتى ان سربا من فرسان (حاحة) انحازوا الى المسلمين • وهربوا من العدو ، وجعلوا يوصون الناس ان لايفربوا ، ودام القتال ثلاثة أيام والقتل والخراب والهدم كاد يقضي على (وجان) فأخلاه الناس ، وهربمنه الخليفة النعمة بعدها ، وقتل فيه من الفريقين مالايحصى ، لكن القتل منالعدو اكثر وفيها قتل القواد أولاد دليم من(هشتوكة) وهم تسعة (٢) وقتلمنالعدو ءالاف ، ومن المسلمين قتل بـ (رسموكة) ١٣٠ رجلا ، ومن (بعقيلة) ٤٠رجلا لكونهم مثبطين من الشيخ احمد كما تقدم ، ومن مجاطة أزيدمن ٧٠ رجلا ، وذلك ان (مجاطة) و (أمانوز) و (أملن) كانوا بـ (المنكب الابيض) كما تقدم برئاسة الفقيه سيدى على بن عبدالله الالغي ، فأوصاهم ان لاينفروا لـ(وجان) ولو ... رءودا من البارود وقالوا له لانقعد عننصرة اخواننا بـ (وجان) ونتركهم يحصدهم العدو ، ثم ياتي الينا ، فزحفوا ثاني يوم ، وتركهمالعدو حتى توسطوا الجبل المطل على (وجان) فصوب عليهم مدافعه وأطلق عليهم قنابلها المفرقعة العظيمة الحجم ، وقتل منهم اكثر من سبعين فارسا ، وكانت القبائل تقع في الصخور والصلود ، فتتفرقع منها شظايا ، وترمي بقوةعجيبة فمنها قتل اكثرهم ، ووبخهم الفقيه سيدى على بن عبدالله الالغي المذكور على ماارتكبوه من المخالفة ، هو والقائد سعيد الكردوسي ، على ان ذلك كلهلم

---

١) بل سنة ١٣٣٥هـ

٢) كـذا

يوهنهم . (فما وهنوالما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

واستفيد ممن حضر الواقعة مع الفقيه المذكور أنه لما أحس المسلمون بمداخلة الشيخ أحمد الامازرى للعدو ، ندبوا (اداولتيت) كلهم الى (بني حامد) الى (أمانوز) للمدافعة عن (وجان) وكنت ممن انتدب لها مع شرذمة من شجعان قبيلتي اخترتهم من ذوى الكريهة والطعان ومن لايقعقع لهم بالشنان ، متقلدين بالرباعيات (١) حاملين أغمادا وأكياسا ومزاويد من القرطاس اى الرصاص الرومي ، فسلكت بهم بين الاشجار الملتفة حوالى (وجان) حاميا عمن تترس بالاسوار والبروج والسواقى فكان العدو مع ذلك يضرب بالكور (القنابر) (٢) ويقع في حائط اوبرج اودار اوسور أوشجرة كبيرة فتخر ساجدة على من تحتها ، ساقطة عليه ، ومن عناية الله ولطفه المعدود من كرامات أهل الاسلام ان اكثر من سقط عليه ماذكر ناج ، خارج تحت الهدم وغيره من غير باس ، بل ينفض صاحبه عن نفسه الغبار ، فيضرب العدو من جديد ، كأن لم يصبه شيء (وماذلك على الله بعزيز) في حق المجاهدين رضوان الله عليهم ، وقد وقع للصحابة رضوان الله عليهم مثل العلاء بن الحضرمي وسعد بن ابى وقاص رضى الله عنهما

وقد رأيت في ذلك اليوم على اكثر الفرسان حمرة الدم من اعلاهم الى حوافر خيلهم ، كأنما خاضوا بحردم سائل ، منهم الفقيه المذكور ، والقائد سعيد المذكور من كثرة الجراحات فيهم وفي خيلهم ، ولم يفت ذلك في عضدهم ولا وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، ودام ذلك على الناس ثلاثة أيام بلياليها والخليفة الشيخ النعمة ابن الشيخ ماء العينين قد خرج لما رأى الامر لايزداد الا شدة .

ثم بعد ذلك اوعز الرئيس الشيخ أحمد الامازرى لقبائله بالخروج والتخلي عن (وجان) ونادى في الناس ان البلد بلدى ، ولااريد ان تكونوا أيها المسلمون سببا لهدمه فاجمع الناس على الخروج لما فيه من منفعة للمسلمين ظاهرة ، لان (وجان) ليس بمركز حربى المعدو لمجيئه تحت جبال (ولتيتة) ومراد العدو في احتلاله واخضاعه ان لايوتى من خلفه اذا تقدم لـ (تيزنيت)

ولما انجلى الناس عن (وجان) بانجلاء الخليفة المذكور، بعد أن استولى الخراب والهدم على جل البلاد ، انحازوا الى الجبال ، واجتمعوا هناك بقضهم

---

١) نوع من البنادق

٢) يجرى على الألسنة القنابل باللام كما عند المترجم والصواب بالراء كما بينه شكيب أرسلان وكما كان اهل الجيلين قبلنا يستعملون الكلمة كالشرقاوى المصرى والزيانى تشبيها للقذيفة بالقنبرة اى الطائر المعلوم

وقضيضهم ، وعقدوا مؤتمرا عظيما مشتملا على رؤوس القبائل المدافعة ، ومن جماتهم الخائن القائد احمد الامازرى الباعقيلى ، فتكلم الناس بمايتعلق بالمدافعة عن الاوطان ، والبلاد السوسية ، فتكلم هو وقال : انني قد اجتمعت مع رئيس الحكومة الفرنسية المتولى لقيادة الجنود فعقدت معه صلحا ، مضمنه أن ينسحب الناس أى المسلمون عن بلاد (ولتيتة) وأن يشمل الصلح (بعقيلة) و (رسدوكة) و (سملالة) و (املن) الى رأس الخيط بـ (أيت وسيم) من دون (أمانوز) و مجاطة الى جهة اليمين ، فلاصلح لهم الا اذاقبلوه ، والا فليخرجوا عن بلادنا ، وليقاتلوا فى واجهات بلادهم ، فتكلم الحاضرون بلسان واحد قائلين نحن لانترك اخوانا المسلمين ، ولا نفترق معهم الى ءاخر نفس ، ورفضوا كلامه وصلحه ، وأبرموا امرا على تدبير اغتياله

كيفية اغتياله

اما رفض الجميع كلامه غير ثلة من قبيلته ، المعدودة من دائرته ومن أهل مائدته الذين هم من ثقاته ، وانسحبوا من (وجان) ومن جميع بلاد (بعقيلة) الى (المنكب الابيض) و (ميرغت) و (ايت باعمران) وغيرها ممن فى الجهات المخوف هجوم العدو عليها ، شرع فى عقد مؤتمر من قبيلته ، مضمنه أن كل من قاتل او تحرك أو أعان فعليه عقوبة مالية ، وهدم داره ، الى غيرذلك من أنواع التخذيلات ، وجعل يباكر العدو ويراوحه فى المفاوضة على العمل فى أمر الاحتلال ، بعدما ارضخوا له بشىء من متاع الدنيا الدنية ووعدهم أياه بالقيادة على جميع قبائل (جزولة) وذلك كله على يد عاملهم الحاج الطيب الكنتافى المتولى على جميع مااحتلوه من السوس (١) وذلك من (اكادير) الى (تزنيت)

وجعل الشيخ أحمد المذكور يعقد المؤتمرات فى بلاد (بعقيلة) مع نفاليسه واعيان قبيلته ، وهويعدهم تارةويمينيهم اخرى وتتبعقرىبعقيلة ومداشيرها بالبيات معهم والاحتفالات والقاء الخطب ، والآراء الراجعة الى قضاء اغراضه وفى كل ذلك يكيد له أصحابه مكايد ، وينصبون لوقوعه حبائل ومصائد ، ويسرون له حسوا فى ارتغاء ، ويباكرون المسلمين بأسراره ويراوحونهم ، والمسلمون فى كل ذلك مشتغلون بمقاتلة العدو ومشابكته بـ (ايتباعمران) و (المنكب الابيض) (ايغيرملولن) وغيرهما ويحتسون كئوس المنايا من أفواه المدافع والقنابل والرشاشات الى أن قيض الله لهم نصرا مبينا بانهزام العدو وتقهقره كما سنذكره قريبا

وراود أهل الصلاح والفلاح من (ولتيتة) الشيخ احمد المذكور على الرجوع الى دخول الجماعة والسمع والطاعة بل جاء جميع طلبة (ولتيتة) وهم اكثر

١) يعنى فى جهة تيزنيت الساحلية

من ألف طالب ، وفيهم العلماء . ورغبوه في الرجوع ، فلج وتكبر عليهم ولم يعر كلامهم اذنا ، ولاسمح لهم بقبول كلمة واحدة ، فدعوا عليه بالهلاك العاجل وانفضوا ، فمامكث غير ثلاث حتى قتل شر قتلة في بلدة (تين مسان) من (بعقيلة) بات فيها ، وأصبح محصورا فيها مع شرذمة من دائرته ، لاتتجاوز ستين رجلا مسلحا ، فسلموه بعد قتال قليل ، وأخذ باليد بعد قطع يده بالرصاص ، ولولاذلك لم يوخذ لشجاعته وثبات جاشه في أمثال هذه ، اذهو فتى الكريهة ، يخوض غمار الموت ولايبالى ، مع دهاء وفكر وبسالة لايدرك شاوه في ذلك كله .

ولما أخذ وقيد أحاط به جمع كثير من المقاتلة ، وفتشوه فوجدوا عنده مكاتيب العدو وظهائره ، ومعلومات تدل على جميع ماابرمه معه ، فقرروه فأقر بالجميع ، وغالب من تالب عليه ، وداخل في قبضه وقتله ، دائرته وأصحابه تقربا منهم الى الله لخيانته للوطن وللاسلام ، ثم أمروا بعض من قتل له أباه ، أوبعض اقاربه ، فقتله بخنجر يضربه به الى ان برد وانقضى ، ثم وضعوه للكلاب ، ولكن انتدب بعض الناس لمواراته فواراه ، وعمت اخباره البلاد ، وحمد الناس الله حين لم يتسع خرقه على الراقع ، وطارت اخباره وبشائر قتله الى المجاهدين وهم راجعون من واجهة العدو منتصرين ، ذلك مايتعلق بامره

وأما مايتعلق بامر العدو ، فانه لما فرغ من احتلال (وجان) رجع عنه الى (تيزنيت) و (اولاد جرار) فملات عساكره جميع تلك السهول الى وادى الغاس) وذلك انه استنفر المغرب الاقصى باجمعه ، واستعان أيضا بأهل المغرب الاوسط ، لكونهم مستعمرين من قبله منذ زمن بعيد اى من سنة ١٢٥٢هـ(١) فأما أهل المغرب فقد قاد كل قائد منهم قبيلته التي تقيد عليها ، فالقائد العيادى الرحماني مثلا يقود قبائل الرحامنة ، والحاج التهامي الاكلاوى يقود القبائل التي تحت نفوذه من (مراكش) الى (درعة) الى جبال (وزكيتة) و (سكتانة) و (دمنات) وما الى ذلك كله ، والقائد عبد الملك المتوكى من سوس الاقصى الى (مراكش) وقس عليهم قواد المغرب جميعه

ثم انه لمارجع من (وجان) انكمش بجنوده الخاصة به في داخل (تيزنيت) وباقى أهل المغرب خارجها ، وفرض عليهم مراقبة عظيمة ، وسدد نحوهم مدافعه ، واحتاط لنفسه مخافة الغدر احتياطا كبيرا وأقام على ذلك خمسة عشر يوما وهو يراسل القبائل المتمنعة القريبة لطلب الاستسلام مثل القائد المدني الاخصاصي ، والقائد مبارك البنيراني المجاطي وغيرهما ، بل ندب من قبله قواد الحوز المتقدمين الى ملاقاة المسلمين ، وعينوا مؤتمرا يشتمل على خمسين رجلا من الجهتين

---

١) كان مبدأ احتلال الجزائر ١٨٣٠ م نحو ١٢٤٥هـ

مـؤتمر (مـيرغت)

تقع قرية (ميرغت) بين (الاخصاص) و (اولاد جرار) وهي مسقط راس الفقيه العلامة قطب زمانه سيدى محمد بن سعيد الاخصاصي الميرغتي دفين (مراكش) ناظم المنظومة المعروفة بالمقنع في التنجيم رضى الله عنه ، وتقعفي عداد ايالة القائد المدنى الاخصاصي

وعين الجانبان خمسين فارسا لكل جانب من رؤساء العسكر في كل، وأنا واحد ممنحضر المؤتمر في جانبنا ، وفينا رئيس الجميع الفقيه العلامة المجاهد العظيم سيدى علي بن عبدالله بن صالح الالغي ، والقائد الاعظمالشجاع البطل السيد مبارك البنيراني المجاطي وغيرهم من شجعان القوم

ومن الجانب الفرنسي ، الذى عينهم الجنرال الفرنسي (كـورو) وفيهم رئيس الحوز باشا (مراكش) ونواحيها الحاج التهامي الاكلاوى ، والقائد الاعظم العيادى الرحماني والقائد الافخم السيد عبد السلام المتوكى خليفة الباشا الاكبر عبدالملك المتوكى البووابوضى ، والقائد الاكبر الحاج الطيب الكنتافي المتقدمو الذكر ، وغيرهم من قواد (هشتوكة) و (هوارة) و (حاحة) و (الشياظمة) وغيرهم

وكانوا قد سبقونا الى النادى ، واستقر بهم المجلس ، ونحن في الطريق ذاهبين ، ولما كنا في أثناء الطريق استوقفنا القائد مبارك المجاطي ، فقاللنا: الرأى عندى أن نميل على هؤلاء الرؤساء بالقبض والاسر ، فانهم ان وقعوافي قبضتنا تبذعر هذه الجموع في اسرع من لحس الكلب أنفه ، وأنهم عيـون الحكومة وقلبها ، وان كانوا مثلنا في العدد والعدد ، فنحنأقوى واشجعوأمرن على الحرب ، لاننا بدويون وهم حضريون . ومن لم يستاسر منهم قتلناه ، وفي فدائهم لنا بعد النصر قوة عظيمة نقابل بها عدونا من بعد ، فماذا تقولون ؟ فمال الناس الى كلامه ، غير الفقيه الرئيس الاستاذ علي بن عبدالله المذكور، وكان سليم الصدر ، شديد الورع ، والتمسك بالسنة ، فقال : وكيف يحل لناغدرهم ونحن معهمفي أمان ؟ وعقدنا معهم ماعقدنا ، فلايحل لنا الا الوفاء، فراجعه مرارا فأبى فتكلمت وأنا أجسر الناس على الفقيه رحمه الله ، فقلت كيف نعتبر الوفاء بيننا وبينهم وقد صاروا ظالمين لنا من وجوه كثيرة ؟ لانهم أخذوا بيد العدو ، وقاتلوا دونه باموالهم وانفسهم برضامنهم ، وانهم هجموا علينا في عقر أرضنا وجاسوا خلال ديارنا ، طالبين لاعلاء كلمة الكفر ، ألم يقل الله تعالى «ولاينال عهدى الظالمين» اولم يقل تعالى في ادنى من هؤلاء : «وأما تخافن (١) من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء» الاية ، فاذالم تكنخديعة

---

١) العجيب كيف استدل بالاية ضد ماتدلعليه من الوفاء وعدم الخيانة

او حيلة فلا ننال منهم أبدا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم «الحرب خدعة» وهذا المؤتمر نفسه انما عينوه خديعة ، ليلتمسوا خللا وتفريقا ، اويلتمسوا رأيا واهيا وليسبروا أفكارنا قوة وضعفا او ليستميل بعضنا بالمودة والرشوة او او . او الى غيرذلك ، فمال الناس الى كلامى . ولكن اللهسلمفصاح على الفقيه بكلام اشرف معه على البكاء ، وقال انعود خائنين لاوالله لاحضركم فثنى عنانه المرجوع ، فساعدناه حينئذ ، وذهبنا اليهم ، فالفيناهم جلوسا. فلما دنونا منهم قاموا اجلالا لنا واعظاما قومة شخص واحد ، وعانقونا ورجعوا الى مجالسهم

فلما استتم الناس الكلام والسلام افتتح الفقيه سيدى على بن عبدالله خطبته وتكلم ووعظ ووبخ . ومن جملة كلامه قوله لهم ياقواد الحوز وغيره كيفسولت لكمأنفسكم هذا الامر ؟ اذ عمدتم الى النصارى فأدخلتموهم الى أوطانكم على المسلمين ، وتزعمون أنكم من عداد أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومامنكم من أحد الا وهو حاملالكتاب الله ، حاج لبيته ، فما رضيتم بتوليتهم التى قال الله فى شأنها «ومن يتولهم منكم فانه منهم» حتى عززتموهم ونصرتموهم وواسيتموهم بأموالكم وأنفسكم ، ودخلتم معهم فى سفك دماء أخوانكم المسلمين وتخريب ديارهم وتدمير أوطانهم وأوطانكم : «الم يان للذين ءامنوا ان تخشع قلوبهم لذكرالله» ولو كان فيكم أدنى شعرة منالايمان لملتم مع أخوانكم المسلمين على عدوكم ميلة واحدة ، ولاخذتكم النخوة على دينكم وأهله ، فتتخلون عن العدو ، وتخذلونه فيفشل ويرجع عنهم ، ولكن لاحياة فيكم (ولاحياة لمن تنادى)

فأجابهكبير القواد والقوم الحاجالتهامى الاكلاوى باشا(مراكش) ونواحيها قائلا اننا لم نجىء الا للمصالحة بينكم وبين الحكومة الفرنسية ، فقال لهالفقيه المذكور أىصلح بيننا وبينها مادامت فى أرضنا ووطننا ، فقال الصلح على شروط ثلاثة : اولها ان تخرجوا الامير مولاى أحمد بن ماء العينين عنأرضكم والثانى أنتاتوا بهداياكم الى(تيزنيت) وتخضعوا للحكومة ، والثالث انتسلموا السلاح لها الا ما اضطرت اليه الحاجة ، هذه هى الشروط التى القاها عليكم الجنرال الفرنسى (كورو) ، فان اختل واحد منها فلا صلح

فقال له الفقيه سيدى على بن عبد الله المذكور : فهذا اذن عين الاحتلال لاوطاننا ، والله لانقبل واحدا منها حتى لايبقى فينا نافخ من رجل او امرأة، فانفض المجلس كل الى فئته ، فاستعد الناس لهول عظيم ، واستنفروا جميع من بقى من (وجان) الى (تيبيوت) الى بلاد (اقـة) مـن جهة القبلة ، وشحنوا (المنكب الابيض) (ايغير ملولن) بأولاد جرار بالرجال والعدة والعدد الكاملة، وكان يومئذ من عداد (مجاطة) اقتطعوه من الجرارى القائد عياد الـذى زار

النصارى واخذ بيدهم ، وكذلك شحنوا أيضا (أيت برابيم) الى (الحصن الاحمر) الى (ميرغت) من جهة الغرب

فأقام العدو بـ (تيزنيت) خمسة عشر يوما وهو يعمل الحيل والمكر ، وكان رجل من الاخصاص يقال له الشيخ علي ، نفاه القائد المدنى الاخصاصى قد هرب الى الجرارى فجعل يتجسس مواضع الضعف والخلل ، ويباكر العدو ويراوحه بأخبار ذلك ، وأخبار الناس وقوتهم ، فدلهم على موضع خاو من الادالة الا من عسة قليلة تقدر بمائة رجل فى بعض الشعاب ، فلما تحقق العدو ذلك جمع جنوده ، وأمرهم بالهجوم على ذلك الباب ، بكرة يوم قد خيم الضباب على الافق ، حتى لا يبصر الرجل الا صاحبه ، فهجم وضرب العسس بمدافعه ودخل على (أيت باعمران) من غير ملاقاة كبير مقاومة في ذلك الباب ، ونصب المدافع على المداشر يضرب بها مارا فى طريقه الى جهة (ايسك) بمشهد سيدى محمد بن عبد الله وسط قبائل (أيت باعمران) وارسل الى أكابر القبيلة للخضوع ، فهربوا الى (مجاط) و (الاخصاص) ولم يقبلوا اليه ، واستنفروا قبائل (مجاطة) و(الاخصاص) الى (أيت الخمس) الى (اصبويا) الى (زفاضة) و (اد أحمد) وأولاد (أبى السباع) وغيرهم ، فنفر الناس الى تلك الجهة ، ووقعت المعركة الهائلة ، واشتبك الرجال بالرجال ، وكثرت القتلى والجراحات ، لاسيما في العدو ، ووقعت هذه المعركة من طلوع الفجر الى العاشرة من نهار الاربعاء ٢٠ قعدة عام ١٣٣٥ هـ.

وخلاصة هذه المعركة أن العدو لما وصل الى (ايسك) ، خيم بجنوده على ربوة ذات قرار ومعين ، مشرفة على جميع ما حولها ، وهى مركز حربى مهم ، وبعث الى أكابر (أيت باعمران) للحضور عنده ، وللتكلم معه فى ابرام الشروط التى تمضى له ، فلم يأته منهم أحد ، بل فروا منه حسبما تقدم لاستنفار القبائل ، فنفرت القبائل الآنفة الذكر ، غير ان قبائل (مجاط) و (أيت وافقا) و (أمانوز) و (أملن) ونواحيها و (اداولتيت) و (اداكرسموكت) و (ادا وباعقيل) و (ادا وسملال) مرابطون في المنكب الابيض (ايفيرملولن) و(هيلانة) كلها من (أيت عبدالله) و (بنى على) وجيرانهم و (اداكنضيف) الى (اداوكثير) و أيت (والياض) ونواحيها و (أيت صواب) كلها الى (نكارف) مرابطون بـ (أيت باها) و (أيتوادريم) و (ادوسكا) العليا مخافة هجوم العدو الكثير عدده ومدده

ثم أن العدو قسم قبائل الحوز وقواده على واجهات اليمين الثلاث (المنكب الابيض) لحاحة ومتوكة والشياظمة الى عبدة ، وقائد الجميع القائد (١) الاعظم عبد السلام المتوكى وله فيهم نفوذ عظيم قبل الاحتلال ، مع ان كل قبيلة بقائدها

١) هو خليفة فقط لا قائد

الخاص ، والمواجهة الوجانية فيها (أيت صواب) وما حولها ونصف (ولتيتة) والواجهة الباعمرانية فيها (الاخصاص) وجميع قبائل (أيت بعمران) الى (اكليميم) و (افنى) عربا وعجما (١) ، وهى الوجهة المهمة عند المغيرين ،ولهذا خصصوا لها قوة مشتملة على ثمانين (٢) الفا من الفرسان والرجال وقوة عظيمة من المدافع والطيارات ، فحار الناس فى أمر العدو ، وتفريق قوته عليهم فى هذه الواجهات ، على انهم أقل من العدو قطعا ، لان عددهم يقدر اذذاك بعشرين الفا تقريبا

ولما رأى عبدالسلام المتوكى كثرة عدد العدو على المسلمين ، اخذته عليهم الغيرة ، فدس اليهم بان يتحركوا الى جهة (أيت باعمران) لتعضيد اخوانهم هناك على العدو الكافر ، قائلا لهم انا نحن هنا اخوانكم المسلمون ونحن مرابطون هنا للهجوم عليكم ، ولكن لانفعل حتى يتضح امر واجهة (ايت باعمران) فان غلبتم فيها عليه فنحن هنا مستعدون لغدره (٣) معكم او لايضاع الخلل فيه بالهزيمة والتفشيل ، وعلى كل حال فنحن معكم قلبا وقالبا انشاء الله ، فلاتخافوا من واجهتنا ، وانفروا الى (أيت باعمران)

فتوثق الناس منهم ونفروا الى (أيت باعمران) وانحشرت جيوش المسلمين من كل جهة بايمان واحتساب ، راغبين فى ثواب الله وتكاملوا بعد يومين فى موضع الوغى ، وقام العلماء والفقهاء والوعاظ على الناس بالخطب المبكية ، والتحريض على مبادرة العدو ومصادمته وتشجيعهم عليه ، فبات الناس وهم على ذلك يستعدون للمنازلة وجواسيس الفريقين تتردد ، والطائرات تزعق للاستطلاع والاستخبار ، وقسم الناس العسكر اربعةأقسام على العدو ، عند الحملة عليه ، وعينوا لكل قسم شجعانا من ذوى الكريهةالذين لايقعقع لهم بالمدافع ولايهولهم ازيز الطائرات ، ولا البنادق ولا الرشاشات

هذا كله والعدو أيضا منكمش بعساكره على تل عظيم ، وأحاط عليه سرادقهمن الاسلاك ، والمسلمون من شيعته خارجون عنه ، وهم اكثر منه والكل يترقب حملة صاحبه ، غير أن الناس توافقوا على مصادمة العدو بعد الفجر والحملة عليه ، فلما حان الوقت سمع الناس العدو يعبىء جنوده للمنازلة وينصب مدافعه للمضاربة ، فصمدوا نحوه قبل ان يصمد نحوهم بالفرسان المهيأة لذلك ، فخالطوه بالخيل والرجل مطلقين عليه شئابيب من القرطاس والرصاص ، وهجموا عليه . الى ان وصل بعضهم معسكره حيث يكون رؤساؤه فانزعجوا لذلك ، ودافعوا أيضا بقوة عظيمة من المدافع التى تدهش العقول

---

١) عربا وشلوحا

٢) فى هذا العدد اغراق وغلو

٣) كلمة عابرة لايمكن ان يكون لها أصل

وأطلقوها ، لكن لشدة الاختلاط يصيب اكثرها جنودهم فاختلط الرجال بالرجال والفرسان بالفرسان بالبارود والخناجر والمزاريق ، من طلوع الفجر الى عاشرة النهار ، وكان في المسلمين قتل لاسيما في شجعانهم مثل الشيخ على ابن العربي الكوراني المجاطي وغيره ، ممن لاتذل انوفهم الا لعزة الواحد ، فان من شجاعة هذا الفارس على بن العربي اذا حمل على العدو لايثني عنانه الا اذا قتل أكثر من ثلاثين ، وله معرفة بالكر والفر والمخاتلة والماكرة في الوغى وربما يلاقي مائة فارس فيهزمها وحده ، ويقتل البعض ويجرح البعض وياسر البعض وكان رجلا قويا شابا طويلا شهما لايعرف معنى للنكبات ولا الاوجال ، شان قبيلته وقبيلة (أيت بنيران) ورجالهم مثل القائد مبارك البنيراني وعصابته . فهؤلاء في الحروب كلهم صواعق لايهابون المنايا ، و(أيت الخمس) و (اصبويا) الى (وادى نول) أيضا اشجع منهم ، والحاصل ان هذه الحروب قد حضرها من أهل الشجاعة والشهامة رجال من ذوى الكريهة ، قد قطعوا أعمارهم في امثالها وهي شنشنتهم وديدنهم . وقد غذتهم بلبانها

ولما اشتبك القتال مع العدو مع أهل (أمانوز) و (مجاطة) و (الاخصاص) الخ تأخر عن الحضور قليلا من قبائل (وادى نول) من (أيت باعمران) المذكورة وقوى العدو ، وتكاثر على الناس ووقف في نحره رجال شجعان استحر فيهم القتل . وقد قتل في المعركة الشيخ على المذكور الذى هو رحى الحرب فتقهقر الناس مقدار كيلومتر واحد ، ثم ان عساكر (اصبويا) و (أيت الخمس) وغيرهم ممن تاخروا عن المعركة وصلوا الى اطراف المعركة ، ووافوها وهي في غاية الاحتدام . وقد سمعنا أبواقهم ومزاميرهم من بعيد ، فما وقعت أعينهم على العدو حتى وثبوا عليه كالاسود . وهم أهل جشع وشره الى الغنيمة لاسيما الى سلاح الرباعية والثلاثية . والقرطاس وهي عندهم اعز من الذهب والفضة

ولما تحقق العدو بمجيئهم وعلم أنهم أهل كريهة اندهل وطاش ، لاسيما وقد سدوا عليه طريق الهروب الى السهل وطوقوه ، ولم يبق له عند الهزيمة الا الطريق الوعرة ، واما الجهة التى دخل منها فقد سدوها عليه فخالطوه مخالطة الماء للبن بالقرطاس والسيف وغيرهما ، وكانوا جلادا أقوياء في الحرب . من رجال المعاداة . لبداوتهم وخشونتهم على العادة في تصلب أهل البادية وقوتهم ، فما كان غير مقدار ساعتين حتى تزحزح العدو عن المصاف . ولاحت منه علامة الانهزام ، ونحن حينئذ في شرذمة قليلة من الرماة في سفح تل اضطر العدو للمرور عليه في انهزامه ، لانسداد الطريق التى دخل منها كما تقدم وكنا نحو ثمانين من قبيلة (أمانوز) ونحو مائتين من (ولتيتة) ممن عرفناهم ، وكانوا رماة لاتسقط لهم رصاصة الا في وسط ذات عدو أورأسه . وقتلوا من العدو لاسيما من مسلمي الحوز مالايستهان به ،

فقلت لهم يجب علينا التحول من هذا الموضع ، فان العدو لامندوحة له عن المرور منهبقوته ونحن قليلون لاطاقة لنا بحصره ، فأبوا الا المقاتلة وفيهم بعض أهل العلم الذين لاخبرة لهم بمكايد الحرب ، قد قرأ عليهم ءاية «ومن يولهم يومئذ دبره» الخ ونسى مابعد الا الاستثنائية ، فدوخهم فكان سبب انتزاع سلاحهم وذلك انه حملت علينا طلائع العدو بنحو أربعمائة فارس جلهم من الاكلاويين وغيرهم ، وقالوا فى أثناء الحملة : اخواننا معشر المسلمين تحولوا من هذا الموضع فان العدو مضطر الى المرور عليه ، فقلت لهم : الان قد حصحص الحق وظهر الامر فأمرت اخوانى الثمانين بالتحول معى الى موضع مامون . ومركز أهم من هذا ، فتحولنا جميعا غير اولئك الناس فما كانغير قليل ريثما وصلنا الى مركزنا حتى أعاد العدو الكرة على الموضع وطوق الباقين وانتزع منهم السلاح . ولم يقتلهم . لان الجميع مسلمون وقالوا لهم الم نتقدم لكم وقد اعذر من انذر بالتحول قبل أن يراكم العدو الكافر فنصير متهمين عنده ، فهربوا بلاسلاح . فما وصلونا حتى وصل العدو بكلكله الى المحل المذكور . وهو فى كل ذلك يوالى قنابل مدافعه مثل الرعود على الناس ولكن لايقضى شيئا لشدة المخالطة ، وهمأيضا يرمونه بالرصاص مثلالمطر الغزير ولما تحقق قوة المسلمين وغلبتهم جمع عساكره وانكمش هو ، وحماهم بمدافعه متقهقرا جاءلا تلك الجبال الوعرة ممره والناس فىأتباعه محدقون به . وصار لايلوى على شىء وقطع فى انهزامه اكثر من مائة كيلومتر الى (تيزنيت) (١) والناس فى اثره يقتلون وياسرون وكان انهزامه فى الساعة الثامنة صباحا الى الساعة الثامنة ليلا فى وقت العشاء ووصل الى (تيزنيت) (٢) وسد أبوابها عليه دون عساكر المسلمين أهلالحوز شيعته . وخرج من ليئه قبل الفجر ناجيا بنفسه ومن بقى معه الى (مراكش) و(الدار البيضاء) من حيث يامن وترك قواد الحوز والقائد الجرارىوأمرهم بعقد الصلح مع المسلمين علىالشروط التى يقترحها المسلمون ، فأصبحالصباح والناس مطوقون للجرارى (٣) و(تيزنيت) ولما تبين لهم انالنصارى خرجوا منها ، ولم يبق غير شيعتهم من المسلمين . فت ذلك فى عزمهم . وكرهواسفك دماءبعضهم لبعض وتراسلوا فيما بينهم ، فعينوا موضع المؤتمر فى بو

---

١) كـــذا

٢) هذا غير مضبوط وقد لعبت العاطفة دورها فى غالب هذا وقدبينا نحن ماعندنا فى ذلك فى محل ءاخر

٣)هذا فيه مافيه فان الهدنة وقعت بعدما كاد المسلمون يتفرقون ضجرا مما لاقوا ولميطوق اذذاك الجرارى ولا تيزنيت وفى ترجمة القائد المدنى الاخصاصى تبيين هذه النقطة وهى فى (القسم الخامس)

الصنصار بين (تيزنيت) و (أولاد جرار) واجتمعوا هناك فيما بينهم وتلاوموا فيما يفعلونه من الاخذ بيد العدو ، وردوا الملامة كلها على الجرارى الذى استنصر بهم . ورتبوا عليه خسارة الحرب . ولكن بلا اجحاف . بل بمال يقدر بأربعين ألف ريال حسنى ففى . وشرطوا ان لايعود العدو لغزو سوس من (تيبيوت) فى جهة القبلة الى (تيزنيت) غربا الى صحراء السودان جنوبا الى (شنكيط) الى جبال عدان ـ ادرار ـ وكتبت خطوط الجميع وقيدت رسوم الضمانات على رجال من الجانبين ، ولكن ذلك كله كان من باب العبث والغباوة من الناس اذ العدو ذهب ليستعد لقوة غير هذه . وينظر فى الوسائل التى تنفعه من أعمال مكر وخديعة وتضريب بين الناس وبث الشقاق ولم ينم كما ينام المسلمون والعقلاء من المسلمين أيضا لم يعجبهم ذلك . بل من حسن السياسة عندهم متابعة النضال والعدو الى مراكش لان المسلمين مستعدون للانقلاب عليه والانتقاض قبيلة قبيلة ، متى وصلهم مدد اخوانهم السوسيين . ولكن لما رجع الناس الى مواطنهم استحلوا لذة الراحة وركنوا الى هدنة على دخن . وناموا عن العدو . وتفرقوا كل الى شغله . رئيسا ومرؤوسا بلاوازع ولا امر ولاناه . معولين على بأرقة هذه الغلبة التى ستكون وراءها أمور مستنكرة واعداء مكرة

وما الدهر فى حال السكون بساكن ولكنه مستجمع لوثوب

حروب أخرى

ولما كانت سنة ١٣٤٢هـ دس الى قواد أطراف سوس بالهجوم على من يليهم من القبائل المعادية له فتحرك الحاج حماد ابن المقتول بأيت باعمران حيدة بن مايس هو والقائد محمد بن ابرهيم التيبيوتى (١) وغيرهما من قواد (ردانة) ونواحيها الذين هم من شيعة النصارى الى قبائل (هيلانة) وقبائل (ايسافن) الذين هم من قبائل المسلمين ، فاستغاثوا بالناس فوقع النفير واجتمع الناس من (أيت باعمران) و (الاخصاص) و (مجاط) و (أمانوز) وأملن وأعمال الجميع ، و (ولتيتة) و (أيت صواب) وأعمالها بقيادة الامير المقدم سيدنا محمد المصطفى المدعو مربيه ربه ابن الشيخ ماء العينين الصحراوى الكردوسي سكنى (كردوس) باعقيلة وجاء الجيش الى (أيت عبد الله) و (ادوسكا) و (أيت على) و (توفلعزت) و (ايسافن) ـ الويدان ـ ووقعت مقاتلة خفيفة قتل فيها من عسكر حماد بن حيدة مايناهز الثلاثمائة فارس ، فاجمع

١) تقدم فى بعض الحواشى ان أهل تيبيوت لم يكونوا فى ذلك الوقت الا شيوخا وأن أول من تقيد منهم هو المذكور هنا ولكن بعد خلع الحاج حماد ابن حيدة

الفريقان على الصلح لكونهما مسلمين . ولم يكن فيهم نصراني واحد غير بعض الضباط ، ورجعت القبائل المهجوم عليها الى ماكانت عليه من قبل ورجع اليها رؤساؤها المنفيون مثل المقدم حمو بن بلقاسم المرتيني والمقدم سعيد ابن الحاج محمد المدعو ـ أزبابو ـ الداسكاوى وغيرهما ، وابرم الصلح بضمانة القائد المدني الاخصاصي من جانب الامير المذكور ، وضمانة الحاج حماد بن حيدة من جانب النصارى . وانفض الناس كل الى حال سبيله بعدما اعطى جانب النصارى غرامة الحرب وكان الزمان زمان حرث وشغل ، فانثنى الجميع كل الى وطنه بعدما فازوا بغنيمة لها بال من خيل وسلاح ، لاسيما عرب قبائل (أصبويا) الذين هاجموا عسكر الحاج حماد وطوقوه ، واستسلم غالبه لهم من غير قتل (١)

ولما رجع الامير مربيه ربه المذكور الى (كردوس) حينئذ استدعى رؤساء القبائل المؤتمر ، اما بين القائدين القائد مبارك وشيعته مجاط والقائد المدني الاخصاصي وحكومته من الخلاف في عقد الصلح مع شيعة النصارى من غير مشاورة رؤساء الجيش الاسلامي ، وقد أشرف على العز والنصر . واتهمه بأخذ المال من القائد الحاج حماد والنصارى . ورجع الناس وفي قلوبهم مرض من هذا الداء العضال . وحاشا القائد المدني أن يرتشي وأن يأخذ الدنية في دينه ، أويخون أمته ووطنه . ولكن القائد مبارك وان كان له في هذه الحروب كلها ذكر عال . وصيت شهير . وصولات على العدو . وثبات . ووثبات فانه من بعد ذلك يناجي (٢) القائد عيادا الجراري رأس الطائفة النصرانية ، مع العداوة القديمة بينهما . اتقاءمن الجراري للقائد مبارك . ومخافة منه على هجومه عليه من جهة (المنكب الابيض)

ولما اجتمع الناس بـ (كردوس) كما ذكرنا تلاوم الناس فيما وقع من القائدين واتهم القائد مبارك الامير مربيه ربه بالتعصب لجهة القائد المدني وتصالح الناس ظاهرا . ورجع كل الى وطنه ، وفي ذلك كله تسرى العقارب بين القائدين وتحريك القبائل السوسية عليهما ولهما ، فتحزب للقائد مبارك قبائل (مجاط) و (أمانوز) واعمالها ونصف (افران) وتحزب للقائد

---

١) قد ذكرنا أخبار ماوقع لحمو بن بلقاسم وأزبابو في ترجمتيهما في هذا الكتاب وأخبار حرب حمو بن بلقاسم تعدد ذكرها في تراجم غيره وقدكنا ذكرنا في مقدمة الكتاب اننا قد نعدد ذكر واقعة واحدة عن رواة متعددين زيادة للايضاح

٢) اولا يناجي المدني بدوره الحاج حماد أوأمثاله ؟ والحقيقية ان الانتفاع الشخصي قلما يخلو منه الرؤساء اذذاك وان كانوا في المجموع أحد الناس في المقاومة

المدنى (الاخصاص) و (أيت باعمران) سوى أيت الخمس ، وفى عام ١٣٤٥هـ تهاجما ووقع القتال فيما بينهما على شأن القبائل الافرانية المنقسمة على حزبين أيت (أمسرا) و (أيت‌تانكرت) و (أيترخا) مع القائد المدنى وبنى شقراوة (اداوشقرا) ونصف (تانكرت) الباقى مع القائد مبارك ، فهجم الاخير أولا على (تانكرت) واستولى عليها فى ليلة واحدة ، وامتعض لذلك القائد مبارك واستنفر حزبه وقبائله فحمل على (تانكرت) حملة منكرة وحاصرها وقتل اكثر شجعان القائد المدنى . وأخذ الباقى وسلب ونهبت قبيلة(تانكرت) عن‌اخرها . فخرجت ولم يبق‌فيها دار سالمة الا دار المرابطين الفقيه‌العلامة سيدى الطاهر بن‌محمد . والفقيه سيدنا البشير بن المدنى الناصرى وقرابتهما فأخذ كل من أخذ بيد القائد المدنى فقتل اونفى وكذلك فعل بشقراوة (اداوشقرا) فانزوى القائد المدنى وشيعته الى (أهل امسرا) اعداء (تانكرت) قديما ، فاستمر البارود والخراب . وتفرق الناس على‌هذين القائدين فرقتين والعدو فى أطراف البلاد يتربص بهم مثل هذه الدوائر . وهو ساكت وربما يمد القائد مباركا بدراهم وغيرها سرا بواسطة القائد الجرارى وانما لم يهجم على الناس لخوفه من التئامهم عليه ، فترجع الحرب بين الرجلين سلما كماهى عادة أهل سوس مع العدو الاجنبى فانهم متى دهمهم العدو وهم فى التحارب والتدابر يجتمعون عن قريب ويتناجون بسرعة مدهشة . كما فعلوا فى قضية الحروب الكيلولية والنفلوسية التى آتينا على ذكرها فيما مر (١)

ولما استحر القتل‌فى الناس ضجوا الى علمائهم فى التوسط بين القائدين فى‌الصلح قبل أن يتفاقم الامر فذهب الفقيه المجاهد السيد على بن عبد الله الالغى والفقيه سيدى الطاهر بن محمد الافرانى والمرابط الفقيه سيدى البشير الناصرى وغيرهم ممن لم نذكر ، وكنت ممن حضر ذلك المجمع وقد وقع الصلح بعد جهد جهيد ومحاولات بين الفريقين طويلة بشرط أن‌تتصل كل قبيلة بمن تحبه من غير اجبار وأن تذهب خسارة هذه الحروب من نفس ومال‌هدرا بلا محاسبة لتعذر الصلح معها فابرم الصلح على هذا بعد استمرار الحرب سبع سنين من عام ١٣٤٤هـ الى عام ١٣٥١هـ

وفى هذه الحرب انقضت (٢) شجعان هذه القبائل وفرسان‌كريهتها وذوى النخوة والاباية الذين لاتذل انوفهم الا لعزة الواحد القهار وصارت

---

١) هذا الذى قاله المترجم عما وقع بعد رجوعهم من تلك الحرب صحيح كله وهى انقى خبر حدثنابه بلاعاطفة وياليته فعل ذلك فى الجميع

٢) لم يهلك فى هذه الحروب من يعلمون بالبسالة الا قليلون والجل من غمار الناس على أن الموتى مطلقا غير كثيرين فيها ثم أن المدنى أخذعن قتلاه وخيله الهالكة نحو ثلاثين الف ريال

قبائلهم اينة اغمزة العدو وانخفضت له بسببها شوكتهم ، وهكذا حال المسلمين باسهم بينهم شديد شرقا وغربا وكذلك يفعلون مادخلهم عدو قط الا مهدوا له بالخلاف بينهم الطريق (١)

الاحتلال التام

وكذلك كانت البلاد السوسية كلها تضرب كل قبيلة جارتها ، والعدو محيط بهم من كل ناحية وءاخذ بمخانق الجميع وقد اشتعلت نار الحرب أيضا بين أيت مريبط . بين القائد ابرهيم بن بلعيد المريبطي . وبين الشيخ محمد ازنكض ـ الغزال ـ الوابلي سبع سنين . فاستنفر الاول (أقة)واعمالها و (طاطة) واعمالها . وأمده العدو بعدة كثيرة . واستنفر ازنكض من(أيتوابلي) الى (ايشت) و (تامانارت) و (أيت علي) وأمده القائد المدني الاخصاصي برجال وخيل ومئونة ، فوقعت خطوب وقتل من الفريقين جمع عظيم وهدمت القرى والمداشر وقطعت الاشجار من نخل وغيرها . وقطع الماء عن الفجة الخضراء (تيزكي يريغن) (٢) حتى يبست اشجارها . ودامت هذه الحرب أيضا حتى قضى على تلك النواحي القبلية . الى أن كانت سنة ١٣٥٢هـ فهجم العدو عليهم كما هجم على بقية النواحي الاخرى . فاحتلها بعد ان والى عليهم غارات الطائرات شهورا وهدم عليهم البناءات فانجلوا عنها وهجم بالعدد والعدد ووصل البلاد وهرب الرئيس ازنكض ناجيا بنفسه ودائرته الى (سملالة) ودخل حرم السيدة تعزى السملالية ، الى ان وصله العدو واستخرجه وأخذه اسيرا هو ومرابطو القصبة سيدى ابرهيم بن محمد وأخوانه ، ونفاهم الى (ردانة) فاقاموا فيها ثلاث سنين ثم أطلق سراحهم

وكذلك وقع فى سنة ١٣٥١هـ ان اشتعلت الحرب فى (ايشت) بين أهلها وبين البرابر الذين انجلوا عن أحواز (درعة) و (تافيلالت) الهاربين من العدو مع الرئيس بلقاسم الانكادى وهم أيت (خباش) و (أيتحمو) (وأيت مرغاد) وغيرهم ، ويقدر عددهم باربعة ءالاف ما بين فارس وراجل وقد كانوا مجاهدين للعدو فى بلادهم سنين تنيف عن العشرة وفعلوا فى العدو الافاعيل وكثرت فيه نكاياتهم ونهبوا وسبوا ، وفيهم شجاعة وثبات وفروسية معروفون بالرماية ثم انهم لما غلبوا على بلادهم (درعة) (٣) و (تافيلالت) واعمالها تحيزوا الى السوس مع رئيسهم المذكور واستوطنوا (تامانارت) تحت حكومة القائد البشير الاكرضى و (ايشت) الى (ايتسموكن) الى (أمانوز) وكانوا يغيرون أحيانا على العدو ، ويأتون بانواع الاسلحة ثم

١) كلمة حق بالنظرة العامة

٢) هذه الحرب ذكرت بين تراجم ءال سيدى محمد بن ابرهيم الشيخ فى (الفصل الثانى) (القسم الثالث)

٣) هؤلاء من تافيلالت لا من درعة

سول لهم الشيطان فغدروا بـ (ايت ايشت) واخذوا ابراج البلد وأسواره وتحكموا فيه بقتل الرجال ولم يفلت الا من خرج بكرة الى السواقى وتم لهماحتلال (ايشت) وضج الناس لذلك وعلموا أن هؤلاء لم ياتوا الا للفساد والافساد فتهيأ الناس لغزوهم واخراجهم عن الحكومة ولم يتمكنوا منذلك ثم فاجأهم احتلال العدو الاكبر وخرجوا هاربين الى ناحية الصحراء ثم بعد ذلك استسلموا فيمن استسلمهم ورئيسهم بلقاسم الانكادى ورجعوا الى بلادهم ورجع رئيسهم الى بلاده (١)

وكذلك اشتعلت قبل هذا الوقت أى في سنة ١٣٤٧هـ نار الحرب بين القائد البشير التامانارتى وبين المرابط محمد بن الهاشم التيمكيدشتى وسببها أن عم الاخير المرابط العربى بن الحنفى التيمكيدشتى تنازع مع ابن أخيه محمد المذكور رئاسة الزاوية ، فداخل العربى القائد البشير فى الامر. وابرموا قتل محمدبن الهاشم ودسوا اليه أربعة رجال كل بمسدسه ، فيهم محمد بنالعربى المذكور فجاءوا الى محمد بن الهاشم فوجدوه فى المدرسة بين الطلبة يداعبهم على العادة فى دكاكين هناك فحاولوا إطلاق الرصاص عليه فتفطن لهم بعض الطلبة فما سددوا المسدسات نحوه للضرب حتى وثبوا عليهم . وناوشوهم القتال . وجرح البعض . وهرب محمد ابنالهاشم بعدما رمى برصاصات لم تصبه الى داره فأخرج الاسلحة الى طلبته وعبيده وأصحابه . وقد نافوا عن ثلاثمائة رجل فأخذ البلد . وخرج عمه العربى فارا بنفسه الى ذات الريح (تيواضو) من شيعته ثم بعده الى (تامانارت) فافترق الناس عليهما فرقتين من (أمانوز) و (ايكنان) و(انزرن) و«تاسريرت» و(سملالة) الى (ادابرهيم) و (اداوسلام) و (تكنة) و(اداويزيد) فارسل الاكلاوى الى محمد بن الهاشم من (ايت ووزكيت) رجالا وسلاحا ودامت هذه الحرب من سنة ١٣٤٧هـ الى ١٣٥٢هـ وفنى فيها من الفريقينخلق كثير من الطلبة وغيرهم ، وفيها قتل رؤساء (أمانوز) مثل بلقاسم بن على بن محمد نسى بوفتاس الايزربيبى وابن عمه السيد الحسن بن عبد الله ، وعمر العنذوز والحاج سعيد بن على الامزاورى و"محمد ـ فتحا ـ بن عبد الله بوتيبسيسيت وغيرهم من شجعان القبيلة وهكذا شجعان كل قبيلة ونهبت بلاد مثل (أيت باها) من (أمانوز) و (امكنسن) وغيرهما وكذلك ذات الريح (تيواضو)

ووقع في سنة ١٣٥١هـ خراب ذات الريح (تيواضو) وهى قرية فيها ازيد من الفى نسمة تحت قرية زاوية (تيمكيدشت) وسبب ذلك ان محمد بن

١) بقى حيا فى بلده الى انتوفى نحو ١٣٧٦هـ وفى ترجمة مبارك انتوزونينى أخبار الانكادى هذا مستوفاة وهذه الواقعة مفصلة فى (القسم الخامس) فى أخبار ءال (ايشت)

الهاشم فقد مع أهلها هدنة ، وهم من شيعة عمه العربي . واظهر لهم الامـان الكثير . وجعل يستميلهم بانواع المكر والخداع ، فلما اطمأنوا بعث الى اعيانهم يدعوهم الى مأدبة الاكرام فتسارعوا اليه معتقدين فيه أمانا عظيما . اذاكان قبل هذه الحرب مخدوما من قبلهم معتقدا عندهم ، فلما دخلوا داره ومحـل ضيافته والكل منهم مسلح برباعيته ، قدمت لهم موائد الاطعمة . ووضعت بين أيديهم . وقبل أن يغسلوا أيديهم للاكل احاطت بهم رجال القبض والاسر وهم ثمانية عشر وجعلهم في الحديد المثقل وبعث من حينه الى قريتهم وأمر بهدمها فماكان اسرع من لحس الكلب انفه حتى صارت خرابا يبابا ولم يبق فيهاالا اليعافير والا العيس (١) وأمر بهدم جامعها وصومعته . ومشهد صالح هناك وأحراق قبره . وأضرمت النار في القرية حتى صارت عبارة عن كدية تراب . فتفرق أهلها شذر مذر . أيادى سبأ اكثرهم لمراكش وفاس واستوطن المستضعفون من رجالهم ونسائهم قرية (كـادورت) الى أن وقـع الاحتلال فوجدهم في الحرب . واستسلموا عن ءاخرهم . ورجع كل الى وطنه وشرعوا في بناء دورهم بعد ذلك

وأما الاعيان المساجين فقد أقاموا في السجن في حالة يرثى لها . وخيم عليهم القمل والجوع يتخبطون في أبوالهم وغائطهـم ، وتسلط عليهم مـن وحوش الرجال ناس من (أيت واوزكيت) لايعرفون الانسانية فقضى الجوع على اكثرهم . وقتل الباقون بعد أن ذاقوا العذاب الأليم . وهرب بعضهم

والحاصل أن ابن الهاشم هذا اظهر من القساوة والفظائع وأنواع الهمجية مالم يعهد مثله في تلك الجبال الجزولية . ولاعجب فانه رجل ما استقبل قبلة قط للصلاة . فما صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى (٢) ومن غرائبه أنه لماعين قائدا بعد الاحتلال ضرب على القبائل ضريبة مقدارها مليون من الريال الحسنى في ظرف ثمان سنين ، دون الزرع والادام والدقيق والدجاج والغنم والبيض والتبن والخشب والبهائم والزرابى وأعشار القضايا ولم يحاش في ذلـك حزبه ولاغيره . ولا شريفا ولا عالما ولا مرابطا . ولافقيرا ولاغيره بل زادعـلى العلماء والمنتسبين وكثرت الشكايات في الادارات والجرائد وغيرها من ٢٢ ذى القعدة عام ١٣٥٢ الى عام ١٣٦٠هـ وقاسى الناس في أيامه أهوالا ومحنا ، ولا يأمن الانسان معه على نفسه وماله ، وكانت لى عنده منزلة متينة لما تقدم من تربيته واقرائه حياة والده المرابط السيد الهاشم بن الحنفى سنة ١٣٢٨ فما بعدها أيام توليتي للتدريس بالزاوية . ثم بعد ذلك أظلم الجو فيما بينى

---

١) اقتباس من بيت الشواهد المعروف

وبلدة ليس بها أنيس الا اليعافير والا العيس

٢) العهدة على الكاتب وستبرى ما في قلبه عليه فالله يرحم الجميع.

وبينه في حياة والده وفارقته ، ولما تولى قائدا سعى في القائى الى التهلكة بكل ماامكنه سرا ويجلني ظاهرا وكانت بيني وبينه ملاومات شفاهيات وكتابيات وأعانني الله عليه فكبحت جماحه بالشكايات بعض الشيءفي جميع ادارات المغرب الكبرى ، فلما كانت سنة ١٣٥٩هـ انقبض عن الادارة وعن حالها وعن أشياخها لتخوفه من الجميع فبعث اليه الحاكم مرارا فامتنع من أتيانه . وهم به وبقبضه . لولا أن الحروب الجرمانية العالمية فاجاتالدنيا وعنده هو أيضا سلاح كثير مخزون فخاف الحاكم من اثارة الفتنة فعزله وتركه وشأنه ومازال عنده كل سلاح يسمى أبو الشفرة (١) بأنواعه من البنوري وتاسدًا والترهالي وغيرها ، ومن انواع ذى القرطاس الانجليزى وصاصبو وسبب بقائه عنده استسلام تلك القبائل على يده يوم احتلال الحكومة مع الحاكم الاول الفسيان (سيكو) مدير مكتب (تافراوت) والقبائل التى سلمت السلاح على يد ابن الهاشم هذا هي (أمانوز) و (تاسريرت) و (وادىايسى) و (اكنان) و (انزرن) الى (اداداس) و (أيت بونوح) ويقدر عددهم بالفى كانون ولم يبق عندهم الا الكميات اى الخناجر المفضضة والمذهبة . ثم تحيل لهم بان دس الى الحاكم ان ياخذها منهم مخافة الفتنة ولم يساعده الحاكم ولكن استبداده عدا على الناس فجردهم (٢) من الجميع ولم يترك لهم ءوسى صغيرة عياذا بالله وكشط البنادق من أبى الشفرة والخناجر بان جردها وقشرها مما عليها من الذهب والفضة ، وبعث بذلك الى اليهود . فصرفوا له البعض وضربوا له البعض سبائك

رجع إلى ذكر الحوادث

ومن الحوادث ما وقع في عام ١٣٣١هـ من الغلاء المفرط ، وانحبس المطر ولم تقطر منه قطرة واحدة الا في الاراضى المسماة المعادر القبلية ، فانها قد غمرتها السيول وانحشر اليها الناس ممن لهم زريعة ، وكنت ممن حرث فيها بموضع يسمى (يوك الخير) وهو مملوك لايت امريبط أهل (تيزونين) و (ايكضى) و (أقة) وغيرهم من القبائل القريبة والبعيدة منه ، ومن لم يكن له فيه ملك اخذه بالخمس ممايخرج منه على العادة . وهى أرض طيبة ممايحرث فيثمر ويدرك فى اربعين (٣) يوما من حرثه فيحصد ، وهى فى موقعها في الحدود الصحراوية مما يلى الغرب وهى عبارة عن رمال متجمدة ، وارض لينة

١) أنواع من البنادق الاهلية القديمة

٢) التجريد من الخناجر التى يتقلد بها عم جميع تلك القبائل المحتلة اذذاك وكان من أول يوم فى جميع تلك الجبال

٣) هذا فى عهدته وهذه الارض ذكرها البكرى فى (المسالك) فى القرن الخامس بالجودة لما ذكر (تامدولت)

طيبةذات مفابن واودية ووهاد وتلول وتخرقها جبال (بانـي) واكثر نباتها العنكريش الدفلى وشجر الاثل وهو فيها اكثر واعظم حجما طولا وعرضا بحيث تأوى مائة نسمة الى ظل شجرة واحدة ، ويسكن تحتها الانسان فتكفيه الحر والبرد والاحتطاب وهي وان كانت مملوكة للجيران فانها تـحـت سيطرة عرب معقل (أيت اوسا) و (الركائبات) الى ماوراءهم ومن اشتدت منهم شوكته ، فهي تحت يد المذكورين يرضخ لهم أهلها بشيء قليل

عرب شنكيط ومن إليهم

هؤلاء الاعراب فيهم عفة ونزاهة وسماحة ، وللركائبات فى هذه السنين السيطرة عليهم لكثرة عددهم وعددهم بعد قبائل أسا ورئيسهم فى ذلـك العهد رجل اسمه ولدالخليل من فتيان زمانه واجودهم واشجعهم . وفيهم(١) علماء وادباء حلماء رجالهم نساؤهم وليس لهم شغل الا القراءة والخوض فى العلوم العقلية والنقلية . والحفظ للمتون المتنوعة . وربماتجد احدهم حافظا للقاموس وأيام العرب وأشعارها وأنسابها متمهرا فى الجميع . ويـكـون الشعر عندهم أسهل من النفس ولازالت فى غالبهم لهذا العهد العربـيـة السليقية (٢) الفصحى . وكانوا يحبون العلم وأهله . والعالم عندهم فى المرتبة الاولى فى مكانة مكينة ، بحيث اذا أصبح أحدهم يذهب الى خيمته فيسلم عليه وكيفية سلامه أن ينكب على ركبته فيقبلها ويأخذ يده اليمنى فيقبلها ثـلاثا ظاهرها وباطنها . ويخضع له وينصرف . فيتبعه العالم بدعاء حسن مماينـاسب حاله (٣) فاذا ورد عليهم عالم افاقى اجتمعوا اليه فيكون فى ضيافة كبيرهم اولا ،ثم يستدعونه للضيافة واحدا بعد واحد ويذبحون له كل يوم ناقـة وكبشا وينحشر الناس للاكل معه غداء وعشاء وياتى كل واحد منهم باحلى ماعنده وغالب قوتهم الحليب واللبن والرائب والزبد واللحم ولا ياكلون الحبوب من شعير وقمح غيرهما الانادرا لان بطونهم تنتفخ بها . لعدم اعتيادهم لها . وياكلون التمر مكانها . اللهم الا ماكان من أيت أوسا المجاورين لنا فانهم يتقوتون بالجميع (٤)

---

١) قبيلتنا أسا والركائبات يقل فيهما العلم مثل كل قبائل (تكنة) (وحسان) وانما هو فى قبائل الزوايا المعروفة فى (شنكيط) رجالا ونساء

٢) للشنكيطيين ومن اليهم لهجة عربية خاصة بعيدة من العربية السليقية الفصحى فانها لغتهم الدارجة الخاصة بهم

٣) هكذا يفعل آل ماء العينين بعلمائهم وربما اختص ذلك بالمعتقدين منهم

٤) تبدل حال الصحراء كثيرا فى المعاش فصار غالبهم الان يحب أكل الحبوب وأما السكر فهو مشروبهم الوحيد

تقدمت لنا معهم أيام هناك كلها غرر فى جبهة الدهر وكثيرا ما انشد فيها

لله دهر جمعنا شمل لذته	هناك اعذب من أمن على فرق
مرت لياليه والايام فى خلس	كأنما سلبته كف مسترق
ما كان احسنها لولا تنقلنا	من النعيم الى ذاك من الحرق
رق العذول لحالى بعدها ورثى	لى‌فى‌الجوى والنوى والشوق‌والارق

وانشد أيضا

نفسى الفداء لانس كنت اعهده	وطيب عيش تقضى كله كرم
وجيرة كان لى الف بوصلهم	والانس أفضل ما بالوصل يغتنم
بالشام خلفتهم ثم انصرفت الى	سواهم فاعترانى بعدهم الم
كانوا نعيم حياتى والحياة له	والان كل وجود بعدهم عدم

واكثر لباسهم الخنط (١) الازرق والقطن ويأتى ذلك كله من بلاد السودان ومن جهة السودان المصرى ، وطهارتهم فى جميع الازمنة ترابية ولايتوضئون بل يتيممون . زاعمين أن تناول الماء يضر بهم فى ابدانهم . وقد جرت بيننا وبينهم‌فى ذلك محاولات ادت الى محاورات حتى حكى بعض الحاضرين أنه رأى أحدهم نزل فى غدير ماء للطهارة الكبرى من الجنابة فبمجرد خروجه من الماء ونشفه تقشر جلده أجمع حتى اشرف على الهلاك وذلك لتربيتهم بالصحراء وهوائها حتى صاروا مثل ضبابها وهم اخف الناس اجساما وحركة بحيث يثب احدهم على الجمل العشرى وهو يهرول فيركبه لخفةاجسادهم بعدم البطنة . وقلة الدم . وفيهم حسن‌وجمال.ورجالهم طوال شم الانوف . واسعوا العيون الى الكحل . وغالب نسائهم بيض عين‌دعج ولهن حركات وتغنج ورقة كلام وظرف وفكاهة فى أخلاقهن ، وربما ترى احداهن فى غيابات الخدر كانها القمر ليلة بدره فى ظلماته (٢) فى اشراقها وبياض اسنانها . وعادتهم أن لايفتروا عن الاستياك بشجر الاراك كما اعتاد بعض أهل فاس ونواحيها الاشتغال بمضغ العلك ونحوه

وفيهن أيضا عالمات أديبات واقلهن بضاعة فى الفقه التى معها المرشد المعين لابن عاشر وارجوزة القرطبى ومن الادبيات قصائد المعلقات‌السبع وغيرها من‌أيام العرب وفيهن مدرسات للعلم فى جميع الاوقات وجميع الانصبة . وقد شاهدنا امرأة وسطا تملى عليهن الشيخ خليلا بلا شارح فخاضت فى‌شرح متنه . وحررت مسائله احسن تحرير بلا تكلف فى‌ادارة

---

١) الخنط بضم الخاء وسكون النون

٢) الضمير للخدر

املائه وحولها من اخذات العلم مايزيد عن ستين امرأة . ويحضرن أيضا مجالس العلماء الذكور كثيرا

وغالب الجميع من الذكور والاناث ملتثم لايكاد يتميز الذكر من الانثى الا بزى اللباس

بعض أخلاقه المذمومة

ومع هذا كله فلهم عوائد مذمومة فى اختلاط الذكور بالاناث فى المجالس اكلا وشربا ومفاوضة وغير ذلك ويختلى الرجل بامرأة غيره ليلا ونهارا وربما قطعوا زمنا طويلافى ذلك من غير مراودة فاحشة بينهما ولا بدوء اوائحها منهما مع مبالغة فى المراقبة على ذلك . واحصاء انفاسهما وذلك لعلو همتهم . وصدق عفتهم . وقد جرب ذلك منهم . وكثيرا مايرد الاجنبى عليهم ذكرا اوانثى فيبدى شيئا من الخنى ولونطقابه فيمقت عندهمويطرد واذا حم له وراود أمرأة او امرد منهم فانه ان لم يهرب فى الحين يقتلويطرح للكلاب وحكى أن رجلا من (أيت باعمران) تاجرا له منهم صديق ملاطف ينزل عليهمتى قدم تلك البلاد الصحراوية واذا ورد الرجل الصحراوىعلى ناحية (أيت باعمران) ينزل على صاحبه كذلك على العادة الجارية بينالاصدقاء والعادة أنمن لميجد صاحبه حاضرا فى داره او خيمته فانربة داره تقوممقامه فى القيام بالضيافة فى غاية الاكرام والاعظام وان كان للمضيف اخوة او جيران فانهم أيضا يقومون ففى بعض قدمات الباعمرانى على العربى الصحراوى لم يجده فقامت امرأته احسن قيام اكلا وشربا وفرحا وسرورا فلما كانت هنيئة من الليل فرشت له للنوم واضطجعت بمقربة منه فدب اليها ، فقالت له ان كانت بينك وبين زوجى محبة فقد اديت حقه وانكان شيء اخر فلتتربص حتىياتى فيؤدبك فاستل الرجل الباعمرانى منالخيمة ليلا وهرب . فلما قدم الصحراوى واخبرته بذلك ركب على جواده الى صاحبه فقطع مسيرة خمسين يوما حتى وصله فهم بقتله قبل أن يكلمه . وتفطن له . فقامتالقيامة بالضجة بينهما حتى أصلحت الجماعة ماوقع . ولم ينفصل منه الابشق الانفس ورجع لخيمته فطلق زوجته من غير جريمة بل استنكارا واستقذارا لها لما صدر عملا بقول الشاعر

اذا وقع الذباب على طعام رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وأحوالهم فى ذلك عجيبة وجلهم لايلبس شيئا فى زمن الصبا قبل أن يبلغ الحلم ذكراكان او انثى سواء فى ضاحية الحرارة او فى قرة البرد وحمارته (١) وهم فى مجتمعهم وعادتهم ينقادون لرؤسائهم ورؤساؤهم

---

١) المعروف لغة ان الحمارة بتخفيف الميم وتشديد الراء شدة الحر لاشدة البرد وان الذى يقال فى البرد صبارة بمثل ذلك الضبط

ينقادون لعلمائهم بحيث اذا عقد الرئيس أمرا من حرب أو سلم او صلح أو غير ذلك ينقاد له غيره من غير مناقشة ولا بحث ولا كشف عن أمر ذلك لاداخلا ولاخارجا بل يستصوبه الجميع فلو ناقشه غير الرئيس بمراجعة عد من الحمقى . الا العالم فانه يسمع كلامه ويعمل به لانه عندهم في منزلة فوق منزلة الرئيس كما تقدم .

وغالب تجارتهم في القطن والودع والذهب من جهة السودان قبل احتلاله بالفرنسيس والان قد حيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل باشياعهم من قبل ولم يترك لهم الا التجارة في الملح ياتون به من بلاد (الحمادة) باتاوة مضروبة عليهم فيها

الحروب السودانية

كانت بينهم وبين الفرنسيس حروب من جهة السودان حيث هاجم مدينة (تيمبكو) مرسى (١) السودان ، وكانت في ذلك ملاحم عظام ولهم فيه جهاد كبير ومكانة عظيمة حتى اعيته فيهم الحيلة من حيث انهم يغيرون ويغنمون فيصحرون . ولهم خيل ضمر . ونجب كذلك تسمى عندهم العشريات . لخفتها وسرعتها حتى تضرب عشرة أيام في يوم ثم تقدم الى جهة (ادرار) ثم الى جهة (شنجيط) قبلة وطوقهم من كل جهة فجعلوا يتقهقرون شيئا فشيئا للصحراء الموالية للسوس (٢) ثم عم جميع البلاد

وفي ٣ صفر عام ١٣٥٣هـ شرعت الحكومة المحتلة في تعبيد (٣) الطرق مابين عاصمة السودان (سان لوى) وعاصمة السوس (اكادير) ففرغت منه في المحرم عام ١٣٥٤هـ وبينهما وبين (الرباط) عاصمة المغرب الوقتية ثلاثة الاف وثلاثمائة كيلومتر فتخرج السيارة من العاصمة السودانية ، فتخترق تلك الصحارى الى (روسو) وتقطع هناك بعض الانهار على معدية ثم تسير في أرض يشق المشي فيها على الماشي على مقدار ثلاثمائة كيلومتر ثم تشق الادغال والاحراش و (نواكشوط) ومقابر النصارى المقتولين هناك ، ثم تخترق أشجارا شائكة وجبالا من رمال الى (اكجوجت) وسط سهل منبسط الى (عطار) وهي عاصمة وسط ارض صخرية بمثابة حصن منيع فيما مضى.

---

١) ليست على البحر بل هي بعيدة منه وكانه يقصد بالمرسى مطلق المكان المهم

٢) احتل الحوض عام ١٣١٨هـ ثم احتلت (شنكيط) بعده بقليل ثم اتى الوادى فطم على القرى

٣) المراد بالتعبيد مطلق الكنش وتعيين ممر السيارات في الصحراء لا التصريف المعلوم

ثم (فوركلو) ثم جبال (ادرار) ثم بجبل معادن الحديد وهو جبل هناك ثم الى صحارى مهولة مخوفة فيها الى (تندوف) خمسمائة وخمسون كيلومترا ثم (فم الحصن)ثم تخترق غابات من النخيل فتصل الى جبل (بانى) فالى السوس فـ (تيزنيت) فـ (اكادير)

حروب حاحة

وفى سنة ١٣٣٢هـ تقدمت الدولة الفرنسية المحتلة الى نواحي (السويرة) وهى تحت نفوذ (حاحة) يومئذ وخصوصا القائد الشجاع البطل محمدا النفلوسى النكنافى المجاهد مستعينة بمعاضدة قواد الحوز الذين هم اعداء (حاحة) ومن اكبرهم عداوة لهم القائد الاعظم عبد الملك المتوكى . والقائد خبان الشياظمى وغيرهم ولما دخلت الحكومة الفرنسية (السويرة) استمالت الجيران المذكورين بانواع اللطائف وأتت من أنواع المكر والخدائع فى البروربهم . واسباغ أنواع النعم والهدايا والمجاملة ما يظنونه خلقا طبيعيا من الفرنسيين وذلك مصداق قوله تعالى (يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون) الاية . وأقاموا نحو سنتين وهم يتحفزون للموثبة على (سوس الاقصى) والحال أن خليفة الامير الشيخ أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين وهو الشيخ الولى بـ (اكادير) الذى هو باب سوس (١) ثم ان الحكومة راودت حاحة والشياظمة ومتوكة على اقتحام سوس وسلوك بلادهم اليه . فقبل الجميع غير (حاحة) فان القائد النفلوسى تعلل لها بانه لابد من مشاورة غيره من قواد (حاحة) وهم متعددون . مثل القائد الكيلولى . والقائد الزلطنى والقائد الزمزمى والقائد الحسن (٢) التامرى وانقائد علال البوزياوى وان كان الجميع تحت (٣) نفوذه فصار النفلوسى يقدم رجلا ويؤخر اخرى لذلك وكان من أهل الطريقة التيجانية . وشيخ الطريقة هناك فى وقته الشيخ محمد بن سعيد التيلضيبى الحاحى التامرى المستوطن بـ (نكنافة) وهو معتقده والشيخ يانف من ذلك كله فأشار على القائد باشهار الحرب على من ناواه وهاجمه فاستنفرت الحكومة الفرنسية النصرانية زيادة على مالديها من عساكر السوس والواسطيين ـ الجزائريين ـ قواد الحوز المتقدم ذكرهم واستنفر النفلوسى جميع قبائل (حاحة) وامده صاحب (اكادير) المولى الوالى بشرذمة من (٤)

---

١) امتد بدء الاحتلال الى سهول سوس ومدنه (ردانة) و (أكادير) وتيزنيت من أوائل عام ١٣٣١هـ

٢) كانت أيت آمر من عداد أيالة الكيلولى وماتولى القائد الحسن الا بعد الاحتلال

٣) لانفوذ لانفلوس على غيره من اولئك القواد اذذاك

٤) هذا هو الذى يدل على ان تلك الحرب وقعت فى اوائل ١٣٣١هـ لافى ١٣٣٢هـ

الفرسان من أهل السوس وكان النفلوسي ممن يذكر بالشجاعة الفائقة والبسالة في الحروب والشهامة بحيث اذا ذكر ترتعد فرائص الفراعنة من أعاديه المتوكي والشياظمة وغيرهما (١) وكانت له خزائن ومدخرات من الاموال والسلاح وغيرهما وقسم السلاح والقرطاس على من ليس معه شيء منه فلما وصلت العساكر المعادية موضعا يسمى (سميمو) وهي في عدة وعدد صبحتها (حاحة) وخالطتها بقوة لايستهان بها . وطوقتها من كل جهة وفتكوا بهافتكة بكرا الى أن عض بقيتها ناب الجوع . وجعلوا يرمون الخبز من الجو بالطائرات ثم جاء قواد الحوز يدا واحدة مع الفرنسيين . فافرجوا عنه بعد حروب يشيب لها الوليد ثم اشتعلت نار الحرب بينهم وبين (حاحة) وكان النصر حليف (حاحة) في ذلك كله مقدار سنتين (٢) ونصف اظهر فيهما حاحة من الشجاعة والثبات مالم يعهد مثله الا في زمن الصحابة

ولما رأى الفرنسيس أمر الحرب لايزداد الا شدة . مع حروب اخرى بينه وبين زيان . وابتدأت حرب (٣) ابن عبد الكريم الريفي وكانت الفرصة سانحة لحاحة وغيرهم من المجاهدين لولا أن الفرنسيس تدارك الجميع باخوانهم المغاربة المخاربة (٤) ويحكى أنه لما اشتد عليه الامر وطال عليه أمد الحرب. وخشي من اتساع الخرق على الراقع شاور القائد عبد الملك المتوكي وغيره من اعداء حاحة في قضية الحرب . فقال له ان الحديد لايفلح الا بالحديد . والنجاح هو أن تجعل قيادة الجيران لابن عم النفلوسي الذي نفاه عن وطنه سنين وتلتزم له بالقيادة في موضع عدوه بعد الغلبة وتدس بمال له بال لعسكر (٥) سوس لتنقطع المادة عنهم . ففعل ذلك . وعمل باشارته . حتى لم يبق مع القائد النفلوسي الا قبائل حاحة فكابدوا حروبا يشيب لها الوليد وفيهم بعض كفاية ثم دسوا أيضا بالمال الى فرسان (حاحة) لان الفارس يغلب مائتين من رجال العسكر لاسيما وحاحة أهل شجاعة عند الركوب . لايقاوم

١) عرفنا محمدا هذا في مراكش وهو شاب خائر العزيمة وقد حدثني عن سبب مقاومته بعد ان كان في عداد قواد حاحة المستسلمين بعد مغادرة الهيبة لمراكش

٢) وقعة واحدة فقط ثم انقضى الامر وكان يوم ثورة الحاحيين على الفرنسيز شديدا لاقى فيه الفرنسيون عنتا وذلك بعد ما دخل الحاحيون تحتهم في خبر تطول قصته

٣) لم تبتدىء حرب ابن عبدالكريم الا بعد الحاحية بسنوات

٤) كلمة تحرف لها لفظة المغاربة كناية عن أنهم مخربون

٥) لم نسمع بان هناك اغاثة سوسية الى حاحة وان كان النداء لها في الاسواق يتوالى الى ماشاء الله

الفارس منهم طردا وعكسا . ولهم مكايد عجيبة فى الفر والكر فأخذ جل رؤسائهم المال وأمروا الرعية بالترجل وعدم الركوب فى ساحة الوغى ولم يتفطن لذلك القائد محمدا نفلوسى فى اول الامر حتى دخل الوهن فى عسكره ومال اكثر الناس الى القائد مبارك من بنى عدى النكنافى المنفى بعدما وعدهم ومناهم ولما رأى القائد محمد الامر لايزداد الاشدة . شرع فى نقل خزائنه وهى شىء يفوت الحصر الى جبل (اداوبوزيا) من جيرانه وتحت نفوذه . ونقل ماعدا الحبوب . ومطامير السلاح والقرطاس . وصفائح الخيل (١) ووقع الفشل عندذلك فى أمر (حاحة) ففى بعض الايام . ذهب بقوة عظيمة . لمقابلة النصارى فى نواحى السويرة . واذا بجيرانه المتوكى والشياظمة هاجموه من ورائه بقوة عظيمة من قوتهم وقوة الفرنسيس . فقصدوا نحو (أفوغال) (٢) عاصمته فلم يلقوا غير مقاومة ضئيلة ودخلوها . واستولوا عليها وأول من احتلها ابن عمه المنفى القائد مبارك ند عدى المدسوس لها المترصد لاحتلالها

ووصله الخبر وهو فى حالة النضال مع العدو فتفرق عنه أصحابه وتأخر هو الى مامنه بجبل (اداوبوزيا) حيث أمن على نفسه وماله مع جماعة من فرسانه (٣) فخافت منه الدولة الفرنسية اعادة الكرة . فراودوه ان يدخل تحت أمرهم . والتزموا له بكل خير فابى . وتوسط له اكبر اعدائه القائد عبد الملك المتوكى فى ذلك بعهود ومواثيق ومواعيد أمن معها على نفسه وتوثق به فى كل ماأراد . الاما كان من امر العودة الى خدمة النصارى قيادة وغيرها .فانه تعفف عنها ونزل عن الامر وخير فى الاستيطان فاختار سكنى مدينة (مراكش) وله فيها أصول ورباع فاستوطنها معززا مكرما حائزا لشرف الدنيا والاخرة . وصار اكثر المسلمين يزورونه ويعرفون له حقه وقد زرناه مرارا متعددة فى قدماتنا الى (مراكش) وبالغ قواد الحوز من أعدائه وغيرهم فى تعظيمه والاسراع فى مرضاته وقضاء أغراضه وحاجاته وكذلك كبار النصارى يزورونه ويتعجبون من صرامته وشجاعته لانه لم يتغير عن عظمته الاولى وابهته

والحاصل ان القائد محمدا النفلوسى ممن ترك دويا عظيما فى الدنيا واشتهارا جسيما عاليا لاسيما فى خلقه البهى فى حسنه وجماله . وطول

---

١) يعنى نعالها الحديدية وكانت مما يدخر لعسر الحصول عليها فى الحروب والانحصارات مع شدة الحاجة اليها فى ذلك

٢) أفوغال من الشياظمة لا من حاحة والمشهور ان الذى قصده الفرنسيون زاوية احسنى

٣) حديث هذه الحرب كثيراً مايخالف الواقع لعل الكاتب انما كتب ما سمع من غير تثبت

قده وخلقه من كرم وحلم وظرف وفي ديانته وعفته ورفع همته عن سفاسف الامور وهو تيجاني الطريقة . وله معرفة فائقة بادارة الخيل والمناورة في الوغى كرا وفرا . وغناء كبير .وقد تعلم ذلك من أبيه القائداحمد المتوفى في حروب سوس (١) عام ١٣١٩هـ وله أيضا مناورات حربية مع بسلاء النصارى ومبارزات غلبهم فيها . وكانوا ياتونه لذلك . وتوفى في شهر جمادى الاولى عام ١٣٥٧هـ

ثم استسلم معه قواد (حاحة) ومن اعظمهم الذى يباريه في المنزلة القائد الجليل السيد عبد الرحمن الكيلولي . ونفى الى مكناسة . وأقام فيهامدة خمسسنين . وامر بالرجوع . وتوفى قريبا من رجوعه ويقالأنه توفى مسموما على جرى العادة في أنهم يدسون للاطباء عند تسريح العظماء تسميمهم . وذلك لئلا يشغب عليهم في بلاده انأقام فيها معزولا عن ولايته فيتشوش منه(٢) ولهذا القائد الكيلولي أيضا أموال طائلة لانه قرين النفلوسي . وعليهما معا يدور أمر (حاحة) الى (السوس) ولهما أيضا نفوذ في قواد الشياظمة وسمع أنه لما تحقق الغلبة نقل صناديق كثيرة منالذهب والفضة الىيهودى ممن كان من اللاطفين لهفي السويرة . ولم يبين عينهبرسم ولازمام ولاتقدم بشيء من ذلك الى أقاربه ثقة منه في اليهودى ومخافة منأقاربه فلما توفى استولى اليهودى على الجميع واستاثر به وانتفع به دون أقاربه واخوانه المسلمين ـ وكذلك يفعلون ـ وتوفى عام ١٣٤٣هـ (٣)

حروب زيان

أما حروب (زيان) ومايليها . فان الذى كان يتزعمها هو القائد الاعظم محمد بن حمو الزياني . وكانت عاصمته (خنيفرة) وهى مدينة عظيمة (٤)

١) الذى توفى حتف أنفه في سوس عام ١٣٢٠هـ هو عمه وأما أبوهفانه قتل في داره بيد أحد عبيده بعد أن كان قائدا في (تيزنيت) بعد أخيه وقد رجع منها عام ١٣٢١هـ

٢) هذه خرافة يتداولها صغار العقول ، فدس السم في الطعام الذى كان معتادا في الجنوب لم نعتده من المحتلين فيمن تحت ايديهم الا اذا وقع نادرا جدا فلا ندرى والمورخ يجب عليه أن لايقول الاالحقائق

٣) حدثني ادريس منو ان عبدا لعبد الرحمن الكيلولي هذا كان معه يخدمه في السجن بمكناس وكان يتعدى عليه ضربا حتى مرض فقال العبد للحاكي لوكان سيدى يرأف بى لدللته على خزينة دفنها القائد مبارك أخوه لايعرف مكانها غيرى ولم ينشب العبد ان مات

٤) بلصغيرة على وادى ام الربيع وليس فيها الان بعد ما عمرت الانحو ١٨٠٠٠ نسمة

بربرية يشقها الوادى العظيم المشهور

ولما احتلت الدولة الفرنسية مدن المغرب الكبرى ومن جملتها مكناسة التى هى سرة بلاد البربر التى بلغها (١) الاحتلال فى سنة ١٣٣٢هـ بقيادة المريشال (ليوطى) أول نصرانى فرنسي وطئت جنوده أرض المغرب . من بعد أن طهرت من رجس احتلال البرتغال لثغوره أزيد من سبعين سنة بجهاد الشرفاء السعديين القائمين بالسوس الذين اولهم القائم بالله وأولاده المولى احمد الاعرج . والمولى محمد الشيخ والمولى الحران . وغيرهم . من بعدما كابدوا القوتين قوة السلطان احمد الوطاسي وقوة العدو وأتاح الله لهم الظفر بالجميع والنصر المبين كما دونت اخبارهم فى غير ماكتاب تاريخى مثل (النزهة) و (الاستقصاء) وغيرهما

ولما رسخت قدم الجنرال (ليوطى) الفرنسي بـ (مكناسة) اصطنع جيرانها المحيطة بها من قبائل (كروان) و (بنى مطير) و(مجاطة) وجبال اوربة ـجبال زرهون ومايليها ـ ونصب لهم على يده قوادا . وندبهم الى مقاتلة جيرانهم ممن خرج عن طاعته وكان محمد بن حمو المذكور قد ندب قبائله وغيرها لمجاهدة الفرنسيس ومعارضته طلبا لحرية أرضه واستقلالها. مثل ماكان (حاحة) و(السوس) لذلك العهد وجمع جموعا عديدة ووقع الاصطدام والقتال . فابدى من الشجاعة ما يتحدث به عنه الى اخر الدهر وحارب نحوا من تسع عشرة سنة واكثر محاربيه مع العدو ككروان بقيادة القائد على الكروانى . وبنى مطير بقيادة القائد ادريس الحاجبى

ومن أكبر الوقائع فى هذه الحرب وقعة (الهرى) التى استوصل فيها من رؤساء جنود فرنسية اكثر من عشرين فيهم الكولونيلات والقبطانات والفسيانات . وجمهورهم من البربر الذين يتترس بهم الفرنسيس. وتفصيلها ان العسكر الفرنسي تقدم بقوة عظيمة وتوغل فى تلك الجبال الى أن وصل للهرى المذكور فانقض عليه عسكر (زيان) ومن معهم انقضاض البزاة وسدوا عليهم المسالك التى سلكوها وجعلوا يقتلونهم كيف شاءوا ويأسرون ويذبحون كالكباش الى ان أفنوهم عن اخرهم ودفن الفرنسيون هناك فى مقبرة معروفة بهذا الاسم

وفى ١٠ ربيع الاول عام ١٣٥٤هـ دخلت مدينة (خنيفرة) وبت فيها ليلة واحدة وتجولت فى أنحائها وفى الساعة الثانية عشرة من الغد ركبنا الى (مكناسة) ومررنا بطريقنا على بعض القرى من قرية أهل (تاسكارت) واهل (مريرت) وأهل (الهرى) والجميع من الشرفاء العلويين ولكن تحت ضغط وارهاق اولاد محمد بن حمو أمهروق واخيه الحسن الزيانى . وتحت سيطرتهم وقد اخبرت انهم انتزعوا من هؤلاء الاشراف جميع املاكهم فلم يتركوا لهم

١) الضمير لبلاد البربر لا مكناسة التى احتلت مع فاس

خفاولاحافزا حتى أنهم يستخدمونهم ويعاملونهم معاملة الانعام فـي حمل الاثقال والاشتغال بنقل الازبال وصاروا بذلك فـي غاية مـن الاستخفاف وتبديل الاحوال فاذاطال بهم هذا الحال نحو عشر سنين فانهمسيندمجون في جملة تلكالبرابر الهمجية بلا دنيا ولادين فلا حول ولاقـوة الا بالله وقد خاطبتمنهم حين وصولي رجلا ممن ينتمي الى العلم فوجدت عنده مـن الادراك ماينا‌سبه . غير أنه قد اشتكى مما ذكرناه بما يفتت الاكباد . ولايطيقه الجماد فانا لله وانا اليه راجعون

وأهل (تاسكارت) في الجبل الكبير بين (ايت يحندو) و (شقير) وأهـل (مريرت) بين (أيت يحندو) و (الاقباب) في طريق (ازرو) وجدهم مولاى عمر ابن الحسن . وأهل (اووكـو) فـي جامع مـولاى سليمان بين (سجلماسة) (وخنيفرة) وهم من نسل مولاى محمد بن الحسن . وعدد الجميع تقريبا الف عائلة

حروب الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي الريفي

هذا الرجل من عظماء الرجال المجاهدين في زماننا هذا المكافحين عن وطنهم الذيـن اظهروا مـن الشجاعـة والبطولة والاستبسال في الحرب والاستماتة في سبيل الله واعلاء كلمته العليا مالم يتقدم له نظير الا في أزمان الصحابة رضوان الله عليهم . وقد الف بعضهم في سيرته وأحواله في حركاته وحروبه وسياسته ودهائه فيها مما لم يتأت لاحد الا باعانة اللـه وعنايته . وقد رأيت في ذلك كله تـواليف تاريخية عـديـدة (١) المغاربـة والفرنسيين والاسبانيين . أطالوا فيها على حسب الايام ووقائعها مما يدل على ان الرجل خالد بن الوليد في زمانه سياسة وشبيه بابن العاص دهاء ومكرا وحيلا . وقد خرج تاريخه في جزأين ضخمين . ولذا امسكت القلم عن تلك المعامع . التي ليس بعدها لمن أراد الفتوة والشجاعة مطامع

---

١) كان قاضي زطاط السيد أحمد سكيرج جمع منأفواه بعض أصحاب ابن عبدالكريم جملة وافرة من حوادث محاربته كما كتب في ذلك ايضا وزير خارجيته صهر اخينا ابراهيم السيد عبد الكريم الريفي اخبارا لعلها تكون جامعة لكل ماوقع هناك في الخمس سنين التي بقيت فيها الحرب قائمة وقد حدثنا أنه تتبع الخبايا من الاسرار فسجلها كلها ولعله يكون قد كتباكبر مرجع مغربي في حرب الريف ولابن عبد الكريم نفسه مذكرات وقدكتب عنه الشرقيون مكتوبات لا تستوفى

رجع إلى حروب سوس

ومما شاع وذاع ان بني سالم من (فم انغار) في (تاهالا) جدهم سالم أسلم على يد القاضي السيد أحمد بن حمزة ونحله حقل الحدادي بساقيته ممايلي الجرف واسكنه بالدار الموالية (انغار) فوق الربوة مما يلي السيد أبي الرجاء ، ثم تاهل وكان له ولدان ثم ان القاضي المذكور يتردد امحل قضائه بردانة بامر السلطان ففي بعض قدماته لبلده امر الاسلامي اولاده باغتياله في طريقه فاغتالوه ايل وصوله (تاهالا) قتله فاستولى على أصوله هناك ورسومه . ولم يبق للقاضي سوى ولد واحد فانقطع بجبال درن . ولعله بـ (كيك) ولازالت رسومه الكثيرة عند صاحبنا صالح من بني سالم الى الان

أقسام الرئاسات القبلية بأداوتنان

لقبيلة اداوتنان ست رئاسات قبلية قبل الاحتلال وهي ١) شياخة السيد الحسن ابن الحاج محمد أبو الناقة على قبيلة (تلانكرت) ٢) شياخة القائد احمد أشاو على قبيلة (بني واعزون) ٣) الشيخ محمد النظام على قبيلة (انكريسم) ٤) شياخة الشيخ سعيد بن الطالب على قبيلة (بني اوركا) ٥) شياخة محمد ابن الاشقر اوبوزيا على (فم ميكي) ٦) شياخة السيد احمد بن سعيد على قبيلة (بني تالمات) بافسفاسن

سلسلات بعض أنساب مغربية شهيرة

نسب محمد بن تومارت

هو محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان ابن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وقيل أنه محمد بن عبدالله بن و كليد بن ينصل بن حمزة بن عيسى بن ادريس بن ادريس الخ السوسي (١)

نسب يوسف بن تاشفين

هو يوسف بن تاشفين بن توفاوت وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية ابن واتملي بن تامليت الحميري الصنهاجي من ولد عبد شمس بن وائل وامه حرة لمتونية بنت عمه اسمها فاطمة . وصفته اسمر اللون معتدل القامة نحيف الجسم خفيف العارضين رقيق الصوت اكحل العينين اقنى الانف له وفرة

١) في هذه السلسلة وفي غيرها مما ذكره ابن خلكان كلام كثير

تبلغ شحمة اذنيه مقرون الحاجبين جعد الشعر ، مولده ببلاد الصحراء عام ٤٠٠هـ ووفاته عام ٥٠٠هـ

نسب عبد الله بن ياسين

هو عبد الله بن ياسين بن ومكو الجزولى التامانارتى السوسى (١)

نسب الامام محمد بن سليمان الجزولي

هو محمد بن سليمان الجزولى السملالى صاحب دلائل الخيرات كما فى (الاشراف) وسليمان بن عبدالرحمن بن أبى بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى ابن يخلف بن أبى عمران بن موسى بن على بن يوسف بن عيسى بن عبدالرحمن بن جندوز بن عبدالرحمن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه توفى عام ٨٧٠هـ

نسب الامغاريين

جدهم هو دفين عين الفطر محمد بن أبى جعفر بن اسحاق بن اسماعيل ابن محمد بن أبى بكر بن أحمد بن الحسين بن عبدالله بن ابرهيم بن يحيا بن موسى ابن عبدالكريم بن مسعود بن صالح بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن أبى بكر بن تميم بن ياسر بن عمر بن يحيا بن أبى القاسم بن عبدالله المذكور بن ادريس بن ادريس بن عبدالله الكامل

نسب سيدي مزال (٢)

اسمه سيدى محمد (ضما) بن محمد (فتحا) بن يوسف بن جنون بن عمران ابن عبد الرحمن بن سليمان بن الحسن بن عمران بن جنون أيضا بن محمد بن أحمد بن ادريس بن ادريس الخ توفى بفم (تانوت) وترك اولاده محمدا وعبد الله وعبدالرحمن ويحيا . ودفن عبدالرحمن بلادالهبط ويحيا توفى بهوزيوة وكلهم يسمى بأولاد أبى درقة . وهو محمد بن يوسف ونقل من كتاب رفع التدليس وكتاب التوثيق فى النسب الوثيق الصحيح بالتحقيق

---

١) وقفنا له على سلسلة نسبين الاحكاكيين السملاليين الذين منهم سيدى محمد بن سليمان امجزولى الاتى بعده

٢) المقصود سيدى مزال البودرقى لاسيدى مزال بن هرون الوكاكى ـ فيما قيل ـ الهشتوكي

ذكر بعض مشاهير شعراء اللغة الشلحية السوسية ممن اعترف لهم معاصروهم بالافلاق (١)

السيد حمو الزاكموزى والسيد علي بن سمهر الكرسيفي والسيد بوتلضيل . وعبد الله نترعمت . وأماديرِ الكثيرى . وعبدالله بن موح الاساكى ومسعود بن همو مضمين من تودمة . والاقرع اضعاير من بني الحسن الدروعى التيملي . وأبلعيد من أميل والرئيس بلعيد الوجانى والرئيس موح بن بودرعة والرئيس العربى الجرارى (ويزاد عليهم جامع وأبوه محمد بن ايغيل ثم ولده محمد الذى لايزال حيا وهم في أقا) (٢)

تعقيب

انتهى ماوجد من الكتاب في مسودته التى مررت بها قبل اخراجها ولاريب ان الكاتب الجليل انما كتب ماكتبه من شق القلم عفو الساعة . ولم يمهله الدهر حتى يراجعه وحتى يستتمه كمايريد . ولذلك نرى فيه اخطاء لاتحصى قد نبهنا على بعضها بحسب مانعرف . والمقصود اثبات الواقع . وقد نغلط نحن أيضا ولكننا قلنا بحسب معلوماتنا . وكثير مما علقناه توصلنا اليه بدرس في الموضوع قبل أن نتصل بهذا الكتاب . والرزء الكبير هو في عدم اتمام الكتاب بيد المؤلف فقد خصصه لحياته ثم لم يذكر منها الا مابين عام ١٣٠٦ وعام ١٣٤٥هـ فبقي نحو عشرين سنة من غير أن يلم بها . ومأأداه الى ذلك الاكثرة الاستطراد وتتبع الوقائع حرصا منه على كتابتها لعلمه بأن كثيرين من السوسيين لايعتنون كاعتنائه . ولايغارون على سوسهم غيرته وياليت الكتاب استتم هذه المستطردات مع استيفاء حياة الاستاذ . اذن لكان خير مرجع في حياته وكذلك لو نقحه وتثبت في كل مايسوقه والقى عنه الاغراقات والغلو في الاشادة بسوسه ولو بالزيادة في الارقام أحيانا لكان خير كتاب اخرج للناس عن حوادث سوس قبل ان نشتغل نحن بها . وأنا أحاول التنبيه على كل ماامكن لى مما يتضمنه كلامه مما يعتسف فيه بالعاطفة او بالغلط وقد اترك التنبيه أحيانا ان علمت ان القارىء النبيه يدرك اعتسافه وذلك كله في غير ما يتعلق بالتاريخ وأمافيه فأحاول التنبيه الاماجهلته أو شككت فيه فانني اتركه في عهدته

---

١) يسمى الشاعر في الشلحة أنظام والجمع انظامن وقد يطلق عليه أيضا امرايس (الرئيس) ولكن هذه الكلمة قد تخصص لمن يؤلف فرقة يرأسها ويسترزق ببضاعته تلك في المجامع والاسواق اما انظام فربما اختص بنظم الحكم والمقارعة والمساجلة

٢) تراجم ءال ابن ايغيل في (الفصل الثانى) من (القسم الرابع)

(وفوق كل ذىعلم عليم)

والان نضيف الى حياة الاستاذ الباقية ماعندنا عنها فبذلك تتم ترجمته وان كانت ترجمته الحقيقية تعرف من بنات قلمه التى جلوناها للقارىء . فهناك يظهر كثير من نواحى نفسيته ومعلوماته واخلاقه الحقيقية وغير ذلك مما لايخفى على بصير يقرأ السطور ومابين السطور بالمعية اللبيب الذى يفهم بادنى اشارة . وفى كل اثناء ذلك ترجمته الحقيقية

في الحـواضر

كان المترجم يشارط فى المدارس كما ذكر ثم بعد عام ١٣٤٥ھ صار يتردد على الحواضر كثيرا فيلم بفاس وبمراكش ومكناس والرباط والبيضاء كما يزور غيرها من المدن الصغرى . فقد حضر احقابا فى الرباط فى وقت حركة المطيف نحو عام ١٣٤٩ھ فعاشر بعض الوطنيين وثاقنهم بقصائده وادبياته ثم قطن فيه ماشاء الله ، وكذلك كان قاطنا فى مكناس بعد عام ١٣٥٠ھ فى بيت خاص . وكان يلم دائما بالعلامة ابن زيدان فيقترح عليه هذا ان يكتب له عن حوادث سوس . فقد حدثنى العلامة ابن زيدان بذلك عام ١٣٥٤ھ وربما لايزال فى الخزانة الزيدانية بعض ماكتبه له . ولم أكن اعرفه قبل عام ١٣٥٤ھ فاجتمعت به عند ابن زيدان وقد زرته أنا والاستاذ الاخ عبد القادر المسفيوى رحمه الله واتذكر أنه جلس معنا فتجشأ بصوت عال . فالتفت نحوه الاستاذ عبدالقادر المسفيوى تلقائيا من غير أن يقول له شيئا فقال له المترجم اخالك ممن يعجبون باخلاق الافرنج حين يستنكفون من سماع الجشاء . فقال له ابن زيدان ان الاسلام أيضا يستنكف من الجشاء . أو غاب عنك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابى تجشأ عنده أحبس عنا جشاءك وقد كان للمترجم دالة على ابن زيدان لايراعى معها مقامه فى التعبير (١) حتى قال لى ابن زيدان يوما : انى لااعتمد عليه فيما يقوله . فكنت أحمل ذلك على ان السبب هو عدم احترامه له الاحترام المعهود لامثاله لان المانوزى جراءة واقداما فى كل المجالس ادلالا بعلمه وحفظه وادبه ولذلك نشوة وقد كان يخبر ابن زيدان عن سوس بما يجهله فيحسبه غير موافق المحق فيما يظهر له فربما يتهمه بالتزيد والتنفج كما صرح لى بذلك

وقد كان المانوزى شارك أيضا فى تابين الوزير سيدى عبدالله الفاسي يوم توفى . فاجتمع ادباء أهله لتابينه وقد سمعت أن هناك قافية له مصونة

---

١) حكى لى الاخ العلامة سيدى محمد بن أبى بكر التطوانى السلوى أنه رأى كتابة له كلفه بها ابن زيدان عن حوادث سوس فاذا فيها مايمس جانب الدولة العلوية بكل صراحة ووقاحة عجيبتين كمايراه القارىء فى بعض مامر

عند العلامة سيدى العابد الفاسي
وكذلك عاشر كثيرين من نبهاء الحواضر كالقاضي العلامة السيد احمد سكيرج فيكون عنده كثيرا في (زطاط) وهوالذى حدثه بكل ماشوقه الى زيارة سوس . فحمله ذلك حتى أعمل اليه الرحلة وحتى اتصل بكثيرين من ادباء (الغ) وادباء (اولاد جرار) وأدباء (تانكرت) فتبودلت القوافي فيذلكالجوالعطر على يد الفقيه سيدى محمد بنعليالتازاروالتى الآتي ان شاء الله فيالقسمالخامس
وهكذا كان المانوزى أول من أسمع الاذان الحضرية من فاس فمادونها مافي سوس من الادب وما اليه . ومن المقاومة المسلحة أزمانا فكان تسجيل ذلكنشأ عن مجاذبته مع الحضريين أذيال المسامرات فيريد أن يظهر مكانة أهله . وقد كان رحمه الله يغرق متى حدث عن سوس . وذلك ظاهرملموس فيالكتاب كما يستبينه القارىء من اول نظرة . واعله معذور فقد يلاقي من ينكر عنسوس كل شيء . فاراد هو انينسب له كلشيء . والمفيد فيالكتاب ماسجله من العادات ومن أحوال المدارس . ومن أخبار تنقلاته هوبين المدارس ففيقراءة كل ذلك حلاوة
وله مساجلات مع الادباء الذين اتصل بهم ولكن ليس عندنا من ذلك كله الاماكان بينه وبين صاحبنا الاديب سيدى أحمد بن قاسم الزياني . والى القارىء ماكتبه الى هذا الاديب أسوق ذلك بقلمه ، قال :
في عام ١٣٥٥هـ شاءت الاقدار ان تسوق الى وادى زم . وأنا به . العلامة الاديبالنابه أبا عبدالله محمد بن أحمد المانوزى السوسي فانس غربتي واطاح ببوسي اذ نزل ضيفا كريما على أخيه والمرء كثير بأخيه . ولاسيما وكلانا بذلك الوادى غريب . وكل غريب للغريب نسيب

وليس اغترابي فيسجستان انني	فقدت بها الاخوان والدار والاهلا
ولكنني ما لى بها من مشاكل	وأن الغريب الفرد من يعدم الشكلا

فمكث مع أخيه شهرا . وددنا ان لوطال دهرا ، وانشدنا :

خرجنا على ان المقام ثلاثة	فطابت لنا حتىأقمنا بهادهرا

وفي خلال هذه المدة كانت تجرى بيننا مذاكرات ومساجلات . وربما مراجعات ومجادلات . ولكنها في الواقع مذاكرات احباب في تصاف ومراجعات طلاب في اداب وانصاف . فوقع مرة جدال في بعض مفرداتاللغة ادى الى نضال . فانحاز اخونا السوسي جانبا واعمل يراعه مداعبا . وماهي الادقائق حتى القى الينا بهذا الشعر الرائق ، وهو

سللتعلينا البيض والسمروالزرقا	وجردت جردا كان ايسرها البلقا
واسقيت خلا كان قدما مواتيا	كئوس شجار ما امر لها مدقا
وأسمعته من كل أمر أمر لو	تجرعه صلد لا فت له فتقا

عهدناك الفا للمعالى حليفهـا — تجارى الكرام الصيدان حاولوا السبقا
وتغضى حياء عـن سفاسف لاترى — لغير سمير سامر النوك والحـمـقا
وتصبى اذا ما الشعر فتق نـوره — ذوو الحلم بالاشعار توردهم شوقا
وتهتز للاضياف عند طروقها — وأحييت فضلا خالدا يملا ` الافقا
وتستل فى الاعداء سيفا مهفهفا — اذاما الاعادى حاولوا الضنك والضيقا
وتغرى بسيف الذهن فى كل مفصل — مفارقـه والغمـر يفتقد النطقـا
وتبكى اذا ما الوعظ سل سنانه — لسان حكيم ينثر الدر والورقـا
وتندب ذا علـم أتتـه شعوبـه — ومن دهـره قهـرا بكلكله القـى
وترثى لذى فقر اذا ما فقاره افـ — تقرن لرفق يمسك الفتق والرمقا
عفا الله عنك عد ولا تك مدبرا — ولـد بفعال مـا احيلى لها ذوقـا
فيا من لـه فى القلب منى تقلب — عليك سلام الله ما حنت الورقـا
وما اشتد شوق الصب يبكى مرددا — «سللت علينا البيض والسمر والزرقا»

فاجبته بقولى

حنانيك خل العتب واتخذ الرفقا — طريقا لمن قد ذاب فى وجدكم شوقا
فعهده فيـك مـا تغـير لحظـــة — وحاشا عهودى فى محبتكم تشقى
هـو الحب لا ينفك فيك اذكـاره — وان بنتم فمنية النفس أن تلقى
واشهى الأمانى أن تحطوا رحالكم — بواد أرى ان لم تكونوا به يشقى
فما موجب التعنيف والـود ثابت — ومن دب فينا بالقطيعـة لا يبقى
فـدم بجياد العلم فى كل مضمر — تجول فتحوى فى ميادينها السبقا
وما زال كاس الشعر بالكف مترعا — وانت الذى تسقى ونحن الاولى نسقى
وظن جميلا ياعزيزى ولا تقل — «سللت علينا البيض والسمر والزرقا»

واستضافه مرة بعض غير المجانسين ، اذ لم يشموا للعلم رائحة ولـم يكونوا من المجالسين ، فلبى دعوته بشرط أن يعجـل أوبته فترك أخـاه فى الانتظار طيلة الليل وحتى ضحوة النهار فكتبت اليه :

تركتـم خلكـم فى مدلهمـــة — قد ألقيتم عصا التسيار ثمـة
فما سبب التأخر عن خليـل — ولم ترعـوا لـه حرما وذمـة
أراقكـم المقـام بغـــير جنس — أم استلذاذ مطبخـه وحمـــه

فأجاب معتذرا بانه جاء

أتينـا فى الليالى المدلهمــة — لربعكـــم بعزمـات وهمـــة
وقد شهد الذى ثبتت لديكـم — شهادته باجمـاع الايمـة (١)
تجاسرتـم بنطقكـم وقـدمـــا — تجاسركم بلا حلـم ورحمـــة

١) يعنى ولد المخاطب

فلولا مـا تقـدم من عهــود — رميناكم بمنطاد ونقمـــة
فان زدتم نزد أو عدت عدنـا — لعقركم فنعـلى غـير رمـــة

ولما عزم على السفر ودعته بهذه القطعة :

اودعكم والدمع منى كما تـرى — الست تراه فـى المحاجر اثرا
وقد هجتم الاشواق يوموداعكم — وقلبى ياحلف المعالى كما ترى
أنست بكم عد الصيام فكنتم — كما رمضان زار شهرا فطهـرا
ولملا وانـت يا محمد زاخـــر — بعلم كـروض بالمعارف ازهـرا
ففقه الامـام أنـت فيه امامـه — وتحفظ فى التاريخ عاداوحميرا
فان يغربـوا تلمم بكل غريبة — وانيشعروا تكن من القوماشعرا
تجارى وتجرى فىالميادين كلها — أرى لكخيلا فى النباهة حضرا
فيا عالما من سوسه جاء زائـرا — وقدطاب بلجاد اختيارا وخبرا
وبز بعلم فى كمال فضيلة — ومن نبله نام به شهد الـورى
رحلت وخلفت الغريب بترحـة — بوادىنراه منذوى الفضل اقفرا
فهليسمح الدهر الخئون بعودة — ولكن بـوقـت لاترانـى مقصرا
وحقك ما قصرت يوما بواجـب — فحاشا ولكن بى زمانـى قصرا
تجاوز عن المقدور ما قد رأيتـه — فانت أجل مـن تغاضى واعذرا

انتهى ، فى فاتح ربيع الاول عام ١٣٥٥هـ

ثم جاء فى مثل هذا التاريخ من عام ١٣٥٦هـ ومكث ازيد من شهر طاب له فيها المقام . وزاد أخوه فيه اكثر حب وفـرط هيام وجـرت فيه مذاكرات أدبيات وفقهيات وفى خلال هذه الفترة ازمع سيره لزيارة السادة الشرقاويين بابى الجعد . ولعله لميحظ منبعضهم بمايجب اوبمايحب وهو ذلك الاديـب السوسى الابى النفس الى أن ساقته القدم للمسجد الاعظم حيث الفى الفقيه صديقنا أبا عبدالله محمد السمونى يدرس فاحتفى به . وفـى القصة يقول القطعة التالية

بلفظكم الفصيح سبيتمـونـى — كما بشفا الشفاه شفيتمونـى
بنى الشرقى(١) أناضيف نزيل — غريب الشكل هـلا تفهمونـى
حدته سوابق الاقـدار حتـمـا — لحيكم بحـقـكم اقبلـونـى
فكم تبر تظـنـاه نحاسا — غبى فازدراه بعين هـون
وكـم غمد حـوى عضبا صقيلا — يعود اذا انتضى رهـن المنـون
أبيت بحيكم ضيفا ذلـيلا — اذن بمدى الهـوان رميتمونـى

---

١) الشيخ سيدى محمد المشرقى الرجل العظيم الذى عمرت به مدينة ابى الجعد ، توفى حوالى ١٠١٢هـ

عن عجل وشغل بال وتراكم هول السفر ، ربيع النبوى ١٣٥٦هـ محمد ابن احمد المانوزى

ثم لم يزل ضيفنا يشرفنا بزيارته ويمتعنا بلطفه ويضفى علينا من ءادابه وظرفه سواء في تاوريرت او مراكش او الرباط . ويسدى ويلحم في برود المحبة بما يقوى الارتباط وكل أيامه تمر عامرة بالاداب مترعات كئوسها بين الاصدقاء والاحباب الى أن جاءني نعيه من مكناس وأنا بـ(سيدى بنور) بدكالةفى جمادى الاولى عام ١٣٦٥هـ يوافق ابريل ١٩٤٦م ولعله توفى قبل هذا بيسير

فكان مصابه فـوق المصاب وما يطفا له جمر التهاب
وخطبه فى القلوب أشد وقعـا لقد ادمـى وطار بـه صوابـى

رحمه الله ، ولم تحضرنى مرثيته ولا من أشعاره الا ما قدمت . وانءدت لمقرى انقبالكم عنها وابعث بالجميع ان شاء الله . اخوكم أحمد لطف الله به

الكلمة الاخيرة

انللمترجم قصائد كثيرة قد توزعت كماتوزعت بنات قلمه . فقد حدثنى صبيحة يوم ركبت فيه معه من (اكادير) الى (الغ) حوالى عام ١٣٦٣هـ ان له زهاءمائة مؤلف ثم لم يظهر له فيما أعلم الا ما بين أيدينا الان . والا نبذ فيمجموعة لمدارس سوس . وقد كان حدثنى ان له تعليقا على قصيدتى العصيدة . ولكن لم نر له اثرا . وفى ذلك الصباح املى على نسبه الى ابـى فارس بـنأحمد الذهبى فكتبته عنه . وقد اخذ منى العجب كل ماخذ حين سمعت مالم اسمعـه قط ثم صرت أسال جيرانه وأهل بلده عن هذه النسبة فلم الاقمن يلقى عنهاضوءا الا ان بعضهم أخبرنى ان هذه النسبة السعدية كان كتبها فـى ورقة فاعطاها لسيدى الهاشم التيمكيدشتى فناولها للاستاذ سيدى نـاصر التونينى فرماها لما قرأها وقد كان سيدى ناصر رحمه الله فى الورع جبلا عظيما . وأنا لااستبعد مايقوله المترجم لان الناس مصدقون فى انسابهم الا مناحية واحدة فابو فارس بن المنصور الذهبى لم يمر عنه الا نـحـو ثلاثمائة سنة فهل كان يخفى عن جيرانهم أنهم من أبناء الملـوك وامثالهم ممن تسير باخبارهم الركبان والناس فى باديتنا متكاشفون . والبلاد بلاد علم لاتعد الثلاثمائة سنة فيها عهدا طويلا اوجاء أسلاف المترجم مستخفين يحفظون آنسابهم سرا ثم لم يظهروا نسبهم الا منذ زمن قليل . علىأننارأينا فيما تقدم كيف ردد المترجم ذكرهذه النسبة . وحكاها عن احد اجدادهم فى القرن الثانى عشر . واياكان فان كل من أساله عن ذلك يتعجب . وربمانقف

على مايؤيد مايقال في ذلك وانا انزه المترجم عن أن يزود ذلك تـزويرا فليس هناك الا أن ذلك صحيح غير أنه ليس بمعروف وانه تحت طي الخفاء حتى جاء هوفاظهره . أوكان حقيقة معروفة فلم يصل الينا الا اليوم . والمستقبل كشاف

كان المترجم منقطعا فى مسكن بمكناس سنين كثيرة يشتغل بالرقـى والتمائم والجداول ويغشاه المتطلبون والمتطلبات والمسترقون والمسترقيات لذلك وما اكثرهم حول الطلبة السوسيين فى الحواضر حتى وافـاه أجله المحتوم فى مكناس حيث دفن فذهب مبكيا عليه من كل من يعرفه رحمه‌الله وله ولديسمى عمر كان نجيبا ياخذ من القرويين . فلم يلبث أن توفى أيضا فبقى من لايعرف قدر العلم من أهله فاستولى الجاهلون من النساء والصبيان على كتبه . وفيها بعض ذخائر والمترجـم يعرف فـى الاوساط المانوزية بسيدى محمد بوزكر (بسكون الزاى والكاف المعقودة) وقلما تلقى من يعاشرونه الا ويحكي لك عنه مغربات . رحمه الله

خاتمـة

انني اجتهدت فخرجت من مسودة حياة المترجم بقلمى ما يراه القارىء أمامه . ولا أكتمه . انني اتصرف قليلا فيما ليس من صميم الاخبار . ولامن لب عباراته . بل مما كان هو بنفسه لو خرج ماكتبه يصححه . فلم ازد أنا أن قمت مقامه . وقد أغلط فازيد كلمة او انقص . أو أبدل عبارة . وكيفما كان فاللباب كله بعباراته ونكته للمترجم رحمه الله وغفر لنا وله . وفى كل ذلك مايجعله خالدا فى ظل قلمه .



انتهى الجزء الثالث من (المعسول)

ويليه الجـزء الرابع ان شاء الله

فهارس الجزء الثالث من (المعسول)

الفهارس سبعة :

* الفصل الاول في الفصول
* الثاني في الرجال المترجمين في كل فصل
* الثالث الفهرس العـام
* الرابع في القوافي التى قالها المترجمون والمذكورون في اثناء التراجم كمترجمين
* الخامس في المنثورات كالرسائل وامثالها
* السادس في الخطإ والصواب
* السابع في الكلمات الشلحية التى فيها حرف مشدد

﴿ الفهرس الاول في الفصول ﴾

﴿ الفهرس الثاني في الرجال من كل فصل ﴾

١٤٣ الرئيس احمد ابن الحاج ابرهيم الدياني الايغشاني
١٣٧ (من الكراسة المكررة) سيدي المحفوظ بن الهاشم الدياني الايغشاني
١٤٠ (من المكررة) سيدي محمد بن احمد الدياني الايغشاني
١٦٢ الرئيس علي بن احمد الدياني الايغشاني
١٦٥ الاستاذ سيدي احمد بن الحسن البنائي الايغشاني
١٧٢ الاستاذ سيدي محمد بن الحسن البنائي الايغشاني
١٧٥ الرئيس باها الايكليبي الايغشاني
١٧٧ أمغار يوسف بن باها الايگليبي الايغشاني
١٧٩ الفقيه سيدي احمد بن ابرهيم التاوييتي الايغشاني
١٨٠ سيدي يحيا بن محمد التاوييتي الايغشاني
١٨١ سيدي سعيد بن عبد المومن التاوييتي الايغشاني
١٨٢ سيدي احمد بن بوهوش التاوييتي الايغشاني
١٨٣ سيدي محمد بن مبارك التاوييتي الايغشاني
١٨٤ سيدي الحسن بن مبارك التاوييتي الايغشاني
١٨٥ سيدي محمد بن عبد الله الايكدماني الايغشاني
١٨٨ الرئيس أوبَرْكَا الايكدماني الايغشاني
١٨٩ سيدي علي بن همو الايكدماني الايغشاني القارىء
١٩٠ العلامة الصالح سيدي عبد الله الايكدماني الايغشاني شيخ سيدي [illegible] يحيا وعنده [illegible]
٢٠٤ الشيخ سيدي علي بن يونس الانامري الايغشاني
٢٠٧ الشيخ سيدي يعقوب الايكدماني الايغشاني
٢٠٨ الرئيس علي بن يعقوب الايكدماني الايغشاني
٢٠٩ الفقيه سيدي محمد بن علي اليعقوبي الايغشاني
٢١٠ الصالح سيدي يونس الايغشاني
٢١١ الشجاع علي الايبوركي الانامري الايغشاني
٢١٢ سيدي مبارك بن مُومَّادِين الانامري الايغشاني
٢١٤ سيدي احمد بن ابرهيم الانامري الايغشاني
٢١٥ سيدي الحسين بن صالح التاكانزي
٢١٦ سيدي محمد بن احمد الاوگافي الانامري الايغشاني
٢١٧ القارئ سيدي مسعود أفولكوس التاكانزي
٢١٨ سيدي احمد الفقير التاكانزي
٢١٩ سيدي سعيد جد الابوالخيريين الايغشاني
٢٢٠ سيدي احمد بن محمد الابوالخيري الايغشاني
٢٢١ سيدي محمد المدونة الاوبوالخيري الايغشاني
٢٢٢ سيدي محمد بن احمد الاوبوالخيري الايغشاني
٢٢٥ الشيخ سيدي ابرهيم بن علي الايغشاني

الفهرس الثالث العام

في كل ما عنون له في الكتاب اويستحق ان يعنون عنه

* * *

﴿ الفهرس الرابع في القوافي التي صدرت عن المترجين ﴾

الهمـزة

٣٠	محمد بن الطاهر	سيرى مطية واقطعى البيداء
١٣٣	بعض الالغيين	فوصال فصحبة فوداد — هباء
١٦٧	احمد البناءى	عجبا لمن نادمته بصفاء

البـاء

٣٠	محمد بابه الصحراوى	عهود الصبا ذكرت ياهبة الصبا
٣٣	أبو الحسن الالغى	عظم الزرء والمصاب بموت — بابه
١٤٤	الحسن الكوسالى	من مبلغ نجل الكريم الاريب
١٩٩	عبدالله الايكدمانى	سلام كريم كوصل الحبيب
٤٢٠	احمد الزيانى	فكان مصابه فوق المصاب

التاء

٣١	محمد بابه الصحراوى	أبا حسن لازلت بدرا سيادته
٥٤	المؤلف	عجبا لنفس لاتذوب صفاتها
١٦٩	احمد البناءى	لله ليلتنا كانها اقتطفت
٢٠٠	عبد الله الايكدمانى	وافت تناغى نجيا بالتحيات

الجيم

١١	البشير الاغوديدى	ان الطجين مدرك النضج

الخـاء

٢٧	سيديا الصحراوى	لك المجد فى هذى البسيطة ثابتا — الشوامخ

الـــــدال

الــــراء

الفهرس الخـامس

في المنثورات ـ من الرسائل وغيرها من آثار المترجين ومن اليهم

البشير الناصرى ١٤ ـ
رئيس ساموكنى ٢١ ـ
محمد بابه ٣١ ـ
محمد بن مسعود ٥٠ ـ ٥٢ ـ
أبو الحسن الالغى ٦١ ـ
المـؤلـف ٧٠ ـ ٧٢ ـ
الحاج مسعود الوفقاوى ٧١ ـ ٧٥ ـ ٨٢ ـ ٨٤ ـ
المحفوظ الديانى ١٣٨ ـ من (المكرر)
الحضيكى ١٨٥ ـ
محمد الايكدمانى ١٨٥ ـ
عبد الله الايكدمانى ١٩٠ ـ

الفهرس السادس في الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٢	الحرسيلى	الحربيلى
٦	٦	العاشرة	العاشر
٦	٧	فسيدذكر	فسيذكر
٧	٢٢	المالكة	المـألكـة
٨	٧	النحوية	والنحوية
٢٢	١٩	زاءه	ازاءه
٢٧	٢١	في هذه	في هذى
٣٢	٤	في الحاشية نسالكم	نسائلكم
٤٢	٢٣	جرما	جـزمـا
٥٤	٢٥	ترد الصدور الاعجاز	ترد الاعجاز على الصدور
٥٩	٧	بهم	بهمـــم
٥٩	١٦	اسادتذه	أساتذتــه
٦١	٥	من يسن	من سن
٦٦	٨	فاستلقى	فاستولى
٦٧	٣٢	بضهم	بعضهـــم
٧٠	٤	فوثبه	فوثبـــة
٧٠	٢٧	جاء	جاءت

صفحة	سطر	خطـا	صواب
٧٨	٢٣	امروء	امــرؤ
١١١	٤	الشيخ	الشيخ عليا
١٢٣	٢٠	بأنوق	بأنــوف
١٢٦	٢٣	ايت اوفتاس	أيت بوفتاس
١٢٧		صواب السطر الثلاثين ومابعده بحذف المكرر	
		كل مايملكونه من الحلي	فقالوا للايبوركيين
١٢٧	٣٥	وذا بحاس	واذ ايحاس
١٣٢	٢٤	والموارية	والمواربــة
١٣٢	٣	في الحاشية اخيرهم	خــيرهـم
١٣٤	١٧	واوعز	فـأوعـز
١٤١	٦	باءال	بـــآل

هنا تكررت الارقام غلطا من ١٢٩ الى ١٤٤ وسنتمشى على هذا الغلط

صفحة	سطر	خطـا	صواب
١٢٩مكرر	٩	اكياس	اكيس
١٣٠مكرر	٢٧	بمراكش	بمراش
١٣١مكرر	٢٦	تازوالت	تازاروالت
١٣٢	٣٠	لالى	لأولى
١٣٣مكرر	٢٦	مذا	مـــاذا
١٦١	١٨	ففه	ففيـــه
١٦٧	٤	فشارط	شارط
١٦٨	٢٧	بويركين	بويزكين
١٧٥	٢٢	صاع بصاع	صاعا بصاع
١٨٠	١٤	واءخر	وءاخر
١٩٣	١٢	في مصلاة	في مصلاه
١٩٣	١٩	الاجازة	الاجارة
١٩٣	٢٥	كل مامن	كـل من
١٩٨	٢٨	بهؤلاء	بهـــذه
١٩٩	٢٨	ذانتنا	دانتنا
٢٠١	٣	مزيدا	مزبـدا
٢٠٢	٩	تذيل	تذييـــل
٢١٧	٧	لمسهورين	المشهورين
٢٢٨	٨	المساة	المسماة
٢٣٢	٤	السامم	السامـع

صفحة	سطر	خطـا	صواب
٢٢٧	٧	يسقط هذاالسطر	الفقيه سيدى علىالايزربيبى(١)
٢٢٩	٣	عليه	عليهـا
٢٣٧	١٢	وهى امى	وهو أمى
٢٣٨	٥	قال سهمه	فال سهمه
٢٣٩	١٥	سيدى	سيد
٢٤٠	٢٥	يكاد وحيدا	يكاد يكون وحيدا
٢٤٤	٢١	اعناء	اعتنــــاء
٢٤٥	١٧	ضواء	ضوء
٢٤٥	٢٥	عن ذكر الرحمن	عن ذكر ربه
٢٤٥	٢٩	تتحط	تنحط
٢٤٦	٢٩	نبست	نبس
٢٤٩	٢	(لــــه)	(ز ائد فيحذف)
٢٤٩	٢٦	اولاه	أولاد
		وقع بين ٢٥٤ وبين ٢٥٧ تقديم وتاخير فى الرقمين بينهما	
٢٥١	٢٥	بنى الطلب	بنى الطالب
٢٦٢	٤	جويا	جوفا
٢٦٨	١٦	لامواقهم	لأسواقهم
٢٧٤	٤	فى الحاشية لا يفهما	لا يفهمها
٢٧٥	٦	مــع ولده الفقيه	مع ولد الفقيه
٢٧٧	٣٠	زيادة	بلا زيادة
٢٧٨	٥	ولا تنالـه	ولا تنالها
٢٨١	١٤	مظهرها	ظهرها
٢٨٥	١٨	لاه	لانــــه
٢٨٧	٢٠	ينتظرون	ينظرون
٢٨٨	٢٠	بالفــر	بالسفر
٢٨٩	٢٠	بى الطالب	بنى الطالب
٢٩٠	١	اذا الناس	اذ الناس
٢٩٢	١٩	خيفـه ان	خيفة أن
٣٠٥	٢٢	اوادامه	الاريحية
٢٩٣	٤	فى الحاشية الاريحـة	من ادامـــه
٣١٣	٢٥	بأمرها	بأمرهما

١) كنا عنونا عنه . ولكن لم نظفر بترجمته

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٠	١٠	فحماها	فمحاها
٣٢١	١٠	مجلدا	مجلـــد
٣٢٦	٢٠	الماظم	الناظم
٣٣٤	٣٠	والموب	والمؤدب
٣٣٩	١٠	بن العافية	بن أبى العافية
٣٤٣	١٧	التكلم	المتكلم
٣٥٤	٢٢	العائد	العابدة
٣٥٠	٢١	الصالح	الصلح
٣٦٨	١٠	فى الحاشية ١) لم يغادر	٥) لم يغادر
٣٧٢	٢	الامر	الامـــير
٣٧٣	١١	من الخلاف	الخـــلاف
٣٧٣	١٤	الاصحى	الاضحى
٣٧٤	٢٦	الصحراويون	الصحراويين
٣٧٥	٢٢	وغرستها	وغرسته
٣٧٥	٢	فى الحاشية لم يكونا الى مراكش	فى مراكش
٣٧٧	١٥	وغرب	وعرب
٣٨٧	٤	فى الحاشية للقديفـة	للقذيفة
٤٠١	٣	اذا كان	اذ كان
٤٠٢	٤	وعن حالها	وعن رجالها
٤٠٣	٢٣	غيرهما	وغيرهما
٤٠٥	٥	اخلاقـه	اخلاقهم
٤٠٦	٥	فى الحاشية الكنش	الكنس
٤٠٦	٦	فى الحاشية التصريف	الترصيف
٤٠٦	٢٠	وبينهما	وبينها
٤٠٨	٤	فى الحاشية الفرنسيز	الفرنسيس
٤١٤	١	فى الحاشية نسبين	نسب بين
٤١٤	٢	فى الحاشية امجزولى	الجزولى
٤١٧	٣١	مدقـــا	مـــذقا
٤١٨	٤	طروقهـــا	طروقهم
٤١٩	١٣	بوادى	بـــواد
٤١٩	٢٦	المشرقى	الشرقى

الفهرس السابع في الالفاظ الشلحية التي فيها حرف مشدد

طبع بمطبعة النجاح ـ الهاتف ٠٧ـ٣٠١

الدار البيضاء ـ المغرب الاقصى

عام ١٣٨٠ هـ = الموافق سنة ١٩٦١